سارة نيشا آدامز
SARA NISHA ADAMS

قائمة القراءة

THE READING LIST

بعض الكتب تغيّر مجرى حياتك إلى الأبد

رواية



الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي
THE READING LIST
حقوق الترجمة العربية مرخّص بها قانونيًا من الناشر
Madeleine Milburn Ltd. of The Factory,
1 Park Hill, London SW4 9NS. U.K.
بمقتضى الاتفاق الخطي الموقّع بينه وبين الدار العربية للعلوم ناشرون، ش.م.ل.

الطبعة الأولى: حزيران/يونيو 2021 م - 1442 هـ

ردمك 978-614-01-3284-9

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. SAL

facebook.com/ASPArabic
twitter.com/ASPArabic
www.aspbooks.com
asparabic

عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 786233 – 785108 – 785107 (1-961+)
ص.ب: 13-5574 شوران – بيروت 1102-2050 – لبنان
فاكس: 786230 (1-961+) – البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

تصميم الغلاف: **علي القهوجي**

التنضيد وفرز الألوان: **أبجد غرافيكس**، بيروت – هاتف 785107 (9611+)

الطباعة: **مطابع الدار العربية للعلوم**، بيروت – هاتف 786233 (9611+)

سارة نيشا آدامز
SARA NISHA ADAMS

قائمة القراءة

THE READING LIST

رواية

تعريب

إسماعيل كاظم

مراجعة وتحرير

مركز التعريب والبرمجة



الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. SAL

تقديم

قائمة القراءة

2017



الأبواب الجديدة عصرية وتنفتح بشكل آلي، وقد تغيّرت منذ الزيارة الأخيرة لإيدان، كما لاحظ صفوف الكتب المتناثرة التي بدت وكأنّ لا نهاية لها، وهي تعجّ بكتب من مختلف الأشكال والأحجام. في هذا المكان، استعاد ذكريات طفولته التي أمضى معظمها في ملاذه المألوف الذي استقرّ فيه في مرحلة مراهقته، بعد أن عمل فيه خلال إجازته الصيفية. أحبّ تمضية الوقت هنا، والغرق بين أكوام الكتب المرجعية، على الرغم من أنه لم يعترف لأصدقائه بحقيقة مشاعره. ربما ينظر الآن إلى المكان نظرة حنين وردية متخيلًا عالمًا ساحرًا من الكتب لا وجود له في الواقع. ها هو الآن يعود إلى ملاذه الآمن، وقد بلغ الثانية والعشرين، فلم يعد طفلًا ولا مراهقًا بل أصبح رجلًا ناضجًا يبحث عن ملجأ يختبئ فيه من أصدقائه وعائلته والعالم كله.

نظر إليه أمين المكتبة، وهو يعبر الأبواب مبتسمًا، فاستقبله الصمت المطبق الذي لم يخيّم على هذا المكان في السابق بحسب ما يتذكّره، بل كان يسوده الهدوء شأنه شأن كل المكتبات، ويخترقه أحيانًا وقع أقدام الناس الذين يمشون بتثاقل، وهمس الأطفال المتململين إلى أمهاتهم، وصوت حفيف الصفحات التي تُقلّب بين الحين والآخر، وصوت قوائم الكراسي وهي تُزاح للجلوس عليها أو النهوض

عنها، بالإضافة إلى صوت السعال والشخير أحيانًا. أما اليوم، فهو بالكاد يَسمع صوتًا، إنه صوت نقر أحدهم على شاشة هاتفه ليكتب رسالة نصية، أو نقر أمين المكتبة على لوحة مفاتيح حاسوبه القديم، ولا صوت آخر. في الآونة الأخيرة، عثر على ملصقات على لوحة الإعلانات المجتمعية في محلات تيسكو وفي النادي الرياضي حول إنقاذ المكتبة، فلم يخطر على باله قط أن تحتاج المكتبة إلى من ينقذها من الإغلاق، فكل ما يذكره عن المكتبة أنها ذائعة الصيت، وتجذب القراء إليها لمطالعة كتبهم المفضّلة، ولكن عندما دخلها الآن شعر بألم شديد يعتصر قلبه.

بينما كان يتجوّل بين رفوف الروايات، وقسم الجريمة، مرّر أصابعه على أغلفة الكتب، فاستوقفه كتاب *فيضان المياه السوداء* للكاتبة أتيكا لوك، الذي قرأه أكثر من مرة قبل سنوات، وبدأ يقلّب صفحاته بحثًا عن ملاذه المألوف بينها، فاجتاحَه سيل جارف من ذكريات هيوستن التي نسجتها أتيكا لوك، حيث المدينة النابضة بالحياة والمفعمة بالتباين والتناقضات.

إنه يحتاج اليوم إلى الاندماج والتكيّف مع عالم متقلب وكثير المنعطفات، ولكنه في الوقت نفسه يعرف إلى أين سينتهي به المطاف، وما يحتاج إلى أن يعرفه يتعلّق بمصير كل ما في العالم. لقد اختفت الطاولة التي كان يجلس إليها عندما كان صغيرًا، ولم يبقَ أي شيء على حاله، لا هنا ولا في الحياة بشكل عام، أما هو فيمرّ بصيف آخر مرير، ولكن كلمات الرواية بدأت تؤثّر فيه، وهو يتتبع الجمل بأصابعه محاولًا استعادة الشعور بالانتماء إلى المكان، لينسى كل ما يعاني منه هذا الجسد في هذا العالم الموحش، وليسمح لعقله بالغوص في عالم الخيال بعيدًا عن هذا الواقعي المأساوي. وشيئًا فشيئًا تضاءلت تأثيرات مخاوفه إلى أن تلاشت في النهاية.

عندما كان صغيرًا، اعتادت والدته أن تصطحبه إلى هذا المكان برفقة أخته أليشا، التي كانت تمضي معظم وقتها في اللعب، وعندما تثير جلبة كانت تضطرّ ليلى إلى إخراجها. لم يحصل إيدان إلا على بضع دقائق وحده، ولكنها كانت كفيلة

بتهدئته، ووضع حد للأفكار السوداء التي تجول في رأسه، وقد ساعدته على التقاط أنفاسه والهرب من هذا الواقع المؤلم... وهو ما كان بأمس الحاجة إليه، إلى أن نبّهه صوت حاد إلى اقتراب شخص منه، فلم يكترث له، بل ظلّ يقرأ كلمات الكتاب بتمعّن من دون أن يسمح لأحد بإبطال مفعوله السحري الذي ينعكس عليه إيجابًا، إلى أن نظر شزرًا إلى كدسة الكتب التي شكّلت ما يشبه الحاجز.

حاول جاهدًا تهدئة أنفاسه، حين دندن جاره بصوت خافت، فلم يستطع أن يميّز أكان يدندن أغنية، أم لحنًا، أم مجرد كلام هراء لا معنى له. ثم انبعث صوت صَرير قلم يخطّ به على الصفحة الأولى خطوطًا، تتكرّر بشكل منتظم مصدرة صريرًا متواصلًا يكاد يخدش صفحات الكتاب.

ثبّت إيدان عينيه على الصفحة التي يقرأ كلماتها بتمعّن، ليستوعبها، ويستحضر الشعور الذي انبعث في نفسه في المرة الأخيرة التي قرأ فيها الكلمات نفسها.

لدقائق تشتّت تركيز إيدان بين العالم الخيالي الذي نقله إليه الكتاب، وبين العالم الواقعي خارجه. ثم نظر إلى ما حوله في المكتبة، ثم إلى الطريق، نحو ويمبلي، وهو يتساءل عن حال والدته، وإن لاحظت أليشا مغادرته. مجددًا عادت أفكاره إلى قاعة المكتبة، وإلى الشخص الذي يجلس إلى جانبه، والذي يخربش على صفحات الكتاب، وكأن حياته تتوقّف على ما يقوم به.

فجأة توقّف، تاركًا كدسة من الأوراق الصغيرة المطوية تتناثر على المكتب، فراقبه إيدان بطرف عينه وهو يرتّب القصاصات فوق بعضها، وينقر بإصبعه عليها ببطء ليعدّها، انطلق من الرقم واحد، *اثنين*، *ثلاثة*، *أربعة*، *خمسة*، *ستة*، *سبعة*، *ثمانية*...، ثم وضعها أسفل غلاف الكتاب الموضوع أعلى الكدسة، والذي تبيّن لاحقًا أنه يحمل عنوان *لا تقتل عصفورًا ساخرًا*.

استراحت يدا الشخص الغريب الأطوار لحظةً على غلاف الكتاب، فانتبه إيدان إلى أنه مضى وقت طويل من دون أن يقلب خلاله صفحات الكتاب،

وتساءل لم يهتمّ بما يقوم به في الأساس؟ وبعد لحظة امتدت ذراعان يرتدي صاحبهما سترة سوداء سميكة، وسحبتا الكتب نحوه، ثم أزيحت كدسة الكتب وهو يراقبها من طرف عينه، يصاحبها تأوّه خافت، ثم سمع صوت وقع أقدام على سجادة المكتبة البالية، تتّجه نحو مكتب الاستقبال، وبعد ذلك أعاد تركيزه على الرواية.

[#]

عندما نهض عن مقعده، لاحظ أن نور القمر الفضي بدأ يتسلّل عبر النافذة، وأن المكتبة بدأت تستعيد السحر الذي ميّزها في الماضي، فشعر وكأن معجزة ما قد حصلت، وهو الذي لم يؤمن يومًا بالمعجزات. بعد أن رحلت خيوط أشعة الشمس الأخيرة، تشكّلت ظلال طويلة في أرجاء المكتبة القديمة، وغمر الضوء الفضي الدافئ معظم أقسامها، وامتزج بالأنوار الذهبية التي تشعّ في المكان، فبدت وكأنها مطلية بماء الذهب، حاول إعادة كرسيه أسفل الطاولة، وذلك عن طريق رفعه ودفعه برفق حتى لا يصدر صوتًا مزعجًا.

على الرغم من خلو المكتبة من أي قارئ قد يزعجه الضجيج، لاحظ قصاصة ورق مطوية، بقيت على الطاولة التي تقع إلى جانبه.

للحظة التفت إلى اليمين وإلى اليسار، ثم نظر ببطء أعلى كتفه، وعندما لم يجد أحدًا ينظر إليه، مدّ يده، وسحب القصاصة وفتحها، وهو يمسكها برفق خوفًا من تمزّقها كونها بدت رقيقة مثل ورق السجائر، وهو يفكّر في الشخص المجهول الذي كان يجلس بالقرب منه وفي الكلمات التي يكتبها، أو بالأحرى فكّر في خربشاته الغامضة، والهدف منها.

فجأة اكتشف اللغز عندما فتح الطية الأخيرة، وقد بدت الحروف أنيقة ومتناسقة، وتحفّز على قراءتها.

[أسماء الكتب كما وردت في القائمة]

في حال احتجت إلى القراءة:

لا تقتل عصفورًا ساخرًا

ريبيكا

عدّاء الطائرة الورقية

حياة باي

كبرياء وتحامل

نساء صغيرات

محبوبة

شاب مناسب

لا تقتل عصفورًا ساخرًا كان عنوان الكتاب الذي وُضع أعلى كدسة الكتب، فتفحّص القائمة بأكملها، ولكنها لم تعنِ له شيئًا، بل كانت مجرد كلمات مكتوبة على قصاصة ورق، ففكّر في أن يأخذ القائمة ويضعها في جيبه، ولكنه عدل عن قراره، إذ لا أهمية لهذه القصاصة الصغيرة المطوية بدقة سوى أنها قائمة كتب تعود إلى شخص غريب، لماذا سيحتاج إليها؟

أعادها إلى الطاولة، وأغلق الرواية، ثم أعادها إلى رف قسم الجرائم، لتسنح الفرصة لشخصٍ آخر أن يستمتع بها، وهو يشعر بالامتنان للكاتبة، ثم خرج من المكتبة، فأُغلق الباب خلفه تلقائيًا، وعندما استدار استطاع رؤية الملاحظة حيث تركها تمامًا، وقد امتدّت ظلال المكتبة خلفه، وشكّلت الكتب المقروءة وغير المقروءة حاجزًا بينه وبين القائمة، فشعر بالسلام والهدوء يتلاشيان فور ابتعاده عن المكتبة، وهو يسلك درب المدينة التي تشعّ أنوارها وتنبعث أصواتها الصاخبة، والتي يسمّيها منزلًا.

زوجة مسافر عبر الزمن

أودري نيفينغر

الفصل 1

موكيش 2019

صوت رنين الهاتف: "مرحبًا بابا، أنا روهيني، آسفة جدًا لأنني أعاود الاتصال بك، ولكنك تدرك تمامًا مدى قلقي حين لا تردّ على مكالماتي أو لا تُعاود الاتصال بي، سأزورك وبريا يوم الجمعة، أخبرني بما تودّ أن أحضره لك معي من طعام أو شراب، فلست مقتنعة بأن الطعام الذي تُحضّره بنفسك يشكّل غذاء متوازنًا. بابا، أنت بحاجة إلى تناول نوع آخر من الأطعمة المغذية غير الماش[1]، وتذكّر بأن اليوم هو يوم جمع القمامة، القمامة السوداء فقط، أما الخضراء فدورها الأسبوع المقبل، إن لم تكن قادرًا على ذلك، فاتصل ببارام على الرقم 87، هل اتّفقنا؟ لأنني أعرف أن ظهرك يؤلمك".

صوت رنين الهاتف: "بابا، أنا ديبالي، طلبت إليّ روهيني أن أتّصل بك لأنها لم تهاتفك مؤخرًا، لأذكّرك بأن اليوم هو يوم جمع القمامة، فلا تنسَ حتى لا تضطرّ إلى الهرولة في الصباح الباكر وأنت ترتدي البيجاما، عاود الاتصال بي، هل اتفقنا؟ سأذهب الآن إلى العمل، إلى اللقاء، والتوأم يقولان لك وداعًا، يا جدي".

صوت رنين الهاتف: "مرحبًا بابا، أنا فريتي، هل أنت بخير؟ أردت الاطمئنان عليك، أخبرني إن كنت بحاجة إلى أي شيء، يمكنني المرور بك متى شئت، فقط أعلمني متى تكون متفرّغًا، فأنا مشغولة في الأسابيع القليلة القادمة، ولكن يمكنني

---

(1) Mung الماش وهي اللوبياء الذهبي، ضرب من اللوبياء ذو حبوب صفراء أو خضراء. (المترجم)

العثور على حلّ ما، هل اتفقنا؟".

معظم أيام الأربعاء يبدأها موكيش على هذا النحو، أولًا تصله ثلاث رسائل صوتية متطابقة من بناته- روهيني، ديبالي، وفريتي- في تمام الساعة الثامنة صباحًا، على الرغم من أنه يرى أن هذا التوقيت غير مناسب للاتصال، وذلك قبل أن يتوجّهن إلى أعمالهن، لأنهن يحسبنه مستيقظًا.

في يوم آخر، كان ليتصل بكل واحدة منهن ويخبرها بأنه يسيطر على مسألة القمامة، على الرغم من أنه ليس كذلك. ولا يملك أدنى فكرة حول هوية بارام الذي يمكنه أن يهاتفه على الرقم 87، فقد كان يحبّ أن يطمئنهن عليه، ولكن لا وقت لديه اليوم.

اليوم هو يوم التسوّق، فقد اعتادت نينا التسوّق أيام الأربعاء، وسيكون من الخطأ أن يحيد عن هذا الروتين الآن. في البدء تفقّد الثلاجة والخزائن ليتأكّد من أنها مرتّبة كما أحبّت نينا أن تكون، ولكن ما يراه مرتبًا كانت نينا لتعتبره فوضى عارمة، توقّع أنه بحاجة إلى الباميا والماش، فهو يحبّ الماش على الرغم من كل ما تقوله روهيني عنه، فهو لم يكن يطهو طعامه عندما كانت نينا على قيد الحياة، ولكنه حفظ بعض الوصفات عن ظهر قلب، وهي التي ساعدته على تأمين الوجبات الأساسية للحفاظ على صحته واستمرار حياته، ولكن ما أهمية الغذاء المتوازن بالنسبة إلى عجوز في عمره؟

عندما غادر المنزل، أغلق الباب خلفه، فلفحته حرارة تموز، وبما أنه يرتدي عدة طبقات من الملابس فقد شعر بالحر، فهو يشعر دائمًا بالدفء، في الوقت الذي كان يشعر فيه الكبار في السن الآخرون بالبرد. وكان يسخر منه بعضهم في المعبد الهندوسي عندما يخبرهم بذلك، كما كانت تقلقه بقع العرق التي تظهر تحت إبطيه، على الرغم من أن الجميع اعتادوا أن يقولوا له: "أخ موكيش، لماذا تقلقك هذه الأمور البسيطة؟ لقد تقدمنا بالسن، ولم تعد تهمّ الآن".

لكنه لا يودّ أن يبدو متقدمًا في السن، كما أنه يرى أن الكفّ عن القلق بشأن ظهور بقع العرق على ملابسه، والتجشؤ أمام الآخرين، وغيرهما من تلك المظاهر

والعادات القبيحة، قد يجعله يفقد الاهتمام بأمور أخرى أكثر أهمية.

عدّل قبعته التي يعتمرها طوال أيام السنة مهما كانت حالة الطقس، لحماية عينيه من أشعة الشمس، والتي ابتاعها منذ خمسين عامًا، فظهرت عليها علامات البِلى، وعلى الرغم من ذلك لا يزال متمسكًا بها، فهي صمدت في وجه تقلّبات الأحوال الجوية القاسية أكثر مما صمد زواجه في مواجهة النوازل، إلا أنه يحاول ألا يتشاءم مما يصيبه من الحياة التي جارت عليه، كما أن فقدانها سيكون بمثابة خسارة جزء أساسي من ذاته.

أصبح خروجه من منزله كل أسبوع للتوجه إلى أعلى التل من أجل بلوغ الطريق السريع يزداد صعوبة، فهو يجعله يلهث، وقريبًا سيضطرّ إلى الاستعانة بسيارة أجرة لعبور مسافة لا تستغرق أكثر من خمس دقائق سيرًا على القدمين. أخيرًا وصل إلى أعلى التل، وانعطف يسارًا، ثم تنفّس ملء رئتيه، قبل أن يتوقّف ليعيد تقويم الحقيبة القماشية التي انزلقت عن كتفه، ثم تابع سيره كالعادة عبر شارع إيلينغ نحو البقالية.

في العادة، يكون شارع إيلينغ أكثر هدوءًا أيام الأربعاء، لذلك اختارت نينا هذا اليوم للتسوق، كونه يقلّل من فرص اللقاء بأناس تعرفهم، فيحوّلون رحلة التسوق التي تدوم عشر دقائق إلى حديث اجتماعي مدته ساعة كاملة.

بحسب رأيها، لم تكن المتاجر التي تظهر عبر واجهاتها عارضات جميلات تتزيّنَّ بالجواهر المتلألئة مزدحمة، إذ يتوجّه معظم الناس نحو أكشاك الخضار والفاكهة، أو إلى السوق الذي يقع قرب مسجد ويمبلي المركزي. لوّح موكيش لجاره نسيم وابنته نور اللذين كانا يتناولان رقائق المنيهوت، فهو لم يتحدّث إليهما منذ وفاة نينا سوى دقائق قليلة، ولكن نسيم وابنته لطالما جعلا يومه أكثر بهجة في كل مرة صادفهما فيها خلال العطل المدرسية.

أخيرًا، وصل إلى متجره المفضل الذي يجد تحت مظلته جميع أنواع الخضار الطازجة ذات الرائحة الفواحة، فكان مكتظًا بالمتسوقين وعربات الأطفال، وقد ذعر قليلًا حين رأى نيخيل واقفًا أمام المدخل، وقد بدا وكأنه ينتظره.

"مرحبًا، موكيش"، كان نيخيل في الثلاثين من عمره، وهو ابن أحد رفاق المعبد، لذلك كان ينبغي له أن يناديه بالعم موكيش، احترامًا لسنه، ولكنه تجاهل لفت نظره إلى ذلك كعادته، لأنه لم يرغب في أن يكون عمًا لهذا الشاب الذي يقف أمامه بشعره المنسدل وأسنانه الطبيعية، وبطنه المختلف عن بطنه الشبيه بالمافن، وذلك بسبب ممارسته الرياضة واتباع حمية الأرز والماش والكاري، ومن جهة أخرى أحبّ الشعور بأنه صديق نيخيل بدلًا من أن يكون العم العجوز والمسكين.

أجابه موكيش: "نيخيل، هل يمكنني الحصول على كوب من ذاك، وبعض البيلندي؟".

"ما الذي ستشتريه اليوم يا موكيش؟".

"أنت تعرف ما سأشتريه عادة".

قال نيخيل ساخرًا، وقد ارتسمت الابتسامة على شفتيه: "إنني أمزح فقط، تعرف أن الماش والباmياء ليسا مناسبين إلا لإعداد نوع محدّد من الطعام، أليس كذلك؟ اطبخ شيئًا مختلفًا لمرة واحدة فقط، يا موكيش".

"ألا تعرف أيها الشاب أن عليك مناداتي بالعم؟! سأضطرّ إلى أن أخبر والدتك بوقاحتك"، ابتسم سرًا، وهو يدرك تمامًا أنه لن يكتسب الاحترام الذي حظيتْ به نينا ذات الشعبية المطلقة، فقد أدارت الساتانغ في المعبد أيام السبت، وقادت البهاجانات، وكانت القدوة التي يحتذي بها الصغار والكبار.

راقب موكيش نيخيل يشقّ طريقه بين الرهط، وأخيرًا عاد وهو يحمل حقيبة مليئة بالخضار، وكان أغلبها بامياء وماش، ولكنه أضاف إليها بعض أنواع الخضار الأخرى.

شكره موكيش بإشارة برأسه، وشقّ طريقه بصعوبة عبر الرهط ليتّجه إلى حيث تطلق السيارات العنان لأبواقها، وتنبعث الموسيقى من نوافذها المفتوحة.

بلغ أعلى التل مجددًا، ونزل المنحدر ببطء، وعندما وصل إلى منزله، فتح الباب، ودخل مباشرة إلى المطبخ، وأفرغ ما في الحقيبة من الخضار، وقد تبيّن أنه أضيف إليها اليوم السبانخ والكزبرة، وقطعتان من الخبز مناسبتان للباف باجي التي

لم يعرف موكيش أي تفصيل من وصفتها، قبل أن يجلس أخيرًا ليشاهد ما يُعرض على شاشة التلفاز.

لقد اعتاد أيام الأربعاء أن يفرغ حقيبة التسوق، ثم يجلس ويرفع ساقيه، ويرتشف الشاي المحلى الساخن، كما اعتادت نينا أن تعدّه، ولكنه الآن يشرب خلطة جاهزة، ويشاهد قناة زي أو نشرة الأخبار، كي يشتّت انتباهه عن كرسي نينا الفارغ، فيتناهى إلى مسمعه الدردشات الخفيفة وأصوات الضحكات العالية والمحادثات المحتدمة حول الشؤون العالمية المهمة، بدلًا من الصمت المطبق الذي ساد المنزل منذ سنتين، ويكاد يفقده الإحساس بالحياة.

لم يستطع موكيش النوم في سريره لأشهر عديدة بعد وفاة نينا، وشعوره بالوحدة في منزل يكاد يصبح غريبًا عليه.

يومها قالت له روهيني: "امنح حزنك بعض الوقت حتى يزول"، وأعدّت له فريتي سريرًا في غرفة الجلوس.

همست ديبالي إلى أختها: "لا يمكنه النوم على الأريكة إلى الأبد، سيؤلمه ظهره"، إن شعوره بالغربة في منزله يحمّله عبئًا ثقيلًا، ولكن كيف له أن يعود إلى سابق عهده بعد أن خسر أثمن ما في حياته؟

همست روهيني إلى أختيها: "سيكون بخير، إنه يعيش مرحلة الألم والحزن بعد فقدان زوجته، لذا يصعب عليه الدخول إلى غرفة النوم، ولكن علينا ترتيب أغراض والدتنا، فالفوضى تعمّها".

استلقى موكيش على الأريكة، وأغمض عينيه آملًا في أن يصمّ أذنيه عن صوت الضحكات، ليغفو قليلًا، وإن كان ما يسمعه صوت ضحكات بناته التي تريح النفس، فقد كان الأب الذي تقع عليه وحده مسؤولية الاعتناء بهن، ولكنه لا يعرف كيف يفعل ذلك من دون نينا.

بعد أن غمر الهدوء الأبدي حياة موكيش باتيل لعام، فالصمت والوحدة هما من مراحل الحزن التي تلي وفاة من نحبّهم، وسيتبعهما المضي قُدمًا في الحياة،

وبالأخص بعد أن أفرغت الفتيات غرفة نينا. "بابا، لن نسمح لك بإطالة هذه الفترة أكثر، عليك بالمضي قدمًا في حياتك".

لذلك بدأنَ بفرز تفاصيل حياة أمهم، وإعادة تنظيم حالة الفوضى المنظّمة التي كانت تعيشها، فاختارت ديبالي التي تعاني من حساسية الغبار أن تطهو وجبة الغداء بدل التنظيف وترتيب الأغراض، وفي ذاك اليوم سرت الحيوية في أرجاء المنزل ودبّت فيه الحياة، ولكن لأسباب خاصة به، وقف أمام باب غرفة نومه، يراقب فريتي وروهيني، وهو يستمع إلى صوت الخلاط الذي تُشغله ديبالي في المطبخ، فلم تنتبها إلى أنه يراقبهما بصمت، فبدا غير مرئيٍّ في منزله، وكأنه مجرد شبح.

تولّت روهيني زمام الأمور، فطلبت إلى فريتي أن تُخرج العُلب من أسفل السرير، بينما تجوّلت في الغرفة تتفقّد ما تحتويه من أغراض، ثم أعادت مشطًا إلى مكانه الصحيح في علبة أحذية موضوعة في أعلى خزانة الملابس، وطوت الشالات ورتّبتها في حقيبة سفر كبيرة، ثم رتّبت أساور كثيرة، فراقبهما موكيش وهما تسحبان علبة تلو الأخرى أسفل السرير، وقد ركعت فريتي على الأرض خافضة رأسها حتى التصق خدها بالسجادة، ثم مرّرت يدها إلى جهة اليسار ثم إلى جهة اليمين.

فجأة، صدر صوت طقطقة.

صرخت روهيني، وهي تحدّق إلى أختها: "يا إلهي! ماذا هذا الصوت؟"، ثم سحبت فريتي علبة من الأقراط غير المتطابقة، فعلبة أحذية كلاركس مليئة بالصور التي استمتعن لساعات وهن يشاهدنها، إذ تصورهنّ عندما كن صغيرات ويجلسن على ركبتي نينا وموكيش، ويسألن عن ملابسهن ذات نقشة بيزلي والبناطيل البراقة، التي اعتبر موكيش أنها تبدو عصرية، وهذا ما يجعل الفتيات يضحكن على تعليق والدهن.

ثم سحبت بعد ذلك عدة علب فارغة، وأخيرًا عثرت على كتاب يعلوه الغبار.

استمرّ بحث فريتي بين الأغراض على وتيرة واحدة إلى أن عثرت على الكتاب، فركعت روهيني إلى جانب أختها، ثم نادتا بصوت عالٍ: "بابا"، رغم أنه كان يبعد عنهما بضع خطوات، ثم دخلت ديبالي إلى الغرفة، وانضمت إليهما.

قالت روهيني: "كتاب ماما... أقصد أنه الكتاب الذي استعارته من المكتبة، اعتقدت أنني أعدت كل الكتب، ولكن يبدو أنني نسيته"، أمسكته ليراه موكيش الذي اقترب من دون أن يصدّق ما تراه عيناه، كما لو كان الكتاب القديم الذي يغطّيه الغبار حلمًا من أحلام اليقظة، إلا أن مشاعره لم تتحرّك وهو يراقب بناته، وهن يرتِّبنَ أغراض زوجته، بل بعدما رأى هذا الكتاب الذي جعله يشعر بأن نينا في الغرفة إلى جانبهم، فهو أحد كتب نينا المفضلة، وقد مرّت برهة لم يشعر فيها بالوحدة.

في الماضي كانت هناك كدسة كبيرة من الكتب على الطاولة قرب نينا، وقد رافقتها في عامها الأخير، فكانت تقرأ الكتب نفسها مرارًا وتكرارًا، وتمنّى موكيش لو أنه سألها عن المواضيع التي تناولتها تلك الكتب، وما الذي أحبّته فيها، والدافع إلى قراءة الكتاب نفسه عدة مرات، كما تمنّى لو أنه قرأها معها.

كل ما بقي من تلك الكتب الآن هو كتاب واحد: *زوجة مسافر عبر الزمن*.

تلك الليلة، شعر موكيش بوحدة موحشة بعد خلو الغرفة من فوضى نينا، فأحسّ بأنه دخيل فيها، وأن هذا الكتاب لم يكن يخصّه، فهو لم يختره، وربما لم ترغب نينا في قراءته، فأجبر نفسه على قراءة صفحة واحدة، ولكنه اضطرّ إلى التوقف، فلم تكن الكلمات منطقية، ثم حاول إيجاد رسالة من نينا موجّهة إليه من بين الحروف السوداء والصفحات المصفرة، ولكنه لم يعثر على أي واحدة.

في الليلة التالية، كرّر الأمر نفسه، فأنار مصباح القراءة الخاص بنينا، وفتح الكتاب مجددًا على الصفحة الأولى، ثم قلّب الصفحات محاولًا أن يكون وفيًا وألا يترك بصماته على الكتاب بأي شكل، فقد أراد أن يكون الكتاب خاصًّا بنينا فقط، وبحث بين الصفحات آملًا في الحصول على دليل، أو علامة على إحداها، كنقطة شاي، أو دمعة، أو هدب من أهدابها، أو أي شيءٍ آخر، إلى أن قرّر في النهاية إعادته إلى المكتبة، لأنه كان على يقين من أن هذا ما أرادته نينا، ولكنه لم يستطع التخلي عنه، لأنه كان فرصته الوحيدة لاستعادة نينا.

هذا ما دفعه إلى أن يقرأ الكتاب صفحة صفحة، وفصلًا فصلًا، ليلتقى بهنري الشخصية التي تسافر عبر الزمن، وقد مكّنته تلك الميزة من مقابلة نسخة في الماضي أو في المستقبل منها، والأهم من ذلك أن هنري التقى كلير حب حياته، بعد أن سافر عبر الزمن من أجل رؤيتها وهي طفلة صغيرة، وعاد مرارًا وتكرارًا لرؤيتها طوال سنوات، ولكن لماذا لم يكن أمام كلير سوى خيار الوقوع في حبه؟ لأنه كان الوحيد الذي عرفته حقًا.

لم يرَ موكيش هاتين الشخصيتين على أنهما هنري وكلير، بل نظر إليهما على أنهما تجسيد لمفهوم الحب الحقيقي، الحب المقدّر والحتمي الذي ربطه بنينا، وفي النهاية سافر هنري إلى المستقبل، وبعد أن علم أنه سيموت، أخبر كلير بموعد انفصالهما الأبدي. رنّ الهاتف بينما كان يقرأ مأساة هنري وكلير، وكانت ديبالي هي المتصلة، فلم يستطع التحدّث إليها، لأنه كان يجهش بالبكاء.

أخيرًا عندما استطاع التكلم، قال لها: "كنت أعرف أنها ستموت، كما عرفت كلير أن هنري سيموت في الرواية، وبالكاد تمكّنّا من عدّ الأيام الأخيرة التي جمعتهما، لقد تلقّيت تحذيرًا مشابهًا، ولكن هل قمت بما يكفي من أجلها؟ هل جعلت لحظاتها الأخيرة سعيدة؟".

"بابا، ما الذي تتحدّث عنه؟".

"إنه كتاب والدتك، *زوجة مسافر عبر الزمن*".

سألته برقة: "ماذا عنه؟"، وقد بدت نبرة صوتها متعاطفة مع والدها.

"هنري وكلير... أتعرفين... لقد أحبّا بعضهما منذ كانا يافعين، كما أحببنا أنا وأمك بعضنا، وقد عرف هنري موعد موته، وبعد أن أخبر كلير بتلك الحقيقة المرة، استغلّا لحظاتهما الأخيرة التي قضياها معًا، ليعيشاها بسعادة، ولا أعرف إن فعلت الأمر ذاته".

"بابا، لقد أحبّتك ماما، وعرفت أنك تحبّها، وهذا يكفي، هيا الآن، الوقت متأخّر، اخلد إلى النوم، هل اتفقنا؟ لا تَشغلْ بالك بهذه المسألة، فقد أضاف كل منكما السعادة إلى حياة الآخر، وجعلها أكثر جمالًا".

رحلت نينا، ولكن هذا الكتاب بدا وكأنه يصوّر لمحةً عن روحها، ويتغلغل في أعماق حبهما وحياتهما المشتركة، كما يصوّر لمحة عن الأيام الأولى لزواجهما، فعلى الرغم من أنهما كانا متزوجين، إلا أنهما شعرا بأنهما غريبان عن بعضهما، ولا يعرف أحد منهما شيئًا عن الآخر. في البدء كان عبء الأعمال المنزلية ملقىً على كاهلها، فهي التي تطبخ، وتنظّف، وتخيط، وتصلح ما يتعطّل، حتى إنها تضحك وتبكي وحدها، وتستلقي في نهاية اليوم على سريرها لتقرأ كتابًا، كما لو أنها أمضت يومًا مريحًا، وقد أدرك أنه يحبّها منذ الأسابيع الأولى التي أمضياها معًا، وأنه سيحبّها إلى الأبد.

قالت له، وهو يمسك الكتاب: *لن أضيع منك أبدًا، موكيش*، إنه يسمع صوتها الآن، فقد أعادتها الرواية إليه وإن للحظات.

[#]

حاول موكيش مواصلة روتينه اليومي، وما إن مدّ يده إلى جهاز التحكّم عن بعد، حتى ارتطمت برواية *زوجة مسافر عبر الزمن*، فبدت وكأنها تراقبه من طاولة غرفة الجلوس، ما جعله يحسم أمره، ويتّخذ قرار إعادة الرواية إلى المكتبة، فرأى أن لا حق له للاحتفاظ بها، بعد أن همست إليه الرواية بصوت واثق يشبه صوت نينا: *حان وقت التخلي عني، والمضي قدمًا*.

تنفّس بعمق، وبسط ساقيه قليلًا، ثم نهض عن كرسيه، ودسّ الرواية في حقيبته القماشية، بعد أن بحث في جيوبه عن بطاقة الحافلة، خرج مباشرة من منزله متوجّهًا إلى أعلى التل، فعبر الطريق قرب إشارات المرور ليصل إلى أقرب موقف للحافلات، انتظر، وهو يبذل جهده لقراءة الجدول الزمني.

وقفت امرأة شابة إلى جانبه، تربط شعرها على شكل كعكة، وحملت بيدها هاتفًا كبيرًا.

سألها قائلًا: "من فضلك، أي حافلة عليّ أن أستقلّ للوصول إلى المكتبة؟".

تنهّدت المرأة، وبدأت بالنقر على الشاشة، فشعر أنه أزعجها، وأن عليه العثور على طريقة أخرى للوصول إلى المكتبة، ولكنه حدّق مليًا إلى الخريطة فلم يستطع فهمها، ما جعله متيقنًا أنه سيبقى منتظرًا في مكانه إلى الأبد إن استمرّ بالتحديق إليها.

فجأة قالت له المرأة: "عليك أن تستقلّ الحافلة رقم 92، والمكتبة تقع في وسط المدينة".

"أوه، لا! لا بد من وجود مكتبة أخرى، فوسط المدينة مزدحم جدًا بالنسبة إليّ، أيمكنك التأكد مرة أخرى؟".

مضغت المرأة اللبان مصدرة صوتًا عاليًا، وهي تنظر إلى هاتفها: "لا أعلم، إنهم يغلقون المكتبات في هذه المنطقة، أليس كذلك؟"، تنهّدت مستاءة، وأكملت كلامها قائلة بحدة: "نعم، حسنًا، توجد مكتبة على طريق هارو، يمكنك أن تستقل الحافلة نفسها، ولكن عليك أن تقف في الجهة المقابلة من الطريق".

"شكرًا، شكرًا على المساعدة"، ابتسم لها، وبشكل غير متوقّع بادلته الابتسامة، ومن شدة حماسته غفل عن مدى بطء حركة قدميه، وما إن كاد يعبر الطريق، حتى شعر بألم في ركبتيه، فجأة أمسَكت المرأة بيده بقوة، وقالت له برفق: "انتبه، عليك أولًا النظر في الاتجاهين قبل عبور الطريق"، فنظرت نحو اليمين ثم نحو اليسار، ثم نحو اليمين مجددًا، وأشارت إليه إلى أن الطريق خالٍ، وعندما بلغ الجهة الأخرى من الطريق، استدار ولوّح لها، ولكن حافلتها كانت قد وصلت.

صعد إلى الحافلة رقم 92 فور وصولها، فرفع نفسه إليها بكل قوته، ثم مرّر بطاقته أمام الشاشة القارئة، وقال للسائق: "المعذرة، أخبرني من فضلك، أين عليّ النزول للوصول إلى طريق هارو؟"، نطق تلك الكلمات وكأنها في غاية الأهمية، فنظر السائق إليه باستغراب، وهو يقول له:

"محطة شارع إيلينغ".

"شكرًا، شكرًا لك يا صديقي، فهذا اليوم مهم جدًا بالنسبة إليّ".

الفصل 2

أليشا

قال ديف، وهو ينقر بيده على المكتب: "أليشا، سأغادر ولن أعود اليوم، حاولي أن تظلّي شعلة من النشاط والحيوية، وأن تكوني أكثر همة ولو قليلًا لو سمحتِ. أعلم أن هذا المكان ليس تايغر أو أي مكان آخر يحبّه الأطفال حاليًا، ولكنه يبقى المكان الذي يتوقّع فيه الناس الحصول على خدمة جيدة.

كانت أليشا مسترخية على المكتب، فنظرت إلى ديف من دون أن تكلّف نفسها عناء تعديل جلستها، على الرغم من أن ديف هو مديرها، وهو رجل هندي طويل القامة، نحيل الجسم نوعًا ما، يرتدي سترة صوفية، وقد يكون مزعجًا أحيانًا، ولكنه يمنحها الشعور بالأمان، كما أنه مدير المكتبة التي يحاول العاملون فيها نيل رضاه، وهو غالبًا يشرب قهوته من ترمسه الخاص الذي شكّت أليشا في احتوائه على الكحول، وإلا لماذا يشرب من الترمس في الوقت الذي كان لديهم آلة صنع القهوة في غرفة الموظفين؟ ولماذا يحتاج إليه إن لم يكن يحتسي الكحول؟ ولكن قد يكون قرّر الحد من تأثير العالم الخارجي السلبي عليه، خاصة تأثير ويمبلي، المكان الذي لا يتقبّل رجلًا يرتدي سترته الصوفية، ويشرب طوال الوقت من ترمسه، ويحبّ أن يكون الآمر الناهي في المكان. وقد أثار قلقها أن يصرخ الناس فيه في الشارع إن مشى متراخيًا، أو أن يسكب أحدهم قهوته.

"لا تقلق أيها المدير، فاليوم تبدو المكتبة موحشة وفارغة، وكأن كل ما فيها جامد في مكانه لا حياة فيه".

رفع حاجبيه ونظر إليها نظرة فاحصة، ولكنه لم يستطع أن يخالفها الرأي، فلم يأتِ سوى بعض الأطفال المتذمرين الذين تعلو أصواتهم برفقة أهاليهم غير المكترثين لهم، وقد أخذ كل واحد منهم كتابًا واحدًا، وأبلغتهم بدفع غرامات التأخير في المرة القادمة، فهذه الغرامات التي تتراوح بين 20 و67 جنيهًا تبقى مسجلة على قائمة بيانات الرواد خلال ثلاثة أشهر، ويبدو أنها ستتحوّل إلى غرامات غير مدفوعة إلى الأبد. تجاهلت أليشا الأمر، ولم تكن تنوي الإبلاغ عنه، إذ لم تكن هذه الوظيفة التي تحلم بها، هل يمكن أن تكون حلم أحدهم على الإطلاق؟ كانت تعمل هنا خلال الصيف فقط، وقد أنهت امتحاناتها في أيار، فكان أطول صيف في حياتها بكل ما للكلمة من معنى.

سألها أصدقاؤها في المدرسة عندما حصلت على العمل: "أما زال الناس يرتادون المكتبات؟". إن روّادها قليلون جدًا، ولكنها حاولت الحصول على وظيفة في توبشاب في شارع أوكسفورد حيث يمكنها الاستفادة من التخفيضات، والابتعاد قليلًا عن ويمبلي، ولكنها لم تحظَ إلا بهذه الوظيفة، وقد قال لها مديرها خلال المقابلة: "إن المكتبة مكان للسلام والطمأنينة، وقد أغلقت مؤخرًا مكتبات كثيرة، وأنا على يقين من أنك سمعت بالأمر، لذا نحاول بذل قصارى جهدنا لتسليط الضوء على أهمية هذا المكان في مجتمعنا"، خاطبها وفتح ذراعيه وأرخاهما، كان الصمت الخانق يعم المكتبة. "في العادة، يأتي أغلب روادنا إلى هنا من أجل أن ينعموا بالهدوء والسكينة، هل تعرفين أن شقيقك أحبّ هذا المكان المميز أيضًا؟ بالمناسبة كيف حاله؟".

أومأت إليه أليشا، وهزّت كتفيها ردًّا على سؤاله، سبق لشقيقها الأكبر إيدان أن عمل في المكتبة حين كان في مثل عمرها، وقد قال لها حين أخبرته بأنها حصلت على الوظيفة: "رُوَّاد المكتبة مذهلون إلى أبعد الحدود، فهم يجلسون صامتين،

وهم يتصفّحون الكتب، ويقومون بأي رد فعل حين لا ينتبهون إلى أنهم مُراقبون... إنه، لا أعرف كيف أوضح لك ذلك، لا أحد منهم يحاول أن يتظاهر بما ليس عليه في تلك المكتبة".

لم تفهم أليشا سبب افتتان شقيقها بالمكتبة، فقد كان شخصًا محبًّا للكتب ومجتهدًا، ويتعلّم من أجل التعلّم فحسب، في حين أنها تعلّمت من أجل نيل العلامات، وما كانت لتقرأ ما لم تكن مضطرة للحصول على العلامات.

أحضرتهما والدتهما إلى المكتبة عدة مرات في طفولتهما، ولم تستطع أليشا تحمّل الصمت والهدوء، فكانت ترفس، وتصرخ راغبة في الركض في المتنزه، ومع تقدّمهما في السن، لم تزر أليشا المكتبة، بخلاف إيدان الذي كان يذهب إليها بعد المدرسة لأداء واجباته أحيانًا، وفي الغالب من أجل الحصول على متعة قراءة الكتب.

بمجرد أن تحدّثت أليشا عن رفض طلبها في توبشاب، اقترح عليها العمل في مكتبة طريق هارو الصغيرة الهادئة والقديمة، فقبلتْ بالعمل فيه من أجله، وهي تأمل أن يجعله قبولها بالعمل في المكتبة فخورًا بها.

بدورها قالت لوسي، وهي تمدّ رأسها من بين الرفوف: "أنا خارجة أيضًا، أليشا، هل ستكونين بخير بمفردك؟". لوسي هي إحدى المتطوعات اللواتي يعملن في المكتبة، بعد أن أعلم ديف بعدم وجود تمويل كافٍ لتوظيف المزيد من العمال، وأنه ليس من داعٍ لإبقاء مكتبتين تعملان بكامل طاقتيهما، وبالأخص في ظل وجود مكتبة وسط المدينة، فاضطرّوا إلى تخفيض النفقات في ظل الأزمة المالية، إلى جانب الالتزام بتقديم "أفضل خدمة ممكنة لرواد المكتبة". عاشت لوسي في ويمبلي لسنوات، وكانت مكتبة طريق هارو خيارها المتاح، عندما كانت تحظى بتمويل كافٍ، وقد أحبّت التحدّث عن الأيام الخوالي، عندما كان الأطفال يتزاحمون أمام المكتبة في مواسم الأعياد: "كما تعلمين يا أليشا، كانت المكتبة تغصّ بالناس وتنبض بالحياة، وأنا أحبّ زيارة المكان عدة مرات في الأسبوع، فهذا يعيد إليّ

الذكريات مع الأطفال الذين أصبحوا قرّاءً في هذا المكان"، تحبّ لوسي أن تسترجع الذكريات دومًا، فقد سبق أن أخبرت أليشا خمس عشرة مرة، مرددةً في كل مرة: "*أوقفيني إن ذكرت ذلك قبلًا*".

"المكان أكثر هدوءًا هذه الأيام، فالأطفال يفضّلون لعب الأكس بوكس وما شابه، بحسب علمي"، واصلت لوسي كلامها قائلة: "على الرغم من ذلك، فقد التهم ولدايَ كل صفحة من الكتب التي حصلا عليها".

لقد افتتحت ابنتها صالونين أو ثلاثة صالونات تجميل خاصة بها في المنطقة، ولا تزال تشهد أعمالها ازدهارًا، أما ابنها فدرس المحاسبة، وهو يعمل لصالح شركة محاماة في المدينة، وكانت لوسي فخورة بهما جدًا، وتدين بنجاحهما لهذه المكتبة".

"إن اليوم هادئ، أليس كذلك؟"، نظرت إليها لوسي، وهي ترتدي سترتها الصيفية، وتتوجّه نحو الباب: "إنه يوم مثالي للاسترخاء ومطالعة الكتب"، غمزتها وقالت: "أراك في الأسبوع القادم".

كان الهدوء والسلام يعمّان المكان، فإيدان ولوسي محقان بشأن ذلك، ولكن الملل يرافق ذينك الهدوء والسلام، فبدا اليوم كفاحًا حقيقيًا. قال لها ديف، وهو يمدّ يده إلى مقبض الباب: "ربما يمكنك البحث بين كدسة الكتب التي أُعيدت للتأكد من إخراج أي قصاصات ورق من دون رمي القصاصات المهمة في القمامة، فبعض روادنا المنتظمين..."، تساءلت أليشا، أهم الخمسة جميعًا؟ وتابع كلامه قائلًا: "اشتكوا من العثور على قصاصات لا تزال ملتصقة بالصفحات، هناك قفازات مطاطية في الدرج، مع أنني أعرف أن كايل يستمتع عادة بإنجاز هذا العمل، ولكنّ إنهاءك له اليوم سيشكّل عونًا كبيرًا".

بالطبع، أحب كايل المجدّ الأعمال المجهدة التي تثير الاشمئزاز، ففكّرت في تجاهل تعليمات ديف تمامًا... إلا أنّها نظرت حولها ومسحت القاعة، فبدت صامتة، ولم يكن فيها سوى رجل يقرأ في الزاوية، وأم برفقة طفلها في قسم الأطفال،

وكلٌّ منهما يتابع القراءة، ولا يحتاجان إليها، وهاتفها موضوع على المكتب، ولم تصلها رسائل جديدة، وقد أشارت عقارب الساعة القديمة المعلقة فوق الباب إلى الواحدة والنصف، ولا يزال لديها ساعات طويلة في العمل، وليس لديها ما تقوم به، وسيبدو الوقت بطيئًا إن لم تعمل. لذا سحبت درج المكتب، ووضعت القفازين المطاطيين اللذين التصقا بجلدها، وبدأت بفرز القصاصات.

بعد عشر دقائق، نجحت في تشكيل كدستين، واحدة تضمّ القصاصات التي يجب رميها، وهي عبارة عن عدد قليل من تذاكر القطار، والإيصالات القديمة، وتذكرة ممزقة لحضور حفل المغني ستورمزي يعود تاريخها إلى العام 2017، والأخرى التي يجب الحفاظ عليها كانت عبارة عن دفتر بطاقات لزيارة مطعم تشيكن سوب، وفيه بطاقة واحدة فقط للاستخدام، سينزعج كايل المسكين لتفويته هذا الكنز.

في اللحظة التي بدأت فيها تفتح نسخة مثيرة للاشمئزاز بشكل خاص من كتاب *الحرب والسلم*، لمحت بطرف عينها رجلًا عجوزًا يقف في الجانب الآخر من باب المكتبة الزجاجي، وكان يحاول دفع الباب ليفتحه، وعندما فشل، حاول التلويح بذراعيه.

خاطبت نفسها قائلة: *اللعنة، إن زر فتح الباب أمامك تمامًا*، فكّرت في أنّها ستظلّ وحدها اليوم للاستراحة، لذا بدت ممتعظة وهي تنظر إليه نظرات حادة، منتظرة أن يكتشف كيفية فتح الباب، ومع قليل من الحظ سيفقد الصبر، ويهيم على وجهه في زحمة الشارع.

لكنها كانت مخطئة، فقد استمرّ بالمحاولة من دون جدوى، وهو يرفع يدًا إلى الأعلى، ويضع اليد الأخرى على مؤخرة عنقه، ويمدّها إلى أقصى ما يمكن أن تصل إليه، وهو ينظر إلى كل بوصة من الباب باحثًا عن المقبض ليتمكّن من فتحه، فجال بنظره من اليسار إلى اليمين وهو يحرّك رأسه ببطء، إلا أنه لم يتمكّن من العثور على وسيلة لفتحه.

انتظرته قليلًا، ولكنّها استسلمت عندما أخذ يمد يديه إلى أعلى الباب، فهي في غنى عن أن يصرخ ديف في وجهها لإهمالها مساعدة الرجل، وبالأخص إذا وقع وأصيب بأذى.

أزالت سماعتيها، وتوجّهت إلى المدخل، وضغطت على الزر فانفتح الباب، فقال الرجل من الجانب الآخر، وهو يشعر بالراحة لتمكّنه من دخول المكتبة أخيرًا: "أهكذا يُفتح إذًا؟".

"لقد ضغطت على الزر فقط، وهناك زر آخر في الخارج أيضًا".

هزّ رأسه، وقال لها: "أشكرك، يا آنسة".

عادت إلى مكتبها، ووضعت سماعتيها مرة أخرى، وجهّزت قفازيها المطاطيين.

لكن عندما نظرت مرة أخرى إلى الرجل العجوز، رأته يقف حيث تركته بالضبط، أمام الباب الذي انغلق بشكل تلقائي خلفها مرة أخرى، فتنهّدت ممتعضة، وقرّرت ألا تساعده هذه المرة.

"عفوًا، يا آنسة"، كان يطرق على الباب بإحدى يديه، وهو يتحسّس بشكل محموم الباب باليد الأخرى باحثًا عن الزر الذي لم يستطع العثور عليه.

بعد ثلاثين ثانية من تحسّسه وطرقه على الباب، غادرت الأم وطفلها المكتبة، ما سمح للرجل العجوز بالدخول، وهما في طريقهما إلى الخارج، هذه المرة لم يفوّت فرصته، فاندفع مباشرة إلى الداخل، متجهًا إلى حيث تجلس أليشا خلف المكتب، وقد ثبّتت عينيها على كدسة القصاصات متظاهرة بأنّها تركّز على عملها، آملة في أن يدرك أنها مشغولة، فيتركها وشأنها.

بينما كانت تستمع إلى الموسيقى، سمعته يكرّر قائلًا: "عفوًا، يا آنسة"، ثم بدأ بالنقر على مكتبها، وعندما بدأ إصبعه يتّجه نحو الجرس.

نظرت مباشرة إلى عينيه، وقالت وهي تبتسم برقة، وقد استخدمت النبرة التي تدلّ على أنّها موظفة المكتبة اللطيفة قائلة: "كيف يمكنني مساعدتك، يا سيدي؟".

"أريد إعادته..."، بعد دقيقة صمت، شحب وجهه، فتابع كلامه قائلًا: "لا، آسف، في الواقع..."، هزّ رأسه بقوة، وقال: "أقصد أنني أبحث عن بعض الكتب"، فلاحظت أنه يمسك بحقيبة قماشية صغيرة تدلّت إلى جانبه بإحكام، وبدت كأنها تتشبث بالحياة.



ابتسمت قائلة: "أنت في المكان المناسب".

"أنا بحاجة إلى مساعدتك، يا آنسة".

تنهّدت منزعجة، ثم قالت: "كيف يمكنني مساعدتك؟".

"أنا..."، ارتجف صوته، ولم يعد مسموعًا تقريبًا، ثم توهّجت وجنتاه وتحوّلتا إلى لون وردي باهت، لمحت أذنيه تتحوّلان إلى اللون الأحمر المتوهج: "لا أعرف ما هي الكتب المتوفرة، هل يمكنني الحصول على بعض الروايات؟".

قالت له، وهي تشير إلى الحواسيب: "يمكنك استخدام آلات الخدمة الذاتية لمعرفة ذلك".

نظر إلى الحواسيب، ثمّ نظر إلى يديه، وقال: "لا أعتقد أنني أعرف استخدامها".

"هل تعرف ما هي الكتب التي تبحث عنها؟"، تنهّدت وهي تنظر إلى شاشة حاسوبها، وقد صغّرت نافذة الفيسبوك، ثم ألقت نظرة خاطفة على الصورة الجديدة التي نشرها صديقها السابق رؤول، قبل أن تفتح قاعدة البيانات التي قد يحتاج إليها.

"لا، أنا بحاجة إلى بعض المساعدة لاختيار الكتاب أيضًا".

حاولت كظم غيظها.

قالت: "أخشى أنني لا أستطيع مساعدتك إذا كنت تجهل نوع الكتب التي تبحث عنها، وكل ما لديّ هو محرك بحث".

"لكن أليس لديك إلمام بالكتب المتوفرة في المكتبة؟ يعرف -عادة- أمناء المكتبات مكان كل ما يرغب الناس في قراءته، وأنا أعرف نوع الكتاب الذي أريده، أريد أن أقرأ كتابًا ممتعًا، ويُفضل أن أتمكن من تشاركه مع حفيدتي، مثل كتاب

يتناول الأدب الكلاسيكي، وربما يكون إحدى الروايات الشائقة، فقد قرأت *زوجة مسافر عبر الزمن*. مدّ يده إلى حقيبته، وشدّ قبضته عليها، وقال: "أحببت ذلك الكتاب حقًّا، وقد أمتعتني قراءته كثيرًا".

"لم يسبق لي أن سمعت به، وأنا آسفة حقًا، ولكنني أفضل الكتب الواقعية، والتي أتعلّم منها دروسًا في الحياة، أنا لا أقرأ الروايات أبدًا".

بدا الرجل مذهولًا، وقد فغر فاه قبل أن يقول: "يجب أن تكوني مطلعة على مضمون الروايات، فهذا عملك، ألا تستطيعين توجيهي في أي اتجاه على الإطلاق؟".

"لا، أعتقد أنك تحتاج إلى استخدام محرك البحث غوغل لمعرفة ذلك".

"أنا...".

نهضت عن كرسيها، وهي تشعر بالألم في صدغيها، وفكّرت مرة أخرى في أمها التي بقيت صامتة في غرفتها في الليلة الماضية، وبشقيقها وهو يمشي أمام باب المدخل، ثم يتنصّت على بابها ليطمئن عليها، وعلامات القلق بادية على وجهه، فشعرت بالألم في صدرها، وظهر التعب في عينيها، كما آلمها رأسها، فقالت غاضبة وهي تكزّ على أسنانها: "من فضلك يا سيدي، لا تتردّد في تصفح رفوف الكتب إذا كنت ترغب في العثور على كتاب للقراءة، فالروايات كلها مصفوفة على الرفوف"، أشارت بيدها نحو قسم الكتب العامة.

بعد ذلك جلست، وهي تشاهد الرجل العجوز يشقّ طريقه ببطء بين رفوف الكتب بثقة كبيرة، فألقى عليها نظرات خاطفة، وقد بدا جبينه مجعدًا، ولكنها قرّرت تجاهله، وحدّقت مجددًا إلى شاشة الحاسوب أمامها، فاستطاعت أن تشعر بغصة في حلقها، ربما هو الشعور بالذنب، وهذا ما جعلها تسعل، ما الذي حدث لها؟ وصلت سماعتيها بالهاتف ووضعتهما بقوة على أذنيها.

سحبت أحد القفازين المطاطيّين إلى أعلى يديها، فشعرت بهما ينزعان الشعيرات الصغيرة عن بشرتها. كانت على استعداد لنسيان الدقائق القليلة الماضية،

إلى أن اقترب شخص آخر منها، فكان واحدًا من رواد المكتبة الخمسة المنتظمين، وهو رجل الجرائم والتشويق، يمكن إيجاده دائمًا في قسم الجرائم والتشويق جالسًا إلى الطاولة المطلة على الحديقة، وقد كان المكان محجوبًا بعض الشيء عن المكتبة. في بعض الأحيان، كانت أليشا تجلس في المكان المطلّ على الحديقة، وتتأمّلها لدقيقة أو دقيقتين قبل أن تغلق المكتبة، لتأخذ استراحة قصيرة قبل أن تعود إلى المنزل.

سألت بغضب: "ماذا؟" كانت تعلم أنها ردّت بلهجة قاسية ووقحة، ولكنها لم تعد تملك الطاقة لتحمّل ذلك.

قال مغمغمًا: "مرحبًا، أنا آسف"، كان شعره طويلًا جدًا بالنسبة إلى رجل بالغ في رأيها، وقد غطّى معظم ملامح وجهه، وقد أحبّ القمصان ذات الألوان الزاهية، ولكنه ارتدى دائمًا بلوزة سوداء سميكة ذات قبعة، فجعلها مجرد النظر إليه في هذا الطقس الصيفي الحار تتصبّب عرقًا وتذوب في مكانها: "أردت فقط أن أعيد هذا الكتاب"، كان يحمل نسخة من كتاب *لا تقتل عصفورًا ساخرًا*.

أشارت بإصبعها، وهي لا تزال تضع القفاز المطاطي إلى كدسة الكتب التي تمّ إرجاعها، وقالت: "ضعه هناك فقط، وسأعود إليه لاحقًا".

أومأ برأسه قائلًا: "إنه ليس من كتب الجرائم التي اعتدت على استعارتها، ولكنه كتاب مفيد، سبق لي أن قرأته عدة مرات، وكنت أعود إليه... ليساعدني على الكف عن التفكير بالأفكار المتزاحمة في رأسي. في الحقيقة كل الروايات تؤدّي ذلك الدور، هل تعلمين أن هذا المكان يبعث في نفسي الراحة؟".

تجهّم وجهها، وهي تتساءل: إذا كانت الجريمة المظلمة هي الملجأ لهروبه، فما الذي يهرب منه بحق السماء؟ أومأت إليه برأسها تجاوبًا معه.

تعثّر رجل الجرائم والتشويق في كلامه، وشعر بالإحراج والخجل، وهو يقول لها: "هذا الكتاب... كما تعلمين، أودّ أن أوصي بقراءته". رفع حاجبيه، وأومأ برأسه بخفة تجاه الرجل العجوز الذي يقف بين الرفوف، فعبست أليشا مرة أخرى، ثم

لوّح رجل الجرائم والتشويق بالكتاب مرة أخرى باتجاه الرجل العجوز، وقال له: "إنّه من أفضل كتب الأدب الكلاسيكي، ويجب أن يقرأه الجميع"، لقد ركّز على كل كلمة نطق بها قبل أن يضع الكتاب بعناية بجانب الكتب الأخرى المرتجعة، وكأنه هدية قيمة، ثمّ ابتعد ببطء.

تساءلت أليشا: ما مشكلته؟ هل كان يحاول التودد إليها؟

أخيرًا، عندما غادر التقطت الكتاب، ومسحته ضوئيًا، لإعادة تسجيله في النظام، وبدأت بهزّه بحثًا عن أي قصاصات يجب التخلص منها، فسقطت قصاصة من الورق، وبدت شبه متأكدة من أنها تحتوي على رقم هاتفه أو حسابه عبر الإنستغرام أو أي وسيلة من وسائل التواصل الاجتماعي، ولكن عندما فتحت القصاصة رأت أنها قائمة تسوق من نوع ما، تنهّدت وهي تفكّر في الاتصال به لتوبيخه بسبب إضافة عبء إضافي إلى عملها، ولكنّ عندما نظرت عن كثب، بدا خط يده جميلًا، وحروفه موزّعة بشكل متوازن، فلم يكن خطّه كما تخيّلت أن يكون خط يد محب الجرائم والتشويق، ثم قرأت مضمون القائمة، بعد أن تأكّدت من أنها قائمة كتب.

قائمة للقراءة:

كانت تضمّ ثمانية أسماء، وتبدأ القائمة بكتاب *لا تقتل عصفورًا ساخرًا*، الكتاب الذي كانت تحمله بيديها المقفّزتين

كان ترتيب الكتب في القائمة كالتالي:

(في حال احتجت إلى القراءة)

لا تقتل عصفورًا ساخرًا

ريبيكا

عداء الطائرة الورقية

حياة باي

كبرياء وتحامل

نساء صغيرات

محبوبة

شاب مناسب

في البداية، وضعت القصاصة على كدسة القصاصات التي يجب رميها، غير أنّ حدسها أوقفها وهي توشك أن ترميها في سلة المهملات، فخلعت أحد قفازيها، ومرّرت أصابعها بحذر على الكلمات الأنيقة: *لا تقتل عصفورًا ساخرًا*، قبل أن تدفع قصاصة الورق في الجزء الخلفي من حافظة هاتفها، إلى جانب بطاقة متجر الدجاج.

رفعت الكتاب، وتمعّنت في الغلاف، وهي تشعر بثقل الصفحات بين يديها.

أخيرًا، نهضت عن مكانها، وتوجّهت إلى الرجل العجوز، وقلبها ينبض في صدرها، وجملة "كتاب يجب أن يقرأه الجميع" تتردّد في عقلها، لتكون بادرة السلام.

الفصل 3

موكيش

شعر موكيش بعيني الفتاة الملولتين، وهما تنظران إلى قذاله، وهو هائم على وجهه بين الرفوف، لا يملك أدنى فكرة عن المكان الذي يمكن أن تنطلق منه رحلة البحث عن روايته؛ فألوان أغلفة الكتب غير واضحة، وهي تتداخل فيما بينها، وكأنّها كتاب واحد. مرّر أصابعه عليها، وشعر بملمسها الحريري الناعم، وقد شعّت متلألئة على الرفوف، وهذا ما جعله يفكّر في فساتين الساري المكدسة في خزانة غرفته، وقد مُحيت الكلمات المكتوبة على أغلفة الكتب، وكأنها فرّت هاربة منه، فضحكت ساخرة من جهله، وكأنها أدركت أنه لا ينتمي حقًا إلى هذا المكان. لكن أما زالت الفتاة تراقبه، وهو يتجوّل بين الرفوف، محاولًا الابتعاد عن مجال رؤيتها؟

سمع أحدهم يهمس، فلم يتمكّن من تحديد مصدر الصوت، ولكنه شعر وكأنه يهمس عنه، فارتفعت حرارة وجنتيه، وعندما عجز عن التواري عن الأنظار، تناول بشكل عشوائي كتابًا من الرف لا يعرف مضمونه على الإطلاق.

إنه كتاب *قانون الطريق السريع والاختبار النظري لسائقي السيارات*، حسنًا، بالتأكيد لم يكن يبحث عن هذا الكتاب، فلم يكن حتى رواية، على الرغم من أنه قد يكون مفيدًا لاختبار القيادة الذي ستخوضه حفيدته بريا بعد مرور ست سنوات، فجلس إلى إحدى الطاولات، وبدأ بالقراءة رافضًا الاعتراف بالهزيمة، ومصممًا

على التظاهر بأنه لا يحتاج إلى أمينة المكتبة، وقرأ: *مقدمة إلى قانون الطريق السريع هو الكتاب الأهم الذي ينبغي أن يقرأه الجميع*.

قال بصوت عالٍ: "آه يا نينا! ما الذي أفعله هنا؟".

أسكته بحدة شخص يجلس في الزاوية إلى جانبه، فقفز هلعًا من مكانه وقد اهتزّ رأسه بقوة. كم من الوقت احتاج إلى الانتظار في مكانه، حتى لا يبدو وكأنه ارتكب خطأ سخيفًا؟ بدا جليًا أنه لن يخضع لاختبار القيادة في أي وقت قريب، ماذا سيظنّ به الناس، وهو يرتعد من الهلع؟ لقد قرأ صفحة المحتويات كاملة، ثم اطلع على المقدمة الشائقة للكتاب على الرغم من عدم ارتباطها بحياته اليومية نهائيًا، فقد تخلى عن القيادة منذ فترة طويلة، وفقًا لطلب بناته وإصرارهن على ذلك.

بينما كان يجلس حائرًا، تذكّر كتاب زوجة مسافر عبر الزمن الذي وضعه في حقيبته القماشية، ولكنه لم يكن قادرًا على إرجاعه في الوقت الحالي، لأنه أدرك أن إرجاعه الآن سيوقعه في ورطة، لأنه احتفظ به لفترة طويلة، كما أنه قد يساعده على الهروب من وحدته، وهو يغوص في صفحاته لتجنّب التفكير في هذه الرحلة الرهيبة التي تسبّبت في إحراجه وإرباكه...

سمع وقع خطوات خلفه تقترب منه، وهو الصوت الوحيد الذي يخترق الصمت الذي يخيّم على المكان، فعاد إلى قانون الطريق السريع بما أنّه لم يكن لديه الوقت لسحب كتاب *زوجة مسافر عبر الزمن*، ثم سمع صوت طقطقة تنبعث من خلفه مباشرة. نظر إلى الخلف شزرًا محاولًا أن يفعل ذلك بعفوية، ففتح عينيه على وسعهما من الدهشة عندما رأى تلك الفتاة أمامه، تمسك بكتاب بيديها، فربما أرادت السخرية منه، وهي تنقر بأظافرها الطويلة والمدببة على الغلاف مصدرة صوت الطقطقة.

قالت له: "سيدي". بدت لبقة هذه المرة، ولكنه لم يستطع الوثوق بها، فأخفضَ رأسه، وعاود النظر إلى الصفحات، فقد أراد أن يقرأ هذا الكتاب الرائع بسلام.

كرّرت قائلة: "سيدي، أهذا ما كنت تبحث عنه؟"، أشارت إلى كتاب قانون الطريق السريع، وأردفت قائلة: "كنت لأجده لك لو أخبرتني بما تريده".

"لا تناديني سيدي، فأنا لست سيدك!" نهض موكيش عن كرسيه، وبدا غاضبًا ومهتاجًا.

التقط كتاب *قانون الطريق السريع*، وسار نحو الباب بخطوات سريعة، وضغط على زر الفتح التلقائي وبالكاد انفتح تلقائيًا متيحًا له مغادرة المكتبة، رفع رأسه عاليًا متجاهلًا صوت الإنذار الصادر عن أجهزة الكشف، غير آبه بالكتاب الذي يحمله بين يديه.

[#]

عندما وصل موكيش إلى المنزل، فتح الباب ليدخل إلى المنزل الفارغ، وقد بدا أكثر هدوءًا، ولكن عينيه كانتا تدمعان، وقد احمرّت أذناه من الخجل، فخلع حذاءه عند الباب، وألقى بحقيبة القماش على الكرسي في غرفة الجلوس بقوة غير متوقعة قبل التحقق من هاتفه الأرضي بحثًا عن الرسائل الواردة، فكانت قد وصلته رسالة صوتية أخرى من روهيني، تنتهي بقولها: "بابا، اتصل بي عندما تصلك هذه الرسالة، فنحن نحتاج إلى أن نعرف ماذا تريد أن نطبخ لك عندما نزورك يوم الجمعة، ويجب أن أتسوّق غدًا، آمل أنك تتناول طعامًا صحيًا".

ارتمى على أريكته متهالكًا، بعد أن زادت رسالة روهيني من خفقات قلبه، ففي الأسبوع الماضي توسّلت إليه بريا أن يجلب كتابًا للقراءة، بعد أن تركت كتابها في المنزل، بما أنه لم يكن لديها ما تقوم به لتمضي الوقت، فاقترح عليها مشاهدة الكوكب الأزرق، فصاحت في وجهه:

"أتمنّى لو كانت *با* هنا! فكان لديها الكثير من الكتب".

كانت بريا ونينا محاطتين دائمًا بالكتب، وكانت نينا تنعزل برفقة بريا في الغرفة في الطابق السفلي، وتصنعان حصنًا من الملاءات والوسائد وهما تقرأان معًا، وقد

سمعهما تتحدّثان عن شخصيات الروايات وكأنها حقيقية، واعتقد أن ذلك غير واقعي، ولكنّه جميل وممتع جدًا، شاهد أفلامه الوثائقية بالشغف نفسه، فالبرامج التعليمية مثل الكتب، غير أنّها قد تؤثّر على العيون. لقد رغب حقًا في أن تحبّ بريا ديفيد أتينبورو بقدر ما يحبّه، إلا أنه سارع إلى الطابق العلوي ودخل إلى غرفته، وهو يقول لحفيدته: "لدي كتاب قد يعجبك".

كان رف الكتب يعرض النسخة التي يعلوها الغبار من كتاب زوجة مسافر عبر الزمن فقط، وعندما ناولها إياها، تجهّم وجه بريا، وبدت غاضبة عندما قال لها: "خذي يا بريا، فأنا قرأت هذه الرواية، وهي من أجمل الروايات".

صفقت بريا الكتاب على الأرض، وبدأت بنوبة غضب غير معهودة.

قالت، وقد شحب وجهها: "جدي، هذا الكتاب مخصص للبالغين، ولا يمكنني قراءته"، وقد استطاع رؤية اللون الأحمر يغزو وجنتيها بسبب شدة الغضب وخيبة الأمل، وهي تقول: "أتمنى لو كانت *با* لا تزال موجودة بيننا! فهي كانت تختار القصص التي أحبّ أن أقرأها، أما أنت فلا تعرف ما أحبّه، يا جدي". بدأت شفتها السفلى ترتجف، ثم مسحت دموعها بيدها، وهي تقول: "أنت لا تهتمّ بما أحبّه، يا جدي!"

انفطر قلبه من الألم، بعد أن شعر بأنّه تلقّى لكمة قوية على صدره، وقد أخفى ما شعر به عن حفيدته، ولم يسمح لتعابير وجهه أن تكشف ما في داخله، ورغب في الابتعاد، وشعر باليأس الشديد، عندما سمع صوت نينا مرة أخرى، فشعر بها تجلس إلى جانبه. لا، لا يتحمّل تكرار ذلك، لقد شعر بالخجل الشديد، وبأنّه عديم الفائدة... وستشعر نينا بخيبة الأمل بسبب ما جرى مع حفيدتها، فصاح في البيت الخاوي، وقال: "ماذا يمكنني أن أفعل؟".

إنه ليس وقت الاستسلام، يا موكيش.

توقّف عن النحيب، وهو يدرك أن عقله وقلبه كانا يحتالان عليه، ولكنّه شعر بأنّ نينا هي التي تدعوه إلى التحلي بالقوة.

في بعض الأحيان يحتاج الجميع إلى المساعدة موكيش، لقد انبعث مجددًا صوتها، فشعر بالقشعريرة تتسلّل إلى كل مسام جلده، لقد كانت محقة.

اعتصر الألم قلبه، وهو يفكّر في بريا، وهي تجلس على الكرسي، أو تندسّ إلى جانب *با* في الفراش، وهي تحمل كتابًا يسافر بها أميالًا وأميالًا بعيدًا عنه، مجتازة عوالم وعوالم سحرية.

سألها بصوت عالٍ: "هل تستمتعين بزيارتي؟".

انتظر آملًا في أن تعود نينا إليه، لتقول له إنّ كل شيء سيكون على ما يرام، ولكن لم يعمّ إلا الصمت في المنزل.

ألقى بنفسه على الأريكة أمام التلفاز، وشغّله على برنامج الكوكب الأزرق، وقد ساعده صوت ديفيد أتينبورو المعتاد، وصوت البحر الأزرق العميق، وضوضاء المخلوقات المضحكة على النسيان والاسترخاء، ولكنّ صوت ديفيد أتينبورو كان يسقط على أذنين صمّاوين، فاتجه إلى حقيبته القماشية، وسحب كتاب *زوجة مسافر عبر الزمن*، وشدّه إلى صدره، ثم انتقل إلى غرفة نومه، وارتمى على السرير وهو يقلب صفحات الرواية بين يديه، وقد سمح لنفسه بأن ينتقل مجددًا إلى عالم كلير وهنري، واللذين عرفا مسبقًا بشأن موت هنري، فهل كانت تلك المعرفة نعمة أم نقمة عليهما؟ هذا أقسى تحذير يمكن أن يتلقّاه أي حبيبين، فقد عرفا أن أيامهما معًا محدودة، وكانا ينتظران النهاية.

لكن وفقًا لتجربة موكيش الخاصة، فقد كان يعلم أن التحذير، مهما يكن قاسيًا، ومهما بدا جليًا، فلن يبعث في نفوسهما الراحة أبدًا، ولن يكون سوى تسرّب بطيء للخوف من خلال كل تلك الأوقات السعيدة والأوقات الحزينة على السواء، وكأنّه قنبلة موقوتة. فهو لا يزال يتذكّر عندما اجتمع بهما الطبيب بعد آخر فحص لنينا.

يومها قال بصوت حادٍّ وقاسٍ: "أنا آسف، يا سيدة باتيل"، وقد لاحظ موكيش ارتجاف صوته وهو يتحدّث إليهما، كان يضع نظارة أنيقة على جسر أنفه، وقد

تخيّل ابنه مكانه لو أنه رزق ابنًا، فجعلت هذه الفكرة الأمر أكثر صعوبة بطريقة أو بأخرى، إذ لطالما أرادوا طبيبًا في الأسرة، من أجل التخفيف من وطأة تلك اللحظات السيئة التي يعيشانها الآن، فيقول لهما بعد أن امتلك الخبرة الواسعة: "لا تقلق، يا أبي، يخطئ الأطباء في تشخيص هذه الأمراض في معظم الأحيان".

كان موكيش ونينا واثقان أنّ هذا الطبيب لم يكن مخطئًا.

رافقتهما روهيني إلى المستشفى، فأمطرتهما وابلًا من الحقائق المثيرة للاهتمام والأخبار التي تبعد عنهما أشباح القلق، محاولة التخفيف من مخاوفهما وهي تقود السيارة، بينما جلس موكيش ونينا صامتين، فكانت هذه لحظتهما التي تضاهي تلك اللحظة التي سافر فيها هنري إلى المستقبل وشاهد نفسه يُحتضر، وتساءلا، كم بقي لديهما من الوقت قبل أن يحين موعد لفظ أنفاسهما الأخيرة؟ تردّدت تلك الكلمات في عقل موكيش لأسابيع عديدة في سواد الليل الدامس بعد زيارة الطبيب، بينما كانت تستغرق في النوم إلى جانبه: "أنا آسف، يا سيدة باتيل".

همس إليها: "كيف يمكننا أن نتبادل الأماكن، يا نينا؟ أيمكن أن أتضرّع إلى الله ليأخذني عوضًا عنك؟"، كان يعرف مصير زوجته، تمامًا مثل هنري وكلير، ولكنه رفض تقبّل الحقيقة.

ذات صباح، قالت له نينا: "يجب أن نتحدّث عن الترتيبات يا موكيش، ترتيبات ما بعد...". نطقت تلك الكلمات بهدوء، ولكنها كانت أكثر واقعية منه، على الرغم من أن كلامها كان يؤذي مشاعره ويجرحها، ولكن هنري لم يسمح لكلير أبدًا أن تتحدّث عن تلك اللحظة، لحظة وفاته، أليس كذلك؟ لم يعد موكيش متأكّدًا بعد الآن، فقد تداخلت أحداث القصة مع ذكرياته، هنري يمثّل نينا، وموكيش يمثّل كلير، وهو الشخص الذي بقي على قيد الحياة.

قال مبتسمًا: "لا تقلقي يا نينا، فلنستمتع بهذا اليوم الجميل"، كان يقول الشيء نفسه سواء أكان الجو عاصفًا في الخارج، أم كانت أشعة الشمس ساطعة.

"كما علينا أن نتحدّث عن الفتيات، فما الذي سيحتجن إليه، وعن بريا وجايا وجايش أيضًا، فلديّ أشياء كنت أُخطّط أن أعطيها لهن عندما يكبرن، ويجب أن أريك إياها".

هزّ موكيش رأسه، وارتشف الشاي: "لا بأس يا نينا، يجب أن تستريحي الآن، يمكننا أن نفعل ذلك في يوم آخر، دعينا نشاهد أحد الأفلام الجميلة"، تدفّقت تلك الكلمات من فمه مثل شلال يحاول أن يغسل آلام نينا التي اتسمت بواقعيتها.

كان صوت نينا صارمًا، وهي تقول: "موكيش"، وحاولت التحدث إليه طوال عدة أيام، إلا أنه صدّها في كل مرة.

"لقد مُنحنا بعض الوقت، ويجب أن نستغلّه".

على الرغم من كل ذلك، لم تحاول أبدًا التحدث إليه حول ما يجب أن يشعر به عندما ترحل، وما يجب أن يفعله لإعادتها إلى حياته، وكان ذلك كل ما أراد أن يعرفه.

إنه وحيد الآن، لا يعرف ما يجب عليه القيام به بعد أن غادرت تاركةً المنزل خاويًا بلا حياة، وبلا روح، وبلا كتب. لقد كان منزلهما وطنًا لهما في السابق، وقد صبغته نينا بشخصيتها ذات مرة، وقلبها معلق بين فساتينها الهندية، وممتلكاتها تزّين كل أسطحه، فيغطّي القماش الذي صنعته كل كرسي، وكتبها مكدسة في كل زاوية، ومجوهراتها معلقة على قوائم السرير.

وضع الكتاب على الأرض، ونهض عن السرير. فتح بعض خزائن نينا، وسحب ساريًا، وقال لنفسه إن عليه أن يبحث عن كتاب يقدّمه إلى بريا لتقرأه وتستمتع به، ولكنه في الحقيقة كان يأمل في أن يعيد ذلك نينا إليه. بينما كانت فساتين الساري تتساقط الواحد تلو الآخر على الأرض، فاحت رائحة عطرها الزكي في تلك الغرفة، وبدأ يشمّها بلهفة قبل أن تتلاشى مثل سحابة عابرة.

لقد عادت إلى هذا المكان مجددًا للحظةً، كما كانت في كل مكان، بينما كان يغرق في أحزانه، وستودّ روهيني ما إن تصل إلى المنزل أن تهزّه بشدة قائلةً: "يجب أن تستمرّ الحياة يا بابا، هذا ما أرادته أمي".

استلقى على السرير، ونظر إلى السقف، فندم فورًا على قراره. هل سيكون قادرًا على النهوض مرة أخرى؟ شاهد الشقوق في السقف تتّسع أمام عينيه، بينما بدأت خيوط العنكبوت تطغى على كل ركن من أركان الغرفة، وقد امتدّت الظلال التي تلقيها ألواح النافذة لتصبح خطوطًا سميكةً سوداء محبرة، وانتظر طويلًا أن يقطر الحبر عليها، ويحجبها تمامًا. ثم أعاد التفكير بهنري وكلير في الوقت الذي لم تعد فيه زوجته تستلقي إلى جانبه، وقد تحوّلت إلى مجرد رغبة رجل حزين يحدّ على وفاة زوجته.

كريس
2017

لقد أجبر نفسه على النهوض من الفراش، وقد أثقل النعاس أجفانه، فكان ذلك تقدّمًا ملحوظًا، كما كانت المرة الأولى التي يستيقظ فيها قبل منتصف النهار منذ أسابيع طويلة، وقد شعر بفراغ إلى جانبه -جهة ميلاني من السرير- وأراد على الفور أن تبتلعه الأرض، وتبتلع معه كل ما حوله ليزول الألم الذي يشعر به لغيابها، وكانت كومة من كتب الجريمة تقبع في زاوية الغرفة على الأرض، وهي تحدّق إليه لتثير غضبه، وقد علتها طبقة رقيقة من الغبار.

كانت كتب كريس عادة هي كل ما يحتاج إليه لإخراج نفسه من حالة الفوضى التي تسيطر على حياته، غير أنّه عندما التقط روايةً للمرة الأولى بعد الانفصال، كانت بطلتها محققةً جميلة، طويلة القامة، أنيقة المظهر، وحادة الذكاء، وكل ما فكّر فيه حينها كان التشابه الكبير بينها وبين ميلاني التي كانت جميلة المظهر، وحادة الذكاء، وطويلة القامة، وأنيقة المظهر أيضًا، فأغلق الكتاب بإحباط مصغيًا إلى صوت حفيف الصفحات الناجم عن احتكاكها ببعضها، وحدّق إلى السقف، وعيناه غير مستقرتين في مكان محدد، وبقي على تلك الحالة طوال الليل، وصورها تتزاحم في ذهنه، *ميلاني... سعيدة... ميلاني... حزينة... ميلاني، ميلاني، ميلاني*.

مع ذلك، فقد صمّم اليوم على طرد ذكرى ميلاني من ذهنه، لتجنب حرجه وضعفه وعدم قدرته على التواصل اجتماعيًا مع الناس. لذا احتاج إلى وضع كل ما يذكّره بها في صندوق صغير له غطاء خشبي، ودعا أن يظلّ هذا الصندوق مغلقًا، وقد

احتاج إلى بضع ساعات فقط لينسى، ويكون نسخة أخرى من ذاته.

لذلك ارتدى بنطالًا نظيفًا غُسل حديثًا وقميصًا جديدًا أخرجه من الخزانة أيضًا، وتوجّه إلى طريق هارو، بعد أن أصبح يعاني من ركود في القراءة، وقرّر أن يزور المكتبة يوميًا، ملاذه الوحيد في هذه المدينة الموحشة، فمنذ الانفصال وهاتفه يتلقّى رسائل الأصدقاء المتواصلة: "مرحبًا، هل تريد أنت وميلاني الانضمام إلينا لتناول العشاء الليلة؟"، "مرحبًا كريس، دعنا نقم بنزهة سيرًا على الأقدام، فجوانا تفتقدك أنت وميلاني!"، "كيف حالك؟ كيف يسير عمل ميلاني الجديد؟ أتمنّى أن تكونا على ما يرام، أفتقدكما، أيها الصديقان"، ميلاني، ميلاني، ميلاني، لقد أحبّ الجميع ميلاني، وهو أيضًا أحبّ ميلاني، ولكنّه في المكتبة يمكنه أن يتنفّس على الأقل، كما يمكنه الهروب من هجمة رسائل الأصدقاء، ولو لفترة قصيرة فقط.

لفت نظره أحد الكتب وهو جالس في مكانه المعتاد، إنه مجرد كتاب، فبعض الناس يكدّسون الكتب بعد الاطلاع عليها، ولا يعيدونها إلى أماكنها على الرفوف، بل يتركون الأمر على عاتق موظفي المكتبة، فكان يرجعها إلى مكانها على الرفوف بين أكوام الكتب.

لكن بينما كان يلتقط الكتاب، لمح قصاصة ورق على الطاولة، فرفعها بعناية، وقرّبها من وجهه، لأن بصره لم يعد يسعفه بالقراءة كما كان من قبل، بعد أن أمضى ساعات طويلة، وهو يلتهم الكتب في شقته ذات الإضاءة الخافتة، وقد كُتبت القصاصة بخط اليد، وقد بدا مخربشًا وحروفه دقيقة.

أعلم أن ذلك ليس أمرًا معتادًا، ولكنني قرأت رواية لا تقتل عصفورًا ساخرًا عندما كنت في الحادية والعشرين من عمري، وكنت أمرّ بظروف عصيبة في ذلك الوقت، فتعلّمت منها الكثير، وتمكّنت من رؤية العالم بمنظار جديد من خلال عيني طفل صغير، كما تمكّنت من التمييز بين الخير والشر، فكانت بالنسبة إليّ بمثابة الهروب من آلامي، وبعد أن ألقيت بنفسي إلى العالم الخيالي، حيث يسود الظلم الذي تجسّده الشخصيات، شعرت بالهدوء والراحة، وهما ما كنت أحتاج

إليهما لأنسى مشاكل حياتي، لأنها دفعتني إلى الاهتمام بعمق بشخص آخر، وآمل أن تكون بالنسبة إليك بمثابة الهروب من مشاكلك، ومنحك القليل من الراحة أيضًا، إذ تأخذنا الكتب بعيدًا لفترة وجيزة في بعض الأحيان، ثم تعيدنا إلى مكاننا بمنظور جديد.

رفع خصلات شعره عن عينيه، وقد ارتسمت ملامح الدهشة على وجهه، فلم يعثر على أي اسم على الملاحظة، لا على اسم المرسل ولا على اسم المرسل إليه، ويمكن أن تكون موجهة إلى أي شخص، ولكن كيف يمكنه تفسير ذلك الشعور المفاجئ بأنّه مراقب؟ وكأنّ شخصًا ما قد قرأ أفكاره؟ نظر إلى الكتاب من جديد وعيناه مستقرتان على العنوان *لا تقتل عصفورًا ساخرًا*، هل علم من كتب هذه الرسالة الصغيرة أنه يجلس في هذا المكان يوميًا، وهو يضيّع ساعاته بالتململ؟

أمسك الكتاب بيديه بإحكام، وكأنّه يتخيّله سينبض بالحياة ويشرح له كل ما يجري، ولكن لم يطرأ أي تغيير، كما لم يقفز أحدهم من وراء الرفوف ليكشف عن أنّه بطل برنامج كوميدي، وأن الحلقة عنوانها: "هذه هي حياتك المملة، يا كريس"، ولكن شخصًا ما، في مكان ما، كان يخبره بأنّه يدرك تمامًا ما كان يمرّ به.

فكّر في الانتظار، والاحتفاظ بهذا الكتاب لأيامه السيئة، ولكنه اليوم قطع على نفسه عهدًا بأن يلهي نفسه بعيدًا عن ذكرياته المؤرقة.

إلا أن كتاب *لا تقتل عصفورًا ساخرًا* كان يتحرّق شوقًا، وهو يردّد بين يديه بإلحاح: *اقرأني، اقرأني، اقرأني.* إن هذا الكتاب علامة لتغيير ما قد يحصل في حياته، ولم يكن له تفسير آخره. قلب الصفحة الأولى متجاهلًا الطنين الخافت المنبعث من المكتبة من حوله، واستغرب حقيقة أن الكلمات لم تقفز هاربة منه، بل بقيت مستقرة في مكانها، وسرعان ما تحوّلت إلى مجرد صور، بينما كان يعرّف الراوي كريس إلى منزل طفولته وبلدة مايكومب في ألاباما، شعر بالقهقهة تكاد تنفجر في حلقه، وهو يقرأ عن المراوغات الغريبة لسكان البلدة والمرونة الطفولية لشقيق سكوت، وصديقهما ديل، لقد كان عالمًا آخر، وقد شعر بالسعادة، وهو يغوص فيه،

وعندما بلغ الصفحة السابعة والعشرين في وقت أقصر مما كان يتخيّله، عثر على ملاحظة مستقرة في تلك الصفحة، وهي قائمة لقراءة الكتب، ويتصدّرها اسم كتاب *لا تقتل عصفورًا ساخرًا*. لقد أبعد هذا الكتاب ميلاني عن عقله، وتركها في ذلك الصندوق الصغير، تحت الغطاء الخشبي، فلم يكن عليه أن يشعر بألمه وبالشك يسري في عروقه طوال الوقت، لقد منحته تلك الصفحات السبع والعشرون الأولى شعورًا، لم يشعر به منذ بداية الانفصال عنها، لقد منحته الأمل.

لقد عرف أن القائمة تعود إليه.

لكنه فكّر في تلك الرسالة التي عثر عليها على الطاولة: "في حال احتجت إلى القراءة"، فشعر بأنه لم يحتج إلى شيء أكثر من وجودها إلى جانبه.

لا تقتل عصفورًا ساخرًا

هاربر لي

الفصل 4

أليشا

ترافقت رحلة أليشا من المكتبة إلى المنزل مع الأصوات الصادرة من الحديقة، أصوات الأطفال وهم يصرخون أثناء اللعب، وقهقهات شباب في عمرها وهم يدخنون، فتساءلت إن كانت تعرف أحدهم، فقد تاقت إلى التنزه في الحديقة وتدخين سيجارة، ولكن عليها أن تعود إلى المنزل من أجل الاعتناء بأمها، وطهو العشاء هذا المساء. وعلى الرغم من أنها كانت تعلم أن أمها ستطلب إليها تحضير حلقات السباغيتي والخبز المحمص، وهو طبقها المفضل، وقد طلبته يوميًا طوال أسبوعين، فقد سئمت أليشا من تناوله، وأرادت أن تتناول اليوم مرق لحم الضأن مع الزلابية الذي يتقن خالها جيريمي إعداده، على الرغم من أن الطقس كان حارًا في منتصف فصل الصيف اللاهب.

أرسلت رسالة نصية إلى ابنة خالها راشيل تطلب فيها طريقة تحضيره، لأن الخال جيريمي لا يجيد استخدام هاتفه، فتلقّت رسالة على الفور، وهي عبارة عن صورة تتضمّن طريقة تحضير تعود إلى الخال جيريمي، وهي مكتوبة بعبثية على صفحات كتاب طبخ يعود إلى الشيف ديليا سميث، وقد علّقت راشيل قائلة: من المؤكد أن أبي يتقن الطهو أكثر من ديليا. أحبّت والدة أليشا شقيقها جيريمي، كما أحبّت طبخه، لذلك تمنّت أن تكون طريقة التحضير الخاصة به التغيّر الذي سيطرأ على وجبة طعامهم، والذي احتاجوا إليه هذا الأسبوع بدلًا من حلقات المعكرونة، فتوتّرت أعصابها،

ومضت الأفكار في ذهنها، وهي تتوالى بين أفضل السيناريوهات وأسوئها، كأن تحرق اليخنة فينطلق جهاز إنذار الحريق، أو أن تثور ليلى غضبًا، فيزداد قلقها واضطرابها، فطبخ اليخنة بالطريقة التي يعدّها فيها الخال جيريمي له عيوبه أيضًا. ماذا لو لم تستطع ليلى تقبّل أن يطبخ أحد آخر يخنة أخيها؟ ماذا لو انطوت على نفسها من جديد لفترة أطول؟ تنفّست أليشا الصعداء، فأحسّت بهواء الصيف الحار يملأ رئتيها، ثم ركّزت على طريقة التحضير خطوة بخطوة بدلًا من أن يسيطر عليها القلق.

كبّرت أليشا صورة طريقة التحضير المكتوبة بخط يد الخال جيريمي الفوضوي، وركّزت على قائمة المكونات قبل الدخول إلى متجر فاريتي فود، ثم تجوّلت في المتجر وانتقت الخضار التي تحتاج إليها، وبعد أن تفحّصت ثلاث مرات القائمة محاولة فكّ شيفرة خط الخال جيريمي المعقدة.

دفعت المال للعامل الذي يقف خلف الصندوق وخرجت مسرعة، ثم أرسلت رسالة إلى راشيل: "*شكرًا جزيلًا، أنا متأكدة من أن أمي ستحبّ هذه الوجبة، فهي على الأقل ستكون أشهى من حلقات السباغيتي*".

بدأت راشيل بالكتابة مرة أخرى، ثم توقّفت للحظات، وبعد ذلك عاودت الكتابة مجددًا، ولكن لم تظهر أي رسالة جديدة على شاشة هاتف أليشا، فظلّت تحدّق إلى هاتفها منتظرةً وصول رسالة منها، ثم بدأت بكتابة رسالة: "كيف حالك؟"، ثم انتظرت قليلًا قبل أن تضغط على زر الحذف، فعلى الأرجح كانت ابنة خالها مشغولة، ولا وقت لديها للدردشة. أخيرًا وضعت هاتفها في جيبها.

ما إن اشترت اللحم، حتى سلكت الطريق السريع المزدحم، والذي يستغرق وقتًا أطول بخمس دقائق من الطريق المختصر الذي يثير انزعاجها، إذ تنتشر فيه الإعلانات التجارية الضخمة، وتفيض حاويات القمامة بمحتوياتها، وتنبعث في الطريق الروائح الكريهة بعد انقضاء يوم حار، غير أنّ السبب الأهم كان محاولتها تأخير العودة إلى المنزل بقدر الإمكان، ثم كرّرت قائلة: *المنزل*؟ تساءلت عما تعنيه هذه الكلمة بالنسبة إلى الجميع.

عندما انعطفت إلى منزلها عند ناصية الشارع، رأت أنّ كل نوافذه لا تزال مغلقة كالعادة، بينما نوافذ المنازل كلها في الشارع مفتوحة، وتنبعث منها أصوات الأطفال الذين يلعبون ألعاب الفيديو عبر شاشة التلفاز أو أصوات الدردشات المنزلية أو الجدالات الأخرى المتنوعة، بينما ستكون والدتها ليلى تغلي من الحمى، فهي لا تستطيع تحمل تسرب الهواء من الخارج إلى الداخل وبالعكس.

فتحت الباب بحذر، وكأن خطوة واحدة خاطئة ستشعل النار في كل المنزل، يبدو أن إيدان غادر ما إن دقّت الساعة السادسة معلنةً نهاية وردية العناية بوالدته. في بعض الأحيان، كان يخرج من المنزل إلى الشارع، ويقضي وقته في سيارته المكشوفة التي اقترض ثمنها من أمه منذ سنوات، وهو يستمع إلى الموسيقى الصاخبة التي تنبعث من مكبرات الصوت، إلا أن أمهما لا تهتمّ بما يقوم به، وبالكاد تلاحظ ما يرتكبه من أخطاء، فإيدان هو ابنها الأثير، وفي بعض الأحيان كان الجيران يصرخون من نوافذهم طالبين إليه أن يخفض صوت الموسيقى، وبدوره كان يصرخ فيهم قائلًا إنه في دولة حرة، على الرغم من أن ذلك لا يحصل عادة إلا عندما يكون برفقة أصدقائه الذين يكتفون بمراقبته، وهم يتوقّعون أن يقوم بردات فعل عنيفة، وفي أوقات أخرى كان يخفض الموسيقى إلى المستوى الأدنى من تلقاء نفسه، ثم يكمل يومه بشكل طبيعي.

تركت أليشا أكياس التسوق على طاولة المطبخ، وصعدت إلى الطابق العلوي لتجد والدتها لا تزال في غرفتها في الوضعية نفسها، كما تركتها في الصباح، وقد ثبّتت نفسها عندما أدارت مقبض الباب، وهي تنظر إليها في سريرها، وقد تلحّفت بلحاف شتوي سميك.

بدأت أليشا تتصبّب عرقًا ما إن وقع نظرها عليها، وعلى الرغم من أن عيني ليلى كانتا مغمضتين وهي تتنفّس بعمق، إلا أنها لم تكن نائمة، فلا تزال تمرّ بيوم سيئ، ولكنّهم عانوا جميعًا من أيام أكثر سوءًا في الماضي.

"أمي، سأصنع يخنة لحم الضأن، أتوافقين؟ كما يعدّها الخال جيريمي تمامًا".

قالت ليلى، وهي مغمضة العينين: "حسنًا، يا عزيزتي".

"هل تريدين أن أفتح النافذة؟".

انكمشت ليلى على نفسها أكثر، وغارت في السرير، كما لو كانت الكلمات التي نطقت بها جمرات ملتهبة ألقيت على جلدها.

"أعتقد أنّ صمتك يعني الرفض"، غادرت أليشا الغرفة، ونزلت إلى الطابق السفلي لتحرّك جسدها، وتنفض عنه ما علق به من غبار تلك الغرفة، وقد رغبت في أن تخرج من المنزل وتغلق على نفسها في سيارة إيدان المكشوفة، وتشغل الموسيقى بأعلى صوت، كما أرادت أن يصرخ الجيران في وجهها، ويؤنّبوها، لتردّ عليهم غاضبة بأعلى صوت.

بدلًا من ذلك، اندفعت إلى المطبخ، وأفرغت أكياس المشتريات على سطح الطاولة، وبدأت بتنظيم ما اشترته بهدوء تدرّبت عليه طويلًا، وهي تفكّر في أنّ راشيل وجيريمي دائمًا يعدّان مكوناتهما قبل أن يبدأا بالطهو، كما لو كانا طاهيين متمرسين يظهران عبر شاشة التلفاز أو يقومان بشيء من هذا القبيل.

قشرت أليشا الخضار وقطعتها، ما سمح لها بالتركيز على الطهو بعيدًا عن همومها، وعندما نظرت إلى الساعة المعلقة على جدار المطبخ، كانت تشير إلى السابعة والثلاثين دقيقة بالفعل، ثم لفت نظرها طبق سيراميكي رُسمت عليه شخصية بيتر رابيت التي ابتكرتها الكاتبة بياتريكس بوتر، حصل إيدان عليه عندما كان في العاشرة من عمره، بعد أن رسم صورة لم تكن مميزة لبيتر رابيت لمعرض المدرسة، ولا يزال هذا الطبق في مكانه منذ ذلك الحين، فنقرت على شاشة هاتفها بأصابعها الملطخة بالبصل، وتساءلت إن أرسل لها إيدان رسالة لإبلاغها بموعد عودته إلى المنزل، ولكن لم تكن قد وصلتها أي رسائل جديدة، فأرجعت رأسها إلى الوراء باستسلام، ونظرت مجددًا إلى بيتر رابيت المبتسم الذي لا تشغل باله الهموم، وهو يهزّ مؤخرته الصغيرة، فيتراقص ذيله الصغير الرقيق. صرخت ليلى

بصوت متهدّج: "أليشا!"، وقد بدت متوسلة، فشعرت أليشا بالخوف المألوف يجيش في داخلها.

"ماذا تريدين، يا أمي؟".

"تعالي إليّ، فساقاي متشنجتان".

همست أليشا إلى نفسها: "أنت بحاجة إلى تحريكهما".

"من فضلك تعالي لتساعديني الآن".

صعدت أليشا الدرج، وقالت بصوت هادئ محاولةً إخفاء نفاد صبرها: "أمي، ما عليك سوى أن تمدّيهما".

"لا أستطيع فعل ذلك بنفسي، كيف يمكنني مدّهما الآن؟".

قالت أليشا، وهي تدخل غرفة والدتها: "بهذه الطريقة"، ركعت على الأرض، وأظهرت لها كيفية مدّ ساقيها، فراقبتها ليلى، وحاولت أن تقلّد حركتها ببطء، قبل أن تتنهّد من اليأس، وترخي يديها باستسلام إلى جانبيها على السرير.

"لا يمكنني فعل ذلك".

انتصبت أليشا واقفة، وقالت لها: "بل يمكنك القيام بذلك، الجميع يمكنهم فعل ذلك". ابتسمت ابتسامة رقيقة، وقالت لها مشجعة: "إنه أشبه بممارسة اليوغا للمبتدئين"، حبست أنفاسها لحظةً خشية أن تكون قد بالغت في كلامها... هل الوقت مبكر جدًا للمزاح؟

تجهّم وجه ليلى.

قالت أليشا ممازحة: "ربما يجب أن تجرّبي التدرب على ممارسة اليوغا"، ثم ركعت على الأرض مرة أخرى، وحاولت مساعدتها على اتخاذ الوضعية نفسها مرة أخرى، وقالت لها: "تلك الحركة بمثابة إحماء".

أنّتْ ليلى وبدأت تلهث متوترةً، ثم رفعت حاجبيها، فشعرت أليشا بأن ضربات قلبها بدأت تهدأ، بينما كانت والدتها تقلّد الحركة التي قامت بها مرة أخرى متخذة الوضعية نفسها، وفجأة دبّت الحياة في ساقيها من جديد.

لمحت أليشا الارتياح من الألم على وجه ليلى بعد أن زال تشنّج ساقيها، ولكنها استمرّت بمدّهما، ثم وضعت إبهامها وسبابتها معًا مشكلة حلقة، وهي تهمهم، ثم أغمضت عينيها، وجمعت راحتيها معًا، وتحدّثت بصوت مدرب يوغا خيالي: "أتمنّى أنك استمتعت بتدريبك اليوم"، ثم صفعت ركبتها ضاحكة على منظر والدتها وعلى نفسها.

تفضّل والدتها الموت على الذهاب إلى صف اليوغا، فجلست أليشا على حافة سرير ليلى، بينما كانت أمها تمدّ ساقيها، وعندها أطلقت ليلى زفيرًا وقالت لها بصدق وتقدير: "ناماستي".

"آمل أن يكون هذا التمرين قد فعّل لديك طاقة الشاكرات".

أمسكت ليلى بقدمها اليسرى، وأدارتها عدة مرات، ثمّ قالت: "نعم، لقد أصبحت طاقة شاكراتي على أفضل ما يرام الآن".

"حسنًا، لا حاجة إلى إجراء وضعية الكلب المواجه"، فبدأت ليلى تضحك، وعيناها مغمضتين، بينما ضحكت أليشا واتّسعت عيناها بعد أن تلاشت دهشتها، ثم انتابتهما نوبة هستيرية من الضحك، فدفعت ليلى رأسها إلى الوراء، وفغرت فاها الذي انبعثت منه أصوات البهجة مثل فتيات المدرسة الجذلات، بينما كانت أليشا تراقبها.

أضاء شعاع الشمس المتسلل من بين شقوق الستارة خيطًا رفيعًا على وجهها، فبدت بشرتها مشرقة ومتوهجة توهجًا خفيفًا، كما بدت سعيدة، فالتقطت أليشا هذه الصورة التي لم تدم سوى لحظة في ذهنها، فقد أرادتها أن تستمرّ إلى الأبد، وعندما صمتت قهقهاتهما، جلستا إلى جانب بعضهما، وقد ساد سلام نسبي في الغرفة، بعد أن هدأت زوبعة الضحك، وفرّت هاربة هنا وهناك، وعمّ الهدوء المكان، فحرّكت أليشا يدها نحو وجه أمها بشكل غريزي، ولكن ليلى جفلت، وابتعدت فجأة قبل أن تلمس يد أليشا بشرتها.

[#]

في صباح اليوم التالي، سمعت أليشا حركة في المطبخ، يبدو أن شقيقها كان يقلي شيئًا، إذ تسرّبت رائحة الزيت من أسفل باب غرفتها، فنهضت من سريرها، وفركت عينيها، وهي تشعر بألم في رأسها، وشعرت أن هذا اليوم شديد الحرارة منذ بدايته، فنظرت إلى شاشة هاتفها، متجاهلة الإشعارات العديدة التي تصلها من الدردشة الجماعية لمجموعة المدرسة، والتي ستكون مليئة بصور التقطت لصديقاتها، وهن يحتسين الكوكتيل على الشاطئ في العطلة، وفكّرت في مراسلة راشيل مرة أخرى، لتشكرها على طريقة تحضير مرق لحم الضأن، خاصة أن ليلى تناولت منه أكثر مما توقّعت في النهاية، ولكنها تغاضت عن الأمر. لم تكن راشيل بحاجة إلى الشكر، فهم عائلة واحدة.

انضمّت إلى إيدان في المطبخ، وقدماها الحافيتان تحفان على الأرضية.

"مرحبًا، يا أليشا، لم أرك الليلة الماضية، كيف كان يوم عملك؟".

"بصراحة، كان يومي سيئًا".

نظر إليها ورفع حاجبيه، وهو يقول: "هيا، أخبريني، ماذا حصل؟".

"أنا فقط..."، تنهّدت مستاءة، وهي لا تودّ أن تسترجع كل تلك الأحداث مرة أخرى، إلا أنها قالت له على مضض: "جاء رجل عجوز إلى المكتبة، بدا في التسعين من عمره، أقسم إنني لم أقصد الإساءة إليه، فقد طلب إليّ توصيات ببعض الكتب و... أنت تعرف أنني لا أهتمّ بقراءة الكتب"، نظرت إليه بندم، ولكن ملامحه لم تكشف عن أي انفعالات، ثم تابعت كلامها قائلة: "انفجرت غاضبة في وجهه فحسب".

"أليشا!"

"أعرف ما ستقوله، فليس عليك أن تجعلني أشعر بالسوء أكثر حيال ذلك".

"اسمعي، هوّني عليك، أنا متأكد من أنني أثرت غضب عدد كبير من الناس عندما عملت في المكتبة، فربما لم ينفجر غضبي كما فجّرته، ولكن اعتبري أن ما جرى درسًا مهمًا في حياتك، وكما اعتاد الخال جيريمي أن يقول: أحسني التصرّف في المرة القادمة".

قالت له أليشا بتردّد، وهي تنظر إلى مئزره وثوبه ونعله: "بالله عليك! لست أمي ولا الخال جيريمي، فلا تلقِ عليّ محاضرة الآن، هل ستكون في المنزل اليوم؟".

"أجل، فهو يوم إجازتك، فاخرجي مع أصدقائك، وأمضي وقتًا ممتعًا، وسأبقى إلى جانب أمي لأعتني بها، أعتقد أنها مرّت بليلة سيئة أخرى، فقد استيقظت عدة مرات".

اتجهت أليشا نحو طبق الطعام الذي أعدّه إيدان، وقد وضع فيه ثلاث قطع من النقانق الساخنة، فالتقطت إحداها بأظافرها الطويلة محاولة ألا تلطخ أصابعها بالزيت، ثم رفعتها إلى الأعلى استعدادًا لالتهامها، فقاطعها شقيقها قائلًا: "انتبهي، يا أليشا! أنت تقطرين الزيت على الأرض"، ثم انحنى ومسح البقع الصفراء بأحد مناديل المطبخ الورقية، وأردف قائلًا: "اسمعي، اخرجي من المنزل اليوم، وتنشّقي بعض الهواء النقي".

"لا بأس، فليس لديّ أي خطط، سأتسكّع في المنزل وأشاهد التلفاز".

"لا، يا ليش، فقد أصاب أمي اليوم صداع نصفي، وستزعجها الضوضاء"، ثم نظر إليها نظرة فاحصة، وقد بدا جديًا وعابس الوجه، وقد ارتسمت ظلال أرجوانية عميقة تحت عينيه، وهو يقول: "سأبقى في المنزل، لا تقلقي".

أكلت أليشا النقانق بسرعة قصوى، بينما كان إيدان يراقبها بتقزز.

قالت له، وهي لا تزال تمضغ اللقمة: "لا بأس، حقًا، فليس هناك أحد يمكنني أن ألتقي به، سأبقى في المنزل، وسأنزوي في غرفتي بهدوء، كما لو أنني غير موجودة أصلًا".

فجأة صرخت ليلى من الطابق العلوي قائلة: "اخرسي، أليشا، ولا تنطقي بكلمة!"، تبادل إيدان وشقيقته النظرات، وقد اختفت الابتسامة عن وجهيهما، فلم تكن أليشا متفاجئة على الرغم مما حصل الليلة الماضية، فعلى الرغم من القهقهات، ورغم تمارين اليوغا... لم يتغيّر أي شيء بينهما، ولن يتغيّر أبدًا، وستظلّ تلك الستارة السوداء السميكة تفصل بينهما، وتخيّم على المنزل كله عاكسة تأثيرها على إيدان هذه المرة. بعد لحظة صمت، بالكاد مكّنتهما من أن

يلتقطا أنفاسهما، هزّ إيدان رأسه وقال: "إنها لا تعني ما تقوله"، لم يقلها بصوت عالٍ لأنه لم يكن متأكدًا من صحة ما يقوله.

"حسنًا، هل سأضطرّ إلى المغادرة؟"، همست ولكن بنبرة حادة، لأنها لم ترد أن تسمع والدتها صوتها.

"يمكنك البقاء يا ليش، ولكنك تعلمين أن وجودك في المنزل سيتطلّب الحذر الشديد كي لا تتسبّبي بأي إزعاج".

هزّت أليشا كتفيها باستسلام.

"لا يفترض أن يتحمّل هذا الهراء أحد آخر، ألا تكرهينه؟".

كانت مرهقة من يقظتها، ومرهقة من الاستماع إلى صراخ والدتها في الليل والتظاهر بأنّها لم تسمع صوتها، ومرهقة من ترك إيدان يتحمّل كلَّ أعباء المنزل، ومرهقة من عدم الحاجة إليها، ومن كونها مصدر الإزعاج والمشاكل دومًا، لقد كانت متعبة من كل ما يجري حولها حقًا.

لم ينبس إيدان بكلمة، بل حاول أن يشتّت تفكيره بمسح سطح الطاولة، على الرغم من أنه كان نظيفًا.

[#]

عندما أغلق الباب الأمامي خلفها، دوّى صوت ليلى في رأسها: "هذا منزلي، لا منزلك"، ستظلّ هذه الذكرى راسخة في رأسها إلى الأبد.

لم تدرِ إلى أين تذهب.

لكن أي مكان لا بد أن يكون أفضل من هذا المنزل، فتركت قدميها تقودانها من دون تفكير، فسارت هائمة على وجهها، واجتازت الأكشاك في السوق، وتجاهلت بائعي الفاكهة الذين يروّجون لبضائعهم التي لم تثر انتباهها، وقد ارتفعت أسعارها التي لم يعد يتقبّلها العقل. ثم وقفت تراقب الأطفال الذين يقودون دراجاتهم، وهم يعبرون الطريق بتهور، ثم ينادون أصدقاءهم الذين تخلفوا

عنهم، فيديرون رؤوسهم 180 درجة كاملة ليتأكّدوا من أنهم لا يزالون خلفهم، وهم يؤرجحون المقود.

تابعت طريقها، فكانت مع كل خطوة تخطوها على طريق إيلينغ، ثم على الطريق السريع، تبتعد أكثر فأكثر عن منزلها، كما أنها كلما تقدّمت خطوة إلى الأمام كانت تحسّ بتباطؤ ضربات قلبها، وهي تهيم على غير هدى، حتى استقام الطريق المتعرج، وظهر مقصدها أمامها، مثل كوخ تيودور الصغير الذي يبدو وكأنّه في غير محله.

كان من المنطقي أن يحضرها عقلها الباطن إلى المكتبة، فهو المكان الوحيد الذي يمكنها أن تكون فيه وحدها لتشعر بالهدوء والسكينة لبعض الوقت، ربما لم تكن أسوأ فكرة، إذا كان في إمكان الكتب فعلًا أن تمنحها فرصة الهرب من واقعها الأليم، فالقراءة على الأقل ستكون أرخص من اللجوء إلى الإفراط في الثمالة.

كان كايل هو الموظف المسؤول عن طاولة الاستقبال اليوم، فحيّته بإيماءة من رأسها، وهي تعبر الباب متجاهلة الدهشة التي ارتسمت على وجهه، ثم بدأت تتجوّل بين الممرات إلى أن وصلت إلى قسم الجريمة والتشويق، وتساءلت حول إمكان أن تلهمها كلمات مهووس الجرائم والتشويق الصبر والراحة، فتلألأت أسماء الكتب تحت ضوء الشمس داخل أغلفة البلاستيك.

تركت بنانها يلامس كل كتاب على حدة، ولكنها لم تتناول أي واحد عن الرفوف، وأخيرًا تمازجت ألوان الكتب الأحمر والأزرق والأصفر، وشكّلت كتلة واحدة ضخمة لم تنظر إليها على أنها واقعية. وعلى الرغم من أن المكتبة كانت صامتة، إلا أن الكلمات: "الموت"، "القتل"، "القاتل" كانت تطنّ في أذنيها، بعد أن قفزت من صفحات الكتب، كما فعلت العناوين الأكثر إثارة ورعبًا، مثل: *كتاب أنا أراقبك*... وغيرها من الكتب، فتجاوزت قدرتها على الاحتمال، وتساءلت، كيف أمكنه تحمّل كل ذلك؟ وكيف شعر بالهدوء بين هذه الكتب المرعبة، وفي هذا الفضاء الشاسع، وبرفقة هذه الكلمات التي تثقل كاهل الإنسان؟ فنقرت ببنانها على ساقها محاولة تهدئة روعها، لتبدو واثقة مما ستُقدم عليه.

رنّ هاتفها، إنها إحدى رسائل مجموعات الواتس أب التي أنشأتها صديقاتها عندما كنّ في الرابعة عشرة من العمر، ولكن أليشا لم ترسل أي رسالة إلى تلك المجموعة منذ أسابيع، ولم يلحظ أحد انقطاعها عن المراسلة، توجّهت آخر رسالة من ميا التي كانت أفضل صديقة لأليشا في السابق إلى ثلاث صديقات، بيث، لولا، كاسي، وهي تسألهن قائلة: هل أنتن في المنزل؟ أتردن القيام بأي نشاط الليلة؟ بينما كانت فتاتان أخريان، جينا وشريا، تمضيان عطلتهما في أيانابا وكرواتيا، ولا تكفّان عن إرسال صورهما في المسبح.

لا يزال رفض دعوات صديقاتها يؤرق أليشا ويشعرها بالضيق، على الرغم من مرور أشهر على اختلاق الأعذار لصديقاتها، فهي لجأت إلى الاعتذار عن مشاركتهن في معظم المناسبات في اللحظة الأخيرة مدّعية إصابتها بالتسمم الغذائي أو الصداع النصفي، للتخلف عن حضور أعياد الميلاد أو السهرات أو اللقاءات في المتنزه، لأنها كانت تُفضّل أن توصف بغريبة الأطوار على أن تنكشف حقيقة أمها، لأنهن لن يتفهّمن حالتها.

لقد استجبن جميعًا للرسالة على الفور، بيث، لولا، كاسي، وحتى جينا.

رنّ الهاتف: "أنا متفرغة، يمكنني مرافقتكن متى تشأن".

رنّ الهاتف مرة أخرى: "اشتقت إليكن يا بنات، استمتعن من دوني، ولكنكن ستشعرن بوجودي معكن إن تناولتن الفودكا".

رنّ الهاتف مجددًا: "إلى أين سنذهب؟".

بينما كانت أليشا تقف وحيدة في المكتبة، شعرت بأن أكداس الكتب تُطبق على صدرها، وقد نمت أغلفتها وأصبحت أكبر وأثقل، بينما كانت تراقب صديقاتها وهن يستمتعن بحياتهن من دونها، وقد توالت الرسائل الواحدة تلو الأخرى، كما تكدّست الكتب، الكتاب تلو الآخر، أما هي فلم يكن لها أي وجود، وهي تتابع إرسالهن ملصقات الفتيات الراقصات، والتحيات التي يلقينها على بعضهن، والردود التي تعلن الموافقة على المشاركة في الأنشطة التي تنظمها المجموعة،

إنّهن جميعًا سعيدات، وليس لديهن ما يدعوهنّ إلى القلق في عطلة فصل الصيف، وقد فتح المستقبل لهن ذراعيه، وهن يعشن أجمل أيام حياتهن.

ابتعدت عن الركن الذي تتكدّس على رفوفه كتب الجريمة، واتّجهت إلى مساحة فارغة خلفها، فقد كانت بحاجة إلى التقاط أنفاسها مجددًا، وإلى أن تستنشق الأكسجين وتتنفّس ملء رئتيها، فقلبت هاتفها في راحة يدها، وشعرت بغشاوة على عينيها، وهي تنظر إلى حافظة هاتفها التي رُسم عليها بطيخ أحمر.

لمحت بين البطيخ قائمة الكتب الموصى بقراءتها، ها هو مجددًا، ذلك الكتاب، الكتاب الأول في القائمة، *لا تقتل عصفورًا ساخرًا*، استعادت ذكرياتها التي تزاحمت في ذاكرتها فكان من بينها صورة ليلى، وهي تدفع رأسها إلى الوراء بفرح، وصراخها في الصباح، والبكاء خلال الليل، وصورة أخرى لعيني إيدان، وقد ارتسمت نصف حلقتين داكنتين أسفلهما، فشعرت بالعجز عن النطق بأي كلمات تبعث الراحة في نفسها، كما شعرت وكأنها تقترب من حافة الجنون، وأن عليها الهرب، ومغادرة ويمبلي، وترك عائلتها، وكل ما فيها، ولكن هل يمكن أن يحقّق هذا الكتاب المعجزات؟ لا بد أن تُجرّب من نقطة البداية.

عثرت على الكرسي الذي يجلس عليه مهووس كتب الجرائم والتشويق، وجلست عليه مسترخية في جلستها بعد أن وضعت هاتفها داخل حقيبتها، وعلى الرغم من أن الكرسي كان باليًا نوعًا ما، وكان مسنداه مهترئين، إلا أنه كان مريحًا، أضاءت أشعة الشمس صفحات كتاب *لا تقتل عصفورًا ساخرًا*، وإذا كانت تنوي أن تقرأ الكتاب، فقد أدركت أنّ الوضعية التي كانت فيها مريحة، وتناسب مختلف المواقف ووجهات النظر كافة، كما أن البيئة المحيطة بها مناسبة للانتقال إلى الفصل الأول والبدء بالقراءة. لكن في اللحظة التي أوشكت أن تستقرّ وتهيئ نفسها من أجل الانغماس الكامل في القراءة، اخترقت نبرة صوت كايل الحادة الصمت الذي ساد المكان، فقد كان يتحدّث إلى أحد رواد المكتبة المزعجين عبر الهاتف، ولكنها رأت أن التعامل مع شخص مزعج ولا يتصرّف بلباقة عبر الهاتف أسهل من التعامل معه وجهًا لوجه.

ما الذي أحبّه إيدان في العمل في هذه المكتبة؟

"كلا، يا سيدي، أعتقد أنني سأضطرّ إلى فرض غرامة مالية عليك، مقابل الكتاب الذي أخرجته من المكتبة من دون أن تسجّله في قائمة الكتب المستعارة".

تجهّم وجه كايل وقطّب حاجبيه، وهو يقول: "آسف، يا سيدي، هل يمكنك أن تكرّر ما قلته ببطء لأفهم ما تقوله من فضلك؟"، ثم تابع كلامه قائلًا: "هل حصلت على بطاقة عضوية المكتبة؟".

لم تستطع أليشا تجاهل المحادثة، بدا كايل غاضبًا، وهو يتحدّث بصوت مرتفع: "أنا آسف جدًا، يا سيدي، لم أكن أعرف ما جرى، ولكن متى حصل ذلك؟ هل كان البارحة؟ نعم، حسنًا، شكرًا لأنك أخبرتني بالأمر، سأتحقّق من المسألة، وأرى ما يمكنني القيام به، نعم، حسنًا، إذا لم يكن لديك بطاقة العضوية، فما رأيك في أن أصدر لك بطاقة اليوم، وأسجّل الكتاب باسمك؟ وهكذا يمكنك إعادته متى استطعت، فنحول دون دفع غرامة مالية عند إرجاعه". اختبأت أليشا خلف ظهر الكرسي وتجمدت في مكانها من الخجل، وتذكّرت الرجل العجوز الذي جاء أمسِ، ووقف أمامها طالبًا المساعدة، وقد استعادت ما قالته له بقسوة: "*لا، لا يمكنك أن تضيع وقتي*"، فتمنّت من شدة الخجل والإحراج أن يبتلعها الكرسي الذي تجلس عليه ولا يترك لها أثرًا.

في اللحظة التي أعاد فيها كايل سماعة الهاتف إلى المكتب، نهض عن مكانه، وأدار رأسه مثل حيوان النمس باحثًا عن شخص ما... إنه يبحث عنها.

أخفضت أليشا رأسها بقدر استطاعتها، ولكنها أدركت أن ذلك لن يجدي نفعًا، فكايل يعرف بالضبط مكانها.

ما إن اقترب منها حتى بادرته إلى القول: "مرحبًا يا كايل، ماذا تفعل؟".

سألها غاضبًا: "هل كنت تعملين في وردية أمسِ؟".

"أجل".

"كنت أتحدّث توًا إلى رجل عجوز لطيف عبر الهاتف، بدا محبطًا إذا أردت أن أستعمل تعبيرًا لطيفًا لأصف حالته، هل صحيح أنك أرغمته على مغادرة

المكتبة؟"، كان يتحدّث إليها وكأن له سلطة مطلقة عليها، فقد أخذ على عاتقه أن يتولّى زمام الأمور بالنيابة عن ديف في غيابه.

"ليس هذا ما حدث تمامًا، لقد أراد أن أقترح عليه عناوين بعض الكتب، ولكنني طلبت إليه أن يبحث عما يريده بنفسه فحسب".

"كان يفترض بك أن تقترحي عليه أسماء بعض الكتب، ألا تريدين الحفاظ على هذه الوظيفة؟".

إنها بحاجة إلى هذه الوظيفة أكثر مما ترغب في الحفاظ عليها، لأن عليها مساعدة إيدان، فقد كانت ليلى فنانة ومصممة وتعمل عادة مع وكالات إعلانية مشهورة حول العالم، وغالبًا ما كانت تغرق في العمل، ولكن الأعمال كانت تُعرض عليها على شكل موجات متفرقة، فلم يكن دخلها منتظمًا، خاصة عندما كانت تعاني من إحدى نوباتها الهستيرية، لذا لا يمكن أن تفقد أليشا هذه الوظيفة، وإلا فلن يكون لديها مكان آخر تلجأ إليه، وعلى الرغم من عيوبه، أصبح ملجأها الذي يحميها من الفوضى التي تعمّ منزلها، وهذا كل ما يهمها في الوقت الحالي.

أومأت إليه برأسها نافية.

"هل تعرفين عدد الأشخاص الذين يمكنهم الحلول مكانك، والذين يريدون هذا العمل بشدة؟".

هزّت أليشا رأسها.

تابع كايل كلامه قائلًا: "إن عددهم كبير، لأكون صريحًا معك، يقول ديف دائمًا إنه يتعيّن علينا بذل قصارى جهدنا لجعل الناس سعداء، وتوفير مكان هادئ لهم ومعاملتهم بلطف ومودّة، وتقديم التوصيات المناسبة بالكتب وفقًا لأذواق رواد المكتبة، والحرص على تقديم أفضل الخدمات لهم، وإلا فإننا سنفقد الرواد الدائمين، وإذا لم تلتزمي بأداء وظيفتك على أكمل وجه، فسوف تطردين، وربما يحصل ما هو أسوأ من ذلك، فقد تغلق المكتبة أبوابها، ونفقد جميعًا وظائفنا".

لم تصدّق ما سمعته، فقد كان من السهل جدًا الحصول على الوظيفة، ولكنها لم تستطع حقًا تكبّد معاناة فقدانها، كما أنها لا تستطيع مواجهة حقيقة أن مسؤولية خسارة كايل والمتطوعتين لوسي وبيني مكان عملهم المفضل تقع على عاتقها، وبقدر ما أزعجها توبيخ كايل، إلا أنها أدركت تمامًا أنه لا يمكنه تحمل خسارة المكان الوحيد الذي يتصرّف فيه بحرية مطلقة ويمكن أن ينجو بفعلته إن ارتكب خطأ، وكذلك ديف الذي يبذل جهودًا جبارة للحفاظ على مكتبة طريق هارو مفتوحة وبحالة جيدة، فتصوّرت شكل ذلك المبنى الحميم، وقد أغلقت نوافذه، وعلّقت لافتة من المجلس على بابه توجّه الناس إلى مكتبة وسط المدينة بدلًا منه، إلا أن ذلك ليس منصفًا، على الرغم من أنّ المكتبة لم تكن أبدًا مكتظة بالرواد تمامًا، فقد أحبّها الناس، وتخيّلت إيدان وهو يقلّد الخال جيريمي قائلًا لها: "أحسني التصرّف في المرة القادمة".

"إذا قدّم هذا الرجل شكوى رسمية إلى ديف، فستطردين".

تململت أليشا في مقعدها، وقالت: "اسمع، في الواقع أنا هنا اليوم من أجل المتعة لا من أجل العمل، لذا يمكنك أن تحتفظ بـ...".

"كما أنّه من المؤسف أن تتصرّفي بفظاظة مع رجل يبلغ من العمر ثمانين عامًا، أنا لا أعرف ما تمرّين به، يا أليشا..."

أصبحت نبرة كايل ألطف قليلًا، وهو يقول: "ولكن حاولي معاملة الناس بلطف، فيمكن أن تجعل ابتسامة رقيقة أو نظرة ودودة إلى وجه الزائر يومه أفضل قليلًا، كما يمكن لتصرفك الفظّ أن يعكّر مزاجه، فيسودّ يومه، هل يستحقّ الأمر كل ذلك؟ هل شعرت بالرضا؟".

هزّت رأسها مرة أخرى، غير قادرة على التفوه بكلمة، وشعرت وكأنها طفل صغير يؤنّب لأنه تورّط في شجار: "بالمناسبة إذا طلب إليك المساعدة مرة أخرى، فاقترحي عليه كتابًا جيدًا...".

علّقت أليشا قائلة: "لقد حاولت اقتراح اسم كتاب، ولكنه غادر بسرعة"، ولكن كايل تجاهل كلامها، وواصل خطابه الذي تدرّب عليه مسبقًا.

قال مشيرًا إلى كتاب *لا تقتل عصفورًا ساخرًا* الذي تحمله في يدها: "اقرئي بعض الكتب، إذا أحببت ذلك، واقترحي عليه أن يقرأها، فالأمر في غاية السهولة والبساطة، أن تقرئي كتابًا، وتوصي بقراءته، حتى ولو كنت تنفرين من سلوكه، فعليك أنْ تساعديه في مطلق الأحوال، فكل شخص لديه ذوق مختلف عن الآخر، والمتسولون لا يتمتّعون بترف الاختيار كما تقول جدتي".

تنهّدت أليشا، وهي تراقب كايل يسير عائدًا إلى مكتبه، وقد بدا مختالًا في مشيته، بعد أن تقمّص دور المدير على أفضل ما يرام.

مجددًا مدّت يدها إلى الكتاب، وقلبت صفحاته، فكان غلافه ممزقًا في أماكن مختلفة، ولكنها أرادت أن تترك بصمتها الخاصة عليه، ولكن ثنيه إلى قسمين، لم يكن مرضيًا كما توقّعت، لأن صفحات الكتاب كانت رقيقة وهشة، وقد أدّى دفء المكتبة إلى تحويل الغراء إلى هلام.

عادت إلى الصفحة الأولى، وداعبت أنفها بيد، وقلبت صفحات الكتاب بيد، ثم رفعت خصلات شعرها التي انسدلت على وجهها، وهي تحاول إضاعة الوقت، بعد أن عجزت عن استيعاب ما يجري حولها، فأجبرت نفسها على التركيز على الكلماتْ التي تقرؤها، ولكنها لم تستطع.

تبدو غبية أحيانًا ومراوغة أحيانًا أخرى. أخيرًا استسلمت وجلست مسترخية على الكرسي ذي اللون الوردي الباهت، وهي تتفحّص من في المكتبة، فكان عدد الأشخاص الذين يقرؤون أو يتصفّحون الكتب قليلًا، وهم على الأرجح يتكيّفون مع المكان، وينتمون إليه، وكأنهم ديدان قراءة لشدة هوسهم بالكتب.

خاطبت نفسها بصوت يشبه فحيح الأفعى: "اللعنة"، وبعد ذلك جمعت أغراضها ووضعتها في حقيبتها، ثم تردّدت وهي تقف في مكانها، هل تأخذ الكتاب معها أم تتركه على الطاولة؟ لكن بعد أن جالت بعينيها في الأرجاء، وضعته في حقيبتها.

ودّعتها أصوات الإنذار الصادر عن المكتبة، وهي تغادرها وفي حقيبتها كتاب مسروق.

الفصل 5

موكيش



عندما رنّ جرس الباب، كان موكيش مستلقيًا، فهل غرق في النوم؟ لا يفترض أن تصل روهيني وبريا في هذا الوقت، أو هكذا اعتقد، فاستجمع قواه تدريجيًا، وهو يتأفّف ويئنّ من ألم ظهره الذي بدأ يشعر به أكثر صلابة مما يتوقّع بينما كان في طريقه إلى فتح الباب، وقد أراد أن يشتمَ، ولكنه لم يعتد على ذلك.

كان يتطلّع إلى رؤية حفيدته وابنته بشوق كبير، ولكنه أدرك أنّ زوبعة روهيني على وشك أن تضرب... وبغض النظر عن عدد المرات التي نجا فيها منها، لم يكن متأكدًا من أنّه مستعد لمواجهتها، بعد قضاء هذا اليوم الذي شعر فيه بالوحدة وبأن لا هدف له في الحياة. كانت أيام الجمعة في السابق مخصصة لقضاء وقته برفقة نينا، وهي الأيام التي اعتادا تخصيصها لنفسيهما فقط، ولكن في هذه الأيام لم تعد أيام الجمعة كما في السابق.

نزل الدرج ببطء شديد، وتمسّك بالدرابزين الذي ركّبه صديق روهيني بمهارة على الجانب الآخر من الدرج ليستعين به، وهو يصعده ويمنحه مزيدًا من الثبات، شعر بالحرج حيال ذلك، فهو لا يأتيه زوار من غير أفراد العائلة إلا في المناسبات النادرة، ولطالما كان يمزح بشأن ذلك بعد أن يتذكّروه بالزيارة.

ما أن وصل إلى الباب حتّى لمح رأس امرأة وكتفيها، وقد حجبها الزجاج المصنفر في وسط الباب الأمامي، وبالطبع أمكنه التعرف إليها.

تنفّس بعمق، وصاح وهو يفتح الباب على مصراعيه، متصنعًا البهجة: "ابنتي، روهيني!".

أجابته قائلة: "أبي"، وهي تتقدّم مباشرة إلى الداخل متجنبة ذراعيه المفتوحتين، ودخلت خلفها بريا، وهي تحتضن بين ذراعيها كتابًا بقوة.

"بريا، اقتربي، يا عزيزتي".

من دون إضاعة أي لحظة في إلقاء التحية، دخلت روهيني مباشرة إلى المطبخ، وأخذت تفتّش في الخزائن، فتأفّفت عدة مرات، بينما نظر موكيش إلى بريا آملًا في أن يمضي معها بعض الوقت الممتع، ولكنها كانت قد حجبت نفسها عنه بالفعل بكتابها، وجلست على كرسي نينا في غرفة الجلوس.

صاحت روهيني، وهي تمسك بعلبة أرز بقي في الثلاجة لعدة أيام، وربما أكثر، وقالت له: "أبي، ما هذا؟ إنّه مقزز!".

"آسف، يا ابنتي، ولكن كوني على ثقة أنّني ما كنت سأتناوله".

"بابا، لا يمكنك أن تتناول أرزًا مضى على تحضيره أكثر من يوم! كما يجب أن أقليه لك أولًا على الأقل".

"لا تقلقي يا ابنتي"، تقدّم نحوها، وأخذ منها علبة الطعام، وأفرغها في سلة القمامة، ثم قال لها: "لقد اختفى! البعيد عن العين بعيد عن العقل"، في تلك الأثناء، شقّت روهيني طريقها نحو المجلى، وقالت:

"كم هذا مقرف، مقرف، مقرف!"، أعربت عن اشمئزازها كما اعتادت نينا أن تفعل، وتابعت كلامها قائلة: "كم مضى على هذه الأطباق في المجلى، يا أبي؟ هذا غير صحي على الإطلاق! وسينشر النمل في المنزل مرة أخرى، فهو يستهويه هذا الجو الحار".

"من فضلك يا ابنتي، اذهبي واجلسي على الأريكة، وسأحضّر لك الشاي".

"بابا، لا! يجب أن أغسل كل هذه الأطباق، أتعتقد أنني أتيت لزيارتك من أجل شرب الشاي؟ أنا آتي لأعتني بك، ليت أمي تستطيع رؤية حالك الآن".

أدرك موكيش أن الجملة الأخيرة تعبّر عن خيبة أملها، ولكنها كانت مؤلمة بالنسبة إليه، فهو لاحظ أنه خلال العام الماضي لم تذكر روهيني كلمة "أمي" إلا لتوبيخه، وإخباره بأنه بات يعيش في حظيرة خنازير.

أشعره هذا بالألم، وهذا ما حال دون رده عليها، وبدلًا من ذلك توجّه إلى غرفة الجلوس، محاولًا تجاهل همهمات روهيني المتكررة وآهاتها المتواصلة عندما عثرت على شقوق في باب الخزانة: "لقد أخبرتك بأنه يمكنني إحضار أحد ما لإصلاحها، إنّه مطبخ جديد تقريبًا، ولا يمكنك جعله يبدو قذرًا بهذا الشكل، يا بابا!"، عندما عثرت على عُلب كثيرة من حبوب الفاصولياء في الثلاجة، قالت له: "بابا، هذا غير صحي أبدًا، إذا كان هذا نوع الطعام الذي تتناوله فقط! لطالما قالت أمي إنّها مفيدة بسبب ما تحتويه من الألياف، ولكن شرط أن تتبع نظامًا غذائيًا متوازنًا، يا بابا، كما أخبرك الطبيب"، وعندما وجدت ثلاث علب فارغة من الشاي المفضل لديه في سلة إعادة التدوير، قالت له: "بابا، سوف يتسبّب احتساء الشاي بتسوّس باقي أسنانك، كما أنه سيلحق بك الأذى بسبب إصابتك بداء السكري! لقد أوصتك أمي بأن تتناوله في المناسبات الخاصة فقط، وقد أوضحت لك كيفية صنعه".

تمنّى في تلك اللحظات لو أنّه بدأ يفقد سمعه أكثر من أي شيء آخر، بدلًا من المعاناة من داء المفاصل وضعف البصر، فمن الممكن أن يكون ذلك مفيدًا بشكل خاص مع أفراد عائلته الذين كانوا يتداولون الأحاديث بصوت أعلى من الصوت العادي، فكانت كل واحدة من بناته تصرخ بصوت أعلى من الأخرى، وهي تتحدّث إليه.

بينما كانت روهيني تجول في المنزل، وهي تفتّشه من الأعلى إلى الأسفل مثل كلب بوليسي، باحثةً عما ستشكو منه، سأل موكيش بريا: "ماذا تقرئين، يا عزيزتي؟".

عم الصمت غرفة الجلوس.

أجابت قائلة: "*نساء صغيرات*، يا جدي"، وبقيت عيناها مثبتتين على الصفحة التي تقرؤها، وهي تتابع كلامها قائلة: "إنّه كتابٌ أوصتني *با* بقراءته، وقد أخبرتني

بأنّها قرأته عندما كانت طفلة صغيرة جدًا، وقد اشتراه لي أبي الأسبوع الماضي".

قال موكيش بعفوية: "لم أسمع به مطلقًا"، ولكنه سجّل ملاحظة في ذهنه، بعد أن أصبح عضوًا في المكتبة الآن، وصار يمكنه أن ينتبه إلى هذه التفاصيل...

قالت من دون أن ترفع عينيها عن الكتاب: "إنه كتاب مشهور جدًا يا جدي، والجميع يعرفونه"، وقد قوّست حاجبيها مصطنعة عبوسًا وهميًا ينمّ عن دهشتها.

سألها موكيش بإلحاح: "ما الموضوع الذي يتناوله؟"، وهو يستعيد كلماتها في ذاك اليوم: "أنت لا تفهم في الكتب، يا جدي... أنت لا تهتمّ بما أحبّه!". أجابت بريا بعفوية بدت محببة: "اهدأ يا جدي، أحاول قراءته، وسأخبرك بموضوعه في يوم آخر"، فالتزم موكيش بما طلبته إليه. اعتادت نينا عندما تقرأ أن تكون ردّة فعلها مثلها تمامًا، وربما سيفهم يومًا ما.

تذكر الأمسيات التي قضاها برفقتها بعد أن تخلد البنات إلى النوم، وهو يقرأ الجريدة بجانب نينا، بينما كانت تتصفّح صفحات كتابها بسرعة فائقة، وعندما يحاول إجراء محادثة، وهو ينظر إليها منتظرًا ردّها، كانت توبّخه ما إن تدرك أنه يراقبها.

فتبتسم قائلة: "موكيش، ماذا تفعل؟ أنت تعرف أنني أركّز على قراءة الكتاب".

"أردت فقط أن أقرأ لك خبرًا من الجريدة، وهو ممتع جدًا".

تجيبه قائلة: "موكيش، وصلتُ توًّا إلى الجزء الشائق، فاتركني أكمل القراءة"، دائمًا كانت تصل إلى الجزء الشائق في البداية، وقد اعتقد موكيش أنّ الكتب ربما تحتوي على أجزاء شائقة في كل صفحتين أو ثلاث صفحات، وبعد ذلك بدأ يتساءل عما إذا كان ذلك مجرد ذريعة لمتابعة القراءة من دون إزعاجها.

كان يراقبها وهي ترتدي ثوب النوم الأزرق والأبيض، وتضع نظارة القراءة الكبيرة التي تستريح بشكل أنيق على أنفها، وشعرها الأسود مربوط خلف قذالها، استطاع رسم صورتها والاحتفاظ بها في عقله، وهي في العشرين والثلاثين والأربعين والخمسين والستين والسبعين من عمرها، فكانت الطقوس نفسها تُجرى،

والاستجابة نفسها. وقد شعر لحظةً وكأنه هنري بطل رواية *زوجة مسافر عبر الزمن*، يسافر عبر الزمن خلال تلك العقود لزيارة نينا في كل تلك المراحل من حياتها.

في ذلك الوقت، لم يتساءل أبدًا أين تغيب، وهي تغوص في صفحات كتابها، فقد أحبّ تأمّل وجهها، وارتسمت على ملامحه اللهفة والحماسة، في بعض الأحيان كانت تبتسم له قليلًا، وفي أحيان أخرى كانت ترجع رأسها إلى الخلف وهي تضحك ضحكة مكتومة، ثم تغمض عينيها، وهي تربت على كتف موكيش، كما لو أنه يشاركها تلك النكتة. في ذلك الوقت، كانت رؤية مدى سعادتها أمرًا كافيًا بالنسبة إليه، ولكنها لم تعد موجودة، وهو يتمنّى الآن لو بذل جهدًا أكبر ليشاركها كل لحظة من لحظات حياتها.

نادته روهيني: "أبي"، فكان صوتها منبعثًا من غرفة نومه المجاورة في الطابق الأرضي: "هل يمكنك أن تأتي إلى الغرفة في الحال؟".

نظر موكيش إلى بريا آملًا في أن تطلب إليه البقاء برفقتها في الغرفة، ولكنها كانت غارقة في صفحات كتاب نساء صغيرات، وكانت تعابيرها تشبه تعابير نينا بشكل كبير.

غمغم قائلًا: "حسنًا، أنا قادم"، نهض عن الكرسي متثاقلًا.

وقف أمام عتبة الباب، وكانت روهيني تقف بجانب الخزانة، وإحدى يديها على وركها، والأخرى تشير إلى كومة فساتين الساري الهندية التقليدية التي تتدفّق من باب الخزانة وقد غمرت الأرض.

سألته، وهي تفتح الباب: "ما الذي حدث هنا؟"، تنهّدت تنهيدة عميقة بعد أن صعقتها حالة الفوضى العارمة التي تسود في الغرفة، وقد طويت بعض الملابس في الخزانة بشكل عشوائي.

"لقد طويت وفريتي كل هذه الملابس بترتيب بعد أن..."، صمتت للحظة، ثمّ تابعت كلامها قائلة: "ماذا حدث؟ هل تزورك بعض صديقات أمي للحصول على بعض ثيابها ليتذكّرنها من خلالها؟"، أصبح صوت روهيني مرتفعًا وحاد النبرة عندما قالت الكلمات الثلاث الأخيرة.

"لا، كنت أبحث بينها، لأنّني...".

"كل هؤلاء الصديقات، كنّ يغرن منها دائمًا، ويردن الحصول على فساتينها، ولا عجب أنهن استخدمن عذر تقديم التعازي للالتفاف حولها مثل النسور... يا لهنّ من صديقات مخلصات! ولكنهن لا يزلن يسعين إلى الاستيلاء على أغراضها...".

ومضت في ذهن موكيش ذكرى لنينا، وهي ترتدي الملابس الخاصة بالمعبد الهندوسي. وقد أردفت روهيني قائلة: "أترى أنه يحقّ لهنّ أن يحصلن على *أنقة* بلا مجهود؟". لفظت كلمة أناقة بشكل خاطئ.

قال موكيش لابنته: "حسنًا، لطالما كانت أمك تملك أجمل فساتين الساري".

"نعم، ولحسن الحظ، فقد تمتّعت بقدرة كبيرة على اقتناص الصفقات المربحة، وإلا لكان البائعون سلبونا أموالنا ونحن غافلون، بابا، هل تقول لي إنك فعلت ذلك؟ أيمكنك أن تساعدني في ترتيبها؟"، طلبت روهيني إلى والدها المساعدة بلهجة رقيقة وتخلو من القسوة. اقترب موكيش لتقديم يد المساعدة إليها، فجلس على السرير منتظرًا أن تعطيه فستانًا ليطويه، ولكنّها بدلًا من ذلك، بدأت تعاتبه وتلومه على هذه الفوضى.

بينما كانت روهيني تسحب كل فستان على حدة لتطويه، إضافة إلى الملابس التي كانت لا تزال مطوية في الخزانة، وليست بحاجة إلى الطي من جديد، فاحت رائحة نينا المألوفة مرة أخرى، فبعثت نفحات عطرها التي استطاع شمّها مرة أخرى الأمل في نفسه، كما فاحت رائحة معطر شعرها أيضًا، فنظر متجاهلًا موتها للحظة، وهو يأمل أنا أتت لتلقي عليهما التحية.

هذه هي فساتين الساري التي ارتدتها نينا بانتظام، لزيارة المعبد الهندوسي أو المتجر، إنّها الفساتين التي ربطها الناس بنينا، وتميّزت بالنقوش والتطريزات الرائعة، والتصاميم الفارسية. لقد امتلكت النساء المجوهرات والألبسة المزينة بالحلي، إلا أن فساتينها كانت أنيقة ومميزة، وبينما كانت روهيني تطوي الفستان

الأخير وتضعه في مكانه، مررت يدها عليه، فشعرت أطراف أصابعها بنعومة قماشه الحريري.

قالت بصوت حزين: "أتساءل متى ارتدت أمي هذا الفستان للمرة الأخيرة؟"، ثم لان صوتها، وخلا من أي نبرة عتاب أو غضب، فلم يردّ موكيش على سؤالها، فهو يعرف أنّ ما قصدته حقًا كان: "هل عرفت أمي أنها كانت تُحتضر، عندما ارتدت هذا الفستان للمرة الأخيرة؟ هل كانت تعلم أنّ المرض سيقضي عليها في وقت أبكر مما توقّعه الأطباء جميعًا؟".

راقب موكيش بصمت دمعة صغيرة غير مرئية تسيل على وجه ابنته، فانتصب واقفًا راغبًا في معانقتها، على الرغم من إدراكه أنها ستتجاهله إذا فعل ذلك، فقال لها: "أنا آسف، يا روهيني، لقد بحثت بين أغراضها، لأنني اعتقدت أنني قد أعثر على كتبها، فكنت أرغب في أن أقرأ أحدها لبريا، وأنا آسف جدًا بشأن الفوضى التي أحدثتها".

نظرت روهيني إلى والدها، وتلألأت عيناها، فمسحت دموعها، متظاهرةً بأنها لم تذرفها أبدًا، وقالت له: "لا بأس بابا، ولكنك تعلم أن أمي كانت تحصل على الكتبْ من المكتبة، ولم تحتفظ بأي كتاب في المنزل، فليس لدينا أي مساحة للاحتفاظ بالكتب"، وأشارت إلى الغرفة والمنزل بأكمله، من الغريب كيف يبدو البيت الآن كما لو أن مساحته ضاقت أكثر، على الرغم من أن أفراد الأسرة الخمسة جميعًا عاشوا فيه معًا في الماضي حياة صاخبة، وقد أصبح وحده الآن، لم تعد تتوفّر فيه المساحة لأي شيء على الإطلاق، بعد أن أصبح كلّ ركن ينضح بالذكريات.

أومأ موكيش إليها برأسه، وقال: "أعرف، لقد فكّرت في ذلك، غير أنّني... أردت أن أجد كتابًا لبريا، إنّها هادئة جدًا، وهي لا تحبّ مشاهدة أفلامي الوثائقية عبر شاشة التلفاز... إنّها منعزلة كما تعلمين".

نهضت روهيني من مكانها واتّجهت نحو أبيها، وربتت على كتفه برفق، فامتن لأنّها أدركت أنه سينفجر باكيًا إذا عانقته، وهو يشعر بالإحراج من البكاء أمام بناته.

تركته في الغرفة، والباب مفتوح على مصراعيه، فكان يعلم أن ذلك يعني بلغة روهيني: "سأمنحك بعض الخصوصية، ولكن يمكنك أن تناديني إن احتجت إليّ"، ربما كانت ابنته متسلطة، ولكنها يمكن أن تكون لطيفة كذلك.

[#]

أصرّت روهيني على إعداد أطباق متنوعة من الطعام، وكانت قد حضّرت مكوناتها بسهولة، على الرغم من أنّ موكيش أصرّ على أنها لم تكن مضطرة إلى تحضير كل تلك الأطباق، ثم بدأ الثلاثة يغمسون الخبز في الطعام الهندي التقليدي المفضل لدى بريا.

"أشكرك يا ابنتي روهيني لأنك تعاملينني باهتمام كبير"، ثم تناول بعضًا من الطعام بأصابعه وتذوّقه، فهي لم تعده لاذعًا كما كانت تعدّه نينا، وربما كان ذلك أفضل، لأنه لم يعد يستطيع تقبّل الكثير من التوابل الآن بعد أن تقدّم في السن.

لم تضيّع بريا وقتها، فما أن أنهت تناول الطعام، حتّى غادرت المطبخ، وعادت إلى غرفة الجلوس لتغوص مرة أخرى في كتابها.

سألها موكيش: "روهيني، هل بريا دائمًا هادئة وتغوص في الكتب؟".

"إنها تحبّ القراءة بابا، ولا بأس عليها، فقد كانت أمي تقوم بذلك طوال الوقت، وهي بالتأكيد لم تكن هادِئة".

"لكنني لم أسمعها تتحدّث عن صديقاتها مطلقًا أو عما تحبّ أن تقوم به غير القراءة، أمك كانت تحبّ الكتب، ولكن كان لديها صديقات أيضًا".

"نعم بابا، وبريا لديها أصدقاء، كما أنها تمارس نشاطات أخرى أيضًا، هل سألتها يومًا ما الذي يستهويها؟". لم تكن روهيني تنظر إليه عندما قالت ذلك، ولكنه شعر بنظرات عينيها الحادة التي بدت كسهام تخترق روحه.

تمتم موكيش قائلًا: "حسنًا، لا، ولكن...".

تابعت روهيني كلامها قائلة: "لديها صديقان مفضلان، يا أبي، كريستي وجيمس، وهما لطيفان للغاية، كما أنهما هادئان مثلها".

"ألديها صديقان يأتيان لزيارتها؟".

"بابا، الأولاد يفعلون ذلك في هذه الأيام، كما أنهم يلعبون معًا في المدرسة في أوقات الراحة".

تساءل موكيش عما إذا كانت عبارة *هذه الأيام* طريقة ضمنية تمامًا للقول: "أنت عجوز جدًا بابا!".

كان يفكّر في الأولاد الذين غالبًا ما كانوا يلعبون في شارعه، وهم يضحكون ويصرخون، ويتفوّهون أحيانًا بكلمات نابية من أجل الإحساس بالمتعة التي لا يحصل عليها المرء إلا عندما تكون الكلمات التي ينطق بها جديدةً بالنسبة إليه، وقد تعلّمها مؤخرًا.

يلعب هؤلاء الأولاد في الشارع كل يوم تقريبًا، عندما يكون الجو مشمسًا، إلا أنه في هذا العصر ينبغي للأهل ألا يتركوا أطفالهم وحدهم في هذه الحياة الموحشة، وقد أخطأت روهيني هذه المرة، ولا بد أن يقلقها وضع بريا.

فكّر في بريا الجالسة وحدها في غرفة الجلوس.

ماتت جدتها وهي في التاسعة من عمرها، وهي تعدّ كبيرة بما يكفي لتشعر بألم خسارتها، فقد اكتشف شعور أن يفقد المرء أفضل صديق لديه، أو شريك حياته، ولكنه لم يسمح لنفسه أبدًا بأن يتساءل كيف شعرت بريا بعد فقدان جدتها التي كانت بمثابة أعز صديقاتها أيضًا، فقد فهمتها نينا، وعندما انطوت على نفسها، ساعدتها على الانفتاح على الآخرين، فكيف تشعر بريا الآن بعد رحيلها؟

انتقلت روهيني إلى غرفة الجلوس، فتبعها موكيش، وعندما رنّ الهاتف، حوّل موكيش مساره ببطء، وهو يحاول أن يثبت لابنته أنه لا يحتاج إلى رعاية دائمة.

لم يتعرّف إلى المتصل، فقال وهو يرفع سماعة الهاتف: "مرحبًا"

ثم سمع صوت صديقه السيد هاريش يقول له من دون أن يلقي عليه التحية:

"ينبغي أن تساعدني يا صديقي، فأنا أحتاج إلى مساعدتك بشكل عاجل للغاية، لقد انسحب السيد ساهيل من المسيرة التي يرعاها المعبد، ونعوّل عليك لتقديم المساعدة، فقد أخبرت الجميع بأنني واثق بأنّ موكيش سيفعل ذلك، فهو رجل طيب، لو كانت نينا على قيد الحياة لاقترحَت اسمها على الفور، لأنها تحبّ أن تمدّ يد العون، أليس كذلك؟".

كانت روهيني تراقب ردات فعله باهتمام، فقطّب جبينه أولًا، إلا أن ردة فعله التي رغب في أن يقوم بها أولًا كانت إغلاق سماعة الهاتف على الفور، وإخبار روهيني بأن المتصل كان أحد الباعة. ولكن مهما كان هاريش مزعجًا، لم يستطع أن يكون فظًا معه إلى هذه الدرجة.

"هاريش، من فضلك، ماذا تقصد؟".

"صديقي موكيش، ساهيل لوى كاحله، والمسيرة بعد أسبوع، ولا يمكنه المشاركة فيها، ولا نريد أن نفقد أيًا من الممولين".

"ولكن بالتأكيد لن يطلب أحدهم استرداد أمواله، أليس كذلك؟ إنها صدقة".

"لا يمكن التنبّؤ بذلك أبدًا، يا صديقي، فليس الجميع كرماء مثلك ومثلي ومثلْ نينا، أصحيح ما أقوله؟".

"حسنًا، أنت بحاجة إلى شخص يحلّ مكانه...".

سأله هاريش: "نعم، تمامًا، هل يمكنك أن تحلّ مكانه؟". كانا يعرفان أنه لم يكن يطرح عليه السؤال.

"إن ظهري يؤلمني، يا صديقي، كما تعلم، وصحّتي ليست بخير".

واصل هاريش حديثه، وكأن موكيش لم يتفوّه بكلمة على الإطلاق، وختم المحادثة بقوله: "شكرًا لك، سنلتقي في المعبد يوم السبت القادم عند الساعة الثامنة صباحًا، أشكرك مجددًا، يا صديقي، إلى اللقاء".

نظر موكيش إلى ابنته، التي كنت تشاهد قناة زي على شاشة التلفاز، وهي تهزّ رأسها انسجامًا مع إيقاع الموسيقى.

سألته من دون أن تعير كلامه اهتمامًا: "من كان المتصل؟".

"إنّه هاريش زوج عمّتك".

سألت روهيني والدها، وقد ارتسمت ملامح الازدراء على وجهها: "ماذا يريد منك؟"، فقد كانت تكره هاريش بقدر ما يكرهه موكيش.

"يريدني أن أحلّ مكان ساهيل في المسيرة التي يرعاها المعبد يوم السبت المقبل".

ضحكت روهيني، ولكن ملامح موكيش ظلّت خالية من أي تعابير، فتوقّفت عن الضحك.

قالت: "هل تعلم أنها مسيرة عشرة كيلومترات هذا العام؟".

ازدرد موكيش لعابه، فهو لم يكن مستعدًا للمشي من أجل أي شخص آخر غير نينا التي كانت تحتفظ بكتاب صغير حول أفضل أماكن التنزه سيرًا على الأقدام في لندن، وكانت تشتكي دائمًا من أنهما عاشا في عاصمة إنكلترا، وبالكاد غامرا بالخروج من برنت طوال السنوات التي قضياها فيها.

في العادة، كان يشعر بالملل الشديد أيام السبت، فيتّصل ببناته الواحدة تلو الأخرى، ويتحدّث إلى أحفاده، ثم يتابع ما فاته من برنامج عالم البستاني، على الرغم من أن حديقته لم تكن سوى عدة بلاطات مرصوفة، إلا أنّه أحب سهولة الحفاظ عليها ومرونتها، كما كان يتابع باستمرار برنامج الكوكب الأزرق، ولم يكن يدري إذا ما كان على وشك كسر روتينه بشكل جذري تمامًا، فقد غامر بالفعل بالحصول على بطاقة عضوية المكتبة... وإضافة المسيرة إلى مخطّطاته يعدّ خطوة جريئة جدًا.

"بابا، إنها مبادرة لطيفة حقًا، فهم يريدونك أن تشارك في هذا العمل الخيري".

"لماذا يريدونني أن أشارك في أي عمل؟ هل اجتياز مسافة عشرة كيلومترات سيرًا على الأقدام يفيدني؟ لمَ لم يدعوني إلى مسيرة الخمسة كيلومترات؟".

"ربما لأنهم يعتقدون أنك بحاجة إلى مزيد من البهجة".

"إن الأمر مضحك جدًا!".

"ألست بحاجة فعلًا إلى ذلك؟".

"لا، أنا أرمل، ومعظم الأرامل وحيدون ويشعرون بالملل، إلا أنّه لدي أنت وبريا، وشقيقتاك والتوأم، وكل أموري بخير".

"أبي، شارك فحسب، ولا تمشِ مسافة طويلة إذا لم تستطع فعل ذلك، فأنت لست عجوزًا جدًا، أليس كذلك؟".

عدّل موكيش جِلْستَه، وشدّ كتفيه إلى الخلف، ونفخ صدره، فقد سبق له أن رأى ذات مرة زوج ابنته يفعل ذلك قبل أن يهرول، وقال: "يمكنني المشاركة في المسيرة، ولكنني لا أرغب في ذلك، فليس لديّ وقت".

حاولت روهيني إخفاء ابتسامتها.

أردف قائلًا: "أستطيع المشاركة حقًا!"، فقد حاول موكيش ألا يبدو مُهانًا.

قالت روهيني، وهي تتفحّص ابنتها، وهي تشخر بصوت خافت على الكرسي: "صحيح، أعتقد أنه من الأفضل أن نعود إلى المنزل، فستستغرق العودة بضع ساعات، وبريا لديها بعض الواجبات المدرسية التي يجب عليها إتمامها"، هزّت بريا بلطف لإيقاظها، ففركت عينيها الناعستين، وللحظة بدت تلك الفتاة الصْغيرة التي اصطحبها موكيش إلى الحديقة أيام الجمعة بعد العودة من الحضانة، والتي جلست على حجره وهي تشاهد أفلام الكرسمس، تلك الفتاة الصغيرة التي استغرقت في النوم، وهي تقرأ كتابًا مصورًا حملته بين ذراعيها. كان يعلم، بينما كانت تكبر، أنها لا تريد أن تقضي الوقت مع جدها العجوز، خاصة إذا لم يكن لديهما ما يتشاركانه معًا، والوقت بدأ ينفد، أليس كذلك؟

قال موكيش: "يمكنكما البقاء هنا إذا أردت، فلا أريدك أن تقودي سيارتك في وقت متأخر جدًا، خصوصًا إن كنت متعبة".

"لا، يا بابا من الأفضل أن نعود إلى المنزل".

كانت كلماتها لاذعة، ولم يتوقّعها، فقد مرّت سنوات منذ انتقال روهيني إلى منزلها، ولكنه لا يزال يعتبر أن هذا المنزل منزلها.

تابعت روهيني كلامها، وهي تضع حقيبتها على كتفها: "حظًا سعيدًا في مسيرتك يوم السبت المقبل، استمتع بوقتك".

سألت روهيني بريا، وهي تمسح براحة يدها جبين الفتاة مبعدة بعض خصلات الشعر المبعثرة عن عينيها: "هل أحضرت كلّ أغراضك؟"، أومأت إليها بريا برأسها، وقبل أن تخرجا من الباب، جثا موكيش على ركبتيه بصعوبة ليقول وداعًا لبريا، حفيدته الصغيرة التي لم تعد صغيرة، ولكنها مشت أمامه مباشرة، وقفزت إلى السيارة استعدادًا للعودة إلى المنزل، فرسم ابتسامة على شفتيه وهو يلوّح لهما، وعندما أغلق الباب، شعر بالوحدة أكثر من أي وقت مضى.

[#]

استلقى موكيش على فراشه في ذلك المساء في غرفة النوم التي تشاركها في السابق مع نينا، وعظامه تصدر صريرًا، فهمس قائلًا: "وداعًا"، وألقى رأسه على وسادته، وهو يحدّق إلى السقف، وقد تسلّل ضوء الشمس المحتضر من خلال شقوق الستائر، فألقى بظلاله التي توهّجت بلون برتقالي انعكس على طلاء الجدران، فأغمض عينيه طوال الليل، وهو يصلّي آملًا في أن يستيقظ ويجد نينا إلى جانبه، لقد أدرك أنّه إذا كان سيتعرّف أخيرًا إلى حفيدته لكسب ثقتها واحترامها، فقد يضطرّ إلى البدء في إجراء بعض التغييرات، كما أدرك أن المكتبة كانت المفتاح الذي سيُتيح له الوصول إلى قلبها، ولكن ماذا عن المسيرة؟ إنه على يقين من أنها لا يمكن أن تؤثّر على مخططه، أليس ذلك صحيحًا؟

الفصل 6

أليشا

شعرت أليشا بالارتياح لأنها قضت اليوم خارج المنزل، وبدت لها ليلى وكأنها بخير، وهي تنظّف المطبخ الذي بدا نظيفًا بالفعل من الأعلى إلى الأسفل. مشت أليشا على طول الطريق السريع، وهي تدنو تارة من المارة الذين يتجوّلون في كل اتجاه وتبتعد عنهم تارة أخرى، متجاهلة الرجال الذين يتحدّثون عبر الهواتف، كما تجاوزت الملعب الفارغ تقريبًا في هذا الوقت من اليوم، فلا مباراة أو حفلة موسيقية أو أي نشاط آخر يُقام فيه، ولكن حركة المرور كانت كثيفة كعادتها، والسيارات تُطلق العنان لأبواقها، ويمكن تنشّق رائحة عوادمها، وهذا ما جعل العصارة الصفراء في معدتها ترتفع إلى حلقها.

تجوّلت في أرجاء المدينة بين المنازل التي حوّل التلوّث لون شرفاتها البيضاء إلى اللون الرمادي المغبر، وتجاوزت المعبد الهندوسي الذي ينتصب شامخًا بعظمته وبجمال حجارته الرخامية، وقد تجمّع حشد يضمّ مجموعة من الصغار والكبار في الفناء الأمامي، وهم يتبادلون الأحاديث بحماسة، فجلست على حافة الحائط المقابل لهم، وراقبت المشهد برهةً وهي تقضم أظافرها، فكان من بينهم قلة من الرجال يتجاذبون أطراف الحديث ويضعون أساور حمراء وصفراء حول معاصمهم، فخطر على بالها الرجل العجوز الذي رأته في المكتبة، وتذكّرت أنّه وضع حول معصمه سوارًا يشبهها، وعندما تفرّق الحشد، اتّجهت إلى محطة ستونبريدج بارك، وقيظ الصيف يحرق جلدها.

إنه منتصف النهار، وقد بدا أن للجميع أهدافًا يسعون خلفها، فبعضهم يعودون إلى منازلهم بهد انتهاء دوام عملهم، وبعضهم الآخر يتّجهون إلى وردياتهم المسائية، ما جعلها تتعاطف معهم، بينما كان آخرون يهيمون على وجوههم على غير هدى مثلها تمامًا، لأنه لم يكن لديهم ما يقومون به في هذا الجو الحار وشديد الرطوبة.

خطف شاب يعتمر قبعة صغيرة بصرها... فكرت في هذا الجو الحار؟ لا بد أنّه يشعر بالحر الشديد. كانت لحيته خفيفة ومنسقة بعناية، وتلائم ملامح وجهه، وكانت عيناه خضراوين ونابضتين بالحياة ونظرتهما حادة، وكان قميصه ذو الألوان الزاهية فضفاضًا، ويتدلّى من فوق بنطاله الجينز، فراقبته لفترة إلى أن استقلّ القطار بهدوء، وكأنه لا يكترث لكل ما يجري حوله، أو كأنّه وحيد، ولا أحد في حياته يريد أن يثبت له ما يقدر على فعله. لم تستطع أليشا معرفة سبب انجذابها إليه، ولكنها بدت مفتونة به ومهتمة بالتعرّف إليه، فركبت بدورها القطار من دون أن تعرف وجهته حتى أعلن مساعد السائق عبر مكبر الصوت الوجهة النهائية للقطار، وهي منطقة الفيل والقلعة. جلس الشاب على مقعدين مباعدًا بين ركبتيه، وقد يكون اتّخذ هذه الوضعية لأنه لا يستطيع أن يفعل غير ذلك.

أخرج هاتفه وتصفّح بعض المواقع، وهو يدرك أن لديه فترة قصيرة حتى يسير القطار في النفق تحت الأرض، وينقطع إرسال شبكة الهاتف الخلوي، فأخرجت هاتفها، وبدلًا من أن تنظر إلى شاشته، حدّقت إلى الشاب الذي يجلس إلى يسارها، إلا أنها لم تعد واثقة أكان شابًا أم مجرد فتى.

مرّرت أصابع إحدى يديها بين خصلات شعرها، من دون أن تكفّ عن النظر إليه، ولبرهة ألقى نظرة خاطفة إلى الأعلى، فتبادلا نظرات عابرة.

ما كان منها إلّا أن أعادت التحديق إلى هاتفها بتوتر، لا تدري ما يجب أن تفعله. فتحت برنامج تندر للمواعدة، وهو برنامج لم يسبق لها أن واظبت على استخدامه على خلاف جميع صديقاتها اللواتي يستخدمنه طوال الوقت، لتكوين صداقات، والخروج بمواعيد غرامية كل ليلة على مدار أيام الأسبوع، أما بالنسبة

إليها فلم يكن لديها الوقت الكافي للمواعدة وإقامة علاقات مع الشباب ومرافقتهم بمواعيد غرامية، ولكنّها في بعض الأحيان عندما كانت تتظاهر بأن حياتها مختلفة، وتملك مساحة من الحرية، كانت تطّلع على هذا البرنامج لمجرد تصفّحه.

هل كان هذا الشاب يستخدم تطبيق تندر أيضًا؟ ماذا لو كانت قد رفضت مواعدته سابقًا من دون تفكير؟ لا بل أسوأ من ذلك، ماذا لو كانت قد وافقت على مواعدته؟

ضغطت على زر الصفحة الرئيسية بسرعة لإخفاء التطبيق عن ناظريها، ثم وضعت هاتفها في جيبها مذعورة، وبما أنه كان يمرّر إصبعه على هاتفه مرة أخرى، فلم يلحظها أو ينتبه لما قامت به، حتى أنه لم يلتفت إليها، فمسّدت جيب بنطالها الجينز، وشعرت بالدفء ينبعث منه عبر جيب بنطالها.

مجددًا نظرت إلى الأعلى، وسمحت لعينيها بأن تتجوّلا في أرجاء المقصورة قبل أن تستقرّا على خريطة سير قطار الأنفاق، كما لو أنها لم تكن تنظر إلى أي شيء آخر على الإطلاق، فسحبت كتاب *لا تقتل عصفورًا ساخرًا* من حقيبتها...

عندما حاولت للمرة الأخيرة التظاهر بأنها غير مهتمة به. وصل القطار إلى كوينز بارك، فلم يترجّل أي راكب من ركاب المقصورة الخمسة، ولا يزال ينتظر كل واحدٍ منهم الوصول إلى المحطة التي يقصدها، فبدأت بالقراءة، وعيناها تحدّقان إلى الصفحة من دون تركيز، وبينما كانت تحاول أن تتذكّر المحطة التي توقّف فيها القطار سابقًا، رنّ هاتفها.

كان المتصل إيدان.

حاولت أن تتحكّم في قدرتها على أن تكون واعية بذاتها، فقالت وهي تهمس إليه: "مرحبًا"، ما إن نظر الشاب إليها، حتى احمرّ خداها وشعرت بالحرج.

قال لها: "ارجعي إلى المنزل، يا ليش".

"لماذا؟".

"هل يمكنك العودة إلى المنزل خلال ساعة؟".

"لماذا؟ هل أنت في المنزل؟".

"نعم، عودي فقط إن كنت تستطيعين، أنا..."، ثمّ صمت قليلًا.

"ما الأمر يا إيدان؟".

قال بنبرة هادئة: "أنا بحاجة إليك".

ثم أنهى الاتصال، فشعرت أليشا على الفور بضيق في صدرها، فقد بدت ليلى بخير هذا الصباح، أليس كذلك؟ لقد كانت بخير في ظل هذه الظروف.

لم يسبق لإيدان أن قال لشقيقته الصغيرة: "أنا بحاجة إليك"، فمنذ أن غادر والدهما المنزل، وإيدان يحاول يائسًا التخلص من كل تلك الذكريات، ولم تعرف حينها لماذا أراد التخلص من كل التفاصيل الصغيرة الخاصة بوالدهما وإبعادها عن منزلهم.

لقد كان ذلك في الصيف نفسه الذي تخلّى فيه إيدان عن مقعده الجامعي في كلية إدارة الأعمال، تخلّى عن مقعده حتى *تستقرّ* الأمور مرة أخرى. عندما كانا طفلين كانت تتظاهر بأنها زبونته المتعجرفة على وجه الخصوص في متجره، ولم تشكّ أبدًا طوال تلك السنوات في أن شقيقها سيحوّل ذلك الحلم إلى حقيقة، وسيحوّل متجره الافتراضي الذي حلم به، والذي احتوى على أدوات المائدة التي أدّت دور البضاعة المعروضة للبيع إلى حقيقة، ولكن الأحوال تزعزعت مرة أخرى، ولم تكن أليشا متأكدة مما إذا كانت ستستقرّ من جديد.

تردّدت عبارة *أنا بحاجة إليك* في رأسها، وما إن توقّف القطار، حتى نظرت إلى الشاب نظرة أخيرة قبل الترجّل منه والتوجّه إلى الرصيف حيث كان قطار العودة ينتظر في المحطة، وكأنه ينتظرها ليعيدها إلى المنزل، فوقفت واضعةً ثقلها على إحدى قدميها، وأرخت القدم الأخرى، ثم نظرت إلى هاتفها محاولةً التظاهر أمام العالم كله بأن نيتها تنفيذ خطتها التي أعدّتها، وأن لديها حياة مفعمة بالحماسة والإثارة.

نظرت خلفها آملة في أن تلمحه مرة أخرى، إلا أن القطار كان قد مضى.

[#]

وقفت على عتبة باب منزلها، وهي تنظر إلى النوافذ، تسترق السمع آملة في أن تحصل على دليل - ولو صغيرًا- يكشف لها ما يجري في الداخل، ولكن كل ما سمعته كان صوت مروحية تحلق على بعد بضعة شوارع، بينما كانت النسمات تداعب شعرها بلطف ورقة.

قبل أن تتحلّى بالشجاعة لإخراج المفاتيح من جيبها ووضعها في القفل، جعلتها نغمة رنين هاتفها تقفز في مكانها، ثم انفتح الباب فجأة، فوجدت شقيقها يقف أمام المدخل، وهو يضع هاتفه على أذنه.

قال مضطربًا، وهو يضع هاتفه جانبًا: "أخيرًا وصلت، يا أليشا، لماذا لا تزالين واقفة في مكانك؟".

"لا أدري فقد وصلت توًّا، ولكن ما الأمر؟".

قال لها، وهو يحاول أن يتجنّب النظر إلى عينيها: "يجب أن أُغادر في الحال"، ثم بدأت عيناه تجولان في كل مكان، فنظر خلفها، ونظر إلى الأعلى، ثم نظر إلى قدميها متحاشيًا النظر إلى عينيها.

حدّقت إليه باستغراب، وهي تحاول اكتشاف ما يجري له، وقالت: "إلى أين أنت ذاهبْ؟".

قال لها باقتضاب: "إلى العمل، هل يمكنك البقاء إلى جانبها؟". أصغت إليه وهي متسمّرة في مكانها، فشعرت وكأن قدميها متجذرتان في الأرض.

سألته مستغربة: "لماذا؟ هل للأمر علاقة بصحة أمي؟"، وقد تفحّصت وجهه بحثًا عن أي تلميح بشأن حالة ليلى أو ما يتعيَّن عليها القيام به، ثم أردفت قائلة: "اعتقدت أنك في فترة استراحة إلى ما بعد الظهر".

كان يحدّق إلى مفاتيح سيارته، وهو يقول: "صحيح ... ولكنني استُدعيت في اللحظة الأخيرة، اسمعي، أنا آسف حقًا، ولكنني لا أريد أن أتركها وحدها".

تقدّمت إلى الأمام، ولكنه لم يفسح لها المجال للدخول، وقد بدا جليًا أنه يخفي عنها أمرًا مهمًا، فقالت قلقة: "هل هي بخير؟". حاولت إخفاء الذعر الذي

تشعر به، في الوقت الذي ومضت جملة *أنا بحاجة إليك* في ذهنها مجددًا.

"نعم، يا ليش، أنا آسف، إنها بخير، ولكنني... كما تعلمين، كانت حياتنا مزيجًا من الفرح والترح، وقد طرأت عليّ بعض الأعمال التي ينبغي عليّ إنجازها بأسرع ما يمكن، وقد شعرت بالتوتّر لأنني كنت أجهل مكانك، كما أنك لم تتركي لي أي ملاحظة".

رأت أليشا حالة الذعر التي تظهر على ملامح وجه شقيقها، وأحسّت بمخاوفه التي تضغط على أعصابه فتوتّره، وقد لمعت في عينيه للحظة شرارات الهلع، ولكنها ما لبثت أن طردت تلك الأفكار من رأسها، فهو لم يسبق له أن شعر بالهلع، وهو يواجه كثيرًا من الأزمات بشجاعة وقوة من دون أن يستسلم لها أو يسمح لها بأن تضعفه، كما أنه أكثر من يستطيع أن يكبح مشاعره بينهم. ويقول الخال جيريمي عنه دائمًا: "هذا الشاب، يحمل أعباء العالم على كتفيه بامتنان عظيم"، وهو محق في كلامه.

قالت متهكّمة: "حسنًا، هل ستسمح لي بالدخول أم إنّني بحاجة إلى كلمة مرور سرية للقيام بذلك؟".

قال لها وهو يفسح المجال: "نعم، ادخلي، فأنا آسف"، ثم أخذ حقيبته المعلقة على المشجب، وتوجّه إلى الخارج، ورسم ابتسامة مصطنعة على وجهه، ولكن عينيه لا تزالان تخفيان حقيقة لم يستطع البوح بها، وقد لمعت فيهما شرارات الخوف برهةً.

ألقت أليشا حقيبتها في الردهة، وقالت له: "لا بأس، أراك لاحقًا"، تحدّثت إليه بلهجة هادئة، بينما أرادت في الحقيقة أن تصيح في وجهه بغضب: "لا تتلاعب بأعصابي باستغلال بطاقة *أنا بحاجة إليك* عندما يكون كل شيء يسير على ما يرام"، وأن تخبره بالخوف الشديد الذي تملّكها بعد أن تحدّث إليها عبر الهاتف، كما أرادت أن تناديه وأن تصرخ في وجهه صرخة مدوية.

أخيرًا قال لها بصوت خافت أكثر رقة وأقلّ حدة: "إن وردية عملي أقصر من المعتاد اليوم"، ثم لمعت عيناه ارتياحًا ما إن وطأت قدماه الرصيف، وأصبح خارج المنزل، فلاحظت أنه لم يسبق لها أن رأته يقوم بردة فعل صاخبة وهو يغادر المنزل،

ثـم أردف قـائلًا: "سـتنتهي ورديتي عنـد السـاعة الثامنـة، أراك حينهـا، ويمكنـك أن تتّصلي بي إذا احتجت إلى أي شيء، هل اتفقنا؟".

"اتفقنا".

قال لها، وهو يستقل سيارته: "سأحضـر لـك البيتـزا أو أي طعـام جـاهز آخـر، لأعوض عليك. أرجو أن تقبلي اعتذاري، لأننا أفسدنا لك مخططاتك".

علمـت أنـه يقصـد مـن *نـا* المتكلّمـين أنـا وأمـي، فهـو يعلـم أنهـا لا تسـتطيع أن تغضب عليه إن كان ما يسعى إليه تحقيق مصلحة أمهما.

صاحت قائلة: "أنا أكره البيتزا!".

لوّحت إلى أخيها، ودخلت إلى غرفة الجلوس، وهي تخطو بحذر آملة أن تكـون والدتها لا تزال نائمة في سريرها كما تركتها قبل أن تغادر المنزل، ولكنهـا رأتهـا جالسـة على الأريكة تشاهد برنامجًا تتحدّث فيه كل شخصية لغة مختلفة عن الأخرى.

قالت لها أليشا، وهـي تحـاول الحفـاظ علـى هـدوء نـبرة صـوتها: "أمـي، لمـاذا تشاهدين هذا البرنامج؟".

بدت ليلى عاجزة عن الرد، فاكتفت بهزّ كتفيها قبل أن تتمتم قائلة: "إنّـه مهـدّئ للأعصاب".

نظرت أليشا إلى التلفاز، فبـدا عرضًـا دراميًـا مبالغًـا فيـه، وقـد رافقتـه موسـيقى صاخبة، كما ظهـرت ملامـح التـوتر علـى وجـوه الجميـع ونظـراتهم، حتـى إن نظـرة إحدى النساء بدت حادة كالسهم. *مهدّئ للأعصاب*؟

بدت نظرت ليلى خاوية، وكأنها لا تعي ما يجري حولها.

"أتريدين كوبًا من الشاي؟".

"لا، شـكرًا"، بـدت شـفتاها جـافتين، ومـال لونهمـا إلـى الرمـادي قلـيلًا، وقـد تصبّبت جبهتها عرقًا، وتجمّعت بضع قطيرات من الماء أسفل شفتها العليا.

عندها أدركت أن مسار أحداث هذا اليوم سيكون مأساويًّا، فمنذ فترة لـم تشـهد حياتها تغييرًا إيجابيًا. وكان إيدان يبرع في توقّع ما يجري، لذا أصرّ على ذهابهـا، وقـد

جعلها ذلك تندم على مغادرتها هذا الصباح، وتركهما وحدهما يواجهان هذه المعاناة، فهو على خلافها يُحسن التعامل مع حالتها، وهي تحتاج إليه الآن وتفتقد وجوده، وقد وتّرها مجرّد التفكير في الأمر، لأنها لا تعرف كيف يمكنها أن تبعث الطمأنينة في نفس ليلى اليوم.

في المطبخ، استندت بكلتا يديها إلى الطاولة قبل أن تسحب كوبها المفضل الذي اشتراه لها والدها، وهو ملوّنٌ يدويًا وفقًا لما أشارت إليه البطاقة الملصقة أسفل قعره، وقد رُسم عليه صورة ملاك أشقر الشعر، وأزرق العينين، وبالتأكيد لم يكن ملاكها المفضّل. عندما كانت أصغر سنًا، أقنعت نفسها بأنّ والدها يراها على هذه الصورة، ويعتبرها ملاكًا صغيرًا أشقر الشعر وأزرق العينين وشاحب البشرة.

نادتها ليلى بينما كانت تسخّن الماء في الإبريق، وقالت لها: "أعدّي لي كوب شاي، من فضلك"، فأبدت أليشا امتعاضها، وهي تغسل متأففة كوب أمها المفضل الذي رُسم عليه شعار فيلم حرب النجوم، بعد أن ترك في المجلى عدة أيام، فالتصقت به بقع القهوة الداكنة والسميكة على شكل حلقات.

ما إن غلى الماء في الإبريق، حتى صبّته فوق كيسي الشاي اللذيذ في الكوبين، واستمتعت بمشاهدة تحوّل لون الماء الشفاف إلى لون ذهبي صافٍ، وبعد أن تلوّن الماء أضافت قليلًا من الحليب في كل كوب.

ثم حملت الكوبين، وتوجّهت إلى غرفة الجلوس بحذر، وعيناها مسمّرتان على السائل خوفًا من أن ينسكب من الكوبين، وإلا فلن تكفّ أمها عن توبيخها والصراخ في وجهها إن أراقت قطرة واحدة.

وضعت الكوب بهدوء على الطاولة بجانب ليلى، وما إن أوقفت عمل التلفاز، حتى غرقت أمها في النوم، وأخذت تشخر بهدوء.

جلست أليشا على الكرسي المقابل لوالدتها، وراقبتها لفترة، ثم انبعث من الخارج صوت صبية يركبون دراجاتهم في الشارع، وهم يطلقون الشتائم، كما سمعت ضحكات أمهاتهم، وهن يتجاذبن أطراف الأحاديث، ويدفعن عجلات عربات أطفالهن. في النهاية

تنهّدت، ونهضت من مكانها، عندما رأت شاشة هاتفها تومض على الطاولة. كان الاتصال من والدها، فحملت هاتفها، وغادرت الغرفة، ثم أغلقت الباب خلفها بهدوء.

إنها المرة الأولى التي يتّصل بها دين منذ ثلاثة أسابيع. رفعت إصبعها وتردّدت بين الضغط على الزر الأحمر أو الأخضر، فشعرت بالحيرة لأن التحدث إلى دين وليلى في الغرفة المجاورة يعتبر خيانةً بحقّها، ولكنها إن ضغطت على الزر الأحمر يمكن ألا يعاود الاتصال بها، بعد أن أسّس حياة عائلية سعيدة الآن، وأصبح لديه زوجة متفهّمة وأولاد جدد، ولديه أعذار كثيرة للكفّ عن معاودة الاتصال بها، كأن يقول لها: "أنا مشغول جدًا، يا عزيزتي".

همست إليه قائلة، ويدها تغطّي فمها: "مرحبًا"، محاولة ألا يبدو صوتها مفعمًا بالأمل، وأن تجري معه محادثةً عاديّة.

"مرحبًا، يا حبيبتي!"، كان صوته مفعمًا بالتفاؤل والحماسة ويطرب الآذان، كما بدا سعيدًا، وقد أمكنها أن تسمع الثرثرة المنبعثة من منزله في أثناء المحادثة.

"مرحبًا، يا أبي، أين أنت؟".

"أنا في المنزل، والأولاد يشاهدون فيلمًا، أين أنت؟ لماذا تهمسين؟".

"أنا في المنزل، وأمي نائمة".

"هل أنت بخير؟ كيف حال إيدان؟".

"إنه يعمل في الوردية المسائية، وأمي ليست في أحسن أحوالها الآن، فلم تعد تتلقّى عروض عمل جديدة في مجال التصميم منذ بعض الوقت، لذلك نحن نبذل قصارى جهدنا لتسديد المستحقات المالية وتوفير احتياجاتنا".

لطالما أحبّت أليشا رؤية والدتها وهي تعمل، وقد أعجبتها رسومها في بعض الأحيان، ولكن عندما كانت تنتابها تلك النوبات، كانت تكفّ عن العمل، وتبعد حاسوبها عنها، وتدمّر كل المواد التي تستخدمها، وبعد ذلك ترفض قبول عروض العمل التي تُقدّم إليها، فكانت تلك الأعراض الأولى التي تؤكّد لأليشا وإيدان أن حالتها لم تكن مستقرة.

"أليشا، تعرفين أنّك إن أردتِ الهرب من جو المنزل الكئيب، يمكنكِ أن تزورينا وتقضي بعض الوقت، فنحن نرحّب بحضورك، وتسرّنا رؤيتك، هل بدأت عطلتك الصيفية الآن؟".

"نعم، لقد أنهيت امتحاناتي النهائية، ولكن... أنا أعمل، ربما في وقت آخر؟ عندما تصبح الأمور أكثر هدوءًا، أيًا يكن الأمر، فأنا أحاول أن أملأ الفراغ بقراءة الكتب التي يمكن أن تساعدني للتحضير إلى تقديم طلبات التسجيل إلى كليات مختلفة، فالمنافسة شديدة على دخول كلية الحقوق، ويريدني إيدان أن أدرس بجد لتسنح لي الفرصة أن أكون من المقبولين"، ثم حدّقت إلى الحائط، وتخيّلت والدها يجلس في منزله الناصع البياض، وأولاده يشاهدون التلفاز، وهم يضحكون ويمزحون، ويتجاذبون أطراف الحديث، فتساءلت عن مدى نقاء الهواء في منزله الجديد.

"بالطبع، أتفهّم ذلك جيدًا، يا عزيزتي، وأنا سعيد لأنك تأخذين الأمر على محمل الجد"، ثم صمت قليلًا، فسمعت أليشا صوت أحد أبنائه يناديه: "أبي".

"أنا آسف حقًا، يا أليشا سأتّصل بك قريبًا، وكما قلت لك إننا نرحّب بزيارتك في أي وقت".

قالت أليشا: "أشكرك على دعوتي، يا أبي".

"حسنًا، يا عزيزتي، أحبّك"، أنهى المكالمة من دون أن يسمع ردّها.

تابعت كلامها عبر الهاتف، على الرغم من أن والدها لم يكن متصلًا بها الآن، وقالت: "وداعًا"، ثم بدأت تتصفّح سجل المكالمات في هاتفها بيأس، لتشغل نفسها، وتطرد الأفكار السلبية من دماغها، وتتجنب وقوعها فريسة الصمت المطبق الذي يعمّ المنزل.

إيدان، إيدان، إيدان، المنزل، المنزل، كايل، ديف، كايل، المنزل، إيدان.

انتقلت مباشرة إلى قائمة أسماء معارفها، وضغطت على كلمة "اتصال" بجوار اسم راشيل، واستمعت إلى نغمة الاتصال، فتمنّت ألا ترد راشيل، إذ لم تكن تعرف

حقًا ما سيكون ردّها، ولكن التحدث إلى والدها وسماع صوته الذي دلّ على شعوره بالسعادة والراحة، جعلها تحسّ بأن لا قيمة لها أكثر من أي وقت مضى.

بدا صوت راشيل، وكأنها تزقزق، عندما قالت: "مرحبًا، يا ابنة عمتي الصغيرة!".

أجابت أليشا، وهي تحاول إخفاء الحزن الذي طغى على نبرة صوتها: "مرحبًا، كيف حالك؟".

"أنا آسفة جدًا، يا حبيبتي، ولكنني برفقة أصدقائي في الوقت الحالي، هل يمكنني معاودة الاتصال بك لاحقًا؟".

أجابتها أليشا برقة لم تعهدها من قبل: "لا تقلقي، لا تقلقي"، فهي لم ترغب في جعل راشيل تشعر بالذنب لأنها تعيش حياة طبيعية، وتابعت كلامها قائلة: "سنتحدّث هذا الأسبوع، أليس كذلك؟ تصبحين على خير"، تنهّدت بعمق وهي تنهي الاتصال، فالصحبة الوحيدة التي ستلازمها في المستقبل القريب هي غطيط والدتها المتواتر.

[#]

كانت ليلى تنام بسلام وهي لا تزال جالسة على الأريكة، وقد أسندت رأسها إلى كتف أليشا، فشعرت للحظة برغبة في هزّها بقوة، وإيقاظها من نومها وهي تصرخ في وجهها: "أمي، تحدّثي إليّ! دعينا نتحدّث!"، ولكن تلك الرغبة تبدّدت بالسرعة نفسها التي شعرت بها.

أخرجت قائمة القراءة من حافظة هاتفها، وفتحتها ثم أعادت طيّها بيديها، وبعد ذلك أخرجت ببطء كتاب *لا تقتل عصفورًا ساخرًا* من حقيبتها، لقد اعتنى شخص ما بهذه القائمة ونسّق فيها الكتب، ولكن ما هو موضوع هذا الكتاب؟ لماذا اختاره دون غيره من الكتب؟ هل أدرك من كتب قائمة قراءة الكتب أن قصاصة الورق الخاصة به ستصبح قائمة كتب شخص آخر أيضًا؟

نظرت إلى الكتاب وهي تشعر بالإحراج بعض الشيء، فتذكّرت الارتباك الذي انتابها عندما فتحته للمرة الأولى، كما لو أن كل شخص في المكتبة كان يراقبها، ويتساءل عما تفعله، ويسخر منها لأنها تتصرّف وكأنّها دودة كتب، ولكنّها في المنزل وحدها الآن، ولا أحد يمكن أن ينتقد تصرّفاتها أو يحكم عليها.

قوّست الصفحات بين يديها، وبدأت بالقراءة، في البدء كانت واعية لذاتها، وكانت تهمس كل كلمة تقرؤها بحذر، كما لو أنها تقرأ بصوت عالٍ في فصل اللغة الإنكليزية، ثم بدت وكأنها تستمتع بإيقاع الكلمات المتناغم، فسمحت لكل كلمة أن تستقرّ في عقلها، كما كانت تتوقّف عن القراءة كل بضعة أسطر لتتأكّد من ظهور علامات تشير إلى استيقاظ ليلى، ولكن والدتها لم تحرّك ساكنًا. وقد لاحظت أن هذا الكتاب جعلها تلج عالمين: العالم الواقعي والمتمثّل بالجلوس إلى جوار والدتها في منزلهم الرطب في ظل ارتفاع درجات الحرارة، وعالم جيم وسكوت اللذين يعيشان في مايكومب، تلك البلدة الصغيرة في ألاباما، وهما يمضيان وقتهما يلعبان في الخارج، ويتصرّفان برعونة طفولية. كانت مستعدة أن تفعل المستحيل لترى الحياة من خلال عيون الأطفال من جديد، فلا تكون جدية للغاية وشديدة الحزم، ولا يكون الجيران فيها مُخيفين أكثر من أن يكونوا يحبّون التسلية الممتعة، حياة تكون الأسرة فيها تعني المنزل الدافئ فقط، كما أنها من خلال الصفحات القليلة الأولى، عرفت أنّ سكوت تحدّ من حرية جيم بكل تأكيد، ومع ذلك كان يتحمّلها.

التفتت أليشا إلى ليلى التي لا تزال عيناها مغمضتين، وقالت: "أمي، بمن يذكّرك سكوت وجيم؟ ألا يذكّرانك بأحد؟"، ابتسمت أليشا ابتسامة خفيفة، فهي لا تنتظر ردًا، ثم نظرت إلى الصورة المعروضة على رف الموقد، وقالت: أليشا وإيدان وهما في سن السابعة والخامسة عشرة، يعانقان بعضهما، وقد أجبرتهما ليلى على فعل ذلك، بينما كانت تقوم بالإخراج من خلف الكاميرا، وقد ظهرت على وجهيهما علامات الضيق والاستياء.

ابتسمت، وهي تفكّر وحدها في مرحلة طفولتها.

ثم قابلت أليشا والد سكوت وجيم، وكان يدعى في الرواية أتيكوس، وقد بدا ذلك منطقيًا لأنه كان شخصًا مهمًا، وقد بدت لفظة أبي لفظة عامة ولا تناسب أتيكوس، فقد كان محاميًا حكيمًا وطيبًا وعادلًا...، ثم التفتت إلى ليلى، فظهرت على وجهها ابتسامة، فهمست إليها قائلة: "أمي، إنّه محامٍ!".

"يبدو أنّه شخصية مهمة في بلدتهم الصغيرة"، وقد استطاعت أن ترى أتيكوس من خلال عيني سكوت، فبدا رجلًا ضخمًا وقويًا، يفرض احترامه على الآخرين، فتذكّرت بأنها كانت تعتبر والدها منذ زمن طويل على هذا الشكل، والغريب أنه أصبح مع انقضاء مرحلة الطفولة مجرد إنسان عادي تنتابه المخاوف، كما تنتاب أي إنسان تمامًا.

قالت بنبرة هادئة: "أمي، أظنّ أنني أتمسّك بهذا الشيء"، ظنّت أنها رأت ليلى تتحرّك، وأنها فتحت عينيها قليلًا لبرهة من الزمن، وعندما لم تنبس بكلمة، جلست أليشا على الأريكة، واحتضنت والدتها بالطريقة التي اعتادت عليها عندما كانت طفلة، وحملت الكتاب بين ذراعيها، ثم أغمضت عينيها وغطت في نوم عميق.

[#]

في صباح اليوم التالي، استيقظت أليشا، وكانت تحتضن الكتاب بيديها، وكان غلافه البلاستيكي الناعم ملتصقًا بجلدها الذي يتصبب عرقًا، ثم نظرت في أرجاء الغرفة، فظنّت لثانية أنها رأت طفلة صغيرة جالسة على الكرسي المقابل لها، وركبتاها مكشوطتان، وبنطالها قصير، ورجلاها متسختان قليلًا من كثرة غبار ألاباما. إنّها سكوت، في تلك اللحظة الأولى من اليقظة، لم تعد في ويمبلي، بل كانت في مايكومب. نظرت إلى الجانب الآخر من الأريكة، وهي تتوقّع أن ترى ليلى، لتسألها عما إذا كانت تشاركها هذه اللحظة أيضًا، ولكن ليلى لم تكن هناك، وأليشا وحدها تمامًا، وللمرة الأولى منذ فترة طويلة، لم يكن الصمت الذي ساد في المنزل خانقًا، بل كان يمكنها أن تتنفس بعمق.

الفصل 7

موكيش

رنّ الهاتف مشيرًا إلى ورود رسالة صوتية: "بابا، أنا روهيني، لقد طرأ عليّ عمل اليوم وسأذهب إلى المكتب، لذلك سأترك بريا برفقتك لبضع ساعات، وقد أعددت لها وجبة غداء، وسأرسلها معها، وهي مضطربة بعض الشيء اليوم، ولكن سيكون معها كتابها، لذلك لا تقلق بشأن تسليتها والترفيه عنها. كما حجزت لها موعدًا لتصفيف الشعر في صالون يقع على طريق ويمبلي السريع عند الساعة الخامسة، فهل يمكنك أن توصلها إلى هناك؟ سيناسبك أن تمشي إذا رغبت في أن توصلها، أراك لاحقًا، بابا، سأصل عند الساعة الحادية عشرة".

رنّ الهاتف مشيرًا إلى ورود رسالة صوتية ثانية: "مرحبًا بابا، لقد اتّصلت بي روهيني توًا، أرادت التحقق من أنك استلمت رسالتها، وقد راسلتني لأؤكّد لك أنّها في طريقها إليك".

رنّ الهاتف مشيرًا إلى ورود رسالة صوتية أخرى: "مرحبًا بابا، أنا ديبالي، لقد أخبرتني روهيني بأنك اشتركت في المسيرة الممولة هذا العام، وهذا تطور مبهر، سأحضر لك قريبًا أقراص الدي في دي الخاصة باللياقة البدنية، والتي كانت أمي تحبّها، فقد حافظت على صحتها، وقد يفيدك أن تبدأ بالاعتناء بصحتك أيضًا".

كانت الساعة الحادية عشرة إلا عشر دقائق، وكان موكيش يستمع إلى رسالة روهيني للمرة الرابعة للتحقق من أنه تلقّى كل التفاصيل بشكل صحيح، فردّد قائلًا:

ستصل عند الساعة الحادية عشرة، ولديها موعد في الساعة الخامسة عند مصفف الشعر، ولا حاجة لتحضير الطعام لبريا. تجاهل رسالة فريتي لأنّه يعلم أنها لا تنتظر ردًّا، فلطالما لعبت فريتي دور رسول روهيني، إلا أن إحضار ديبالي أقراص اللياقة البدنية لم يُثر إعجابه، وبحسب ما يتذكّر، فقد تظاهرت نينا بأنها أعجبتها فقط حتى لا تشعر ديبالي بأنها أهدرت أموالها.

بينما كان يخربش كل التفاصيل على قصاصة من قصاصات الملاحظات اللاصقة التي تركتها له روهيني على الطاولة إلى جانب الهاتف لهذا الغرض بالتحديد، استرجع ما قالته له يومها: "بابا، لا يبدو أنك تستمع أبدًا إلى تفاصيل رسائلي الهاتفية، ماذا عن الاحتفاظ بهذه القصاصات إلى جانب الهاتف حتى تتمكّن من تدوين الملاحظات والتفاصيل الأخرى كافّةً؟"، رنّ الهاتف مرة أخرى، فبدأت نبضات قلبه تتسارع، فسحب المزيد من قصاصات الملاحظات اللاصقة استعدادًا لتسجيل أي تعليمات أخرى قبل وصول روهيني الوشيك.

ردّد موكيش: "أنا جاهز لاستقبال بريا، أعدك، أنتظر وصولكما في الحادية عشرة تمامًا".

قال له رجل غريب: "مرحبًا، هل أتحدّث إلى السيد باتيل؟".

أجاب موكيش بحذر: "نعم، إنني السيد باتيل، من المتحدث؟".

"مرحبًا سيد باتيل، أنا كايل من مكتبة طريق هارو، سبق لنا أن تحدّثنا، فقد تمّ حجز كتاب باسمك، وأصبح هذا الكتاب متاحًا توًّا".

"ولكن لم يسبق لي أن قدّمت طلب حجز كتاب، فأنا لا أعرف كيف أقوم بذلك".

"هل أنت واثق بأنّك لم تحجزه؟ لدينا كتاب *لا تقتل عصفورًا ساخرًا* محجوز باسمك، وهو مسجّل في ملفك".

بادر موكيش إلى تقديم الاعتذار قائلًا: "لم أطلب حجزه، أقسم لك، وأنا آسف جدًا لتضييع وقتك".

"حقًا هذا غريب، ربما حصل خطأ تقني، هل تريد إلغاء الطلب؟ إنه في حوزتي الآن ومحجوز باسمك، لكن يمكنني إعادته إلى الرف".

كان موكيش على وشك الرد، حتى خطرت له فكرة، فرأى خط يده المخربش على الورقة اللاصقة: *بريا... لا حاجة إلى تسليتها والترفيه عنها أو توفير طعامها*، كان هذا الكتاب مجرد كتابٍ ... وإذا لم يستطع أمين المكتبة التوصية بواحد، فربما كان هذا الخطأ الفني أفضل ما يحصل عليه من التوصيات، ولم يكن لديه الوقت ليضيّعه، لأن هذا الكتاب يمكن أن يرفّه عن بريا، ويحسّن علاقتهما بعد أن ساءت المرة الماضية، كما يمكن أن يكون الوسيلة التي تظهر لها أنه يحاول أن يكتشف ما تحبّه، فقال له: "سوف آتي لأستلمه اليوم، إذا كان ذلك مناسبًا".

"بالطبع، سيد باتيل".

"شكرًا لك أيها الشاب، كيف يمكنني أن أستلمه؟".

"كل ما تحتاج إليه هو القدوم إلى المكتبة وفي حوزتك بطاقة هوية، لأنني لا أعتقد أنك استلمت بطاقة عضوية المكتبة الجديدة حتى الآن، هل هذا صحيح؟ ثم يمكنك أن تطلب ممن يجلس إلى مكتب الاستقبال أن يسلّمك كتابك ببساطة".

لم يكن موكيش متأكدًا من أن الأمر بهذه البساطة، ولكن كان عليه أن ينجح في المهمة، فشعر بحركة خفيفة في معدته، ثم قال: "شكرًا لك أيها الشاب، شكرًا لك".

عندما وضع سماعة الهاتف، كانت الساعة تشير إلى الحادية عشرة تمامًا، ثم سمع طرقًا على الباب: "روهيني، بريا"، وما إن فتح موكيش الباب، حتى انفرجت أساريره، وقال: "كم تبدوان جميلتين!". كانت روهيني ترتدي ملابس العمل، وهي عبارة عن بنطال وسترة من الكتان وتضع نظارة عصرية للغاية، فأومأت إليه، وقد ظهرت على ملامح وجهها الاحترافية.

قالت له روهيني: "أشكرك على مجالسة بريا، فقد طرأ ذلك العمل في اللحظة الأخيرة. بابا أنا متأكدة من أن لديكما الكثير، مما فاتكما التحدّث عنه المرة الماضية".

تبادل كل من بريا وموكيش النظرات، فمن الواضح أن كليهما يفكّران في كلامها: "متى كان لدينا الكثير لنتحدث عنه؟".

شعر موكيش لحظةً أن ضربات قلبه تكاد تتوقّف، وهو يقول: "في الواقع، سنرتاد اليوم المكتبة".

نظرت بريا إليه، وارتسم الارتباك على وجهها.

قالت له روهيني: "عظيم!"، وهي تحاول إخفاء دهشتها، ثم توجّهت إلى سيارتها، بينما دخلت بريا إلى المنزل، وجلست في مكانها المعتاد، والكتاب بين يديها.

نادى موكيش ابنته قائلًا: "روهيني" فوقفت في مكانها، ثم تابع كلامه قائلًا: "ما الموضوع الذي يتحدث عنه كتاب *لا تقتل عصفورًا ساخرًا*؟"

"ماذا؟".

"ما موضوع هذه الرواية؟"

"في الحقيقة، لا أذكر، يا أبي، فقد مضى وقت طويل على قراءتي لها، ولكن كل ما أذكره أنني أجهشت بالبكاء وأنا أقرؤها، وأذكر أن أمي واستني حينها، واعتقدت أنني بكيت لأنني كنت متوترة بشأن امتحاناتي، ولكنني واثقة بأنّ أحداث الرواية هي التي أبكتني". استعاد عقل روهيني ذكرى ذلك اليوم، فكان في إمكان موكيش رؤية الحزن في عينيها، ثم قالت له: "لن تحضره من أجل بريا، أليس كذلك؟ هل ستحضره من المكتبة اليوم؟ أعتقد أنها لا تزال صغيرة على قراءته".

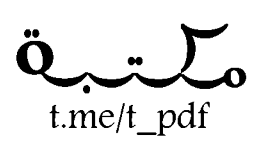
"لا، لا، سأحضره من أجلي".

نظرت إليه بإعجاب، وقالت: "حسنًا، هذا رائع بابا، ستفخر أمي بك!".

لم يستطع منع صدره من الانتفاخ بفخر، ثم استقلت روهيني سيارتها، ولوّحت له مودعةً، وعندما توارت عن الأنظار، سمع نينا تهمس في أذنه: أشكرك، يا موكيش، أشكرك على المحاولة.

الفصل 8

أليشا



قال كايل بنبرة حادة تنم عن احترافه: "أليشا؟". وقد دلّتها نبرة صوته على أنه موجود في المكتبة.

أجابته: "نعم".

"ذلك الرجل العجوز الذي أزعجته..."، لقد تعمّد كايل إشعارها بالذنب، ثم تابع كلامه قائلًا: "سيأتي اليوم في وقت ما خلال النهار، لاستلام الكتاب الذي حجزته له، ويبدو أن خدعتك قد نجحت، هل تريدين تسليمه إياه؟ فأنا يسرّني أن أسلّمه الكتاب، لأنني أعرف مضمونه جيدًا".

أبدت أليشا حركة امتعاض بعينيها، فهي واثقة من أنّه يعرف تفاصيله، فكايل يعرف معلومات عن كل الكتب! إلا أنها لم تكن واثقة مما دفعها إلى حجزه له، ولكنها ما إن قلبت الصفحة الأخيرة من رواية *لا تقتل عصفورًا ساخرًا*، حتى أرادت أن تتحدّث إلى شخص ما بشأنه، وبما أن ذلك العجوز أراد كتابًا، خطر على بالها أنه قد لا يكون يريد مجرد كتاب فقط، بل ربما يرغب في الحصول على صديق يتحدّث إليه أيضًا، وشعرت لبعض الوقت بأن سكوت وأخاها جيم تحوّلا إلى صديقين لها، تساءلت عما إذا كان هذا الرجل قد يشعر بذلك الشعور أيضًا إذا قرأ الرواية.

"في الواقع، نعم، أريد أن أحضر، وسأكون في المكتبة خلال ساعة، فأنا أنتظر وصول شقيقي إلى المنزل فقط".

"حسنًا، حسنًا، تأكّدي من أن يكون لديك بعض المعلومات المثيرة للاهتمام لتقوليها عن الرواية، فعليك أن تروّجي لها، فكل واحد من رواد المكتبة مهم، أتذكرين هذه المقولة؟".

أنهت الاتصال وهي تكتم تأوهًا، ثم حاولت أن تسترجع ما أخبرها به مهووس الجرائم والتشويق عن الكتاب، هل ذكر أي حدث مثير للاهتمام يمكن أن تخبر به الرجل العجوز بدورها؟ إن الشيء الوحيد الذي علق بذاكرتها أنه لم يكن من كتبه المألوفة التي اعتاد قراءتها، ولكنّه أخرج من رأسه المليء بالجريمة الأفكار الغريبة والمريبة.

فتحت هاتفها، وبحثت في محرك البحث غوغل حول: "معلومات عن كتاب *لا تقتل عصفورًا ساخرًا*"، و"نقد رواية *لا تقتل عصفورًا ساخرًا*"، فطرحت قائمة من الأسئلة التي يمكن أن يطرحها مدرس اللغة الإنكليزية في مدرستها، وتصفّحت الكتاب، فمرّرت أصابعها فوق الصفحات الكثيرة التي استمتعت بها بالفعل، ومن بينها تلاعب جيم *وسكوت* وصديقتهما *ديل* بالرجل العجوز الذي كان يعيش في المنزل المخيف على الطريق. ثم استقرّت على صفحة تتحدّث عن أتيكوس، وهو يستعدّ لقضية المرافعة في المحكمة، والدفاع عن المتهم البريء توم روبنسون، وكانت تسجّل الملاحظات في لاوعيها، متسائلةً عما إذا كان القانون يُطبّق فعلًا على هذا النحو، وكانت قد مزّقت الصفحات غاضبة على سكان المدينة لإساءة معاملة *توم وأتيكوس*.

قبل ليلتين، صاحت، وهي تهرع إلى غرفة إيدان: "إيدان!"، كان جالسًا على سريره، وهو يستخدم حاسوبه.

"ما الأمر، يا ليش؟".

لوّحت بالرواية بيدها، وقالت: "الناس في مايكومب، في تلك البلدة الخيالية الصغيرة، إنهم سيئون جدًا، وهناك رجل بريء اتُّهم بمهاجمة امرأة بيضاء، والجميع صدّقوها لأنها بيضاء البشرة فقط. أمّا أتيكوس فهو محاميه، وهو محامٍ جيد حقًا، وقد دافع عن توم، ولكن الجميع كانوا سيئين وفظيعين جدًا".

لا تقتل عصفورًا ساخرًا، نظر إيدان إلى الغلاف مقيّمًا الكتاب، وغمزها قائلًا: "إنها رواية جيدة، أعرفها، إنها عميقة الأفكار، ولكن عندما تشعرين بالتوتر عليك أن تتذكّري بأنها مجرد رواية، ألا تعلمين ذلك؟".

"هذا تصريح خطير منك، وأستغرب أن تصرّح به، وأنت من يرتدي زي شخصيات الروايات في عيد جميع القديسين، ولكنّك تعرف ما أعنيه... أشعر بأن الموضوع حقيقي، وأنا متأكدة من أنه كان حقيقيًا، وهو يشكّل معركة غير متكافئة في سبيل تحقيق العدالة".

مازحها قائلًا: "يبدو أن هذه الرواية أثّرت فيك كثيرًا، أليس كذلك؟".

لقد أثّرت فيها حقًا، ولكنّها لم تكن واثقة بصحّة أفكارها الآن، بعد أن صارت بحاجة إلى أن تقول معلومات مثيرة للاهتمام بشأنها، فقد أجّجت الرواية مشاعرها، ولكن هل تستحق أي من هذه المشاعر أن تُشاركها مع الآخرين؟

استندت إلى طاولة المطبخ التي حفر طرفها ظهرها الصغير منتظرةً أن يغلي الماء في الإبريق، فاسترجعت ذلك الوقت الذي طاردها فيه إيدان عندما كانت صغيرة، فسقطت على الأرض، وشعرت بأنّها طارت للحظة، حتى إنها ضربت رأسها فوق عينها اليسرى مباشرة، وجرحت ظهرها بطرف الطاولة الحاد.

جاء إيدان لإنقاذها كعادته، وقد أنّبه دين لأنه كان يركض في المنزل، ولكنّه لم يكلّف نفسه عناء الطلب إلى إيدان أن يجلب ضمادة لتضميد جرحها، إلا أن أخاها أحضر في الحال قطعة قماش مبللة بمياه باردة لوقف نزيف جبهتها وظهرها قدر استطاعته، فلطالما أخذ إيدان على عاتقه أمر الاعتناء بها، وبعد ذلك ولفترة طويلة أطلقت ليلى عليه لقب *طبيبنا الصغير*، فقد كان إيدان مثاليًا، كما هو الحال دائمًا.

استقرّت في غرفة الجلوس وهي تضغط بيديها بشدة على الكوب، ثم نظرت من النافذة، تراقب الناس وهم يتجوّلون في الشارع أو يمرّون فيه مهرولين، بينما كانت ترتشف رشفة حينًا وأحيانًا رشفتين، في كل مرة ترى فيها أحد المارة، إنها لعبة الشراب الخاصة بها والمملة للغاية والغريبة نوعًا ما، ثم بدأت تشعر بالقلق، فإذا

استغرق وصول إيدان وقتًا أطول، فقد لا تصل إلى المكتبة في الوقت المناسب لمقابلة الرجل العجوز، وحدث حينها ما لم يكن في الحسبان، كما لو أنّ ذلك الحدث قد نُقل مباشرة من صفحات رواية ما.

فقد لمحت الشاب الذي صادفته في القطار من خلال النافذة، ولكنه لم يكن يعتمر قبعته هذه المرة، هل كانت مجرد أضغاث أحلام اليقظة؟

قالت لنفسها: لا، إنّه حقًا هو، إنه هو بكل تأكيد، فاقتربت ببطء من زجاج النافذة، وأنفاسها اللاهثة تنفث رذاذًا عليه، راقبته وهو ينتقل من زاوية رؤيتها إلى الزاوية الأخرى، في تلك اللحظة تمامًا، ركن إيدان سيارته في الجانب الآخر من الرصيف في مكانه المعهود، فتباطأت ضربات قلبها، وقد انحنى شقيقها الذي يحجبه الزجاج إلى مقعد الراكب بجانبه، ربما ليضع نظارة القيادة الخاصة به في خزانة التابلوه، فهو كان يأبى الاعتراف بأنه يحتاج إلى نظارة للقيادة، ثمّ التفت إلى الخلف وحدّق إلى السماء، فترقّبت أليشا خروجه من سيارته، ولكنه ظلّ جالسًا فيها لدقائق.

بدا لها وكأن الزمن قد توقّف، وهي لا تزال تنتظر دخول إيدان، فشعرت وكأنها دخيلةٌ تتجّسس عليه، ماذا يجري؟ ثم سمعت همسًا من خلفها: "ما الذي تنظرين إليه؟".

كانت ليلى ترتدي بنطال جينز وقميصًا، ربما كان مزاجها رائقًا، فحاولت أليشا أن تمسح تعابير الدهشة عن وجهها.

"أنت مستيقظة!".

"بالتأكيد، أنا مستيقظة".

تجهّم وجه أليشا.

تابعت ليلى كلامها قائلة: "ما الذي تنظرين إليه؟".

"لا شيء"، استدارت أليشا محاولةً إخفاء سيارة إيدان عن مرمى نظر ليلى لتمنحه بضع لحظات يقضيها وحده مع نفسه، فقالت لتشتيت انتباهها: "لقد رأيت توًّا شابًا سبق لي أن صادفته في القطار".

ابتسمت ليلى، وقالت: "كم يبدو هذا رومانسيًا!"، بدت عيناها أقل إرهاقًا هذا الصباح، فاسترقت أليشا نظرة أخيرة إلى إيدان الذي كان يعلم أنها كانت تنتظره، فقد راسلته لتبلغه بأن عليها الذهاب إلى العمل، لماذا لم يدخل حتى الآن؟ ماذا يفعل وحده في السيارة؟ لقد وضع شقيقها كلتا يديه على وجهه، وأرخى كتفيه، وهو لا يزال جالسًا داخل سيارته، وقد ظلّ على تلك الحال لحظاتٍ، ثم نظر نحو المنزل ولمحها أمام النافذة.

"أمي"، اندفعت أليشا لتستعدّ للعمل، ولكنّها عندما استدارت كانت ليلى قد اختفت.

نادتها ليلى من غرفتها: "أنا في الأعلى"، نهضت أليشا عن الأريكة بسرعة متظاهرة بأنها لم تكن تراقب أحدًا عبر النافذة، وصعدت إلى الطابق العلوي، فسمعت صوت الراديو الصغير قبل أن تدخل إلى غرفة نوم ليلى.

ما إن دخلت الغرفة حتى أزالت ليلى سماعة أذن واحدة، وقالت لها: "تعالي، يا حبيبتي"، كان صوتها رقيقًا، وهي تردّد قائلة: "تعالي واجلسي إلى جانبي"، حاولت أليشا كبح ذعرها الشديد من التأخر عن المكتبة، وحاولت التركيز على والدتها في هذه اللحظة، فقد أرادت عناقًا الآن، كما أرادت أن تخبرها بأن كل شيء سيكون على ما يرام.

جلست ليلى على طرف السرير السفلي، والذي اعتادت أليشا على رؤيتها ملتفة فيه حول نفسها، وقد تدلّت ساقاها فوق الحافة، وأصابع قدميها لا تكاد تلمس الأرض تمامًا، والراديو إلى جانبها، والسماعتان على أذنيها، وكأنها تحقن في جسدها إكسير الحياة، وما إن ربتت على الجانب الآخر من السرير، حتى التزمت أليشا بتعليماتها وجلست قربها.

أبعدت ليلى السماعتين، ولفتهما على بعضهما، قبل أن تضعهما بجوار الراديو، فلاحظت أليشا الخطوط المتشابكة، كما لاحظت قدمي والدتها المتدليّتين إلى الأرض، وظهرها المنحني وهي تجلس على حافة السرير، والراديو الصغير

وسماعتي الرأس إلى جانبه أيضًا، فشعرت كما لو أن حدودًا غير مرئية مرسومة من تحتها وفوقها ومن حولها. تعرّفت إلى خطوطها الخاصة، فكان ظهرها منحنيًا قليلًا وهي تجلس على السرير الذي تهدّلت شراشفه، وقد تدلّت ساقاها إلى الأرض، وأصابع قدميها تتّجه إلى الأسفل لا إلى الأمام مثل قدمي والدتها التي كانت تبتسم لها، ولكن أليشا لم تكن تعرف ما عليها فعله الآن، وكل ما يمكن أن تفكّر فيه هو كيف كانت تخرّب هذه الأنماط دومًا، فهي لم تكن تنتمي إلى هذا المكان.

تجمّدت أليشا في مكانها على الفور، ولم تجرؤ على القيام بأي حركة خوفًا من أن تدمّر تلك اللحظات، فتعكّر مزاج ليلى مجددًا، أو تلفت انتباهها إلى عدم وجود أليشا في مكانها، وبعد دقائق سمعتا صوت صرير المفاتيح في الباب ودوران القفل، فقفزت ليلى من السرير، ونُسيت أليشا، بعد أن انكسرت تعويذتهما، أيًّا كانت هذه التعويذة.

صاحت ليلى، وهي في طريقها إلى فتح الباب الأمامي: "إيدان!"، انحنت أليشا فوق الدرابزين، وهي تراقب ليلى تعانق ابنها الأثير، وقد لمحت وجه إيدان محصورًا بين كتف أمه ورأسها، وهو يبتسم، وقد أشرقت عيناه، ألم تكونا كذلك؟

قالت ليلى، وهي تجرّ ابنها إلى المطبخ: "تعالَ معي إلى المطبخ، لنعدّ الطعام معًا".

تجمدت أليشا في مكانها، وهي تشعر وكأنّها قطعة غيار لا فائدة منها، ثم أسرعت لتجهيز نفسها، فأخذت حقيبتها من غرفة نومها، وانتعلت حذاءها أمام الباب، فاقترب منها إيدان وقد ارتدى مئزره، وقال لها:

"هل ستذهبين إلى المكتبة الآن؟".

"نعم، فذلك الرجل العجوز، تعرف عمن أتحدّث، سيأتي لاستلام الكتاب الذي أوصيته بقراءته".

"هذا رائع يا ليش! وهل ستتصرّفين معه بشكل أفضل هذه المرة؟".

"يبدو واضحًا أنّني سأفعل، ذلك الكتاب الذي كنت أقرؤه...".

"*لا تقتل عصفورًا ساخرًا*؟".

"أجل، هل تتذكّره؟".

"طبعًا، أنت لم تكفّي عن الحديث عنه".

"كم يبدو ذلك مضحكًا! لا أعرف ما إذا كنت سأتمكّن من أن أخبره بمعلومات مثيرة عنه".

"أنا واثق بأنّه سيحبّه، لقد أخبرتني بالكثير عنه".

شعرت أليشا بارتفاع حرارة وجهها، وكأنّه أحرجها، فشقيقها الشخص الوحيد الذي تعرفه يحبّ قراءة الكتب، بالإضافة إلى كايل الذي يعرف كل شيء عنها، وديف طبعًا.

"هل ذلك صحيح؟".

"نعم، ولكن لن أكذب عليك، فعندما رأيتك نائمة والكتاب بين يديك، اعتقدت أنّه أضجرك حتى جعلك تنامين".

امتعضت أليشا، ولكمته على ذراعه، وهي تقول: "اصمت، في الواقع يمكنني التركيز على كل ما أقوم به، فتذكّر بأنّني الشخص الذي يحصل على العلامات الجيدة في المدرسة".

"ما الذي تنتظرينه إذًا؟".

"إنهاء حديثي معك!"، ثم أخذت حقيبتها، وغادرت المنزل مسرعة، فصاح إيدان باتجاه الشارع: "هذا يشبه مشهدًا من فيلم الحب الحقيقي".

صرخت ليلى في الوقت ذاته، فوصل صوتها خارج المنزل: "أرجوك تعالَ وساعدني، يا حبيبي إيدان".

علّقت أليشا على كلامه برفع إصبعها الوسطى.

إنديرا
2017

تأخّرت إنديرا عن درس الساتسانغ اليوم لأنّ سائق سيارة الأجرة لم يصل في الوقت المحدد، ارتعبت وارتعدت مفاصلها عندما وصلت إلى المعبد، فقد كانت تدرك أن نينا تقود الطقس اليوم على الرغم من أنّها لم تكن قادرة على القيام بذلك منذ وقت طويل بسبب علاجها، وعدتها بأنّها ستحلّ مكانها، وأنها ستصل في الموعد المحدد، فقد أرادت أن تراها وتدعمها، وهي تصلّي من أجلها كل يوم، على الرغم من أنهما لم تكونا صديقتين مقربتين بالضبط، فإنديرا ليست صديقة مقربة من أي شخص، ولكنّ نينا دومًا تدعم الجميع، وقد آمنت إنديرا بقوة بواجب الاعتراف بأفضال الآخرين وردّ جميلهم عندما يكونون بأمس الحاجة إلى المساعدة.

من بين كل الأيام التي يمكن أن تتأخّر فيها، هل كان عليها أن تتأخر اليوم تحديدًا؟

جلست إنديرا على الكرسي إلى جانب رفوف الأحذية، وخلعت صندل الإصبع المربوط بإحكام بشريط فلكرو اللاصق، من دون خلع جوربها على الرغم من أن طبيبها أوصاها بأن تمشي بحذر، قائلًا: "عندما تستطيعين، امشي حافية القدمين، ذلك أفضل لك، يا آنسة باتيل، فهو يقلّل من احتمال انزلاقك كثيرًا"، لم تحبّذ إنديرا الاستماع إلى الطبيب على أي حال.

وضعت حذاءها بعناية في كيس بلاستيكي، واختارت الرف الذي تُفضّل وضع حذائها عليه، وهو الرف رقم 89، القسم الذي يحمل الحرف دي، وكان ذلك طقسًا

بالنسبة إليها، في أثناء الرحلات المدرسية، قد يكون الرف ممتلئًا، ولكن الجميع كانوا يعرفون أن هذا المكان مخصص لحذاء إنديرا.

تحقّقت من أنّ الرف لا يحتوي على أي حذاء آخر، ولكنها عثرت على قصاصة من الورق محشورة في الزاوية، فسحبتها، ولأنها كانت من النوع الفضولي، فتحتها لترى ما إذا كان يمكنها إعادتها إلى صاحبها الأصلي، أم أنها سترميها في القمامة، ولكن من يجرؤ على وضع نفاياته في رفّ حذائها؟!

كانت القائمة كالتالي:

في حال احتجت إلى القراءة:

لا تقتل عصفورًا ساخرًا

ريبيكا

عداء الطائرة الورقية

حياة باي

كبرياء وتحامل

نساء صغيرات

محبوبة

شاب مناسب

تجهّم وجه إنديرا، وتساءلت مستغربة: ما هذه القائمة؟ إنها قائمة من نوع ما، مكتوبة بخط يد إنكليزي أنيق لم تتعرف إليه، وسيكون ظلمًا أن تتهم رامي القمامة وتحرجه بسبب هذا الدليل الوحيد الذي عثرت عليه الآن.

نظرت إلى الساعة، كانت قد تجاوزت الثانية، ولم تصل إلى القاعة حتى الآن! أدركت أن عليها وضع قصاصة الورق في سلة القمامة، ولكن الوصول إليها كان يتطلب السير مسافة قصيرة، وفي الاتجاه المعاكس تمامًا لوجهتها، ولاختصار الوقت على نفسها، ولأن الأفكار المزعجة جالت في الجزء الخلفي من عقلها، وهي تقول لها إنّ جملة "*في حال احتجت إلى القراءة*" كانت رسالة موجهة إلى

شخص ما، وربما تكون موجهة إليها، ولأنها امرأة مسؤولة، طوتها بدقة، ووضعتها في كيسها الخاص بالمعبد، وكان وجه *سوامي بابا* يحدّق إليها آمنًا وسليمًا.

لمحت إنديرا زوج نينا موكيش يطلّ من خلال إحدى نوافذ الأبواب الخشبية التي تفصل الرواق الرئيسي عن القاعة نفسها، فقالت له إنديرا ممازحة: "ما الذي تنظر إليه؟ هذا المكان للسيدات فقط! ابتعد عن النافذة!".

"مرحبًا يا سيدة إنديرا، أنا أراقبها فقط، وأتأكّد من أنها بخير، فقد وعدتها بأن أبقى إلى جانبها". فارتجف صوته قليلًا، واحمرّت عيناه وبدتا متعبتين.

"ستؤذي ظهرك بسبب الانحناء بهذه الطريقة".

"لا بد أنك تفهمينني، يا إنديرا، انظري إليها"، وأشار إلى القاعة، فنظرت إنديرا إلى حيث يشير، وقد أسندت مرفقيها إلى آلة المشي التي عليها علامة المعبد، وتابع كلامه قائلًا: "عليّ أن أعتني بها".

بدت نينا مختلفة جدًا، كان شعرها الأسود الذي يكون عادة مجدولًا مغطى تمامًا بوشاح قديم لا يتناغم مع زيّها، إنها لا تشبه نينا أبدًا، ولكن إنديرا لم تقل شيئًا لموكيش الذي كان يراقب زوجته بحرص شديد، كما لو أنها قد تختفي تمامًا إذا أشاح بنظره.

بدأ حجم نينا يتقلّص، ولكن تعابير وجهها لا تزال كما كانت دائمًا، نابضة بالحياة والنشاط، ويمكن أن تشعر إنديرا بثقل في جفني نينا، حتى من المكان الذي تقف فيه، ولكن ذراعيها كانتا تتحرّكان بانسجام مع الموسيقى، فكانت فاغرة فاها، وهي تحاول أن تبذل كل طاقتها لأداء الأغنية، وربما كانت هذه الأغنية تعيد إليها الحياة، والنساء الجالسات على الكراسي أو على الأرض، يصفّقن بانسجام، وفساتين الساري والبنجابي تتمايل لتشكّل بحرًا من الألوان.

لولا تقلّص حجم نينا، وانحناء كتفيها الذي لم تلاحظه إنديرا أبدًا من قبل، ووجهها النحيل ووشاح رأسها، لما صدّقت أنّها تعاني من السرطان، ولكن كل تلك

الأعراض كانت واضحة للنظر، فتساءلت إنديرا: لماذا اختارها الرب بالذات؟ لماذا نينا؟ فقد كان لديها عائلة سعيدة، بينما كانت إنديرا بصحة جيدة، وبالكاد كان يحبّها أحد.

قالت إنديرا لموكيش: "يجب أن أدخل" أومأ إليها برأسه، وأرخى شفته السفلى، ثم أمسك الباب لها بينما كانت تدخل.

ابتهجت نينا، وأشارت إليها بالجلوس على المقعد في الأمام، ولكنها لم تتوقّف عن الغناء ولو للحظة، واستطاعت إنديرا في تلك الغرفة أن تشعر بالحب والاحترام اللذين يكنّهما الجميع لهذه المرأة التي تقف أمامهم، ولو كانت إنديرا تمرّ بالمعاناة نفسها، هل سيحضر الناس من أجلها، ليتأمّلوها وينظروا إليها نظرات الاحترام والتقدير نفسها؟ لقد شكّت في ذلك، وكانت تعرف السبب، كانت تعرف أنها ونينا امرأتان مختلفتان، ولكن إنديرا لطالما اهتمّت بتوطيد العلاقات مع الناس، ولكن في معظم الأحيان لم يرغبوا في توطيد علاقتهم معها.

بعد انتهاء المراسم، اتكأت إنديرا على الجدار بعيدًا عن الجميع، متظاهرة بأنّها تبحث في حقيبتها عن أغراضها، فكانت تشعر بالحرج والوحدة، ولا تعرف مع من تتحدث. اقتربت منها نينا، بينما كان الجميع يتجاذبون أطراف الحديث مع أصدقائهم وأخواتهم وأبناء عمومتهم وجيرانهم.

"أقدّر حضورك، يا سيدة إنديرا، لقد مضى وقت طويل، أليس كذلك؟".

"نعم، يا سيدة نينا، أحسنت عملًا اليوم، بناتك فخورات جدًا بك"، أشارت إنديرا إلى النساء الثلاث الجالسات في الأمام مباشرة، والمنسجمات الآن في المحادثة: "كنّ يصفّقن لك ويهتفن طوال الوقت!".

نظرت نينا نحو بناتها، ديالي وروهيني وفريتي، وقالت: "نعم، إنّهنّ رائعات".

أومأت إنديرا برأسها، ومدّت يديها إلى وجه نينا، فشعرت ببشرتها الدافئة والناعمة، همست إنديرا إليها: "وداعًا".

صافحتها نينا وقالت لها، وقد ارتسمت ابتسامة لطيفة على وجهها، ولمعت عيناها أملًا: "شكرًا لك، يا سيدتي".

[#]

ذلك اليوم كان آخر يوم رأت فيه إنديرا نينا، وظلّت قائمة القراءة محشورة ومنسية في الكيس البلاستيكي لفترة طويلة، تتنقل من المعبد وإليه كل أسبوع، ولكنّها ستجد طريقها للخروج في الوقت المناسب.

الفصل 9

موكيش

"أسرع يا جدي! أريد الوصول إلى المكتبة".

استمتع موكيش بالمشي صعودًا على الطريق السريع، ولكن الهواء آذى رئتيه بينما كان يكافح لمواكبة بريا التي تهرول أمامه، ذكّرته بتقدّمه في السن وبضعفه الشديد. ففي الماضي حمل بريا وهي حديثة الولادة، فكانت صغيرة الحجم ولها عينان وأذنان وأنف صغير كاللعبة، كم بدت صغيرة وضعيفة آنذاك! وها هي الآن تهرول بنشاط، وقد انعكس دوراهما بالفعل، وأصبح الشخص الضعيف الآن.

كان مبنى مكتبة طريق هارو قديمًا ومختلفًا تمامًا عن مبنى مكتبة وسط المدينة الحديث، فهو يبدو أنه كان منزل شخص ما في السابق بجدرانه البيضاء الناصعة وأُطر نوافذه الخشبية ذات اللون الأسود، وكانت الحديقة خلفه، لذلك كان هادئًا على الرغم من أنه يقع على الطريق الرئيسي، وكان له كثير من النوافذ، وقد بدا بعضها حديثًا كتلك الأبواب الزجاجية التلقائية الفتح والمرعبة، ثم لمح لافتة معلقة على الباب لم يسبق له أن لاحظها، كتب عليها عبارة: "أنقذوا مكتباتنا. انشر أخبارها".

همست بريا إلى جدها عندما اقتربا: "يا له من مكان مذهل! عندما كنت صغيرة اصطحبتني جدتي إلى هذا المكان، إلا أنّني لا أتذكّر ذلك بوضوح".

أومأ موكيش إليها برأسه، وهو يشعر بالتوتر وبالحرج بسبب ما جرى معه في المرة الماضية، ولكنّ إثارة بريا حفّزته على المضي قدمًا، فتمسّك بكتفها لمنعها من الهرولة مرة أخرى، واستغرق وصولهما إلى الباب ورؤية الموظف الذي يجلس إلى المكتب لحظات وجيزة، فرأى شعرها الداكن وقد رُبط إلى الخلف على شكل كعكة، وكانت يداها تتحركان فوق المكتب، إنّها تلك الشابة الفظة. تنهّد بعمق، وأرخى كتفيه، وبسط أصابع يديه.

إلا أن معجزة فتحت لهما الباب المخيف، وفور دخولهما، توجّهت بريا نحو القسم المخصص للأطفال، مع أنه يعلم أنها أصبحت أكبر سنًا قليلًا الآن على قراءة تلك الكتب، ولكنها ربما تعرف ما تبحث عنه.

شاهد بريا وهي تغوص في داخل الرفوف وخارجها، وتتصفّح الكتب بإمعان من دون أي انزعاج من هذا العالم الجديد الغريب. كيف تكيّفت مع الأجواء الجديدة بهذه السهولة؟ عندما نظر حوله، رأى أنّ الجميع يعرفون ما كانوا يفعلونه، الجميع باستثنائه.

كانت بعض الرفوف مزدحمة بالكتب، في حين انتشرت على رفوف أخرى بعض الكتب بالكاد بلغ عددها أربعة أو خمسة مجلدات على امتداد الرف بأكمله، كانت هناك طاولات وحواسيب حديثة المظهر مصطفة أمام أحد الجدران، ومقاعد منتشرة حولها، بدا بعضها رثًا وباليًا، وبدا بعضها الآخر جديدًا تمامًا. كان في المكتبة أيضًا قسم في الطابق العلوي، ولكن تدلّت سلسلة من الدرابزين عُلّق عليها لافتة تظهر بوضوح أنه مخصص لـ "الموظفين فقط"، كانت هذه المكتبة صغيرة الحجم، ولكنه كان متأكدًا من أنه قد يتمكّن من العثور على كتاب ما يناسبه، فتذكّر سبب مجيئه، وقد يكون حجز الكتاب الغامض هذا الخطوة الأولى ليصبح من *أعضاء المكتبة الدائمين*، تمامًا مثل أي شخص آخر فيها.

تنفّس بعمق، ومشى نحو الشابة الجالسة إلى المكتب، فتفاجأ برؤيتها تبتسم له. قال بحذر وهو يقترب منها: "مرحبًا"، بينما كان يرنو إلى بريا التي حافظت على

جلستها المتكورة المعتادة، وهي تحمل كتابًا مفتوحًا.

سألته الشابة: "مرحبًا، هل يمكنني مساعدتك؟"، نظر حوله بحثًا عن هاتفها وسماعتيها للعثور على إشارة إلى أنها لم تكن منتبهة إليه حقًا، ولكن لم يكن هناك ما يشير إلى ذلك، ما أغربها!

"جئت لاستلام كتاب حُجز باسمي، ولكن هل يمكنني أن أطرح سؤالًا أولًا؟".

"تفضل".

"أنا لم أحجز الكتاب، وقد حصلت على بطاقة عضوية المكتبة منذ أكثر من أسبوع بقليل، هل هذا الكتاب ترحيبٌ بانتسابي، أم إنّه شيء من هذا القبيل؟".

"السيد موكيش باتيل؟".

"نعم هذا أنا". إما إنّها كانت تعرف الكثير، أو أنّ خدمة هذه المكتبة ممتازة.

طبعت شيئًا ما على الحاسوب، فأصدرت أظافرها صوت طقطقة على لوحة المفاتيح، ما جعل موكيش يكزّ على أسنانه.

"نعم، *لا تقتل عصفورًا ساخرًا*، هذا صحيح!" كانت عيناها تنظران إلى الشاشة، فلم يعرف ما عليه أن يفعل بعد ذلك.

ثم أخرجت شيئًا من تحت مكتبها، إنه الكتاب، سلّمته إياه، فأزعجه ملمس غلافه المقوى، ولكنه سيعتاد عليه.

"حجزت هذا من أجلك، فقد طلبتَ توصية باسم كتاب ذاك اليوم، واعتقدت أنّ هذا الكتاب يناسبك"، تردّدتْ قبلَ أن تقول: "حسنًا، إنّه كتاب جيد".

حمل موكيش الكتاب بين يديه، كما لو أنه لم يحمل كتابًا من قبل، فقد أراد أن يسأل الشابة عما يجري، ولكنه لم يكن يعرف ما إذا كان سيبدو سؤاله غبيًا، ربما يُفترض به أن يعرف الجواب.

"جدي، هل يمكنني الحصول على هذا من فضلك؟". ظهرت بريا إلى جانبه وهي تحمل قصة *ساحر الأرض*.

فهزّ موكيش كتفيه، ونظر إلى الشابة الجالسة خلف المكتب للحصول على توجيهاتها، فأومأت إليه برأسها.

"بالطبع، يمكنك أخذ ما يصل إلى..."، توقّفت لحظةً، ثم أكملت كلامها قائلة: "يمكنك تسجيل ستة كتب في كل مرة على كل بطاقة".

نظرت بريا إلى جدها وهي تومئ برأسها بقوة، فلم يسبق أن رآها تتحرّك بهذا النشاط، كانت تتأرجح من جانب إلى آخر، وقد ضمّت الكتاب إلى صدرها.

"يمكن أن تحصل حفيدتك أيضًا على هذا الكتاب الذي اختارته، إضافة إلى كتاب *لا تقتل عصفورًا ساخرًا*". نظرت إليه الشابة، فتذكّر موكيش في تلك اللحظة كلمات روهيني، وهي تقول له إنها لا تزال صغيرة على قراءته.

"هل هذا الترحيب بانضمامي إلى عضوية المكتبة؟".

"أجل، ربما يكون ترحيبًا بك، إذا كنت لا ترغب في قراءته، فلا بأس، ولكنّني أعتقد أنّه جيّد"، بدت فجأة غير متأكدة من كلامها وحذرة في الوقت نفسه.

قفزت بريا من مكانها، وقالت: "لقد سمعت عن هذا الكتاب سابقًا، يا جدي، فقد صنعوا من قصته فيلمًا...".

"ما اسمه، يا صغيرتي؟ ما موضوعه؟".

هزّت بريا بكتفيها، وقد ارتسم على وجهها عبوس ضبابي: "أنا لا أعرف كل شيء، يا جدي".

ضحك موكيش، وتنفست الشابة التي تجلس خلف المكتب بعمق، كما لو كانت على وشك إلقاء خطاب طويل، ولكن كل ما قالته: "إنها رواية تمهيدية مناسبة، وهي تنتمي إلى الأدب الكلاسيكي كما تفضّل".

"هل تعتقدين أنّ هذا الكتاب سيعجبني؟"، لم يكن يعرف إلى أي واحدة منهما عليه أن ينظر، الفتاة أم بريا، لقد أحبّ كتاب *زوجة مسافر عبر الزمن*، ولكن حبّه له يرجع أساسًا إلى أنه سقط في حضنه في الوقت المناسب، ليجعله أقرب إلى نينا.

أومأت الفتاة إليه برأسها.

نظر موكيش إلى غلاف الكتاب، فلاحظ أن العنوان كُتب بخط يشبه خط اليد، وكان عليه أن يغمض عينيه ليتبيّن الكلمات: *لا تقتل عصفورًا ساخرًا*، سأل: "لماذا يحمل هذا العنوان؟".

قفز صوت الشابة: "هناك سطر في داخله... آسفة، لن أفسد عليك متعة الاكتشاف، فعليك أن تقرأه لتكتشف ذلك، إذا رغبت في ذلك من دون ضغوطات على الإطلاق".

قالت بريا، وهي تبتسم للشابة كما لو كانتا مشتركتين في المخطط معًا: "نعم، يا جدي"، رأى موكيش الإعجاب في عيني بريا، وهي النظرة التي اعتاد أن يراها في عيون بناته عندما يلتقين بنات عمومتهن الأكبر سنًا، اللواتي كن يتطلّعن إليهن دائمًا لأنّهن "شابات رائعات".

سأل موكيش: "هل يمكنك أن تنصحيني بكتب أخرى أيضًا إذا كان في إمكاني الحصول على ستة كتب؟"، أشار إلى كتاب بريا، وأردف قائلًا: "بما في ذلك هذا الكتاب"، فصمتت الشابة لحظةً، وقد جحظت عيناها: "لا، لا، أرى أن تبدأ بهذا الكتاب أولًا، ثق بي، وهو يمكن أن يعطيني فكرة أوضح عما تفضّل أن تقرأه بعد ذلك إذا أعجبك".

قال مبتسمًا لها: "سأحاول أن أقرأه"، ابتسمت بدورها، ونظر إلى بريا وابتسم لها أيضًا، وقال لها: "سأحصل على كتاب!".

قالت بريا، وهي تسلّم كتابها للشابة خلف المكتب: "أعرف يا جدي، هذا رائع"، وحذا موكيش حذوها.

همست إليه بريا: "جدي، بطاقة عضويتك في المكتبة"، وهي تدفعه برفق، ففعل موكيش ما دعته إلى فعله.

شاهد الفتاة وهي تمسح الرمز الشريطي للبطاقة ضوئيًا، فدوّى صوت رنين الجهاز، حين مسحت كل كتاب من الكتابين.

سألها: "متى يجب أن نعيد الكتابين؟".

"خلال ثلاثة أسابيع، ويمكنك تجديد المدة عبر الهاتف أو عبر الإنترنت إذا كنت بحاجة إلى ذلك".

"لا، سأنهيه خلال تلك المدة، وأنا على يقين من أنها ستنتهي من قراءة كتابها أيضًا".

"هل ترغب في وضع طابع تذكير في الجزء الأمامي من الكتاب، تحسبًا فقط؟".

فتح موكيش الصفحة الأولى، ورأى بطاقة مكتبات مجلس برينت، وكانت مليئة بالكثير من التواريخ السوداء العشوائية، فوجد فكرة أن يكون هذا الكتاب ليس له وحده فقط بل للجميع غريبة نوعًا ما، فكل هؤلاء الناس الذين استعاروه قبله، والناس الذين سيستعيرونه بعده، ربما قرؤوه على الشاطئ، أو على متن القطار، أو في الحافلة، أو في الحديقة، أو في غرفة الجلوس الخاصة بهم، أو حتى في الحمام، إلا أنه أمل ألا يكون قد حصل ذلك. إن كل قارئ يتّصل بالآخرين بطريقة ما، وهو كان على وشك أن يكون جزءًا من هذا أيضًا، قال لها: "نعم، من فضلك"، سلّم الفتاة الكتابين، فختمتهما، وتساءل وهو يراقبها: هل سبق لنينا أن حملت أيًّا منهما؟ كانت هنا طوال الوقت، وكانت تقرأ مئات الكتب، هل كان كتاب *لا تقتل عصفورًا ساخرًا* واحدًا منها؟

وضع موكيش الكتاب في حقيبة التسوق القماشية الخاصة به.

"سيدي، إذا كنت ترغب في الجلوس والقراءة هنا، فلدينا آلة قهوة وبعض العصائر"، ثم سألت الفتاة الصغيرة: "ما اسمك؟".

ردّت بريا بجرأة وثقة غير متوقعة: "مرحبًا، أنا بريا، ما اسمكِ؟".

"أليشا، تسعدني مقابلتك، هل ترغبين في الجلوس أنت وجدك وقراءة كتاب ما؟".

نظرت بريا إلى موكيش نظرة توسّل آملة في أن يقبل عرضها، لكنه هزّ رأسه رافضًا، فقد قاربت الساعة الخامسة، وهو الموعد المخصص لقص شعر بريا، وقد استقرّ زوجا العيون عليه، وهما يحدّقان إليه، هل يمكنهما أن تعرفا أنه شعر

بالارتياح؟ ولكنه لم يحبّذ الجلوس في المكتبة والقراءة... فسيشعر بالخجل، لذا كان سعيدًا بتقديم العذر، وإلى جانب ذلك لم يكن لديه الوقت لإضاعته، وإلا فلن تكفّ روهيني عن تأنيبه أبدًا.

سألتهما الشابة: "أيمكنني أن أساعدك في شيء آخر؟".

"لا، شكرًا لك، لقد ساعدتني كثيرًا اليوم، كما يجب أن أوصل حفيدتي إلى مكان ما".

لقد بدت مبتهجة، وهي تمرر أصابعها بين خصلات شعرها، لترد خصلة متناثرة.

"سأذهب الآن وأستمتع بقراءة رواية *لا تقتل عصفورًا ساخرًا*، وسوف أتأكّد من قراءة قسم منه هذا المساء".

قالت الشابة بشكل واضح: "ساخرًا"، فابتسم غير مدرك السبب الذي دفعها إلى تكرار تلك الكلمة.

لوّحت بريا مودعة الشابة التي لوّحت لها بدورها بلطف، بينما خرج موكيش وكانت قامته أطول اليوم، ويمكنه أن يرى إلى مسافة أبعد الآن. يمكنه أن يرى حتى نهاية موقف السيارات، وما وراء الأشجار والمباني، كما يمكنه رؤية ما بعد ملعب ويمبلي ولندن بأكملها، وهو يقف في مكانه وقد أصبح أطول قليلًا. كم يبدو مدهشًا تأثير وضعية الوقوف فيك!

أحسنت يا موكيش، لقد واجهت أحد مخاوفك، كانت نينا تهمس في أذنه، واستطاع سماع صوتها هذه المرة أعلى من أي وقت مضى، وكأنها كانت تقف إلى جانبه.

همس موكيش إليها: "شكرًا لك".

قالت بريا: "ماذا قلت، يا جدي؟".

"آسف، لا شيء مهم، يا عزيزتي، لنتوجّه إلى مصفف الشعر!"

"لا، يا جدي، لا أرغب في ذلك، أمي تريد أن تقصّ شعري دومًا، ولكنني أريده أن يظلّ طويلًا".

"أحيانًا عليك أن تستمعي إلى أمك، فهذا يبعث السرور في نفسها، ولكن يمكنك الجلوس والقراءة أيضًا، ما رأيك؟".

قالت بريا ممتعضة، وهي تتبع جدها: "هذا صحيح".

لقد استعار اليوم كتابًا من المكتبة بشكل شرعي، وحتى الشابة التي تعمل وراء المكتب كانت لطيفة قدّمت له المساعدة، وقد شعر بالسوء قليلًا لتذمّره منها، ولكنّه لو لم يفعل ذلك لما غيّرت أسلوبها معه اليوم، وعاملته بلياقة. عندما كان يعمل في مكتب تذاكر ويمبلي سنترال، أحبّ الجميع تقديم ملاحظات إلى العملاء -كانت ملاحظات العملاء الجيدة والصادقة هي الوسيلة الوحيدة الثابتة لتحسين مستوى الخدمة - والآن، بعد سنوات، استمتع بها أيضًا.

اصطحب اليوم حفيدته إلى المكتبة، وللمرة الأولى بدت بريا متحمسة أو على الأقل سعيدة بصحبة جدها، وربما كان هذا اليوم علامة على بدء فصل جديد من فصول حكايته.

ليونورا
2017

حيّت ليونورا مدربها، وتوجّهت إلى الردهة بهدوء لانتعال حذائها، بينما كان الجميع مندفعين إلى المغادرة، وهم ينتعلون أحذيتهم على عجلة من دون فكّ الأربطة، ثم يهرعون إلى عبور الباب متجاهلين على الفور دروس فصل اليوغا التي وفّرت لهم الراحة. أما ليونورا فكانت تقوم دومًا بخطواتها على مهل في هذا القسم من دون أن تكترث لاعتراض طريق الناس وسدها عليهم، بينما تستمتع بالهدوء الذي يشبه الحلم في تلك اللحظة قبل أن تتكيّف تدريجيًا مع الواقع.

عندما سألها الناس عن سبب عودتها إلى ويمبلي، قالت لهم إنها أقرب إلى والديها من أن تذكر مطلقًا طلاقها أو شقيقتها هيلينا التي كانت تتلاشى ببطء. فقد كانت هيلينا السبب المباشر في مغادرتها مانشستر وتوجّهها إلى لندن، وما إن صرّحت ليونورا بطلاقها حتى انقضّ عليها والداها، ودفعاها بقوة إلى الإقامة مع أختها لدعمها ومساعدتها، وليطمئنّا عليها، فوافقت على مضض. ولكن هيلينا لم تكن ترغب في قبول المساعدة، لذا عاشتا جنبًا إلى جنب في صمت مطبق أحرج ليونورا التي بدت غريبة وغير مرغوب في وجودها في منزل أختها، كما لم يكن لديها من تتحدّث إليه حول وحدتها، فلا أصدقاء لها في هذا المكان الذي يبدو في الظاهر مألوفًا، ولكنه لا يرحّب بالناس، ما جعلها تكافح من أجل الصمود.

كانت العودة تجربة غريبة، وقد رأت هيلينا كما رأى والداها ويمبلي تتطوّر، ولكنهما كانا جزءًا من هذا التغيير، لذا لم يبدُ التباين واضحًا كثيرًا بالنسبة إليهم.

ولكن ليونورا بالكاد رأت ما وراء الدوار الشمالي خلال رحلاتها إلى المنزل في الفصح والكرسمس والعطلات الرسمية أيضًا، لذلك بدا كل شيء مختلفًا بالنسبة إليها في هذا المكان الذي نشأت فيه، بعد أن أصبحت البنايات الجديدة الشاهقة في كل مكان، والشوارع السكنية رمادية اللون بسبب كثافة الغبار وتقدّم الزمن، في حين أن مراكز التسوق والمحطة والملعب كانت كلها مصقولة إلى حد الكمال من أجل السياح وحدهم.

أملت ليونورا وهي تجوب شوارع هذه المدينة المتغيرة والفريدة أن يساعدها فصل اليوغا في التعرف إلى أشخاص جدد، ولكن عدا قول كلمة "مرحبًا" في بعض الأحيان، لم يبدِ أي شخص اهتمامه بالدردشة، وبعد أن غادر الجميع بقيت ليونورا وحدها غير راغبة في العودة إلى المنزل.

بادرت إليها سيدة بابتسامة دافئة، ولكنّها شعرت بالكثير من الإحراج لبدء المحادثة معها. عرفت أن عليها التغلب على إحراجها والتعريف بنفسها، ولكنّ الجميع كانوا منغلقين على أنفسهم. فشعرتُ بالغرابة وكأنها كائن فضائي لا يمكنها حتى أن تقول مرحبًا.

انتعلت اليوم حذاءها، وربطت ببطء الأربطة، كما تفعل كل أسبوع، ثم قرأت لوحة الإعلانات التي تظهر أمامها، وتسكّعت لفترة كافية آملة في أن يقول لها شخصٌ آخر مرحبًا أولًا... فتطلّعت إلى تلك اللحظة اللطيفة للقاء كما يحدث في أفلام هوليوود. حسنًا، ليس تمامًا، فقد أرادت صديقًا وحسب.

إنها لا تريد خلوات اليوغا مقابل 500 يورو في الأسبوع، شكرًا، كما لا تريد فرصة الجلوس إلى جانب القطط والمعاناة من حساسيتها أيضًا، أما بالنسبة إلى نادي القراءة في المكتبة المحلية على طريق هارو... فلم تذهب إلى هناك منذ كانت طفلة، وكانت هناك قائمة مكتوبة بخط اليد بجانب الملصق، افترضت أنها عناوين الكتب التي يجب قراءتها في نادي الكتاب.

كانت القائمة كالتالي:

لا تقتل عصفورًا ساخرًا

ريبيكا

عداء الطائرة الورقية

حياة باي

كبرياء وتحامل

نساء صغيرات

محبوبة

شاب مناسب

ربما تكون هذه الفرصة الذهبية للقاء الناس، فإذا كان ناديًا للقراءة، فلا بد أن يتجاذب الجميع الأحاديث، ثم تذكّرت المكان باعتزاز، فكانت مكتبة طريق هارو مكتبتها المفضلة في مرحلة المراهقة، وقد تذكّرت أمناء المكتبة الذين ربما تقاعدوا منذ فترة طويلة الآن، كما تذكّرت المدير الشاب ديف، الذي كان يقدّم دائمًا توصيات بالكتب تناسب أذواق زوار المكتبة الأعزاء واهتماماتهم.

نظرت إلى أسفل القائمة، لتستوعب كل اسم على حدة، إذ سبق لها أن قرأت بعض هذه الكتب، ولا سيما رواية *لا تقتل عصفورًا ساخرًا* التي قرأتها في مرحلة المراهقة، ولكنها لم تتذكّر قصتها، فهي لم تكن قوية الذاكرة لتتذكّر التفاصيل، ولكنها استعادت ما بعثته في نفسها من مشاعر، وما ميّزها من لمسات سحرية دافئة. كما جعلها العنوان تسترجع ذكريات تناول الفطور في الخارج على المقعد الخشبي، فمنذ فترة طويلة لم تستطع تذكّر ما إذا كانت هذه الذكرى هي ذكراها أم أنها مشهد من مشاهد الكتاب نفسه، وعندما وصلت إلى العنوان السابع في القائمة، أخرجت الكتاب من حقيبة اليوغا الخاصة بها، وهو نسخة من كتاب محبوبة، فرفعته إلى الأعلى، وشعرت كما لو أنها سبقت صاحب القائمة إلى قراءته بالفعل.

حملت الكتاب بين يديها، وبدأت للتو في قراءته بعد سنوات وسنوات من توصية أصدقائها به، وفي فترة ما بعد الظهر عندما تأخذ هيلينا قيلولتها الطويلة، تبدأ ليونورا بالقراءة، وهي جالسة إلى جانب أختها، تصغي إلى تنفسها، ثم ما تلبث أن تسمح لأفكارها بالهروب إلى مكان آخر.

لقد كانت تحبّه.

تساءلت عن موعد مناقشة كتاب محبوبة في نادي القراءة، فلوحة الإعلانات لم تذكر مزيدًا من المعلومات، هل ستكون مستعدة لمناقشته في الوقت المناسب؟ إنها رواية تتناول قصة أم تدعى سيث وابنتها دنفر التي تُركت وحدها في منزل يسكنه شبح ابنة سيث الأولى، المحبوبة، التي أحزنت الأسرة لسنوات طويلة. وقد ذكّرها بمنزل هيلينا، الذي تسكنه الأشباح أيضًا، شبح ماضي هيلينا، وشبح سعادة هيلينا، وشبح المستقبل الذي قد لا تتمكّن هيلينا من بنائه.

تنفّست ليونورا بعمق، ومسحت سيل الدموع عن خديها، ثم وضعت الكتاب مرة أخرى في حقيبتها، وتساءلت: هل يمكن أن يتحقّق هدفها في نادي القراءة؟ قد تكون فكرة لامعة، وفرصة ذهبية للتحدث إلى أحدهم، وتكوين صداقات جديدة، فالتقطت صورة قائمة القراءة وإعلان نادي القراءة أيضًا، وقرّرت أن تجري بحثًا حولهما غدًا، عندما ستأخذ هيلينا قيلولتها، وقد تذهب غدًا.

الفصل 10

موكيش

رنّ الهاتف مشيرًا إلى ورود رسالة صوتية: "جدي، هذه أنا!"، بدا صوت بريا متحمسًا ومبتهجًا، وتابعت قائلة: "أنا أستمتع بقراءة كتاب *ساحر الأرض*، ولكنني لم أتمكّن من قراءة سوى بضع صفحات في اليوم، لذا لن أرافقك إلى المكتبة لإعادته، وبعد أن أخبرتني أمي بأن عليك أن تعيده اليوم، أردت الاتصال بك لأقول لك إنني آسفة جدًا للتأخير، وإنني لن أتمكّن من زيارتك اليوم، لأن أمي كلّفتني بإنجاز بعض العمليات الحسابية الإضافية في أيام العطلة وينبغي لي أن أحلّها كلها".

كانت تتكلّم بسرعة، لذلك كان على موكيش إعادة سماع الرسالة الصوتية مرارًا وتكرارًا للتحقق من التقاط كل التفاصيل، وقصاصات ملاحظاته اللاصقة جاهزة في يده.

كان يتطلّع إلى رؤية بريا، وقد استيقظ باكرًا، وارتدى ملابسه في وقت أبكر من المعتاد، لأنه كان حريصًا على التحدث إليها عن كتابيهما، حتى إنه سجل بعض الملاحظات المهمة التي سيتداولها معها، فقد أراد نقل بعض الحكمة من العصفور الساخر تمامًا مثل أتيكوس، حتى لو لم تكن تلك الحكمة التي سينقلها إليها خلاصة تجاربه في الواقع.

سمع نينا تقول له: "لا تعتبر الأمر شخصيًا"، كان صوتها يتردّد من أعماق الصفحات، وتابعت قائلة: "إنها طفلة صغيرة، ولا تقصد أن تؤذي مشاعرك".

كان يدرك أن نينا مُحقة، ولكن الذهاب إلى المكتبة برفقة بريا كان أسهل بالنسبة إليه، بعد أن شعر كما لو أنه حقّق إنجازًا كبيرًا مع حفيدته.

تنهّد موكيش، وهو يعلم أن عليه العودة إلى المكتبة، فقد أراد إعادة الكتاب والحصول على آخر، ولكنه في أعماقه، لم يكن متأكدًا هل يمكنه القيام بذلك وحده، فتصفّح الكتاب مرة أخرى بحثًا عن جملة تحتوي على إحدى حكم أتيكوس لمساعدته على تجاوز هذه اللحظة الحرجة.

عندما وصل إلى المكتبة بعد ساعة تقريبًا، كان يحمل الكتاب بين يديه، وسكوت تركض أمامه مرتديةً زيّ الخنزير، وقد حلّت مكان بريا، وهي تهتف به مشجعةً، بينما كان أتيكوس العجوز الحكيم يسير إلى جانبه. في الوقت الذي عبر فيه موكيش الباب الزجاجي، شجّعه رفيقاه الخياليان على القيام بتلك الخطوة، فكانت الفتاة أليشا أول شخص رآه، وهي تعمل بجد، وقد وضعت سماعتيها في أذنيها، فتوجّه إلى مكتبها، بعد أن فارقه سكوت وأتيكوس الآن، فلفت سعاله انتباهها، ثم وضع كتابه أمام وجهه، وهو ينظر بفخر إليها.

"مرحبًا! سيد باتيل، هل أتممت قراءة الكتاب بهذه السرعة؟".

ما إن بدأ بالقراءة، حتى تغلّب على ضعفه، وكان ذلك الأهم، فاستغرق إنهاؤه يومين فقط، وكان فخورًا بإنجازه، فهو لم يشاهد سوى حلقة واحدة من وثائقي *الكوكب الأزرق* في أثناء انهماكه بالقراءة.

[#]

كسر أخي جيم ذراعه عند المرفق عندما كان في الثالثة عشرة، بدأ بالقراءة ببطء، فذُعر بعد أن قرأ ذلك السطر الأول من كتاب *لا تقتل عصفورًا ساخرًا*، لأنه شعر بأن نينا تراقب كل تحركاته.

إنه كتاب قيّم يا موكيش، ولن تستغرق قراءته وقتًا طويلًا، لقد صدح صوتها عاليًا وبدا واضحًا في أذنه، فنظر حوله متوقعًا أن يراها أمامه، بعد أن حاول أن يشعر

بالراحة في غرفة الجلوس ثم في المطبخ وأخيرًا في الحديقة. في النهاية استقرّ إلى جانب نينا في سريرهما، فكان شعورًا مثاليًا. يمكنه أن يشعر على فراشه للحظة بما كانت تشعر به وهي تمسك بالكتاب، ولكن تلك الفكرة المزعجة الكامنة في الجزء الخلفي من عقله صرخت قائلة: "محتال، محتال، محتال".

حاول تعديل مزاجه عبر تركيزه على ملمس الصفحات الناعمة، والصوت الصادر عنها عندما تحتك ببعضها.

حاول العودة إلى الكتاب والابتعاد عن متلازمة المحتال المزعجة، فتصوّر موكيش أتيكوس الطويل القامة والعريض المنكبين والسلطوي في غرفة نومه الصغيرة يستلقي على بساط يحمل علامة إيكيا التجارية، الذي اختارته فريتي، ومن خلال بضع صفحات، عرف أن والد سكوت وجيم "هذا الشخص المنطوي والذي يتصرّف بلباقة" كان أرملًا، وقد ربّى ولديه وحده بمساعدة الطباخة كالبورنيا، وبينما كانت عيناه تغوصان في معاني الكلمات، والشعور بغصة حارقة بدأت تنمو في حلقه، أدرك أنه لم يكن محاميًا، ولا أحد قادة المجتمع، ولم تثق بناته بحكمته، كما لم يكن طويل القامة وعريض المنكبين وسلطويًا مثل أتيكوس، ولكنه عرف مثله ألم فقدان زوجته، فجلس مستقيمًا، وركّز اهتمامه على هذا الرجل القوي واللطيف والعادل. بعد الغوص في قراءة الرواية، تساءل كيف يمكن أن يقاتل أتيكوس في حياته وهو لا يزال يتحلّى بجرأة شديدة، هل علق أي جزء منه في الماضي بعد موت زوجته؟ كان في إمكانه أن يشعر بارتفاع مستوى وعيه الذاتي، فاشتدّ عزمه على اكتشاف سر نجاح أتيكوس، الذي تابع حياته وهو لا يزال معافى كما يبدو.

بعد بداية بطيئة، ثبت في وقت لاحق من تلك الأمسية أن نينا كانت على حق، فلم يقدر موكيش أن يبعد نظره عن الكتاب، وقد شعر بأنه يتعلّم دروسًا مهمة في الحياة من أتيكوس، وأنه متى وضع نفسه مكان سكوت، ورأى العالم من خلال عينيها. إلا أن تكرار كلمة "محتال"، كان يزعجه، وقد تردّدت في مكان قصي في ذهنه، ولكن الرواية طغت بشكل كبير على تلك الكلمة المتكررة.

[#]

أنزل موكيش الكتاب، ليكشف عن وجهه لأمينة المكتبة، فبدت ابتسامته مشرقة، وقد عادت إليه ذكريات طي الصفحة الأخيرة، والإحساس بالفخر الذي شعر به حينها، فرفع قبعته، وأعاد ترتيب شعره الذي بعثرته الريح، وقال بثقة: "نعم! أنهيته!".

سألته أمينة المكتبة: "هل ترغب في إعادته؟". عندها سلّمها الكتاب بعصبية، لأنه لم يرغب في إرجاعه، ولكنه سمح لها بتسجيله في نظامها.

ابتسمت له قائلة: "هذا كل شيء"، انتظر قليلًا، وهو يقف حائرًا، ولا يدري ما سيفعل بعد إرجاع الكتاب، فقد أراد أن يتحدّث إليها عنه، ولكنّه توتّر ولم يعرف ما يقوله أو من أين يبدأ حديثه، فاحمرّ خداه من الخجل، ماذا لو قال كلامًا هراء؟

بدأ كلامه، وهو يقول بصوت متقطّع: "حسنًا، ضع نفسك مكان الشخص الآخر".

"آسفة، لم أفهم ما تقصده".

تلعثم في كلامه، وهو يقول: "ضع نفسك مكان الشخص الآخر، هذا ما يقوله أتيكوس، ألا تذكرينه؟".

لمعت عيناها دهشة، وقالت: "نعم، أذكره".

"أعتقد أن هذا ما احتفظت به من الرواية، إنّه حكيم جدًا، بل إن أتيكوس حكيم للغاية".

أومأت إليه أليشا برأسها قائلة: "بالتأكيد".

تبادلا النظرات محرجين، وقد ساد الصمت المكان.

بدأت الفتاة كلامها قائلة: "عندما أنهيت قراءة الرواية، كنت غاضبة للغاية ويائسة، ولم أرغب في التحدث إلى أي شخص من حولي".

أومأ إليها موكيش برأسه بقوة، وقال لها: "وأنا أيضًا".

نظرت الفتاة إلى هاتفها الموضوع على الطاولة، وقالت: "حسنًا...لا يزال لديّ بعض الوقت من استراحة الغداء، هلّا تحدّثنا عنه".

شعر موكيش بأن نينا تحفّزه إلى ذلك، فأومأ إليها مرة أخرى بحذر، فقادته إلى طاولة بجانب النافذة، وقالت بلطفٍ شديد: "لا تتردّد في الجلوس، يا سيد باتيل".

همس إليها مرة أخرى: "نادِني موكيش من فضلك"، لم يعرف من أين يبدأ، ولكنها كانت تراقبه، منتظرة أن يبدأ بالحديث.

قال ببطء: "هذا السطر الذي يدور حول فهم الآخر... لقد كنا مكان سكوت، الفتاة الصغيرة في القصة"، بدا الأمر وكأنه كلام ينطق به شخص ما في نادٍ للقراءة، أو في فصل اللغة الإنكليزية، ثم فكّر قليلًا قبل أن يكمل قائلًا: "نرى أتيكوس من خلال عينيها، أليس كذلك؟".

ابتسمت الشابة، ولم يعرف موكيش إن كانت تؤيّد كلامه أو تجامله فحسب.

"أعتقد أن ذلك السطر مثير للاهتمام، لأنه لو وضع الناس أنفسهم مكان توم روبنسون، ربما لم يتصرّفوا بفظاعة معه، ولم يتّهموه بجريمة لم يرتكبها أبدًا، فهذه الكذبة يمكنها أن تدمّر حياته كلها. وهناك أمر آخر ليس بقدر الفظاعة نفسها، ولكن ماذا لو استطاع سكوت وجيم رؤية حال الجار العجوز *بوو رادلي*، ربما كانا أكثر لطفًا معه أيضًا، فقد كانت روحه طيبة... وربما كان وحيدًا فقط، والناس لا يفهمون دائمًا الأشخاص الوحيدين". انطلقت الكلمات من فمه بسرعة، وكأنه يريد أن يتخلّص منها، فربما إذا تحدث بسرعة كافية، لن تلاحظ الكلمات السخيفة التي يتفوّه بها.

أومأت إليه أليشا برأسها، وقالت: "أنت محق، ولكن ذلك مستحيل، وهذه هي المشكلة، يعيش الناس حيواتهم فحسب، ولا يسعهم أبدًا أن يعرفوك تمامًا... كما تعلم، لا يمكنهم فهم شخصية شخص آخر أو ما يمرّ به". تكلّمت ببطء، وكأنّها تحاول أن تستجمع أفكارها، فتساءل إن كانت تحاول ألا تشعره بأنّه أحمق.

"لطالما فكّرت في ذلك عندما انتقلت إلى ويمبلي، وأنا في مرحلة الشباب"، تنفّس بعمق، بعد أن جعله الكتاب يعيد التفكير بشعوره بالغربة في ويمبلي عندما وصل إليها للمرة الأولى، وبأنه في مكان لا ينتمي إليه، وبنظرة الاستخفاف التي كان

ينظر بها الجميع إليه وإلى عائلته لفترة طويلة من الزمن كونهم مختلفين عنهم.
"انتقلت إلى هنا من كينيا، برفقة زوجتي وبناتنا الصغيرات، وأردنا أن نبدأ حياةً جديدة هنا، وكان لدينا أقارب في هذا المكان أخبرونا بتوفّر فرص الأعمال بكثرة، غير أنّني عندما وصلت، شعرت بالوحدة فحسب، وتساءلت لماذا لم يكن الناس لطفاء في معاملتي، وفكّرت طويلًا وتساءلت: لماذا لم يتمكّنوا من معرفة من أكون؟ لماذا لم يعدّوني واحدًا منهم؟ فلم يحاول أي واحد منهم أن يفهمني مهما فعلت، وعلى الرغم من أن بعض جيراننا كانوا لطفاء حقًا، ولكن الجميع باستثنائهم وجدونا مختلفين عنهم، لذلك لم يحاولوا التقرّب منا، ومن المستحيل فهم موقفهم".

هزّ موكيش رأسه، محاولًا طرد الأفكار السوداوية، وقال لها: "أنا آسف، ما أقوله لا علاقة له بالكتاب، ما الذي أثرثر بشأنه؟ لطالما أخبرتني زوجتي بأنني ثرثار".

قالت أليشا وهي تبتسم ابتسامة لطيفة: "لا، لا، أنت لا تثرثر، أعتقد أنك على حق، لا أحد يستطيع أن يفهم حقًا ما يمرّ به الآخرون، ولكن على الناس المحاولة".

للحظة وجد موكيش صعوبة في العثور على تشابه بين الشخص الفظ والسريع الغضب الذي التقى به منذ أسبوع تقريبًا والفتاة اللطيفة التي تجلس أمامه الآن، وتساءل: هل كان سيبرّر سلوكها بشكل أفضل لو وضع نفسه مكانها ذلك اليوم؟

تابعت كلامها قائلة: "لذلك عندما قرأت هذا الكتاب... منذ زمن طويل..."، تردّدت للحظة، وهي تجول بعينيها من جهة إلى أخرى في شتى أنحاء المكتبة، فذكّرته بأصغر بناته، ديبالي، التي كانت تقوم بردة الفعل نفسها عندما تشعر بالقلق والتوتر، وأردفت قائلة: "منذ فترة طويلة، حسنًا، هذا يجعلك تشعر بالارتباك، لديّ شقيق كبير، ونحن مختلفان حقًا عن سكوت وجيم، لكن ما ورد عنهما عندما كانا صغيرين، جعلني أفكّر في نفسي وبإيدان عندما كنا طفلين، فقد كنا سخيفين، ونرى الجار شخصية مسلية نستطيع التلاعب بها والمرح معها، وأنا متأكدة من أننا قمنا

بتصرفات غبية كهذه عندما كنا صغيرين، كما لو أن العالم كله لعبة كبيرة بالنسبة إلينا".

"هذا صحيح! لقد أثار إعجابي هذان الاثنان، كما أحببت الرواية كثيرًا"، أومأ موكيش إليها برأسه بشكل قاطع، وتابع قائلًا: "وقد أُعجبت بأتيكوس كثيرًا أيضًا! فقد كان رجلًا ذكيًا فعلًا".

أشرق وجه أليشا، وقالت: "كان بارعًا في مهنته... فكل التهم المتعلقة بقضية توم روبنسون عالجها بحرفية، على الرغم من أنها كانت تثير العاطفة وتوتّر الأعصاب للغاية، ولكنني أُعجبتُ بأسلوب دفاعه عنه في المحكمة، وأنا أنوي أن أتقدّم إلى كلية الحقوق في جامعة...".

ابتسم موكيش، وأشرق وجهه، وهو يقول: "كلية الحقوق؟ لا بد أنك ذكية جدًا! لا عجب في أنك قارئة نهمة".

ضحكت أليشا بخجل، وهزّت كتفيها على الفور، وقالت وهي تشعر بالإحراج: "لست حادة الذكاء، بل أنا أعمل بجد فقط".

"حسنًا، أتيكوس محامٍ لامع، ولكنك ستكونين أفضل منه!". ثم صفّق لها، فضحكا معًا، ثم تلاشت أحاديثهما حتى ساد الصمت، وغاب الخجل، فقال موكيش مرة أخرى: "حسنًا، أشكرك على مساعدتك، فقد أحببت هذا الكتاب، ولكن بأي كتاب تنصحينني بعده؟ قلت إنّه يمكنك إخباري بالكتاب الذي يجب أن أقرأ بعد إنهاء قراءته!".

صمتت الشابة قليلًا، فلاحظ تشابك يديها على الطاولة، وقد التفّ أحد أصابعها حول الآخر.

"حسنًا، ربما يعجبك كتاب *ريبيكا*، إنه من تأليف دافني دو مورييه".

"أنا متأكد من أن كل ما توصين به سيثير إعجابي".

نهضت عن كرسيها، وتوجّهت إلى أحد الرفوف، فوجدت النسخة على الفور، واعتبرها ذكيةً جدًا، لأنها تعرف مكان كل كتاب في المكتبة، ثم توجّهت إلى مكتبها،

ونهض السيد باتيل عن كرسيه المريح، ثم لحق بها.

قال كي يخترق جدار الصمت الذي خيّم عليهما، بينما كانت تدخل رمز الكتاب إلى البرنامج عبر الحاسوب: "كانت زوجتي تحبّ القراءة".

"ما الكتب التي أحبّت أن تقرأها؟".

"لا أدري، فقد كان يلازمها دائمًا كتاب تقرأه قبل أن تخلد إلى النوم، ولم أعرف أبدًا ما نوع تلك الكتب، وقد توفيت منذ سنتين، كانت القارئة النهمة، بينما لم أقرأ كتابًا حتى الآن".

قالت بصوت هامس: "أنا آسفة"، ثم نظرت إليه، وأفسحت له المجال لمتابعة كلامه.

"كانت زوجتي تقرأ، وبدلًا من أن أهتمّ بالكتب التي تستهويها، أحببت مراقبتها وهي تقرأ، فلم أسألها قط عن مضمون تلك الكتب، وأشعر بالإحراج لأنّني بدأت بقراءة الروايات في هذا السن".

"لا يفوت الأوان أبدًا على قراءة الروايات".

"تبدو الروايات غريبة للغاية، مثل التطفل على حياة شخص آخر، ومشاهدة أحداث ليس من المفترض أن نراها، كأن أكون فضوليًا!".

مسحت أليشا بطاقته الخاصة بعضوية المكتبة ضوئيًا، وقالت: "أنا متأكدة من أن زوجتك ستكون منبهرة جدًا بمدى سرعتك في قراءة رواية *لا تقتل عصفورًا ساخرًا!*"

أومأ إليها برأسه حزينًا: "أعتقد أنها ستكون كذلك".

"ماذا كنت تعمل؟ وما الذي تفعله في الوقت الراهن؟"، لمح في عينيها الندم بعد أن أنهت كلامها، وعلى الأرجح أنّها تمّنت ألا تكون قد أحرجته.

"يا عزيزتي، أنا بالتأكيد لا أقوم بأي عمل الآن، فأنا عجوز متقاعد، وأعاني من ألم في الظهر، وكنت في السابق بائع تذاكر في محطة ويمبلي المركزية، ولكنّني الآن عاطل عن العمل".

"أكنت بائع تذاكر؟".

"نعم، لقد بعت التذاكر للناس، وكنت أتعرّف إليهم جيدًا من خلال عملي، وأحفظ وجوههم، وأحاول دائمًا أن أسألهم عن أسمائهم، كما كنت أعرف من الذي سيصعد في كل قطار وموعد رحلته، فكان الناس أقل غضبًا حينها، ولم يكونوا مَشْغُولين بهواتفهم، فكان عدد حاملي الهواتف المحمولة قليلًا، لا كما هو الحال اليوم، لذلك كان الناس ينظرون إلى الأعلى عندما يتجوّلون بدلًا من أن ينظروا إلى هواتفهم التي يحملونها بين أيديهم وهم يحنون رؤوسهم إلى الأسفل- أشار برأسه إلى الآيفون الخاص بأليشا الموضوع على الطاولة ووجهه إلى الأسفل- كان التحدث هو كل ما يمكنهم فعله حينها، وكنت أدعو الذين يتأخّرون عن قطارهم إلى ركوبه قبل أن يفوتهم"، ثم رفع يده، وأردف قائلًا: "قطارك سينطلق، يا آنسة! هذا ما اعتدت على قوله، وكان الناس يشكرونني عليه دائمًا".

"لا يمكن أن أتخيّل أن الناس يتحدّثون إلى بعضهم في لندن، ولا أذكر أنني قلت أكثر من بضع كلمات للركاب في القطار".

"أعلم، يحزنني أن ألقي التحية على الناس، فينظرون إليّ باستغراب كما لو أنني مجنون".

أومأت أليشا برأسها موافقةً، ثم همست مشيرة إلى شاب يرتدي بلوزة سوداء سميكة ذات قبعة: "هذا الشاب هناك، نحن ندعوه مهووس بكتب الجرائم والتشويق، لأنّه لا يقرأ إلا هذا النوع من الكتب، وقد تحدّث إليّ منذ فترة، وحاول إجراء محادثة قصيرة، فوجدت ذلك غريبًا جدًا، رغم أنّ وظيفتي تتطلّب في الأساس أن أتبادل الأحاديث مع الزبائن، فهذا عملي هنا".

قهقها طويلًا ما دفع المهووس بالجرائم والتشويق إلى النظر إليهما لحظة، فأشاحا بناظريهما على الفور، وشعر موكيش كما لو أنه أُطلع على سر خطير، وقال حالما التقط أنفاسه: "لو تعرّفتْ إليك زوجتي لأعجبت بك، فهي تحبّ الشابات الذكيات، وذوات التركيز العالي، والقارئات النهمات مثلها تمامًا".

لاحظ أنّه قد تحدّث عنها مستخدمًا الزمن الحاضر، كما لاحظت الفتاة ذلك أيضًا.

"إليك روايتك، سيد باتيل!"، سلّمته كتاب ريبيكا قبل أن يتفوّه بأي كلمة أخرى، فقبض عليه بكلتا يديه، ووضعه في حقيبته القماشية المتدلية على كتفه، وغادر المكتبة من دون أن يلتفت إليها ليقول وداعًا حتى خرج من الباب بالفعل، فلوّح بإحدى يديه والباب يشكّل إطارًا حوله ومكان التقاء درفتي الباب يقسمه إلى شطرين، فلوّحت له الفتاة بالحماسة نفسها.

كانت الشابة محقة، فنينا كانت لتفخر به، ليس لأنه قرأ كتابًا بسرعة فائقة فقط، بل لأنه أخرج نفسه إلى المنطقة التي بعثت في نفسه الراحة اليوم، وخلال لحظات قليلة من يومه، عثر على صديقة جديدة، فنظر إلى قدميه ليتحقّق من أنّه لا يزال ثابتًا على الأرض، وأنه لم يكن يحلم. ثمّ استدار وابتعد عن المكتبة، وهو راضٍ لأنّه أدرك أن كل شيء حقيقي.

ريبيكا

دافني دو مورييه

الفصل 11

أليشا

بعد أيام قليلة، نهضت أليشا على صوت رنين هاتفها، كانت الساعة السابعة صباحًا.

قال لها ديف بصوت حازم: "أليشا، هل يمكنك أن تحلّي مكان بيني اليوم؟ فقد أُصيب بالمرض بعد حفلة الرجال الليلة الماضية،

وسيكون كايل برفقتك أيضًا".

تثاءبت قائلةً: "هل ثمل بيني ليلة البارحة؟".

"ربما، لذا من الأفضل أن يبقى مرتاحًا في المنزل، فلا أريد أن تحدث أي تصرفات مشبوهة في الممرات".

نظرت أليشا بتململ إلى الطاولة بجانب سريرها، حيث كانت رواية ريبيكا في انتظارها.

قالت له: "أجل، ولكن سأتحقّق أولًا من أوقات عمل شقيقي، وبعد ذلك سأحضر إلى المكتبة". كانت ممتنّة للفرصة التي أُتيحت لها للعمل في المكتبة اليوم، وإعادة بعض الكتب إلى الرفوف، فالليلة الماضية كانت ليلة سيئة بالنسبة إلى ليلى، وقد استيقظت أليشا عدة مرات على صوت صراخ والدتها، ثم أحسّت بحركة إيدان وهو يمشي ذهابًا وإيابًا إلى غرفتها، وهو يجرّ قدميه جرًا، فبدا مرهقًا..

عندما وصلت إلى المكتبة، كان الجو هادئًا، فلم يكن هناك سوى اثنين من الرواد الدائمين، أحدهما كان المهووس بكتب الجرائم والإثارة وهو يجلس في مكانه المعتاد، والسيدة والهندية المسنة التي تحبّ الدردشة، ولكن لم يكن هناك من يهتمّ بثرثراتها عندما أُنغلق الباب الزجاجي خلفها، تلاشت أصوات ويمبلي الصاخبة وروائحها العابقة وليالي ليلى المليئة بالنكد.

لكن بينما كانت تمشي ذهابًا وإيابًا بين ممرات الكتب وهي تعيدها إلى الرفوف، رأت إحدى الشخصيات مختبئة في الزاوية، فأعادتها إلى أرض الواقع بضربة على رأسها، إنها ميا، فأليشا يمكنها أن تتعرّف إلى الجزء الخلفي من رأسها بكل سهولة، من خلال تسريحة شعرها التي تميّزها عن الآخرين، وقرطها الطويل الذي يتدلّى من أذنها اليسرى، وقرط أقصر في أذنها الأخرى.

سارعت إلى الاختباء خلف أحد رفوف الروايات، وثبّتت عينيها على قدميها، محاولةً ألا تظهر قدر الإمكان.

"أليشا؟".

اللعنة! لقد اكتشفت مخبأها.

استدارت أليشا ببطء، محاولةً التصرف بشكل طبيعي، ورسم ابتسامة عفوية على وجهها، على الرغم من أنها أرادت أن تنشقّ الأرض وتبتلعها فحسب.

قالت ميا وقد ارتسمت على وجهها ملامح الارتباك: "أنتِ حقًا تعملين في المكتبة؟"، ولكن نبرة صوتها أظهرت بوضوح ارتباكها وتوترها.

"مرحبًا ميا، كيف حالك؟ ماذا تفعلين في المكتبة؟".

"أنا أدرس من أجل امتحاني الأخير الأسبوع المقبل، لقد أخبرتنا نحن الفتيات بأنك بدأت تعملين هنا فور انتهاء امتحاناتك، ولكنني بصراحة لم أصدّق ذلك".

ابتسمت ميا ابتسامة خفيفة، وكأنَّ وظيفة أليشا كانت أطرف نكتة في العالم، في تلك اللحظة كرهتها أليشا، ولكنها شاركتها الضحك محرجة، لأنها كانت النكتة التي أضحكتها على حساب كرامتها، كما أنها لم ترَ ميا منذ امتحانها الأخير في

منتصف شهر أيار، قبل أكثر من شهر، ولم تتكلّما منذ ذلك الحين، ومن المؤكد أنها لم تعد تعتبر نفسها واحدة من أولئك *الفتيات* بعد الآن، وقد أصبحت مجموعة الواتساب الآن الرابط الوحيد الذي يجمع بينهن في الوقت الحالي، تساءَلَتْ، كيف سيكون الوضع في أيلول بعد عودتها إلى المدرسة؟ وهل سيكنّ *أفضل الصديقات* لها مجددًا؟

وهل سيكلمنها مرة أخرى؟ لقد كانت كتب ميا مبعثرة في جميع أنحاء المكتبة.

أومأت أليشا إليها برأسها نحو الطاولة لتغيير الحديث، وقالت: "يبدو أن لديك أكثر من اختبار".

"أريد أن تكون لي الأولوية في القبول، فالفترة المخصصة لتقديم الطلبات الجامعية وجيزة، ولا أريد أن أكون متأخرة".

"نعم، أفهمك".

أومأت أليشا برأسها، وجالت بعينيها في أرجاء المكتبة بحثًا عن عذر للابتعاد عنها.

قالت لها: "من الأفضل أن أذهب، يبدو أن أحدًا يحتاج إلى مساعدتي".

أدارت رأسها في اتجاه الطاولة الأمامية حيث كان يقف طفل في العاشرة من عمره، ويستعدّ لقرع الجرس، وبينما كان كايل يشقّ طريقه بين الطاولات نحوه، أشارت إليه لكي يعود إلى ما كان يقوم به.

لوّحت أليشا بذراعيها للطفل، وقالت له: "مرحبًا، لقد حضرت".

أكملت طريقها نحو المكتب، واستقرّت على كرسيها، وبدت ملامح الجدية على وجهها، وقالت: "كيف يمكنني أن أساعدك؟".

"أريد أن أستعير كتابًا".

"هل تُفكّر في كتاب محدد؟".

"لا أعلم، بمَ يمكنك أن تنصحيني؟".

حرّكت أليشا عينيها، وهي تواجه موقفًا محرجًا آخر مجددًا، لكنها شعرت بأن ميا تراقبها، فابتسمت ابتسامة عريضة، فوضع أمينة المكتبة كان بأوج قوته.

[#]

لم تغادر ميا المكتبة خلال فترة قصيرة، بل مكثت لساعات طويلة وهذا ما أتاح لها رؤية إيدان وهو يتّجه نحو أليشا، حاملًا كيسًا من تيسكو أحضر فيه الغداء من أجل شقيقته. لاحظت أن ملامح وجه صديقتها انقبضت ما إن سمعت صوت شقيقها، فلطالما أُعجبت ميا بإيدان، شأنها شأن كل صديقات أليشا.

قال إيدان وهو يتّجه نحوها: "مرحبًا أليشا، ماذا تفعلين؟". أشار إليها بالحقيبة التي يحملها، بينما كانت تسند ظهرها إلى الخلف وهي تقرأ *ريبيكا*، بما أن السيد باتيل قد قرأ *لا تقتل عصفورًا ساخرًا* خلال يومين تمامًا، فقد كان عليها أن توصيه *بريبيكا* بعد أن تقرأها بنفسها في وقت لاحق من اليوم التالي، وقد اتصلت خلال مناوبة لوسي لحجز *عداء الطائرة الورقية* و*حياة باي* و*كبرياء وتحامل* و*نساء صغيرات* و*محبوبة* و*ولد مناسب*، القائمة بأكملها، وقد تكدّست الكتب على مكتبها، وهي جاهزة لنقلها إلى المنزل.

قالت لوسي: "أليشا، أنت تقرأين كمية كبيرة من الكتب القديمة، أليس كذلك؟". على الفور شرعت مساعدة المكتبة في سرد قصتها المفضلة عن ولديها اللذين أصبحا قارئين في هذه المكتبة. "صدقيني إن قلت لك، إن كنت تعتقدين أن الروايات لا يمكن أن تقدّم إليك الكثير، فأنت مخطئة، فهي تفتح آفاقك، يا عزيزتي. انظري إلى هانا، لقد أصبحت سيدة أعمال عظيمة الآن، وهي تعترف لهذا المكان بالفضل لوصولها إلى هذه المكانة وامتلاكها الوعي والانفتاح على المجتمع، فيمكن لتلك الكتب المدرسية التي تقرئينها في المدرسة وغيرها من الكتب أن تعلمك قدرًا لا بأس به من المعلومات، ولكن الروايات تعلّمك أكثر من ذلك بكثير". ثم قالت للمرة المليون لأليشا: "لقد أصبح ولداي قارئين في هذه المكتبة،

وأنا سعيدة جدًا لأنك تقومين بذلك أيضًا! خاصة بعد تذمّرك المتواصل من الكتب في السابق".

لقد شعرت بالراحة والامتنان للكتاب الذي منحها الحماية اليوم، فمكّنها من الاختباء خلفه، ولكنها شعرت في الوقت نفسه بشدة غبائها، فقد كانت ميا تنظر إليها من حين إلى آخر، وعلى الرغم من حقيقة أن القراءة أصبحت عادية بالنسبة إليها الآن، بعد أن جذبها السيد دي وينتر منذ بداية الرواية، وقد بدا ساحرًا وجذابًا، وكذلك زوجته الجديدة، التي تبدو متوترة على الدوام، ومن الواضح أنها مغرمة به، إلا أن أليشا لم تستطع أن تطرد الشعور المتشائم بعودة الماضي ليطاردهما، وقد انبعث في داخلها من خلال وصف ذلك المنزل الضخم والمخيف، الذي يوحي بالغطرسة والتسلط، مانديرلي، السر الذي يجمع بين المتزوجين حديثًا.

سبق لأليشا أن قفزت من مكانها، واقشعرّ جسمها، عندما أشار أحد السطور في القصة إلى كدسة من كتب المكتبة، فبدا وكأنها تطاردها، كما شعرت وكأن الكاتبة نظرت فجأة إلى أليشا، ولكنها لم تكن قد عرفت إلى أين يمكن أن تقودها هذه القصة، وقد أرادت اكتشاف ذلك.

أجابت إيدان: "أنا فقط أقرأ".

"أستطيع أن أرى ذلك، أنا فقط... من دواعي سروري أنك منغمسة جدًا في القراءة، أتذكرين عندما أحضرت لك جدتنا كتاب ليموني سنيكيت وانتهى بك الأمر إلى استخدامه مسرحًا لألعاب بيضة كيندر خاصتك؟".

قلبت أليشا عينيها بغضب.

"كيف سارت الأمور مع الرجل العجوز في النهاية؟ هل ما زلتِ تقترحين عليه الكتب التي تناسب ذوقه؟".

أجابت قائلة: "لا أقترح عليه وحده فقط".

"أحوالك تتحسّن، كما أن ذلك يساعد على قضاء وقت ممتع أيضًا، على ما أعتقد".

ثم سَحَبَ الكتاب من يديها ليتفحّص الغلاف، وقال: "*ريبيكا*؟ احذري ألا تخيفي الرجل العجوز حتى الموت إن اقترحت عليه قراءة هذا الكتاب، وقد تُطردين من عملك بسبب ذلك".

قالت أليشا وهي تنظر إلى ميا: "اصمت! وأعد إليّ الكتاب"، وانتَزَعَتْ الكتاب من يده بقوة.

"آسف، آسف، لا أريد أن أدمّر مصداقيتك في المكتبة أمام جميع أصدقائك". ثم فتح ذراعيه على وسعهما في المكتبة التي تعجّ بأشخاص خياليين، فلمح مؤخرة رأس ميا. سأل بأسلوبه النموذجي: "أهذه صديقتك ميا؟".

أومأت إليه أليشا برأسها، وعلى وجهها تعبير لا يفهم معناه سوى إيدان ومفاده "*نعم، اللعنة على حياتي*".

قال لها: "هل تريدين مني أن أتسكّع في المكتبة لحمايتك؟ لماذا لم تعودا صديقتين، على أي حال؟".

"اسكت، لا خلاف بيننا، كما أنك تريد البقاء لأنك تعلم أنها معجبة بك فقط".

"حسنًا، من يستطيع أن يلومها؟". غَمَزَ إيدان، فنهضت أليشا عن مكانها لتلكم كتف شقيقها. "هل تتعاملين مع الجميع بهذه الفظاظة؟ لا عجب في أنك تحصلين على سمعة سيئة بصفتك أسوأ أمينة مكتبة في العالم كله، سأغادر...".

قالت له: "مهلًا! بما أنك قطعت كل تلك المسافة وأتيت إلى هنا، أشعر بأنها المرة الأولى التي أراك فيها منذ زمن طويل، ماذا تنوي أن تفعل في عملك؟".

كانا منهمكين في الاهتمام بحالة ليلى المتدهورة التي كانت تطغى على أي موضوع آخر في الوقت الحالي، وكانا يتقاسمان العناية بوالدتهما من دون أن يصرّحا بذلك.

أجابها قائلًا: "عملي لا بأس به، فرؤسائي يفكّرون في ترقيتي إلى منصب مدير المستودع وهذا سيكون مناسبًا... أخيرًا".

يعمل إيدان في مستودع بسكويت، ولم يكن العمل الذي حلم به، وكان عمله في الوردية المسائية في الصيف وبعد انتهاء دوام المدرسة، وكان ينوي أن يبحث عن عمل آخر، ولكن بعد مرور سبع سنوات لا يزال يعمل في المكان نفسه، وكما يبدو أنه يحبّ الاستقرار والإلفة... وربما البسكويت أيضًا. "هذا رائع للغاية".

"لكن هذا يعني أنك ستمضي مزيدًا من الوقت في العمل، وستتخلّى عن الوظيفة لدى إيليوت". إيليوت هو ميكانيكي السيارات الذي كان يعمل لديه إيدان خلال الأشهر القليلة الماضية، وهو يعمل في بعض الورديات المتغيرة مكان من يغيّب عن العمل. رأت أليشا أنه يلجأ إلى أسلوب آخر للتهرب من الإجابة، فهو يحاول أن يكون واقعيًا، ويلقي حلمه بافتتاح متجره الخاص في سلة المهملات، بعد أن تحدّث عن الالتحاق بدورة تدريبية في إدارة الأعمال في الجامعة المفتوحة من قبل، ولكن في كل مرة كانت تسوء فيها حالة ليلى ويشتدّ مرضها، يهمل أحلامه، كما لو أنه لم يفكّر أبدًا في تحقيقها، ويلقي بنفسه في مكان آخر بعيدًا عن طموحاته.

قالت له: "أسيكون هذا نهاية العالم؟".

قال لها: "أليشا، أنت تعرفين أنني أحبّ العمل في الميكانيك، كما أعتقد أنها قد تكون مهنة مفيدة بالنسبة إليّ على المدى القصير، فهي تعطيني بعض الأفكار العملية التي قد تساعدني في إدارة الأعمال التجارية أيضًا، كما أن إيليوت لطيف حقًا، ووعدني بأنه سيسمح لي بالمساعدة في هذا المجال إذا رغبت في ذلك.

"صحيح، لكن بخلاف ذلك، هل أنت مهتم بهذا العمل حقًا؟".

"لا أعرف". بدا فجأة متجهّم الوجه.

قالت له: "ما الأجر الذي ستتقاضاه مقابل مدير المستودع؟".

أجابها: "أكثر مما توقّعت، ولكن المبلغ ليس كبيرًا بقدر ما ستحصلين عليه عندما تعملين محامية".

ضحكت أليشا، ولكنها كانت ضحكة يشوبها الحزن، فلطالما سُمح لأليشا بالحلم، ودائمًا كان يدفعها إلى الأمام، بينما لم تتح له الفرصة نفسها، فهي قرّرت

أن تصبح محامية عندما كانت في الثالثة عشرة من عمرها، ويرجع ذلك أساسًا إلى قدرتها على خوض النقاشات بمهارة، ومنذ ذلك الحين لم يسمح لها إيدان أبدًا بالتخلي عن حلمها، وقد خطّط لحياته بما يتيح له دعمها ومساندتها لبناء مستقبلها.

تمنت أن تقول لإيدان أنه يستطيع المضي قدمًا في مخططاته، وأنه يمكنه تحقيق أحلامه، ولكنه لم يسمع نصيحة أخته الصغرى أبدًا، بل لم يسمع نصيحة أي شخص آخر.

سَأَلَتْهُ، غير قادرة على كبح فضولها: "ما حلمك؟".

ضحك إيدان، وهو يسألها: "من تكونين كي تسألي، هل أنت مستشارتي المهنية؟".

"أنا أختك، ولا أعرف حتى الآن ما حلمك".

"هذا لأنني لا أشبهك يا أليشا، فبعض الناس ليس لديهم أحلام".

"الجميع لديهم *أحلام*".

"في هذه الحالة، إذا كنت تريدين حقًا أن أجيبك، فأحلامي هي أنتما، أنتِ وأمي".

أحسّت أليشا بغصة في حلقها منعتها من الرد، وساد صمت مطبق في المكتبة، ماذا فعلوا لهذا الشاب؟ ماذا فعلوا لأحلامه؟

رمى إليها حقيبة الوجبات بقوة، لتحطيم حلقة التوتر التي انغلقت عليهما، فتدحرجت عبوة العصير والشطيرة على الأرض.

قال إيدان: "تبًّا!". استدار رواد المكتبة الأربعة ومن بينهم ميا، وقد تجهّمت وجوههم، وعندما اكتشفت ميا أن إيدان كان مصدر الضوضاء تحوّل عبوسها إلى ابتسامة، وهي تلوّح له بيدها برقة ولطف، فرفع إيدان حاجبيه، ولوَّحَ لها، ثم التقط الشطيرة وعبوة العصير بيده الأخرى، ووضعهما بعناية على مكتب أليشا.

ما إن أوشكت ميا أن تقترب منهما، حتى ابتسم إيدان لأخته، وقال: "أنا آسف"، ثم غادر بأقصى سرعة، فتباطأت خطوات ميا، قبل أن تحوّل مسارها بعيدًا عن ظل أيدان في اتجاه أليشا.

قالت ميا وهي تنحني لالتقاط قصاصة ورق عن الأرض: "أوه، لقد أسقطتِ هذه القصاصة". كانت ملاحظة لاصقة برتقالية صغيرة، وقد قدَّمَتْهَا إليها كما لو كانت هدية ثمينة.

استمتعي بتناول غدائك، أحضري بعض الأغراض لتناول العشاء الليلة، وسأطبخ الطعام لكما، إيدان.

قالت ميا وهي تقرأها بنفسها: "هل هي من أخيكِ؟ كم هذا لطيف!".

استعادتها أليشا، وقالت: "شكرًا".

"قدمت للتو لأقول لك إنني سأغادر الآن، أرجو أن أراك قريبًا، استمتعي بقراءة كتابك، وتناولي وجبتك بهناء، كما أسعدتني رؤيتك".

[#]

أوشك وقت إغلاق المكتبة أن يحلّ عند الساعة السابعة، ولم يكن فيها سوى أليشا، ما بعث في نفسها السكينة والسلام اللذين سعت إليهما دومًا، إنها البيئة المثالية لقضاء بعض الوقت الهادئ برفقة *ريبيكا*. عندما قلَّبَتْ الصفحات للمرة الأولى قبل عدة أيام، كانت تعلم أنها ستمنح الكتاب فرصة أخرى، وكانت العلامة الأولى هي *"ابنة خالي راشيل"* التي كانت على قائمة الكتب الأخرى التي كتبتها دافني دي مورييه. لقد افتقدت أليشا ابنة عمها راشيل، فهما لم تنفصلا سابقًا، ولكن راشيل تعيش الآن على بعد أكثر من مئة ميل.

سَحَبَهَا القصر الجميل المعزول، مانديرلي، مباشرةً إلى الكتاب، وأخذها إلى مكان آخر تمامًا، فكانت تتعرّف ببطء إلى ريبيكا نفسها... التي كانت في الواقع الزوجة السابقة للسيد دي وينتر، ومع ذلك كان وجودها مهيمنًا على المنزل، لذا استنزفت كل طاقات السيدة دي وينتر الجديدة، وكانت تستحقّ أن تكون الشخصية الرئيسية، إلا أنه لم يُذكر موقع مانديرلي بدقة، ولكن وفقًا لوصفه فقد ذكَّرَهَا بكورنوال... حسنًا، لقد ذكَّرَهَا بالصور التي رأتها لكورنيش الساحل الجميل

الملصقة على جدار الفصل الدراسي التاسع بعد أن قامت صديقاتها جميعهن برحلة مدرسية إلى بود، ولم تستطع أليشا الذهاب، على الرغم من أن إيدان الذي كان يبلغ في ذلك الوقت 21 عامًا فقط، حاول تنظيم ورديات عمله لتتمكّن من الذهاب، ولكنه فشل في مسعاه، وفي النهاية اضطرّت إلى البقاء في المنزل، لأن ليلى لم تكن على ما يرام في ذلك الوقت، وكانت تكره رؤية تلك الصور الجميلة المعلقة على جدران المدرسة، وسماع القصص المشوقة التي ترويها صديقاتها، والتحسر على كل ما فاتها.

لطالما أرادت أليشا رؤية كورنوال في الواقع، ولكن لم تتح لها الفرص لتأمل المشاهد الدراماتيكية المتمثلة بمنحدراتها الوعرة، وأمواجها المتلاطمة وشواطئها الرملية المختلفة تمامًا عن الرمال الممتدة على طول الشاطئ الواسع الذي زارته يومًا، وأشجار الصنوبر تنتشر بكثافة في شمال نورفولك، وهو المكان الوحيد على شاطئ البحر الذي أخذها دين وليلى إليه في مرحلة طفولتها.

لكن الآن من خلال *ريبيكا* والسيدة دي وينتر، كانت أليشا تتأمّل كورنوال من منظور مختلف تمامًا، ويمكنها أن تبتعد قدر الإمكان عن ويمبلي وميا وليلى من خلال قراءة صفحة واحدة في كل مرة.

كانت ريبيكا تتحرّك في مانديرلي مثل الشبح، ما جعل أليشا تسقط الكتاب على مكتبها فجأة، بعد أن أخذتها قشعريرة سرت في عمودها الفقري، إنه لأمر مخيف، بعد أن التقطت أنفاسها لتهدئة أعصابها، وَضَعَتْ الرواية تحت ذراعها وأمسكت بحقيبتها المثقلة بالكتب، وعندما وقفت لاح فوقها ظل مخيف وسط الظلام، يشقّ الضوء الضئيل في هذه الأمسية الصيفية.

"تبًّا!" صاحت أليشا، وهي تضغط بالكتاب على صدرها بقوة لتحمي نفسها، وعندما نظرت بإمعان إليه، أدركت أنه مجرد مكنسة كهربائية، تركها كايل للتذكير "بالحفاظ على نظافة هذا المكان". يا لهذا الكتاب اللعين! فلا يزال ضوء النهار منتشرًا، ولكن قراءة الكتاب أشعرتها بالخوف الشديد.

بينما كانت تغلق المكتبة، وضعت قائمة الكتب بين صفحات رواية *ريبيكا* لتحديد الصفحة التي وصلت إليه.

مجدًا وجدت نفسها تُفكّر في الشخص الذي كتب القائمة، وقد تصوَّرته شابًا إلى حد ما، أصغر من أمها على الأرجح، ولكنه أكبر منها وفقًا لخط يده الرائع والأنيق، والذي يشبه خطها الفقاعي. كما يمكن أن يكون طالبًا، ولكنها شكّكت في ذلك الاحتمال، فقد تمّت كتابة جميع قوائم الكتب المدرسية كما تمّ توزيعها على التلاميذ، وقد وضع هذا الشخص القائمة بنفسه، وربما نسخها من إحدى الصحف أو من شبكة الإنترنت أو من وسيلة إعلامية أخرى من هذا القبيل. إنها شبيهة بتلك القوائم التي يكون عنوانها "20 كتابًا للقراءة قبل أن تموت"، أما بالنسبة إلى كتاب *ريبيكا*، فتساءلت عما إذا كان "الكتاب الوحيد الذي يجب أن تقرئيه قبل أن تتزوجي في حال اكتشفتِ أن زوجة زوجك السابقة ستطاردك، وأن مدبرة المنزل ستكون المرأة الوضيعة التي ستكدّر عليك زواجك".

لم يكن لدى أليشا أي فكرة عما يعنيه أن تطاردها امرأة ميتة أو تعيش في قصر بصفتها شبحًا، ولكن أسلوب وصف مانديرلي، أبرز جو التوتر الذي يسوده... ما أوضح لها الفكرة، فباتت تعرف بالضبط طبيعة الشعور بذلك، وكانت تتمنّى لو لم تجرِ المقارنة أبدًا. ربما لم يكن هذا الكتاب الخيار الأفضل بعد أن بدأت بقراءته، ولكنّ الأوان قد فات.

خَرَجَتْ من المكتبة، وأغلقت الأبواب خلفها، ثم نظرت إلى الوراء عبر النوافذ، فاسترجعت الأوقات العصيبة التي مرّت بها بعد رؤية ميا في المكتبة اليوم، وهي الدخيلة في الفضاء الذي عزلت نفسها فيه، وبدأت تشعر بأنه مختلف عن حياة صديقاتها، فهو بات أشبه بالملاذ منه إلى السجن، وأشبه بمكان يمكن أن تنتمي إليه يومًا ما، فشاهَدَتْ الشعاع الأخير من شمس المغيب ينتشر على مكتبها، ولو أنها لم تعترف بذلك لميا، فقد بدأت تحبّ العمل في المكتبة.

لكن تلك المشاعر لا تزال ضئيلة.

إيزي
2017

رأتها إيزي ملقاة على الرصيف أمامها، فألقت نظرة حولها، وتساءلت إن سقطت من شخص ما، وما هو المكان الذي أتت منه، في الجزء العلوي منها هناك شريط لاصق، ولكنه أصبح جافًا الآن، كما كانت القائمة جافة وملطخة من السخام الذي ينتشر في سماء لندن.

مرّ وقت طويل على آخر مرة رأت فيها قائمة، بعد أن كان جمع القوائم إحدى عاداتها الغريبة، بدأت هذه العادة منذ انتقالها إلى لندن، عندما وجدت قائمة ملقاة في عربة في سانزبيري، كانت المدينة كبيرة جدًا، وشديدة الاتساع، ولأنها وجدت نفسها وحيدة وغريبة في بعض الأحيان، اعتبرت هواية جمع القوائم فترات وجيزة من التواصل البشري، كما اعتبرتها دليلًا على مرور غرباء صامتين، لم يكونوا بنظرها صامتين فقط بل لا يحبذون التواصل البشري أيضًا.

عثرت على قوائم التسوق، ومخططات لوجبات العشاء الخاصة بهم، ورأت في هذه القوائم وسائل تربطها بكاتبيها، واحتفظت بكل تلك القوائم التي سبق لها أن عثرت عليها في درج صغير من أدراج خزانة الردهة، وكانت واثقة من أنها ستصنّفها ذات يوم، وتضعها في مجلد أو ألبوم أو في أي شيء من هذا القبيل، ولكن بالنسبة إلى الوقت الحالي هذا هو المكان المخصص لها. في بعض الأحيان كانت تجد هذه القوائم مرمية في الشارع أمام أحد المتاجر بعد أن تلاعبت بها الرياح، وكانت معظمها قوائم تسوق، فبعد أن يفرغ منها كاتبها يرميها على الأرض، إلا أن واحدة

منها كانت عبارة عن قائمة أسماء مدعوين إلى العشاء، وقد وردت إلى جانب الأسماء بعض الملاحظات مثل: "لا تأكل البيض" أو "لديها حساسية من الدجاج ولكن ليس لديها مشكلة مع الطيور الأخرى"، وقد تساءلت حينها كيف انتهى حفل العشاء، وهل كانت الأسماء المشطوبة إشارة إلى أن أصحابها رفضوا الدعوة، أم أن المضيف بدّل رأيه ولم يوجه إليهم الدعوة في الأساس.

أعطتها كل قائمة فكرة عميقة عن حياة كاتبها، وقد أحبَّتْ محاولة تحديد الوجبة التي قد يطبخها شخص ما، سواء أكان يخطّط لوجبات الأسبوع بأكمله أم لمجرد وجبة عشاء واحدة، وربما لموعد، أو للقاء غداء مع الوالدين، أو لمجرد قضاء ليلة في المنزل للاسترخاء.

في بعض الأحيان تمنّت لو أنها برعت في الرسم، لأنه كان لديها صور حية لهؤلاء الأشخاص في مخيلتها، وودّت لو تستطيع رسمها لتخليدها بطريقة ما، كما كانت تستطيع أن تستنتج من القوائم إن كان الشخص متزوجًا ولديه أطفال، أو كان نباتيًا، أو أنه يحضر الطعام لشخص أو شخصين، وطريقة عنايته ببشرته، والرائحة التي تفوح منه من خلال اختياره نوع مزيل العرق.

لكن هذه القائمة التي كانت ملقاة على طريق ويمبلي السريع، كانت مختلفة بعض الشيء.

في حال احتجت إلى القراءة:

لا تقتل عصفورًا ساخرًا

ريبيكا

عداء الطائرة الورقية

حياة باي

الكبرياء والتحامل

نساء صغيرات

محبوبة

شاب مناسب

كانت تعرف تمامًا الغاية من كتابة هذه القائمة، فقد كتبت الكثير منها عندما كانت طالبة في الجامعة، لإحضار كدسة من الكتب من المكتبة، وكان يمكن أن تصنّفها من بين قوائم كتب طالب جامعي، لولا ورود السطر في الأعلى: *في حال احتجت إلى القراءة.*

كانت تعرف بعض الكتب الواردة في القائمة، وقد قرأتها منذ سنوات. إنها تقف على الرصيف المزدحم، وتتفحّص خط اليد، وقد كافحت للعثور على الروابط بين العناوين، والأهم من ذلك أنها حاولت معرفة طبيعة الشخص الذي جمع كل هذه الكتب معًا.

نَظَرَتْ إلى هذه القائمة الملطخة، ومرّرت أصابعها على الكلمات، وبينما كانت منشغلة بما ورد فيها أمطرت السماء، فلم تلحظ ذلك حتى سقطت القطرات على الكلمات، فبلّلت الحبر الجاف بسرعة، وفي الحال وضعت القائمة تحت كمها، وركضت إلى أقرب محطة للحافلات، وعندما وصلت إلى المحطة وقفت تتأمّل الكلمات المكتوبة بخط اليد الأنيق، وقد بدا تعرّج حرفي *الجيم والدال* مرنًا، وقد كُتبت العناوين بشكل أقل وضوحًا، كما لو أن من كَتَبَ القائمة أراد أن تُقرأ أسماء الكتب بصعوبة قدر الإمكان، ومع ذلك لم يتمكّن من مقاومة إضافة بعض الزخرفة إلى حرفي *الغين والراء* وإلغاء الحرفين *ميم وحاء* الخاصين بكلمة "محبوبة".

[#]

في ذلك المساء بينما كانت إيزي تضع القائمة بين سائر القوائم، لمحت قائمة كانت ببساطة تضمّ بعض الأغراض *فاصولياء مخبوزة (ملح)*، *آيس كريم*، *نقانق*، *خضروات*، *طعام قطط*، ولكنها لمحت عنوانًا أثار شعورًا في داخلها *ريبيكا*، فقد كان لدى والدها نسخة مغلّفة بالجلد الأحمر، وكُتب على غلافها بحروف ذهبية، كان قد ورثها عن والدته، وهو يقرأها كل عام كونها روايته المفضلة.

عندما سألته لماذا يقرأ الرواية نفسها مرارًا وتكرارًا، أجابها قائلًا: "هذه الرواية تذكّرني بها، يا إيزي، فأنت تحبّين إعادة قراءة كتبك، وأنا كذلك".

كانت رواية جميلة، ولطالما أحبّت رؤية والدها يقرأها في معظم الأوقات، وهو يقلِّب كل صفحة بعناية شديدة من دون أن يفتح غلافها على وسعه لكي لا ينثني الكتاب ويتشقّق، كانت الرواية قيمة بالنسبة إليه. أخيرًا أدركت في اليوم الذي أهداها فيه الرواية، أنها أصبحت ناضجة بما يكفي لقراءتها، ولكن خشية أن تتلف نسخة والدها الثمينة أو تلطّخ صفحاتها ببصمات أصابعها، لم تقرأ سوى الصفحة الأولى.

احتفظت بها في مطبخها حيث يوجد رف الكتب الوحيد، وهي لم تسأل مالك المنزل عن سبب وجود رف الكتب في هذا المكان دون غيره من غرف المنزل، ثم أخذت تبحث عن الكتاب، ولكنها هذه المرة لم تستطع تخيّل ملامح وجه كاتب القائمة، وهذا ما أزعجها، ولكن ربما سيخفّ انزعاجها عندما تقرأ الروايات الواردة في هذه القائمة، فقد سبق لها أن قرأت بعضها، وستقرأ بعضها الآخر للمرة الأولى، وعندها تستطيع تكوين صورة واضحة عن كاتب القائمة.

كانت متأكدة من امتلاك زميلة سكنها سيج، نسخة ورقية أخرى من *ريبيكا* في مكان ما، وقد سبق لها أن رأتها وكان غلافها أسود، وقد طُبع عليه صورة وردة، كما كُتب عليه بأحرف ذهبية اللون، وهي تذكر أن الغلاف فاخر، ولكنها لم تعثر على الرواية في أي مكان، وعندما أوشكت أن تستسلم، قلبت ورقة القائمة، فرأت أنه مكتوب عليها مكتبة *طريق هارو*، ويبدو أن الورقة هي عبارة عن قسيمة تجديد عضوية، وقد دوّن تاريخ إعادة الكتاب وهو 11/ 03/ 2016، وتلاشى النص الذي انقسم تقريبًا إلى أقسام. فكّرت مليًا، كما لو أنها امرأة شريرة أو محققة ناجحة من برنامج تلفازي، كانت تعرف تلك المكتبة، كما تعرف طالبة جامعية تتردّد إليها بكثرة، فسحبت هاتفها، وأرسلت رسالة عبر الواتساب إلى سيج، *مرحبًا، هل يمكنك أن تحضري لي رواية ريبيكا لدافني دو مورييه من مكتبتك من فضلك؟*

ردت سيج فوريًا، *احصلي عليها بنفسك أيتها الكسولة، تعالي واستمتعي بجو المكتبة الذي تفوتينه.*

قرأت إيزي كل عنوان في القائمة مرارًا وتكرارًا، ودقَّقَتْ في هذا السطر: *فقط في حال احتجت إلى القراءة*، وعلى خلاف كل القوائم الأخرى التي عثرت عليها، شعرت أن الهدف من هذه القائمة اكتشاف مضمون الكتب الواردة فيها، وكأن هذه القائمة رسالة من شخص غريب، وقد أرادت إيزي معرفة ما تعنيه.

الفصل 12

موكيش

رنّ الهاتف: "بابا، حظًا موفقًا لك اليوم! ستكون بحالة جيدة، وتذكّر أن تتمدّد بشكل صحيح، آمل أن تكون أقراص دي في دي الخاصة باللياقة البدنية قد وصلتك عبر البريد، فلم أتلقَّ ردًا منك، وآسفة لأنني لم أتمكّن من أن أوصلها بنفسي، فقد كنا مشغولين للغاية، فالتوأم يشاكسان طوال الوقت، ويصعب العثور على وقت فراغ. أيها التوأم، قولا حظًا موفّقًا لجدكما". صدح صوت التوأم: "حظًا موفّقًا، جدي".

رنّ الهاتف مجددًا: "مرحبًا بابا، أنا روهيني، تذكّر أن تأكل طعامًا صحيًا قبل أن تغادر المنزل للحفاظ على نسبة السكر في دمك، هل لا يزال لديك واحدة من رزم الشاي تلك أو أي نوع آخر من هذا القبيل؟ استمتع بالمشي، لا باحتساء الشاي فقط، وتذكّر أن ترتدي سترة أيضًا، لأنها تساعد على امتصاص بقع العرق".

رنّ الهاتف مجددًا: "مرحبًا بابا، أنا فريتي، حظًا موفّقًا اليوم، أرسل لك كل الحب، آمل أن أراك قريبًا، حسنًا؟ أيًا يكن الأمر... أنا حقًا فخورة بك لأنك تقوم بذلك بجدية".

إنه اليوم الذي يخشاه، إنه يوم المسيرة. حدَّقَ موكيش إلى كتابه، وقد صدحت رسائل البريد الصوتي الواردة من بناته في أذنيه، شعر بانقباض في قلبه، فلم يكن واثقًا أكانت نبضات قلبه تتسارع بسبب أعصابه، أم أن رواية ريبيكا سبّبت له التوتر؟ لقد

انهمك في قراءتها حتى وقت متأخر من الليلة الماضية، وكانت أجواؤها مخيفة، فهي قصة هيام زوجة بزوجها الساحر، والتي لم يمضِ على زواجها إلا فترة قصيرة. في البداية ظنّ موكيش أنها رواية مبهجة، ولكن شيئًا فشيئًا تبيّن له أن ريبيكا الزوجة السابقة التي توفيت، ولم تنسَ حبها، وعلى العروس الجديدة أن تعيش إلى الأبد مع طيف الزوجة الراحلة. ما ظنّه رواية مبهجة ونهايتها سعيدة تحوّل إلى قصة مؤلمة وذات نهاية مريعة، فقد ازدرد موكيش لعابه وهو يقرأ كل صفحة، وبدأ يبتلع معه مخاوفه، ثم أخذ حقيبته القماشية وكيسًا احتياطيًا من الشاي في حال احتاج إليه وزجاجة ماء. ثم سمع صوت نينا يقول له *هل في وسعك فعل ذلك*؟ حسنًا، *إنه عمل مفيد، ولصالح الأعمال الخيرية، تخيّل أنني أمشي إلى جانبك*. ثم أمسك كتابه بقوة، فقد اعتادت نينا أن تحمل معها كتابًا إلى أي مكان تذهب إليه، فإن علقت في المصعد وحدها مثلًا ستجد وسيلة لتمضية الوقت، أو إذا كانت تقف في طابور في المتجر، ولم تلتقِ بأحد تتحدّث إليه. بالنسبة إلى موكيش، كان وجود الكتاب معه اليوم وسيلة لتجنب تبادل الأحاديث والثرثرة مع متطوعي المعبد، وشعر بأن نينا أو جزءًا منها، كان يرافقه، كتميمة حظ، فترجّل من الحافلة أمام المعبد.

رأى مجموعة من الناس في الخارج يرتدون جميعهم قمصانًا متماثلة، فكان عليه أن يرتدي واحدًا أيضًا، وبعد ذلك تقدَّم هاريش المزعج نحوه في محطة الحافلات، وهو يمسك بقميص مطوي جيدًا بين يديه.

قال هاريش: "موكيشو، موكيشباي، من فضلك، هذا لك، هل أنت مستعد للمسيرة؟".

أومأ إليه موكيش برأسه وهو يعني: "*لا على الإطلاق*". كان محاطًا بالعديد من الأشخاص في ساحة المعبد، وقد حاول تجنبهم، ليس لأنه لا يحبّهم، فمعظمهم كانوا في غاية اللطف، على الرغم من أن مجموعة منهم لديها وجهات نظر غريبة ومتطرفة بشأن السياسة والهجرة والخدمة الصحية الوطنية، كما كان من بينهم من يستحقّون الحصول على امتيازات معينة ومنهم لا يستحقّونها، وهو ما كان يجعله

يشعر بنفاقهم واستحالة أن يكونوا هندوسيين، ولكن هؤلاء كانوا يشعرون بالسعادة لمشاركة أفكارهم مع أي شخص يستمع إليهم، وقد فكّر في أهل مايكومب، فبينما بدا الآخرون سعداء بالتفاخر بنجاح أولادهم، أو حتى أولاد أصدقائهم، شعر موكيش بقوة بأنهم لم يكونوا أقرباء وتربطهم صلة الدم، فلن يكون هناك أي داعٍ للتباهي على الإطلاق.

ناداه جيراق: "موكيش". جيراق شابًا آخر لا يخاطب الأكبر منه سنًا بلياقة واحترام، يبدو أن احترام كبار السن قد اضمحلّ بالنسبة إليه على أي حال.

أجاب موكيش: "مرحبًا جيراق، كيف حالك؟ وكيف حال والدك؟".

"أبي لم يأتِ اليوم، فهو يعاني من الزكام".

شتم موكيش حظه بصوت منخفض، لماذا لم يفكّر في هذا العذر أو بعذر آخر لكي يتجنّب هذه المسيرة؟

قال له: "يحزنني ما أصابه، كنت أرغب في رؤيته، فقد مرّ وقت طويل على آخر لقاء بيننا".

"لأنك لم تعد تتردّد كثيرًا إلى المعبد؟".

حاول الرد بكلمة "نعم"، ولكن ما نطق به بدلًا من ذلك كان: "نعم، لم أعد آتي إلا برفقة بناتي في المناسبات، ولكنني أصلي في المنزل، ولست بحاجة إلى أن أحضر إلى المعبد لتأدية صلاتي وأكون مخلصًا لله".

جحظت عينا جيراق، وقال له: "موكيشفوا، لا، من فضلك، لم أقصد ذلك على الإطلاق".

رأى موكيش الرعب في عيني الشاب، فقال له: "لا بد من أن أتردّد أكثر إلى المعبد". قالها على عجل، محاولًا التخفيف من إحراجه، ثم تمسَّكَ بالكتاب بقوة آملًا في أن يساعده في تذكّر نينا. "استمتع بالمشي". لوَّح لجيراق، واتّجه صوب المعبد، وتساءل عن نوع المحادثات غير المريحة التي ستنتظره هناك، فكانت نينا تعرف دائمًا ما الذي عليها القيام به، وما يجب أن تقوله، لذلك أحبّها جميع مَن في

المعبد رجالًا ونساء ومتطوعين، فكانت ذات تفكير منفتح على الجميع، وتشارك في المسيرة سنويًا، والآن بما أنه يشارك فيها ومحاط بالناس... يمكنه أن يشعر بها، أليس كذلك؟ لقد كان يشعر بروحها.

قال فتى صغير يرتدي سترة فضفاضة عاكسة للضوء، بينما كان موكيش يحاول دخول المعبد: "عفوًا، يا سيدي، صف انتظار المسيرة في الاتجاه المعاكس". وأشار إلى الحشد الذي كان يحاول الفرار منه.

"أريد دخول المعبد".

سأله الفتى: "ألم تحضر من أجل المشاركة في المسيرة؟".

لقد أراد موكيش حقًا أن يقول لا، مرة أخرى، فظهر هاريش من الفراغ.

قال لموكيش: "أسرع، يا صديقي، سترافقني للاصطفاف في صف المسيرة، أليس كذلك؟".

أومأ إليه موكيش برأسه، وتبع هاريش، وهو ينظر إلى الفتى نظرات توسّل. هزّ الفتى كتفيه.

وصلا إلى امرأة تحمل لوحة كتابة. "هذا هو صديقي موكيشباي، وسيحلّ محل ساهل". لقد حذفت اسم ساهل من القائمة من دون التفكير مرتين. فكّر موكيش في أن لا مفر من المسيرة، وها هو يستعدّ للانطلاق، فتنفّس بعمق.

[#]

استعد الجميع، وفور تأدية الراهب الصلوات والطقوس الاحتفالية، قُصّ الشريط، وانطلقت المسيرة رسميًا، وكان فيفيك، أفضل صديق لهاريش في المقدمة، يحمل مظلة حمراء ليقود المشاركين إلى هدفهم.

ضغط موكيش على كتابه الذي اعتبره بمثابة تميمة جالبة للحظ، حتى سمع صوت نينا، فتأكّد من أن تميمته تعمل! *أحسنت، لقد فَعَلْتَ ذلك، أنتَ هنا بالفعل*، وهي تضحك ضحكة عريضة، فشعر بأن جسده مفعم بالطاقة، وأن روح التفاؤل

التي كانت لدى نينا انتقلت إليه أيضًا، وتيقن أنها سعيدة لأنه كان خارج المنزل للاختلاط بالناس، فهو لم يفعل ذلك منذ فترة طويلة، وربما كان ارتياد المكتبة هو الخطوة الأولى للخروج من العزلة التي خصّ نفسها بها. للحظة وقف بشموخ وتباهٍ وفخر، وشعر بأنه لا يُقهر.

حافظ على شعوره بالفخر إلى أن حاول إجراء محادثة مع هاريش، والتي كانت غالبًا مهمة غير مرغوب فيها، حتى بالنسبة إلى من لا يُقهر، وفكّر أنه إذا أمطره وابلًا من الأسئلة، فسيشعر بالملل في النهاية، وسيبتعد عنه بأقصى سرعة، ويفرّ هاربًا. "هاريشبهاي، كيف حال حفيدك البكر، وكيف تجري امتحانات قبوله في الجامعة؟".

لوّح هاريش بذراعيه بشكل ميلودرامي، وقال: "آه، بهاجوان، كان الأمر أشبه بكابوس، ولكنني ما زلت آمل في أن يلتحق بجامعة بريستول أو باث، فهما جامعتان مهمتان جدًا، فلم يتقدّم إلى كامبريدج، على الرغم من أنه ذكي للغاية، كما أنه اجتماعي أيضًا وواسع المعرفة، إلا أنه لن يتمكّن من التكيف مع أسلوب الحياة الأكاديمي البحت فيها".

"آه، نعم، يمكنني تخيّل مقدار التوتر، فلم يكن الوضع كذلك، عندما كانت فتياتي صغيرات".

"لا، لا لم يكن كذلك، لقد أصبح الأهل في هذه الأيام أكثر اهتمامًا بمستوى التعليم، فلا يكفّ ابني عن البحث عن الفرص الذهبية والخيارات المتوفرة عبر غوغل وفقًا لعلامات ابنه المُقدَّرَة لتحديد الجامعة الأفضل له، فعندما التحق ابني بالجامعة، تركنا له حرية الاختيار، ولم نطلب منه سوى أن يعمل بجد ويقوم بالأفضل من أجل مستقبله".

"نعم، هذا ما طلبناه من بناتنا أيضًا، وقد أصبحن جميعًا رائعات".

"لم يسبق لي أن حضرت اجتماعات الأهل، وها هو ابني اليوم يقوم برحلة عمل، فيتصل بهاتف زوجته مكالمة فيديو حتى يتمكّن من حضور الاجتماع، وفي

الوقت نفسه يطّلع على أوضاعه وما يجرى في الاجتماع بشكل مباشر، وقد اشترى بيانات إضافية من أجل ذلك على وجه الخصوص".

"ألا يعدّ ذلك مبالغًا فيه؟".

بدا هاريش مذعورًا، وهو يقول: "لا يا موكيشباي، ليس كذلك، فالأمر أصبح بالغ الأهمية بالنسبة إلى مستقبلنا، ومستقبل بلدنا، بعد أن أصبحت تسنح لأولادنا وأحفادنا فرص أكبر الآن، وقد قدّمنا إليهم تلك الفرص الذهبية، سيكون نيل محاميًا، كما تعلم، وسيكون أول محامٍ في العائلة، وآمالي كبيرة في حفيدتي أيضًا، فهي تحبّ الطب، وأتمنّى أن تصبح صيدلانية، فهي لن تكون طبيبة، لأنها شديدة الانفعال وسريعة الغثيان".

قال موكيش: "هل يصبح محاميًا؟ رائع للغاية! يجب أن نبقى على تواصل، فلا تعرف أبدًا متى يحتاج المرء إلى محامٍ".

لقد فكَّرَ في المحامي الآخر الذي يعرفه، فكّر في أليشا، وشعر بالفخر.

قال هاريش: "أتوقّع أن تصبح بريا محامية، فهي لا تكفّ عن المطالعة، وإذا كانت تستطيع القراءة كثيرًا، فيمكنها أن تكون محامية".

"لا تزال طفلة صغيرة".

"لكنها تفكّر منذ الآن في المستقبل، أليس كذلك؟".

"بريا تريد أن تصبح كاتبة أو عاملة مكتبة".

"أنا أتحدّث عن مهنة حقيقية لا مجرد هواية".

"إنهما مهنتان حقيقيتان".

"لكن ماذا عن المحاماة؟ يمكن أن يطلعها نيل على الدورة التي التحق بها، عندما يحين الوقت".

"إنها لا تريد أن تكون محامية".

"أتريد أن تكون طبيبة أم سيدة أعمال؟".

هزَّ موكيش رأسه.

"لا تقلق يا صديقي، أراد نيل أن يصبح لاعب كرة قدم ورجل إطفاء عندما كان في عمرها، ولكن مع مرور السنوات تتبدّل الرغبات، وأنا متأكد من أنه لا داعي للقلق".

قال موكيش بحزم: "أنا لست قلقًا".

خيّم السكون عليهما، ولم يتمكّنا من أن ينطقا بكلمة واحدة لمتابعة محادثتهما، فقلب هاريش عينيه، وإن أراد الظهور بمظهر المتحفظ، فهو لم يُوفق لتحقيق ذلك. انتظر هاريش ثلاث دقائق قبل أن ينضمّ إلى إحدى المجموعات، ويتحدّث بحماسة وبصوت عالٍ عن لعبة الكريكت.

أخيرًا، شعر موكيش بالسعادة لأنه ظلّ وحده، فاستطاع أن يشعر بتدفق الطاقة من داخله مجددًا، وبدا مستعدًا لتحدي المصاعب لكي تفخر به نينا، وقبل أن ينطلق، دنت منه إحدى صديقات نينا في المعبد، نيلاكشي، وانضمّت إليه. لم تكن نينا ونيلاكشي تنفصلان عن بعضهما في الماضي.

قبل عام فقدت نيلاكشي زوجها وابنها في حادث سيارة مروع، وكان زوج نيلاكشي، براهاند، رجلًا لطيفًا ومتحفظًا، يتذكّر موكيش دائمًا ابتسامته المشرقة التي كانت تضيء وجهه، وقد ورثْ ابنه عكاش عنه الابتسامة نفسها، فكان فاتنًا وذكيًا أيضًا، كان فقدانهما معًا بمثابة صدمة للمجتمع بأسره، وقد عرف الراهب براهاند جيدًا ترأس الصلاة بعد وفاته، فحضر موكيش الصلاة، لأن نينا أرادت ذلك، ولأنه افتقد وجه براهاند المبتسم دومًا. فجلست نيلاكشي في الخلف باكية، بينما جلس الرجال الذين لم يعرفوا زوجها ولا ابنها مطلقًا في المقدمة، مقابل الراهب مباشرة، وقد أسف لحالها، ولكنه لم يعرف كيف يواسيها، على الرغم من أنه بعد وفاة نينا، كان براهاند ونيلاكشي مصدر دعم كبير لموكيش، ما جعله يشعر بالخجل، لأنه لم يتمكّن من مساندة نيلاكشي عندما كانت في أمس الحاجة إليه.

مشت إلى جانبه، وقالت مبتسمة: "موكيشباي". كانت تخطو خطوات سريعة جدًا بالنسبة إلى شخص صغير الحجم.

بادلها الابتسامة وقال لها: "نيلاكشي، تسعدني رؤيتك".

"نعم، يا لها من مفاجأة! لم أتوقّع أن تشارك في المسيرة".

"لقد أقنعني هاريشبهاي بالسير مكان ساهيل، فقد ألحق الأذى بنفسه بطريقة ما".

"آه! بالطبع، فهاريش مقنع جدًا ومثابر"، ثم نظرت إليه نظرة مفادها '*أنت تعرف ما أعنيه*'، وأردفت قائلة: "لقد فاتني عدد قليل من جلسات ساتسانغ مؤخرًا، ومينا مستاءة مني، لذا إذا كانت الأمور على ما يرام، فهل يمكنني أن أرافقك في المشي؟ فلن تجرؤ على المجازفة في السير وحدك".

"بالتأكيد يمكنك، ولكن تذكّري أن هاريش لا يزال قريبًا جدًا منا، ومينا تخبره بكل ما يجري".

قالت له: "أتوقّع ذلك، ولكن التعامل معه أسهل".

[#]

وصلت المسيرة إلى نيسدن وويمبلي، وهي تعبر الشوارع السكنية المكتظة بالمنازل التي كانت مطلية ذات يوم باللون الأحمر المائل إلى البني الداكن، والتي أصبح لونها الآن بنيًا فاتحًا، وهي تكاد تنفجر باكتظاظ المشاة بعد أن انتفخت إلى أن تراجع عددهم أسفل جسر المشاة الذي عَبَرَ الدوار الشمالي، ما سمح لهم بالاستمتاع بإطلالة ساحرة على ازدحام السير المتواصل، حيث يهيمن مشهد الملعب على المشهد العام، وتنتشر المحلات التجارية وأكشاك الفاكهة والخضروات ومحلات الصرافة وبائعو الدجاج في الشوارع المزدحمة بالناس. مشى موكيش ببطء، ولكن بثبات في البداية، إلى أن اضطرّت نيلاكشي إلى الإمساك بيده وسحبه جانبًا برفق، ولكن المنظر من الملعب إلى أفق ويمبلي، جعله يكتشف المدينة من جديد. لطالما أحبّت نينا المشي، وها هو الآن على الرغم من الألم الخفيف الذي يشعر به، وتشنّج عضلات ربلة الساق، يمكنه اكتشاف سبب حبها

للمشي، فكان يتألّم، ولم يكن يمتلك اللياقة البدنية بما يكفي ليمشي مسافة ثلاثة كيلومترات أخرى، ولكن رغبته في أن تفخر به نينا حملته على مواصلة المشي.

كانت نيلاكشي مشجعة لطيفة، وتتحدّث إليه في أثناء المسير، وجعلته يشعر بطريقة ما بأنه قادر على بلوغ خط النهاية وفي الوقت نفسه كان يسمع صوت نينا يتردد في رأسه، وهي تخبره بأنه يؤدّي عملًا رائعًا، مع كل خطوة يخطوها، ثم شعر بالكتاب في حقيبته يحفّزه على التقدم، واستمرّ بالاستماع إلى نينا أيضًا، وهي تخبره بأنه يؤدّي أداء جيدًا، ولكن نيلاكشي هي التي كانت تسير إلى جانبه، أما نينا فلم تكن موجودة في أي مكان. فجأة فكّر موكيش في رواية *ريبيكا* قصة الزوجة الجديدة التي حلّت محل القديمة، والتي ستعيش إلى الأبد سجينة طيف الزوجة الميتة... فطرد الفكرة من عقله، فهذه الروايات... بدأت تخرّب مخيلته.

حاول أن يجعل عقله متقدمًا بخطوة، كما حاول توجيه طاقته الإيجابية إلى تحريك كل عضو من أعضائه، الواحد تلو الآخر، فتمسك بفكرة أنه لا يزال على قيد الحياة، ولكن سرعان ما استسلم للواقع المرير، وبدأ يشعر بضيق التنفس. قال وهو ينحني، ويضع يديه على ركبتيه: "نيلاكشي، أعتقد أنني سأضطرّ إلى التوقف هنا، وأستقلّ الحافلة إلى المنزل".

"سوف يفوتك توزيع الشهادات، والأهم من ذلك البراساد!".

هزّ موكيش برأسه، وقال: "أعتقد أن البراساد هو آخر ما أحتاج إليه الآن، والاستمرار بالمشي قد يصيبني بنوبة قلبية". ثم نظر إلى الأرض، وهو يشعر بالحريق في قدميه، وبصعوبة في التنفس، ولكن الهواء كان يصل إلى رئتيه على دفعات، فلم يستطع إنهاء المسيرة، ولكنه سارَ مسافة لم يسبق له أن بلغها منذ زمن، وكان وسط الكثير من الناس لفترة أطول مما كان عليه منذ سنوات، وهذا يعتبر تقدمًا كبيرًا، أليس كذلك؟

قالت له: "موكشباي، سأذهب وأتحدّث إلى هاريش وأعلمه بحالك، وسيتفهّم الوضع".

ابتعدت عنه، بينما كان يتأمّل المشاة الذين كانوا خلفه وقد تفوّقوا عليه وسبقوه، وهم يبتسمون له ويلوّحون بأيديهم، الآن أصبح معظم المتأخرين من الرجال، بعد أن كانوا في المقدمة، وقد انفصلوا عن النساء، وكانوا يرتدون سراويل قطنية من الكتان وينتعلون أحذية بأشرطة فيلكرو نعالها متينة، وكان مخطط ستراتهم مرئيًا تحت قمصان المعبد اللامعة. كان موكيش يعرف هذا الزي جيدًا، وقد أَحَبَّ أن يرتديه بنفسه، فهو الزي المناسب للذكر الهندي الذي يتجاوز الستينات.

بحث عن بنطال نيلاكشي البنجابي الأزرق الفاتح في بحر من الأزياء البيضاء اللون والقشدية، ولكنه لم يعثر عليها، لقد أصبَحَتْ بعيدة جدًا عنه الآن، ولم يعد قادرًا على أن يخطو أي خطوة أخرى، فجلس على جدار حديقة أحدهم الذي يفصلها عن الطريق المزدحم أمامه، فشعر بأن كل سيارة تمرّ أمامه كانت تلوث الجو، فلم يصدّق ذلك حقًا حتى الآن، ولكن يمكنه استنشاق كل ذرة من الدخان وهي تدخل إلى رئتيه.

فكَّرَ في نينا مرة أخرى، هل قتلها الهواء الملوَّث؟ لقد سمع في مكان ما أن الهواء الملوّث يحتوي على مواد مسرطنة، وهي المسببة لمرض السرطان.

تذكَّرَ ضحكتها عندما كان ينزل مرتديًا تي شيرت طُبع عليها قلب، فجأة استُبدِلَتْ الذكرى بصورة قاتمة التقطها لها في المستشفى، فبدت المرأة الشبح التي لم تكن عليها من قبل.

بعد ثوانٍ عادت نيلاكشي ومعها زجاجة ماء.

قالت له: "يقول لك هاريش إنه يمكنك العودة إلى المنزل، وقد أعطاني هذه الزجاجة لك، يبدو الأمر وكأنه إنجاز بالنسبة إليّ، القليل من الهواء النقي، ولا داعي للتحدث إلى هاريش بعد انتهاء كل ذلك! يبدو الأمر كما خطَّطتَ له، كيف ستعود إلى منزلك؟".

أخذ موكيش الزجاجة منها، وفتح الغطاء على عجل، وشرب بنهم حتى من دون أن يقول لها شكرًا، ثم أغمض عينيه، وتنفّس الهواء الملوث ملء رئتيه، ثم

نهض عن مكانه، وقال لها: "سأستقلّ الحافلة".

"سأرافقك". بدأ يهزّ رأسه رافضًا، ولكنها أوقفته قائلة: "موكيشباي، نينا لن تسامحني أبدًا إذا تركت زوجها يعود إلى المنزل وحده، وهو بالكاد يستطيع الوقوف على قدميه".

بعد ذلك، وفي غضون ثوانٍ، شعر موكيش وبكبسة زر بالغباء وبالضعف، ماذا لو استطاع الشباب رؤيته الآن؟ أولئك الذين قادوا سيارات سريعة ولم يدعوه قط ماسا أو فوا، بل كانوا ينادونه دادا بدلًا من ذلك، فأمسك بالحقيبة مرة أخرى، من أجل أن تمدّه بالقوة، بل من أجل أن تمدّه بالصلابة.

قال عندما بدآ بالسير نحو أقرب محطة للحافلات، والتي لا تزال بعيدة جدًا: "نيلاكشي".

أجابت: "نعم، موكيشباي".

"أشكرك على المساعدة".

"كما قلت لك، لن تسامحني نينا أبدًا إن لم أقدّم لك المساعدة".

[#]

سألها موكيش بتردد عندما بلغ عتبة باب بيته، وقد بدا متوترًا: "هل تودّين الدخول؟". نظرت نيلاكشي إلى المنزل وقد جحظت عيناها.

هزّت رأسها مرتين، وقالت: "لا، لن أدخل، من الأفضل أن أعود إلى المنزل، لكنني سعيدة لأنك بخير، أنت بخير الآن، أليس كذلك؟".

ابتسم موكيش قائلًا: "أنا أفضل حالًا، يا نيلاكشي". كان سعيدًا بعودة معدل ضربات قلبه إلى طبيعته في الوقت الذي استقلّا فيه الحافلة.

"حسنًا، آمل أن أراك مجددًا، فقد سرّني أن أراك بعد انقضاء فترة طويلة، موكيشباي". لوَّحَتْ نيلاكشي له بيدها برقة، وقالت له: "كما أخبرتك، يمكنني المجيء قريبًا، لأعلّمك كيفية صنع برينجال باجي، فقط أبلغني متى أردت".

قال موكيش في غفلة منه، وقد أرهقه ثقل الكتاب في حقيبته: "اعتادت نينا أن تصنع أفضل برينجال باجي".

"ها، أتذكّر ذلك، حسنًا، قد لا تكون طريقتي في تحضيرها بجودة طريقتها، ولكنها أفضل من لا شيء!". ارتفع صوت نيلاكشي بمقدار ديسيبل أو ما يقاربه، وأومأت إليه برأسها مودعة.

شعر موكيش بالتشنج والحرج، ولم يستطع معرفة ما إذا كان ذلك بسبب الموقف المحرج الذي واجهه، أو لأن عضلاته تشنّجت بعد المشي.

أغلق باب المنزل الأمامي خلفه، ورأى من الردهة صورة نينا فوق التلفاز، وقد عُلّق إكليل في أعلاها، فنظر بشوق إلى وجهها، هل تغيّر؟ خُيل إليه أن عينيها بدتا أقل قلقًا، وكأنها تخفي شيئًا آخر، قد يكون خيبة أمل، أو حتى غضب.

فكّر في ريبيكا، وهو يتخيّل صورتها معلقة في القاعة في مانديرلي، بشكل دائم، وتُراقِب باستمرار.

بدأ يتصرّف بسخف، لو كانت نينا هنا، لسألت كيف حال نيلاكشي، وكيف تتعامل مع ألمها، وربما طلبت منه أن يأخذ لها علبة بلاستيكية من التيبلا، فلم تكن نينا شخصًا غيورًا أبدًا، ولكن موكيش شعر بتأنيب الضمير وبطعنات في قلبه في مطلق الأحوال، وأول ما فعله كان إخراج كتابه من حقيبته، وعرضه على صورة نينا، آملًا في أن يعيد صوتها إليه، للحظة فقط، لطمأنته قبل وضعه على كرسي القراءة الجديد.

بعد استنزاف كل طاقته، احتاج إلى قيلولة بعد الظهر، في أغلب الأحيان كان يشغل الراديو، فهو يحبّ الاستماع إلى الموسيقى في أثناء أخذ قيلولته، فاستلقى بتثاقل على سريره، وهو يعرف أنه سيتألم عندما يستيقظ، فطغى عليه شعور بالذعر للحظة وتسأل هل سيستطيع النهوض من السرير لاحقًا، لكنه قرّر ألا يقلق بشأن ذلك، فهو سيجتاز تلك العقبة عند الوصول إليها.

عندما وضع رأسه على الوسادة، بدأت أفكاره تنجرف مع التيار، استرجع أحداث اليوم الذي شعر فيه بالحيوية والنشاط، على الرغم من آلام عضلات ساقيه، فقد شعر

قبل لقاء نيلاكشي وهاريش ببعض الوقت بأنه شخص يعتمد على ذاته، وليس مجرد عبء على الآخرين أو أب مسن ينبغي الاطمئنان على صحته كل صباح عبر الرسائل الصوتية، بل إنسان لديه مشاعر وعواطف، ويثير الإعجاب كما يثير الاستياء، بدلًا من مجرد رقم مريض في سجل طبيبه العام، أو مهمة في كل قائمة من قوائم مهام ابنته.

بعد لحظات شعر بالخمول، فأراحَ عظامه على الفراش، وغط في نوم عميق.

[#]

عندما استيقظ كان النهار يوشك أن ينقلب ليلًا، وامتدّت الظلال على طول الغرفة، وانتشر الضوء في أرجائها، فبعث الدفء في جسده، ولكنه بدأ يستعيد تدريجيًا البرودة والفراغ العاطفي.

نظر تلقائيًا إلى يساره إلى الجانب الذي كانت تستلقي عليه نينا، فهو لم يفعل ذلك منذ فترة. ولكن اليوم في حالة الارتباك بعد غفوته غير المخطط لها، يمكن أن يكون في أي عام، فقد يكون في عام 1985 عندما انتقلوا إلى ويمبلي للمرة الأولى، وكانت الفتيات الثلاث ينمن في غرفة واحدة مجاورة إلى غرفتهما على فُرش متجاورة على الأرض، أو عام 1998 عندما انتقلت ابنة من البنات الثلاث، فأصرَّتْ روهيني على النوم في غرفة الطابق السفلي للحصول على بعض الخصوصية، على الرغم من أن غرفة الطابق السفلي لم تكن مجهّزة، كما لم يكن فيها سوى ستارة من الخرز تفصلها عن المطبخ، أو ربما كان عام 2010، عندما اختار موكيش ونينا الغرفة نفسها الواقعة في الطابق السفلي، بعد أن اعتادا أن يكونا وحدهما في المنزل، ويستمتعان بتلك الوحدة، على الرغم من أن نينا ظلّت تتوق إلى الأيام الصاخبة، فهي تحبّ مشاركة بناتها في المنزل، وتترقّب الأوقات التي تزورهما فيها حفيدتهما الوحيدة في ذلك الوقت، لتملأ المنزل حياة وبهجة.

لكنه الآن في عام 2019، العام الذي كان موكيش يأمل ألّا يكون فيه، بعد انقضاء السنة الثانية من حياته من دون نينا، السنة التي بدأت من دون نينا وانتهت من دونها

أيضًا. بعد أن فتَّش في حقيبته، أخرج رواية *ريبيكا*، على الرغم من أنها أفزعته حتى الموت، إلا أنه كان بحاجة إلى أن ينتقل إلى مكان آخر لفترة من الوقت خارج حدود منزله الصغير في ويمبلي، إلى مكان يكون لشخص آخر.

في أثناء تقليب الصفحات، التقى موكيش بالسيدة دانفرز، مدبرة المنزل، التي أحبّت الزوجة الأولى، ريبيكا، وكرهت الزوجة الثانية، وكانت تذكّرها باستمرار والسيد دي وينتر بأنها لن تملأ مكان ريبيكا المحبوبة، خلال لحظة اتخذت حياة السيدة دانفرز معنى جديدًا بالنسبة إلى موكيش، فقد تمثّلت بذنوبه وآثامه، ثم توقَّفَ عن القراءة في وسط الجملة، وجَلَسَ صامتًا، فقد كانت الكتب بالنسبة إليه المنفذ الوحيد الذي يمكّنه من النسيان، ولكنه صار يدرك أنَّ الكتب لم تكن دائمًا وسيلة إيجابية بل قد تنعكس سلبًا عليه. قال بصوت عالٍ لنفسه وللسيدة دانفرز: "أنا لم أنسَ نينا! أنا آسف، يا نينا، أنا مجرد مغفل، هذا الكتاب لا يعني شيئًا".

اعتقد أنه سمع كلمات نينا عبر نسيم المساء الساكن ردًا عليه: "*أعرف، يا موكيش*". لكنه لم يكن متأكدًا إذا كان يسمع الأصوات فقط لأنه بدأ يهلوس، بعد أن وسّعت القصة خياله وجعلته يسمع ما يحتاج إلى سماعه.



عداء الطائرة الورقية

خالد حسيني

الفصل 13

أليشا

قال بيني، وهو يمسح الطاولات: "ماذا ستفعلين هذا المساء؟".

أجابته: "سأذهب إلى المتجر، وأشتري ما أنا بحاجة إليه لإعداد طعام العشاء"، وخطت بالفعل أولى خطواتها خارج المكتبة، ثم تابعت قائلة: "ولكن بعد إعداد العشاء ليس لديّ أي خطط أخرى، يا بيني، ماذا بشأن مشاريعك؟".

فكّرت أليشا في الكتاب الموضوع في حقيبتها *عداء الطائرة الورقية*، ولكنها لم ترد أن تصارحه بذلك، على الرغم من أنها كانت متحمسة لقراءته، بما أنّه لا مخططات لديها، ويمكنها التركيز على كتابها فقط، بالنسبة إليها كان ذلك أهم مخطط وُضع على مر العصور، فكانت تقرأ فصلًا أو فصلين كل صباح، وتقرأ المزيد في وقت استراحة الغداء، كما أنها لم تعد تستطع النوم حتى تقلّب صفحات الكتاب، وتندمج في أحداث القصة التي أصبحت شخصياتها أكثر واقعية بالنسبة إليها مع قراءة كل فصل.

أدّى بيني رقصة صغيرة، وقال: "سأسافر خلال العطلة". أحبّت أليشا بيني، على الرغم من أنها لم تكن تلتقي به كثيرًا، لأن ورديات عملهما نادرًا ما اتحدتا، ولكنه بدا سعيدًا على الدوام.

قالت له: "هذا رائع، إلى أين ستسافر؟".

"إلى آيانابا".

كان بيني في الأربعين من عمره، وكان يقضي العطلة الصيفية برفقة أصدقائه، وقد تعمّد ديف أن يذكر الأمر، كلما ورد ذكر بيني في سياق المحادثة.

أنهى بيني كلامه قائلًا: "برفقة أولادي".

ضحكت أليشا في سرّها.

سألها: "هل ستسافرين هذا الصيف؟".

هزّت أليشا رأسها، وقالت وهي تسحب كتابها: "على الرغم من أنك تعرف ذلك جيدًا، يا بيني، في الواقع... أنا مسافرة إلى كابول الليلة". ثم لوَّحَتْ له بكتاب *عداء الطائرة الورقية*.

"أوه، أليشا! هذه الرواية... إنها مُدمّرة، كما تعلمين".

"ولكن حياتي مدمرة على أي حال، يا بيني، فأنا أبلغ من العمر سبعة عشرة عامًا، ولا أزال أمضي عطلتي بين جدران المنزل الأربعة، بينما يسافر زميلي البالغ من العمر أربعين عامًا إلى آيانابا لقضاء عطلة ممتعة".

قال بيني، وهو يهرول في اتجاه الباب: "حسنًا، يا عزيزتي، قد تكسبين أحيانًا، وتخسرين أحيانًا أخرى".

عداء الطائرة الورقية للكاتب خالد حسيني، لقد أحبَّتْ غلاف الكتاب، الذي يظهر صبيين، وقد التفت ذراعاهما فوق بعضهما، والسماء فوقهما زرقاء صافية، وطائرة ورقية تطير عاليًا، وعندما قرأت النبذة على الغلاف الخلفي عرفت أن القصة تدور حول صديقين حميمين، أمير وحسن، وهما يسعيان إلى الفوز في مسابقة الطائرات الورقية المحلية، ولكن حدثًا مفاجئًا غيّر حياتهما إلى الأبد. بعد سنوات من سفر أمير إلى أميركا، أدرك أن عليه العودة إلى كابول من أجل الصفح والخلاص.

جعلها تأمّل هذا الغلاف تتساءل حول مصير حسن والذنب الذي اقترفه أمير، فتردّدت كلمات بيني في ذهنها "إنه أمر مدمر، كما تعلمين"، إلا أنها جهَّزَتْ نفسها للمواجهة، فقد كانت تثق بمن دوّن قائمة الكتب هذه، كما أنها أحبّت كتابي *لا تقتل عصفورًا ساخرًا*، و*ريبيكا* أيضًا، فكانا مختلفين تمامًا، مع أن أحداث أحدهما كانت

أكثر إثارة، وقد تخلّلتها لحظات مفجعة، بينما الآخر كان مظلمًا ويطغى عليه الحزن، فقرأت ريبيكا وهي تحت الأغطية، وشعرت بالقلق على مصير الشابة السيدة دي وينتر، الزوجة الجديدة في مانديرلي.

في البداية، التزمت بالقائمة، وأخذت تقرأ الكتب الواردة فيها من دون طرح أي سؤال، والآن أدركت أن قراءة الكتب تجعل كل يوم يمرّ بشكل أسرع قليلًا من الذي يسبقه، ولم تعد تستخدم القائمة الأصلية لتكون وسيلة مرجعية، واستبدلتها بصورة التقطتها عبر هاتفها، للحفاظ عليها قدر الإمكان، فلم ترد فقدانها، مع أنها حفظت الكتب عن ظهر قلب، حتى من دون النظر إلى صورة القائمة في هاتفها الآيفون، ولكنها لا تزال تعتبر القائمة الأصلية بمثابة تميمة.

[#]

أخرجت أليشا الكتاب من الحقيبة التي حملتها، وأخذت تضع ما اشترته من حاجات على المنضدة، وكانت أكثر مما تحتاج إليه، لأنها لم تستطع اتخاذ قرار قاطع، وإذا أظهرت قائمة القراءة أمرًا لها، فهو أنها كانت تتردّد دومًا في اتخاذ قراراتها.

قالت لها الفتاة الجالسة خلف طاولة المحاسبة: "لا، لا، لا أريد رؤيته مرة أخرى".

نظرت أليشا إلى حقيبتها مرتبكة، وقالت لها: "ما الذي لا تريدين رؤيته؟".

صاحت الفتاة، وهي تحمل كيس البصل بيدها، مشيرة إلى عداء الطائرة باليد الأخرى: "هذا الكتاب".

تجهّم وجه أليشا، وقالت: "ما الذي تتحدّثين عنه؟".

"لقد دمّرني هذا الكتاب! فهو من أكثر الكتب التي آلمتني، وقد وجدت صعوبة في إنهائه، وإن رغبت في أن تسيل الماسكارا على وجهك، يمكنك قراءته، لأن قصته حزينة".

هزّت أليشا كتفيها غير مبالية.

"بصراحة، إنه أشدّ إيلامًا من الفيلم المقتبس منه... واو! لن أضغط عليك أكثر، فهي حياتك وأنت أدرى بها، ولكن خذي نصيحتي، من الأفضل أن تكوني في مكان مبهج للغاية قبل البدء بقراءته".

استغربت أليشا كلامها، وتساءلت: ما مدى تأثير هذا الكتاب؟ بعدها دفعت المرأة بكيس البصل نحوها، فأمسكت به، ووضعته في حقيبتها.

قالت لها: "إذا كان ما تقولينه صحيحًا، فإنّي أشكرك على النصيحة!".

وابتسمت لها ابتسامة فاترة، بينما واصلت المرأة مسح بقية محتويات تسوّقها بصمت.

بعد لحظات، تمتمت المرأة، وهي تدفع بكيسين آخرين باتجاه أليشا: "اكتشاف أن فتاة في سنّك تقرأ في الوقت الراهن مثير للإعجاب".

أجابت أليشا بحدة: "إن معظم الشباب يقرؤون". خاطبتها، وهي تفكّر في المراهقين الذين يرتادون المكتبة باستمرار، كالفتاة ذات الشعر الوردي التي تأتي أحيانًا، والطالبة ذات أربطة الحذاء المفكوكة دومًا، بالإضافة إلى ميا.

هزّت المرأة كتفيها، وقالت: "أعرف ذلك، ولكن معرفته تثير الدهشة في ظل توافر الوسائل المتطورة، كالهواتف المحمولة، وألعاب الفيديو...، لقد مرّ وقت طويل على آخر مرة رأيت فيها شخصًا في مثل سنك يحمل كتابًا".

فكّرت أليشا كيف كانت قبل أسابيع، فلم تكن تحمل كتابًا إلا إذا كان كتابًا مدرسيًا، فكانت واحدة من هؤلاء المراهقات اللواتي يستخدمن هواتفهن باستمرار، ورؤوسهن منحنية، وهن يحدّقن إلى شاشات هواتفهن، وبالكاد يفكّرن في ارتياد المكتبة.

قالت لها: "أنتِ محقة، لكن قراءة الكتب أصبحت عادة عصرية الآن".

ابتسمت أليشا إلى المرأة، ووضعت الكيسين الآخرَين في حقيبتها، قبل أن تلوّح لها مودّعة، وتغادر المتجر. بعد بضع خطوات فقط، وضعت الحقيبة على الأرض لاستعادة قوتها، يا الله، لقد احتاجت إلى عربة تسوّق! ثم تنفّست بعمق.

في اللحظة التي كانت تلتقط فيها الحقيبة من جديد، اعترض طريقها فجأة شاب، كان يعتمر قبعة صغيرة، ويحمل علبة سجائر جديدة في إحدى يديه، وإيصالًا في اليد الأخرى.

نظرت إليه كما لو كانت تقول له: "لا أريد سجائرك، ولا أدري ما تريد مني، فابتعد عن طريقي"، ولكنها لم تنطق بكلمة، بل اكتفت بالتحديق إلى وجهه.

أدركت أنه الشاب الذي التقت به في القطار.

قالت له: "كيف يمكنني مساعدتك؟".

أجابها: "لا، بل أنا من يمكنه أن يساعدك".

التفتتْ إلى الخلف، فشعرت بألم كتفيها.

"لقد سقط هذا الكتاب منك". انحنى والتقط كتاب *عداء الطائرة الورقية* الملقى على الأرض بالقرب من قدميها.

شَكَرَتْهُ، وما إن مدّت يدها لأخذ الكتاب منه، حتّى أبعده عن متناول يدها، وبدأ يقلِّبُ الصفحات بين يديه، ثم تأمّل الصفحة الأولى، وأومأ إليها برأسه.

سألها قائلًا: "مكتبة طريق هارو؟"، بدا سؤاله وكأنه يطرحه نفسه. "أمازال هذا المكان مفتوحًا؟ لقد اعتقدت أنهم أغلقوه منذ سنوات".

قالت أليشا: "لا يزال مفتوحًا، وأنا أعمل هناك". شعرت بأنها في موقف دفاعي، ولم تعرف السبب.

ابتسم ابتسامة خفيفة، وقال لها: "واو، لا تبدين أمينة مكتبة.. آسف، فأنا لا أعرف حتى ما أعنيه بكلامي". دفع الكتاب نحوها، فالتقطته بسرعة، ثم قال لها: "أعتقد أن حقيبتك ثقيلة، أيمكنني تقديم المساعدة؟".

قالت له: "لا، أشكرك، أقدر أن أحملها وحدي"، بينما كانت أصابعها تصرخ من الألم، قلبت عينيها محاولة إخفاء توترها وارتباكها، والتخفيف من لهاثها المتسارع، ثم أجبَرَتْ قدميها على التقدّم خطوة خطوة.

"ولكن يمكنني مساعدتك".

"قلت لك إنني لا أحتاج إلى مساعدتك!". ابتسمت أليشا، في الوقت الذي كان فيه مقبضا الحقيبة يمزقان جلدها.

قال ساخرًا، وهو يمشي خلفها: "حسنًا، حسنًا، يبدو أننا نسير في الاتجاه نفسه، لذا إذا كنت أمينة مكتبة بالفعل، فأخبريني بموضوع هذا الكتاب".

توقّفت أليشا لحظاتٍ، ووضعت الحقيبة على الأرض مرة أخرى لتتمكّن من التقاط أنفاسها، وإعادة حملها بشكل أفضل، ولكن قبل أن تتمكّن من فعل ذلك، انقضّ الشاب عليها وأمسك بكيسين منها.

قالت له بصوت منخفض: "أوه، لا يمكنك فعل ذلك".

"انظري، أريد فقط أن تخبريني بموضوع الكتاب، وسأحمل عنك هذين الكيسين، ثم سأتركك وشأنك إلى الأبد".

علَّقَتْ أليشا الحقيبة على كتفها، وقالت: "أنا آسفة لإحباطك، ولكنني في الواقع لم أبدأ بقراءة الكتاب بعد، ولا أعرف سوى ما كُتب على غلافه الخلفي فقط".

قال لها: "لا بأس، ما اسمك؟".

"أليشا".

"يسرّني لقاؤك، يا أليشا، بالمناسبة أدعى زاك".

علّقت أليشا في سرها، لم أسأله عن اسمه، ولكنها قالت بصوت عالٍ: "سررت بلقائك أيضًا".

قال بخجل: "وأنا أيضًا". هل كان متوترًا مثلها؟ عندما لاحظت أنه تخلف عنها بضع خطوات، وهو يكافح مع الكيسين الثقيلين لم تستطع إلا إخفاء ابتسامتها.

قال، وهو يلحق بها محاولًا إخفاء ما يبذله، وقد بدأ يلهث: "حسنًا، أنتِ قارئة نهمة؟".

مرّت لحظة قبل أن تردّ، وهي تفكّر في الرجل العجوز، السيد باتيل، وفي محادثاتهما حول الكتب التي قرأاها حتى الآن، فشعرت بالقائمة تكاد تحترق داخل

غطاء هاتفها. أجابته بصدق: "هذا ليس دقيقًا، لقد بدأت حديثًا بالقراءة، ولكن، نعم، أنا أحبّ ما أقوم به كثيرًا".

"*عداء الطائرة الورقية*... هل تعتقدين أنك مستعدة لقراءته؟".

"اعتقدتُ أنك لا تعرف أي معلومات عن تلك الرواية".

"لقد شاهدت الفيلم، فكانت قصته حزينة، وهي الأشد تعاسة على الإطلاق".

"هذا ما قالته المرأة التي تجلس خلف طاولة المحاسبة".

"حسنًا، إننا على حق، كما أن النهاية حزينة".

"أحقًا؟ إياك أن تخبرني بها! لماذا الجميع عازمون على إفساد متعتي في اكتشاف أحداث هذه الرواية؟".

جحظت عيناها، وقد أذهلتها ردة فعلها، ولكنها سرعان ما شعرت بالراحة للحظة، فهي تمشي إلى جانب شاب غريب، وتتحدّث إليه عن أحد الكتب.

ضحك وقال لها: "لا تقلقي، لن أفسد عليك الأمر، حسنًا...". نظر إليها وتابع: "ماذا تفعلين عندما لا تعملين في المكتبة؟".

ما شأنه؟ أهو حب من النظرة الأولى أم شيءٌ من هذا القبيل؟

"آسف، أنا شديد الفضول نوعًا ما".

"نعم، هذا واضح".

"حسنًا...".

هزَّت كتفيها، وقالت له: "لماذا تريد أن تعرف ما الذي أفعله عندما لا أعمل في المكتبة؟".

قال لها: "أعني... أنا أدردش فقط". هزّ كتفيه، وهو يعرج قليلًا بسبب ثقل الكيسين اللذين يحملهما، وسألها: "بالله عليك، ما الذي تضعينه في هذين الكيسين؟".

عندما وصلا إلى نهاية الطريق، توقَّفَتْ وأومأت إليه قائلة: "سآخذ الكيسين هنا".

قال لها: "ولكن لا مشكلة لديّ، يمكنني أن أوصلهما لك إلى المنزل".

قالت له أليشا بلهجة حادة أدهشتها: "لا، سآخذ الكيسين هنا".

أومأ إليها برأسه، ووَضَعَ الكيسين برفق على الأرض، ثم تراجع كما لو أنه على وشك أن يدوس على لغم.

قالت له بمرح: "شكرًا، زاك".

"العفو، أليشا، أرجو رؤيتك مجددًا، فالصيف يشعرني دائمًا بالوحدة، لقد كانت مصادفة رائعة".

ما إن ابتعد الشاب، حتى حملت كيسيها، وتابعت طريقها إلى منزلها، بعد أن ألقت نظرة أخيرة عليه، لتحفظ شكله، إنه الشاب الذي التقت به في القطار، لم تكن تؤمن بالمصادفات.

عندما اقتربت من منزلها، رأت النوافذ مغلقة، والظلام يخيّم عليه، مثل منزل مانديرلي، أو منزل بو رادلي، ولكن في هذه اللحظة، لم تشعر بالرهبة، فوضعت الكيسين والحقيبة أمام باب المنزل، وفتّشت عن مفاتيحها، فبرز كتاب *عداء الطائرة الورقية* من الحقيبة مجددًا، وهو يحدّق إليها، ولا تزال كلمات الشاب الأخيرة تتردّد في ذهنها، فلطالما شعرت في فصل الصيف بالوحدة أيضًا، ولكن شعورها بالوحدة في هذا الصيف كان أقل من المعتاد.

الفصل 14

موكيش

الهاتف يرنّ: "بابا، أنا روهيني، اتصل بي هاريش، يودّ أن ترافقه إلى المعبد، ولا داعي للرد على مكالمتي، ولكن اتصل به، حسنًا، أعلم أنك لم تذهب إلى المعبد منذ فترة طويلة وبالأخص وحدك، ولكنه سيكون مفيدًا لك. لقد تناقشت أنا وأختاي في المسألة، ونعتقد أن عليك الذهاب، كما طلبت إليّ بريا أن أخبرك بأنها أحبّت الكتاب، *ساحر الأرض*، أعتقد أنَّ ذلك اسمه، وهي تُرسلُ إليك حبَّها، إلى اللقاء، يا أبي، نتحدّث لاحقًا".

الهاتف يرنّ مجددًا: "مرحبًا بابا، أنا ديبالي، قالت روهيني إن هاريش يحاول الاتصال بك، لماذا لا تزور المعبد؟ سيكون ذلك رائعًا، وستكون فرصة ذهبية لتناول وجبة طعام متوازنة، أموافق؟ حسنًا، أراك قريبًا".

أخرج موكيش كتابه، وجلس على كرسيه، وعندما رنّ الهاتف مرة أخرى، نظر إليه، ثم إلى كتابه، فقال لنفسه: "إذا كان أحدهم يريد أن يخبرني بمسألة مهمة، فسيترك لي رسالة، أليس كذلك؟".

صدر عن هاتفه صوت رنة رسالة صوتية: "صباح الخير، موكيش، أنا نيلاكشي".
كاد موكيش يقفز من كرسيه، فرفع رأسه تلقائيًا، ونظر إلى صورة نينا المعلقة على الحائط. "لقد اشتريت بعض المكونات لتحضير برينجال باجي، وربما يمكنني المجيء في عطلة نهاية الأسبوع؟ أيناسبك السبت؟ أرجو أن تحظى بعطلة ممتعة".

لم يتوقّع أن يسمع رسالة صوتية من نيلاكشي، فنظر إلى صورة نينا مرة أخرى باحثًا عن إشارة إلى ما يجب القيام به، هل كانت منزعجة أم غاضبة؟

تنهّد وحاول الاستقرار مرة أخرى على كرسيه الخاص، وبدأ بقراءة رواية *ريبيكا*، وقد أحاط به أربعة مصابيح ونصف، أحضرها من كلّ غرف المنزل، ووضع كلًّا منها على ارتفاع مختلف، أما نصف المصباح فكان عبارة عن مصباح كتاب يعمل بواسطة يو أس بي، ويمكن تثبيته على الكتاب نفسه، وهو يعود لبريا، أهدتها إياه نينا، بدت هذه الزاوية من غرفة جلوسه حاليًا وكأنها واحدة من تلك الحانات المحببة التي تضفي أنوارها الخافتة السحر والجمال على المنزل، كما تجعل أجواء القراءة رائعة.

لم يجد فائدة في ما يحاول القيام به، فمكالمة نيلاكشي أزعجته، كيف يمكنه أن يقرأ الآن قصة زوجة جديدة كانت دخيلة في القصر؟ رمى رواية *ريبيكا*، واتصل بهاريش مرة أخرى محاولًا إلهاء نفسه، وقد وافق على الذهاب إلى المعبد هذا المساء من أجل الأبيشيك وبوجا والطعام، فقد مرّ وقت طويل منذ أن فعل ذلك، فهو لم يزر المعبد إلا برفقة روهيني أو ديبالي، وأحيانا فريتي، وذلك عندما يُجبرنه على زيارته، فهو لم يكن يحبّ الوجود فيه، لأنه يذكره بنينا، وبأنه أصبح نصف رجل من دونها.

صاح هاريش: "أتطلّع إلى رؤيتك هذا المساء، موكيش". إما إنّه كان أصم أو لا يزال يجهل استخدام الهواتف الحديثة، ولكن موكيش غفر له على أي حال، فقد سبق له أن تحدث بصوت مرتفع حتى اشتكَتْ منه فريتي وروهيني، وقالتا له إنهما لا تستطيعان تخفيض مستوى الصوت في هاتفهما أكثر، حتى تتمكنا من سماعه من دون أن تتأذى أذناهما.

"ها، نعم، شكرًا لك على إقناعي، تسرني مرافقتك". حاول موكيش أن يبدو وكأنه اقتنع بذلك.

صاح هاريش مجددًا: "رائع يا صديقي، أراك لاحقًا".

ترك موكيش الهاتف بعيدًا عن أذنه، وهو يتحدّث إليه إلى أن قال له وداعًا.

[#]

بعد ساعات من القراءة، نظر إلى الأعلى، وذعر عندما رأى شخصيات ريبيكا الأربع الرئيسة تجلس على الأريكة قبالته، السيدة دي وينتر، الزوجة والراوية الجديدة، التي كانت ضبابية تمامًا لأنه لم يتمّ وصفها بدقة، هل يمكن أن يثق بها؟ السيد دي وينتر، الرجل الثري للغاية، الذي بدا ساحرًا في البداية، ولكنه كان يتمتّع بأفضلية... ولكن لا، لم يحبّه، ثم كانت هناك السيدة دانفرز، تلك السيدة الفضوليّة، التي لا يمكن الوثوق بها، وهي تصدر الأحكام، وقد كرهت السيدة دي وينتر التي لا تقارن بريبيكا، الميتة التي لم تنسَها، بالإضافة إلى ريبيكا نفسها، الشبح، الذي كان جالسًا على أريكة موكيش، يحدّق إلى صورة نينا المعلقة فوق التلفاز.

تنفّس موكيش بصعوبة، وفرك عينيه، ولكن فور وقوف ريبيكا التي بدت وكأنها تمدّ يدها نحوه، سَمِعَ صوت بوق سيارة، فتبخّرت الشخصيات الأربع في الهواء، فتنفّس موكيش الصعداء، وهو يحاول أن يتمالك نفسه قدر الإمكان، فلم يتخيّل أن كتابًا، ألّفه كاتبه منذ فترة طويلة جدًا، يمكن أن يؤثّر فيه إلى هذه الدرجة، ويجعله يشعر بأن شخصياته حقيقية.

سمع صوت بوق السيارة مرة أخرى، إنه هاريش، فنظر موكيش إلى ساعته، لقد حضر في الوقت المناسب.

ثم سمع بوق السيارة للمرة الثالثة بعد ثلاثين ثانية فقط.

إنه نافد الصبر.

إنه دائمًا هكذا، وقد حسب نفسه رجلًا عصريًا يبلغ من العمر أربعين عامًا، ويقود سيارة فاخرة، وأن هناك أماكن مخصصة له يناسبه ارتيادها، وأن أناسًا محدّدين يُفترض أن يلتقي بهم، ومن الصعب جدًا بالنسبة إليه الانتظار لبضع دقائق حتى يخلع صديقه نعله، ويجمع حقيبة المعبد، وينتعل حذاء فيلكرو. لكن موكيش جعله ينتظر وهو يتحرّك ببطء شديد، أو على الأقل هذا هو العذر الذي قدّمه لنفسه، ولكن أيًا يكن الأمر، لم تسمح له ساقاه المتيبستان بالمشي أسرع... وقد أثبتت المسيرة ذلك له.

كانت سيارة هاريش كبيرة، ولامعة دائمًا، حتى وإن تعرّضت لهواء لندن الملوث بالضباب الدخاني.

"موكيش!". صاح هاريش من نافذة السيارة، ثم اتّكأ على مقعد الراكب، وفتح الباب للترحيب بموكيش في داخل السيارة.

أغلق موكيش الباب خلفه بقوة، وتنهّد من ألم ظهره، قبل أن ينطق بكلمة أخرى، وقد شَعَرَ بالضيق في هذه السيارة، لأنه لم يستطع أن يمد ساقيه براحة. "هاريش، تسرني رؤيتك".

عندما توقّفا أمام المعبد، نقر هاريش على لوحة القيادة بلطف، وخرج من السيارة بسرعة كبيرة، تفوق سرعة موكيش بكثير.

سارا في اتجاه المعبد جنبًا إلى جنب، ولكن موكيش تخلَّفَ عنه قليلًا. بدا المعبد مهيبًا، وقد توّجت أشعة الشمس قبابه، وانعكس نورها على النقوش التي بدت ظلالها ساحرة، فكان المشهد جميلًا، ولكنه لم يقدّره حقّ قدره من هذه الزاوية. إن رؤية هذه التحفة الفنية تثير الدهشة، فالمبنى يقع بين المباني السكنية والمدرسة، وقد تناثر عدد قليل من مواقف السيارات هنا وهناك.

كان المشهد جميلًا ويسلب الألباب، وهذا ما أحبّه في لندن، إنه التنوّع والتناقضات.

لقد سبقه هاريش كثيرًا، ولم يلتفت إليه، كما لم يلحظ حتى تخلّفه عنه، وهو غارق في عالمه الصغير.

سار على مهل، وخلال لحظات شعر كما لو أن ساقيه تتلاشيان، فحضوره إلى هذا المكان من دون بناته، ومن دون نينا، جعله يشعر بأنه يخوض تجربة مختلفة. أمام المدخل، مرَّ عبر الماسح الضوئي للجسم، لطالما تساءل إن كان رجل الأمن يستطيع رؤية جسده العاري، وأمل في ألا يكون ذلك صحيحًا، فاحمرّ خجلًا ما إن فكّر في احتمال حصول ذلك، فلن يكون تصرفًا هندوسيًا لائقًا أن يحدث ذلك، أليس صحيحًا؟ لقد سُمح له بالمرور.

أعطاه رجل الأمن مفاتيحه وحزامه، ثم استدار إلى اليسار، فتخيّل نينا إلى جانبه، وهي تستدير إلى اليمين، إلى رفوف أحذية السيدات، بينما كان يلقي نظرة خاطفة، رأى إنديرا، وكالعادة كانت وحدها، فلم يرَ كثيرًا من الناس يتحدّثون إليها، فالجميع يعلمون أنه ما إنْ تبدأ بالحديث يستحيل إيقافها، وبخلاف ذلك لم يكن يعرفها جيدًا، ولكن نينا أصرّت دائمًا على بذل جهد لتبادل الحديث معها، فلوّح لها، ولكنه ترك يده تسقط إلى جانبه بسرعة، عندما أومأت إليه برأسها ردًا على تحيته.

[#]

بعد الأبيشيك، حيث سكب موكيش وهاريش الماء المقدس على تمثال نحاسي لسوامينارايان ليحصلا على بركاتهما، سرعان ما تركا السلام الذي تبعثه الطقوس في النفوس خلفهما، وتوجّها مباشرة إلى القاعة الصاخبة حيث يُقدّم الطعام، فُصل القسمان المخصصان للرجال والنساء بواسطة ستارة، فتسابق هاريش للحصول على طعامه وحجز طاولة لهما، بينما أخذ موكيش وقته في الوصول، وألقى التحية على كل العاملين، وتناهت إلى سمعه عبارة: "موكيش، من الرائع رؤيتك هنا لتناول الطعام بعد فترة طويلة جدًا"، ولكنه انضمّ إلى هاريش بعد فترة وجيزة، وهو يحمل طبقه البلاستيكي المليء بالطعام اللذيذ ذي الألوان الزاهية، فأكلا بصمت، وقد لاحظ موكيش أنه يحاول النظر عبر الستارة لإلقاء نظرة على نيلاكشي التي رآها قبل لحظات قليلة، فقد اعتاد أن يلقي نظرة عبر الستارة على نينا وبناته، وعندما خطرت على باله مدبرة المنزل الغاضبة والصارمة والمنفعلة، السيدة دانفرز، ظهرت أمامه إلى جانب هاريش، وهي ترتدي ثيابًا غريبة، وهي عبارة عن ساري وشانلو، وقد ربطت شعرها على شكل كعكة محكمة عقدتها، وكانت عابسة، وهي تهزّ رأسها، وتأكل طعامها بيديها مثله.

رَمَشَت عينا موكيش عدة مرات محاولًا إبعاد صورة هذه السيدة الغريبة التي لم تكن حقيقية، ولكنه لم ينجح في ذلك.

قال موكيش لهاريش وهو يحاول يائسًا السيطرة على مخاوفه، وهو يُبدل نظراته بين هاريش والسيدة دانفرز العابسة: "بهاي، كيف حال مينا؟".

"أوه، إنها بحال جيدة بالطبع، فالليلة إجازتها، لذلك أنا متأكد من أنها أكثر سعادة من أي وقت مضى، لأنني سأكون بعيدًا عنها". ضحك هاريش ساخرًا من نفسه، وفمه مليء بالطعام، فنظرت السيدة دانفرز الخيالية إلى جارها نظرة اشمئزاز، فوجد موكيش أن ذلك قد يكون الشبه الوحيد المشترك بينه وبين مدبرة منزل مانديرلي الرهيبة.

تخيَّلَ نينا في الجانب الآخر من الستارة، وهي تقدّم الطعام إلى السيدة دانفرز نفسها، فخاطب موكيش نفسه: "*لا، لم أنسَها*"، لكنه لم يكن يعرف ما إذا كان لمصلحته أم لمصلحة السيدة دانفرز، أن يصرّح بأنه لن ينسى نينا أبدًا، وأن لا أحد، ولا حتى نيلاكشي، يمكن أن يحلّ محل زوجته، فجأة التقطت السيدة دانفرز طبقها، وذهبت بعيدًا إلى الجانب الآخر من القاعة.

لا يزال هاريش يتحدّث إليه، ولكن موكيش لم يكن يصغي إلى ما يقوله، ومع ذلك فقد رد عليه بقوله: "يا إلهي، أليس كذلك؟". يبدو أن هذا ما كان هاريش يأمل حصوله.

"طلبت إليّ مينا أن أدعوك لتناول العشاء، فقد مرَّ وقت طويل منذ أن زرتنا". يبدو أن هاريش لاحظ أن موكيش كان في مكان آخر، فربت على كتفه للفت انتباهه.

أجاب موكيش، وهو يهزّ رأسه: "بالطبع، يمكنني تلبية الدعوة متى شئت".

"هل يناسبك السبت؟ يكون ابني البكر في المنزل، لذلك سيكون لطيفًا أن تلتقيا، وستسعده رؤيتك".

لم يكن السبت مناسبًا، فهو السادس من تموز، اليوم الذي ستزوره فيه نيلاكشي. قال موكيش: "أنا مشغول يوم السبت".

"ما الذي يشغلك؟ هل ستزورك روهيني؟".

هزَّ موكيش رأسه نافيًا.

"هل ستزورك بريا أم توأم ديبالي؟ بالمناسبة لم أرَ التوأم منذ زمن طويل، ليس منذ...".

هزَّ موكيش رأسه نافيًا من جديد.

"هل ستزورك فريتي؟ هل عثرت على زوج؟".

هزّ موكيش رأسه، فلم يرد أن يكذب، ولكنه كان ممتنًا جدًا للأسئلة الثنائية، فربما لم يكن هاريش ينتبه عن أي سؤال كان يجيبه.

"آه، أستغرب ذلك كثيرًا، فهي امرأة جميلة، وتذكرني كثيرًا بزوجتك نينا، إذًا ما الذي ستفعله؟ هل انضممت إلى نادي الشطرنج أم نادي الكريكت؟". ضحك هاريش، وصَفَعَ بطنه. "هل تتخيّل، موكيش، يلعب لعبة الكريكت؟!".

قال موكيش بسرعة: "سأتناول العشاء مع نيلاكشي"، وقد حرص على نطق اسمها بوضوح، لإثبات أنه لم يكن بينهما أكثر من صداقة بريئة، كما نطقه بصوت عالٍ إلى درجة أنه على الرغم من ضعف سمع هاريش، فقد تمكّن من أن يسمع كلامه بوضوح.

"من؟".

احمرَّ وجه موكيش خجلًا، وقال: "نيلاكشي".

تجهّم وجه هاريش لحظةً، ثم اتسعت عيناه، وقال: "أوه، بهاجوان! أأنتما تتواعدان؟ ولكن ماذا عن نينا؟".

تحوَّلَ لون وجه موكيش إلى الوردي، وهو يقول: "لا، بهاي، بهاي، لقد أسأتَ الفهم تمامًا".

في تلك اللحظة، كانت السيدة دانفرز المرعبة تراقبه من الجانب الآخر من القاعة.

"لكنها صديقة نينا، وأنت أرمل!".

"لا، هاريش، لا تسئ الفهم!". رفع موكيش يديه مدافعًا عن نفسه، وكأنه يحذّر هاريش من التمادي في تحليلاته راجيًا إياه أن يستمع إلى ما سيقوله: "نحن مجرد

صديقين، ليس بيننا ما تفكّر فيه على الإطلاق".

لقد قَصَدَ ذلك فعلًا، لم يكن الأمر أبدًا كما فكّر هاريش، ولكن ذلك أشعره بالغرابة، فهما لم يمضيا أكثر من بضع ساعات معًا، ولكن الناس بدؤوا يصنفونهما في مرتبة الأرامل الزناة، أيعقل أن يكونا من هؤلاء الزُناة؟ هزَّ موكيش رأسه، فلم يكن الأمر مهمًا في كلتا الحالتين، لأنه ليس كما يتصوّره هاريش.

التقط موكيش طبقه، وكشط بقايا الطعام في سلة المهملات، وهو يشعر بأن السيدة دانفرز تتبع كل خطوة يخطوها، وهو يخرج من القاعة، ثم يغادر المعبد إلى الهواء الطلق في نيسدن. أخرج رواية *ريبيكا* من حقيبته، للحظة، فتراءى له أن اسم نينا مكتوب في المقدمة بدلًا من ريبيكا، لماذا كان هذا الكتاب يؤثّر فيه إلى تلك الدرجة؟ ماذا أراد منه؟

جوزيف
2017

تردد جوزيف إلى المكتبة منذ صغره، فعندما تضطر والدته إلى العمل خلال العطلات المدرسية، كانت تتركه هناك، لإنهاء واجباته المدرسية وقراءة الكتب التي شجّعته عليها استعدادًا للعام التالي، وهو لا يزال يأتي حتى الآن إلى المكتبة بعد انتهاء دوام المدرسة أيام الاثنين والأربعاء والجمعة، على الرغم من أنه أصبح كبيرًا بما يكفي ليبقى في المنزل وحده. كانت لديه طاولته المفضلة، والتي لا يشغلها أحد في الغالب لأنها لم تكن معزولة مثل الطاولات الأخرى، بل كانت قريبة من مكتب أمين المكتبة، فكان يستمتع بغمغمة الناس المحببة إليه، وهم يبحثون عن الكتب، وقد حفّزه ذلك على التركيز على عمله، فهو يحبّ المكتبة، وكانت ملاذه الآمن، ما دام لا يرتادها أحد من تلاميذ المدرسة.

ذات يوم، كان يجلس في مكانه المعهود، عندما جلس شخص غريب في الجهة المقابلة، لم ينظر جوزيف إليه، فقد سبق له أن ارتكب هذا الخطأ، ممّا دفع شابًا إلى طرح أسئلة عليه حول واجباته المدرسية، ولم يعرف كيف يوضّح له أنه يريد متابعة عمله بسلام، وكالعادة أبقى رأسه منخفضًا، وهو يحدّق إلى صفحات كتابه.

لاحَظَ من يدي الغريب، عندما وَضَعَ كتابًا على الطاولة، أنه كان أكبر سنًا منه، لأن جلده كان مترهّلًا بعض الشيء، مثل يدي أمه، فألقى نظرة خاطفة على الكتاب لاكتشاف عنوانه محاولًا الحصول على لمحة عنه من خلال الغلاف، ولكن الأوان كان قد فات، فاليدان فتحتا الكتاب، فاستسلم وعاد إلى واجباته المدرسية.

إلا أنه يكره الواجب المدرسيّ المتعلق بالتعليم الشخصي والاجتماعي والصحي، ولكن لا بد من القيام به، كما أنه يكره المدرسة كلها أيضًا، ويرجع ذلك أساسًا إلى اضطراره إلى الجلوس بجوار مو جونسون، الذي كان يحتقره ويمعن في إذلاله.

كان يسخر منه قائلًا له: "ماذا يمكنك أن تفعل إن تنمَّرَ عليك أحدهم؟ هل ستشكوه إلى الناظر؟".

لقد سخر منه؛ لأنه كان يذهب إلى المكتبة بعد انتهاء دوام المدرسة، فقد تبعه ذات مرة طوال طريق عودته من المدرسة واكتشف سره، واصفًا إياه بالجبان، والمخنث، والخاسر، والمدمن على الدراسة، والمهووس، والمبتذل. ولكن ما إن يدخل جوزيف عبر باب المكتبة حتى يشعر بالأمان، فهو لن يسمح بعد الآن بأن يكتشف أحدهم مخبأه في المكتبة ولو على جثته، ولكن من أين يُفترض به أن يبدأ؟ كان السؤال الأول: "ما تعريف التنمر؟"، فهو يدرك أنَّ جونسون طرح عليه السؤال للسخرية منه، ولكن إذا لم يكن قد ضربه، فذلك لا يعدّ تنمرًا حقيقيًا، أليس كذلك؟ ثم كان السؤال الثاني: "كيف تعرف إذا تعرض أحدهم إلى التنمر؟"، يخفي معظم المتنمّر عليهم معاناتهم عن الآخرين. وَضَعَ جوزيف رأسه على الطاولة، وعندما نظر إلى الأعلى، لاحظ أن ورقته أصبحت عبارة عن دوائر مبللة ورطبة.

أخذ الشخص الغريب الذي يجلس في الاتجاه المقابل، قصاصة من الورق بيديه المترهلتين قليلًا، وبدأ يبحث بين صفحات كتابه، وهو يمرّر أصابعه فوق الكلمات، ثم توقَّفَ لحظة، ودسَّ قصاصة الورق داخل الكتاب، ثم دفعه عبر الطاولة باتجاهه، فرفع جوزيف رأسه قليلًا، وهو ينظر إلى الكتاب، ولكنه لم يجرِ اتصالًا بصريًا مع الغريب الغامض، فلم يكن يريد التحدث إلى أحد، بينما تترقرق الدموع في عينيه بصمت.

حياة باي، كان الغلاف عبارة عن بحر أزرق وسطه نمر عملاق ألوانه مشرقة، ثم رأى ورقة تطلّ من بين الصفحات.

لم يلتقط جوزيف الكتاب في الحال، بل تركه على الطاولة، كما لو أنه لم يلحظه، وبعد لحظات ارتدى الغريب سترته، وحزم أغراضه، وخرج من دون أن يرى جوزيف وجهه.

لم يكن جوزيف شخصًا مولعًا بالكتب، فلم يقرأ كتابًا منذ كان صغيرًا، وكانت الواجبات المدرسية الكثيرة تثقل كاهله في هذه الأيام، ولكن عندما سحب الكتاب نحوه، وقلّبه بين يديه، تفحّصت عيناه الكلمات المطبوعة على الغلاف الخلفي، فكانت تدور حول قصة صبي يبلغ من العمر ستة عشرة عامًا، تقطّعت به السبل في البحر على متن قارب مع نمر وضبع وإنسان الغاب وحمار وحشي، فكان ذلك غريبًا، وعندما قلب الكتاب، ظهرت على الغلاف صورة الصبي منزوِيًا في أحد طرفي القارب، وهو يعانق ركبتيه بإحكام، لم يسبق لجوزيف أن رافق نمرًا على متن قارب، ولكنه يعرف هذا الشعور؛ الشعور بالرغبة في الانزواء والحاجة إلى أن تكون صغيرًا قدر الإمكان وغير مرئي، فترك الكتاب على الطاولة، وبطريقة ما كان يعلم أن هذا الكتاب قد تُرِكَ عمدًا من أجل أن يقرأه.

دفع واجبه المدرسي بسرعة في حقيبته، وعلّقها على كتفه، وحمل الكتاب واتجه إلى آلات الخدمة الذاتية. لقد تاق للعودة إلى المنزل، حتى يتمكّن من قراءة الكتاب، ويعرف ما الذي أراد الغريب أن يكشف عنه.

[#]

ما إن وصل إلى مدخل المنزل حتى فتح الباب وأغلقه خلفه، وركض إلى غرفة نومه في الطابق العلوي، فاندسّ في الفراش تحت الأغطية، ووضع اللحاف على رأسه، وجلس على سريره، ثم فَتَحَ الكتاب حيث تُرِكَتْ قُصاصة الورق، فأخرجها برفق قدر استطاعته وتفحّصها بعناية، فكانت عبارة عن قائمة تضمّ، واحدًا، اثنين، ثلاثة، أربعة، خمسة، ستّة، سبعة، ثمانية كتب، وقد أحيط اسم أحدها بدائرة.

حياة باي.

إنه اسم الكتاب الذي أحضره.

الفصل 15

أليشا

قلَّبَت الصّفحة الأخيرة، وتنفّست بعمق، فلم تلحظ أنه مرت ساعات عليها وهي جالسة وحدها في المكتبة، فكانت هذه المرة الأولى التي تقرأ فيها بحرية، من دون أن تشكّك في نفسها، ومن دون أن تتساءل إن كانت قد اختارت القصة بشكل صحيح، ومن دون أن تُفكّر في العالم الخارجي على الإطلاق.

وضعت أليشا رواية *عداء الطائرة الورقية* على مكتبها، وغطَّتْ وجهها بيديها، فشعرت بقلبها ينبض كما لو أنه يكاد ينفجر في صدرها، وبرأسها يؤلمها بشدة، فكانت ممتنة للغاية لأن المكتبة فارغة، لأنه إن وجّه إليها أحدهم أي كلمة الآن، فقد تجهش بالبكاء.

التقطت هاتفها، وشعرت برغبة جامحة في إرسال رسالة إلى شخص مقرّب إليها بدلًا من ذلك، للتعبير عما يختلج داخلها من دون التفوّه بكلمة، وإخباره بما قرأته، ثم تساءلت إن كانت راشيل ستعرف الكتاب، ولكنها لم تراسلها منذ أسابيع، وسيكون إرسال رسالة نصية فجأة من أجل التحدّث عن كتاب أمرًا غريبًا، ففكّرت في المرأة في المتجر، ثم في ذلك الشاب، زاك... هل قال إنه قرأ الرواية؟ تفاجَأَتْ عندما وجدت نفسها تفكر فيه مرة أخرى.

تخيَّلَتْ أمير وحسن، الصديقين المقرّبين اللذين بدوا وكأنهما أخوان، وهما يركضان في أرجاء كابول، ويطيّران طائرتيهما الورقيتين، كان حسن لطيفًا جدًا

ومخلصًا لصديقه، ومستعدًّا لبذل قصارى جهده لحمايته وإسعاده، أما أمير الذي ضمن صداقة حسن وولاءه، فكان يعامله معاملة سيئة، وبأسلوب طفولي فظ يضاهي تعامل الأطفال السيئين مع بعضهم، أمضى أمير بقية حياته نادمًا على ما ارتكبه من أخطاء بحق أعز أصدقائه. وأخيرًا، فهم كم ضحّى حسن من أجله عندما كانا طفلين، ولكن أمير ندم بعد فوات الأوان، وقد أمضى حياته، وهو يحاول أن يكون إنسانًا صالحًا مرة أخرى. علّمت حكاية أمير أليشا درسًا مهمًا في الحياة مفاده أنه بغض النظر عن مدى تصرفاتك الشائنة في الماضي، يمكنك أن تبذل كل ما في وسعك لتكون صالحًا. إن صداقة أمير وحسن فطرت قلب أليشا بكل ما للكلمة من معنى، فلم تكن تعرف أنه يمكن أن تشعر بهذا الألم، وأنها قد تتفاعل مع تلك الفاجعة التي تمحورت حولها أحداث القصة، أو أن بعض الكلمات المتناثرة على صفحات ذلك الكتاب قد تبعث في نفسها الإحباط.

كانت روايتا *ريبيكا* و*لا تقتل عصفورًا ساخرًا* رائعتين، ولكنها شعرت في بعض الأوقات وهي تقرؤهما، وكأنهما كتابان مدرسيان، أو أنها تقرأ بحثًا يتناول رسالة ما، أو أنها تقرؤهما للبحث عما يمكن أن تتحدّث فيه مع السيد باتيل.

لكنها عاشت أحداث رواية *عداء الطائرة الورقية* وتفاعلت معها لعدة أيام، وعندما كانت تجتمع في المنزل بإيدان، ويسألها عن حالها، لم يكن جوابها يرتبط بأي حدث خارج عالم تلك الرواية.

قالت له: "أنا أقرأ رواية *عداء الطائرة الورقية*، إنها كل ما يمكنني التفكير فيه".

قال إيدان: "لقد شاهدت الفيلم، إنه محزن للغاية، كيف ستتحمَّلين نهايتها؟".

قالت أليشا، وهي تلوّح له بالكتاب: "لم يحذّرني أحد من النهاية!".

كان يعلم أنها تكذب، فقد حذّرها الجميع منها، لكنها لم تصغِ إلى تلك التحذيرات، بل أصرّت على قراءتها.

"لماذا لم يخبرني أحد بأن أحداث هذه الرواية ستؤدّي إلى فطر فؤادي إلى مليون بل إلى مليار قطعة بكل ما للكلمة من معنى؟ لقد كان حسن لطيفًا جدًا

وصديقًا وفيًا، ومع ذلك أساء أمير معاملته".

"حسنًا، كلاهما كانا طفلين، أليس كذلك؟".

"نعم، ولكن على الرغم من ذلك قد تقوم بتصرفات سيئة وأنت طفل صغير، يمكن أن تؤثر سلبًا عليك، ولا سيما عندما تجرح مشاعر الآخرين في الصميم، أليس كذلك؟ كما حصل مع أمير الذي قضى كل حياته نادمًا".

"تحتوي هذه الرواية على كثير من العبر التي تتناول إصلاح الأمور قبل فوات الأوان". توقّف إيدان لحظةً، فنَظَرَتْ أليشا إلى الصورة التي تجمع إيدان، وأليشا، وليلى، ودين. أنهى إيدان حديثه قائلًا، وهو ينظر إلى شاشة هاتفه: "ألا نأخذ المرء بصفته أمرًا مُسلّمًا به".

شعرَتْ بغصة في حلقها، فلم يكن أمير قادرًا على إصلاح الأمور مع حسن، ولكنه كان قادرًا على إصلاح بعض الأخطاء التي ارتكبها بطريقة ما، فكَّرَتْ في كل ما فعله دين في الماضي، وما يفعله الآن، لقد فَعَلَ كل ما في وسعه ليظهر بمظهر الوالد المهتم بهما عبر إرسال الرسائل النصية والاتصال بهما هاتفيًّا، وترك الملاحظات الصوتية لهما، ووضع بعض المبالغ المالية بين الحين والآخر في حسابهم المصرفي، ولكن على خلاف أمير، لم تكن أليشا متأكدة من أن دين نادم حقًا على أي خطأ ارتكبه بحقهما في حياته.

بالعودة إلى المكتبة، مَسَحَتْ أليشا دمعة سالت على خدها، وقالت في سرها: "يا لها من حماقة!" عندما رأت السيد باتيل، وهو يتجوّل في المكتبة ويبتسم ابتسامة عريضة، لم يبدُ عليها أنها قادرة الآن على التظاهر بالمرح، فقد كانت تفكر في الطفل اللطيف حسن وصديقه أمير، بالإضافة إلى دين.

قال، وهو يتقدّم في اتجاه مكتبها: "مرحبًا".

رفع رواية *ريبيكا* عاليًا، وقال: "لقد أنهيت قراءة هذه الرواية أيضًا".

حاولت أليشا أن تُجبر نفسها على الابتسام، ولكنها شعرت بأنَّ شفتها السُّفلى قد ارتخت، فعَرَفَتْ أنه لا يوجد ما يمكنها فعله حيال ذلك.

قالت: "مرحبًا، سيد باتيل".

سألها بهدوء: "أليشا، هل أنتِ بخير؟".

شعرت أليشا بأن الغصة تكاد تنمو في حلقها مرة أخرى، فقالت لنفسها: "لا تبكي، لا تبكي، لا تبكي"، ثم قالت له: "نعم، بالتأكيد، لقد أنهيت توًّا قراءة رواية حزينة، ولكنني بخير".

تلاشت الغصة التي شعرت بها في حلقها، وحاولت أن تتحدّث بصوت واضح، فانحنى السيد باتيل بشكل محرج على المكتب، وربت على كتفها برفق، وقال لها بصوت خافت ورقيق: "لا بأس، إن ابنتي ديبالي تبدو مثلك تمامًا، عندما تحاول التظاهر بأنها بخير، ولكنها لا تكون كذلك! في مرحلة المراهقة كانت تشعر بالضيق دائمًا وبرغبة في البكاء، ومع ذلك كانت تقول لي أنا بخير، دعني وشأني يا بابا، أنا بخير"، ضحك السيد باتيل، وأكمل حديثه قائلًا: "لا بأس، في الاعتراف بالحزن عندما تشعرين به، فيمكن أن تكون أحداث هذه الروايات حزينة للغاية، أليس كذلك؟ فقد قرأتُ ذات مرة رواية جعلتني أجهش بالبكاء".

قالت له أليشا: "ما هي الرواية؟". كانت أليشا تفعل كل ما في وسعها للحفاظ على ثبات نبرة صوتها.

قال بصوت خافت: "*زوجة مسافر عبر الزمن*، لقد عثرنا عليها تحت سرير زوجتي بعد وفاتها، وقراءتها جعلتني أشعر بقربي منها، كما جعلتني أدرك فداحة خسارتي أيضًا". أشاح عنها وجهه، ونظر بعيدًا لحظةً، فزاد حزنه من ألمها الذي ظهر جليًا من خلال تقطيب جبينها.

ثم قال لها: "أنا... أردت أن أتحدّث إليك عن *ريبيكا*، ولكن ربما نتحدّث عنها في يوم آخر؟ ومع ذلك أودّ الحصول على رواية جديدة، ما الرواية التي أحزنتك؟".

رفعت أليشا الرواية عاليًا.

قرأ السيد باتيل العنوان ببطء: "*عداء الطائرة الورقية*".

أومأت إليه برأسها بقوة، وقالت: "أعني، أجل، أرجو أن تقرأها، أحتاج إلى أن أناقش أحداثها مع شخص ما".

قال بلهفة، وعيناه تلمعان: "هل تريدين التحدث إليّ عنها؟ في هذه الحالة، سآخذها منك، فأنا أودّ ذلك، أود أن أشكرك بشأن *ريبيكا*، فقد جعلتني أفكّر في أمور كثيرة، على الرغم من أنني لا أعرف إن كنت قد أحببتها أم لا".

"ألم تعجبك؟ إنها مخيفة، لقد وجدتها مخيفة للغاية، فذلك المنزل القديم والكبير، وذلك الشبح يثير الذعر في النفوس".

"لا... في الواقع كانت أحداثها تميل إلى القسوة أكثر، فلا أؤمن بالزواج مرة أخرى، فهو ليس عصريًا".

ضحكت بصوت عالٍ، وقالت: "سيد باتيل، لا أعتقد أن الرواية كانت تتناول موضوع الزواج مرة ثانية، هل تعلم؟ أعتقد أن هذه الرواية أُلّفت منذ سنوات طويلة".

نظر إلى حذائه، وقال: "بدت لي كل الأحداث وكأنها تتعلق بالزواج من جديد".

قالت أليشا، وهي تسجّل رواية *عداء الطائرة الورقية* باسم السيد باتيل: "حسنًا، أعتقد أن الرواية تتناول موضوعًا مختلفًا، وأبطالها أناس مختلفون".

وقف السيد باتيل مستقيمًا، وقال: "أتعرفين أمرًا، آنسة أليشا؟ لن أتزوّج مرة أخرى أبدًا".

حاولت أليشا إخفاء ابتسامتها، وقالت: "ولكن ماذا لو عثرت على السيدة المناسبة؟". لقد استمتَعَتْ بمضايقته، حتى اتَّسَعَتْ عيناه بشكل واضح وفغر فاه، فلم يكن يأخذ كلامها على محمل الجد إلا أن تأثيره كان سلبيًا عليه، فقد جعله ينفعل.

أجابها بنبرة عالية: "بالله عليك، ما الذي تقولينه؟ لا يوجد سوى حب حقيقي واحد في حياة أي شخص".

قالت أليشا، وهي تضع كتاب *عداء الطائرة الورقية* على المكتب أمامها: "حسنًا، إذا كان هذا رأيك".

ثم عادت تفكّر في حسن وأمير، فشَعَرَتْ بغرابة وهي تقوم بتسليمه الرواية، فقد رغبت في تملّكها وحمايتها بعيدًا عن متناول أيدي الجميع، ولكن عندما نظرت إلى وجه السيد باتيل الذي أصبح أقل غضبًا، تمكَّنَتْ من رؤية الشغف في عينيه. فقالت له: "اسمعني جيدًا، يجب أن أصارحك بطبيعة الرواية، إن وقع أحداثها قاسٍ حقًا، ويصعب قراءتها، أعني ليست صعبة بالتحديد، ولكنها عميقة، عميقة جدًا جدًا، حسنًا، هل فهمتني؟".

قال لها: "حسنًا، لقد مررت في حياتي بأحداث قاسية وعميقة الأثر، وأعتقد أنني أستطيع التكيف معها". ابتسم لها ابتسامة عريضة، فشعرت بأنه ينتظرها لتطرح عليه سؤالًا، حتى يتمكّن من نقل بعض حكمة أتيكوس إليها.

قالت له: "إلى أي درجة كانت عميقة وقاسية، يا سيد باتيل؟".

نظر إلى السقف، وقال: "حسنًا، أنا لم أولد في ويمبلي، هل تعلمين ذلك؟ تركت منزلي في كينيا، وأتيت إلى هذه البلاد لتربية بناتي، وإتاحة فرص عيش حياة أفضل لهن، فكان الأمر صعبًا، كما شابت الاستقرار دائمًا هموم ومشاكل مختلفة".

قالت له: "حسنًا، هذه الرواية تتمحور حول الابتعاد عن الوطن، والشخصية الرئيسة هي أمير الذي يغادر أفغانستان، البلد الذي نشأ فيه إلى أميركا".

وضع السيد باتيل يده على الغلاف، وسألها: "حقًا؟".

"أعلم أنك ستحبّها! ولكن صدّقني، هذا يجعل *ريبيكا* تبدو وكأنها لعبة أطفال، فهي رواية رائعة، وأجواؤها مثيرة، أما هذه الرواية فتعصف بالمشاعر بشكل قوي".

قال لها: "حسنًا، يا آنسة أليشا، أنا أفهمك جيدًا، سأقرؤها وأعود إليك لاحقًا".

توجَّهَ نحو كرسي في المكتبة، وقبل أن يجلس مباشرة قالت له: "ولكن لا تبكِ، حسنًا، هل يمكنك أن تعدني بذلك؟".

أجابها قائلًا: "أعدك، أيّتها الرئيسة".

جلس على كرسيه المفضل بجوار كوة صغيرة من رفوف الكتب، وأمامه مصباح للقراءة.

ذات مرة قال لها: "من هنا يمكنني أن أراك يا أليشا أو أرى أمناء المكتبات الآخرين، لوسي وبيني والشاب الآخر، أو ذلك الطالب الذي يلقي كتبه أمامه، ويسحب دفترًا هزيلًا، أو الأمهات والآباء الذين يقرؤون لأطفالهم القصص. أنا أحبّ هذه البقعة، لقد أصبح ارتياد المكان مثل روتين جديد، كما أصبح هؤلاء الغرباء رفاقي الصامتين".

كانت أليشا سعيدة؛ لأن السيد باتيل بدأ ينفتح شيئًا فشيئًا، ليس فقط عليها، ولكن أيضًا على الأشخاص الآخرين الذين يعملون في المكتبة. قالت لوسي قبل أيام قليلة: "هذا الرجل العجوز الذي أصبحت رفيقته، لطيف إلى حدّ ما، أليس كذلك؟".

فكّرت في المرة الأولى التي تصرّفت فيها مع السيد باتيل بوقاحة، وكيف أقنعها إيدان وكايل بتصحيح خطئها، تمامًا كما فعل أمير في *عداء الطائرة الورقية*، فكان ذلك صحيحًا، لا يفوت الأوان لأن تكون إنسانًا صالحًا على الإطلاق، فشعرت أليشا في الحال بشعور غريب، شعور بالفخر والثقة بهذا الرجل العجوز، لقد عرفت أن السيد باتيل كان وحيدًا، ولكنه بدأ بمساعدة نفسه، ممّا جعل وضعه أفضل.

الفصل 16

موكيش

لم يخبر موكيش بناته بأنه يخطّط لرؤية نيلاكشي اليوم، فقد كانت بالنسبة إليهن مثل أي فرد من أفراد العائلة، ولطالما كانت كذلك، وأمل في أن ترى فريتي أن عثوره أخيرًا على شخص يمكن أن يكون صديقًا جيدًا ورفيقًا مثاليًا، مناسب له، ولكن روهيني وديبالي ستفهمان الأمر على نحو خاطئ، وستسيئان تفسير علاقتهما، وستهمسان أشياء كثيرة، مثل: "بابا أصبح جادًا في علاقته مع هذه المرأة، لماذا يفعل ذلك بأمّنا؟"، من خلف ظهره، فلم يستطع تحمّل أن يُحكى عنه في غيابه.

عندما رنّ جرس الباب، قفز قلب موكيش في صدره، وحدّق إلى صورة نينا، آملًا في الحصول على إشارة أو رسالة منها بطريقة ما، ولكن الهدوء كان يعمّ المكان.

قال: "نيلاكشي!". ترك موكيش ذراعيه مفتوحتين على وسعهما، وهو يلقي التحية عند الباب، كما بدا أكثر ثقة وراحة مما شعر به من قبل.

حملت نيلاكشي كيسًا أزرق من الخضار، وقالت له: "هل أنت مستعد لتعلم طريقة تحضير برينجال باجي؟".

أومأ إليها برأسه، وتنحى جانبًا ليسمح لها بالدخول.

قال لها بلباقة: "اجلسي، نيلاكشي". وأومَأَ إليها برأسه بشكل جدي، وأدرك فجأة أنه بدأ يشعر بالاضطراب وعدم الارتياح. وقفا جنبًا إلى جنب في الردهة، أمام باب غرفة الجلوس، وكانت نينا تحدق إليهما من إطار صورتها فوق التلفاز.

قالت نيلاكشي: "أشكرك، يا موكيش". أشارت إلى الأريكة، وهي لا تزال تحمل الكيس، وقالت: "أيمكنني الجلوس هنا؟". أجابها، وهو يميل إلى الأمام لأخذ الكيس منها: "نعم، يمكنك الجلوس حيثما تريدين". شبّكت نيلاكشي يديها معًا، عندما جلست على الأريكة، وقوّست كتفيها كما لو أنها تريد أن تشغل أقل مساحة ممكنة من الأريكة.

قال لها: "من فضلك، تصرّفي وكأنك في منزلك".

لم تتحرّك نيلاكشي، بل ابتسمت ابتسامة رقيقة، وأومأت إليه برأسها.

[#]

بعد دقائق انضمَّتْ إليه في المطبخ بينما كان يجهّز الشاي، لقد صنعه من الصفر هذه المرة، لأنه أدرك أن هذا ما كانت تقوم به نينا لضيوفها.

قالت نيلاكشي: "ظننتُ أنه من الأفضل أن أنضمّ إليك"، وقد بدا وجهها ممتقع اللون، ثم أكملت كلامها قائلة: "هل أبدأ بتقطيع الخضار من أجل تجهيزها لطهو برينجال باجي؟". كان في إمكانه الشعور بأنها لا تعرف ماذا تفعل بنفسها، فهي تتجوّل في منزل صديقتها الراحلة.

قال لها: "ها، لكن أخبريني ما تفعلينه خطوة بخطوة، وإلا فلن أتمكّن من مواكبتك أبدًا!".

قالت له: "بالطبع". سحبت الباذنجان، وبدأت بتقطيعه على شكل مكعبات، بينما أضاف موكيش الكاندريل إلى الشاي، تحركا في المطبخ بالقرب من بعضهما، وبينما كانا يبحثان عن الأواني، اصطدما ببعضهما أكثر من مرة، فكانت تلك اللحظات محرجة ومزعجة. قال لها: "أنا آسف جدًا"، وردت عليه بقولها: "لا، لا، أنا آسفة جدًا، بهاي! يا لي من خرقاء!".

قال موكيش: "انظري إلى حالنا، إننا نتصرّف بسخافة، سأبقى في هذه الجهة، وأعلميني إذا كنتِ بحاجة إلى أي مساعدة".

قالت له: "شكرًا لك، أعطِني الزيت من فضلك".

مرَّرَ موكيش الزيت، فحرصت نيلاكشي على إمساكه من غطائه، لتجنّب ملامسة أصابع يده قدر الإمكان، فحبس أنفاسه طوال الحصة التعليمية لإعداد برينجال باجي، ولم يتفوّه بأي كلمة.

طلب إليها، وهو يجرِّب قطعة الباذنجان المقلية والحارة: "من فضلك، هل يمكنك تدوين بعض الملاحظات حول طريقة تحضيرها أيضًا؟".

قالت له نيلاكشي: "بالطبع".

كانت على مقربة من الصحن، تراقب موكيش وهو يتذوّق الطعام.

قال لها: "هل تريدين تناول بعضه؟".

"لا، شكرًا، فأنا لا أُحب طعم الباذنجان".

ضحك موكيش، فزمّ عينيه، ثم قال: "ماذا؟ لماذا بادرت إلى صنع هذا الطبق إذًا؟".

"حسنًا، لطالما أخبرتني نينا أنه طعامك المفضل، وسمعت من هاريش أنك لا تتقن إعداده، كما أن بناتك أخبرنني بذلك في المعبد، كما أخبرنني بأنك لا تحافظ على نظامك الغذائي، فاعتقدت أنك قد ترغب في تعلم تحضير طعام صحي".

ابتلع موكيش طعامه مصدرًا صوتًا عاليًا، فاحمرَّ خداه خجلًا. بالطبع أَحَبَّتْ بناته، وربما روهيني تحديدًا، وانتشار الأخبار التي تفيد أن موكيش باتيل كان عالقًا في روتينه اليومي أمر غير جيد. ابيضّ وجه نيلاكشي قليلًا، فلاحظ أنها تُفكّر في قول أمر آخر.

قالت له: "هذا لطيف، الناس يهتمّون بك! كيف حال أحفادك، وبالأخص بريا الصغيرة؟".

"إنهم بخير، يستمتعون بعطلتهم الصيفية الآن، وقد رافقتني بريا إلى المكتبة منذ عدة أيام".

سألته: "المكتبة؟ هل هي المكتبة التي كانت ترتادها نينا؟".

"نعم، لقد كنت أقرأ لبريا، ففي المكتبة موظفة تساعدني كثيرًا، وتختار لي الكتب المميزة".

"هذا رائع، موكيش! ماذا تقرأ؟ أيمكنك أن تخبرني عن مضمون ما تقرؤه؟".

"أنا أقرأ كتابًا رائعًا يسمّى *عداء الطائرة الورقية*، إنه قصة أمير وحسن".

ثم بدأ يخبرها بكل أحداث الرواية حتى الآن، فأخبرها بأن أمير يعيش الآن في أميركا، وصديقه المقرب بات شبه منسي الآن، وهو يعاني من تأنيب الضمير، والندم الشديد لا يفارق ذهنه.

قالت نيلاكشي: "هذا يبدو محزنًا للغاية".

كانا يجلسان في غرفة الجلوس، فلاحَظَ أنها كانت متكئة إلى الخلف ويداها إلى جانبيها، وهي تشغل الآن مساحة أكبر، وهذا يعني أنها أصبحت تشعر براحة الآن.

قال: "إنها رواية حزينة. الشابة في المكتبة التي أوصتني بالرواية، بدت حزينة جدًا بعد أن أنهت قراءتها، فحسن ولد لطيف، ولكنه عومل بشكل مروِّع".

أومأت إليه برأسها، وقالت: "غالبًا ما تحصل أمور بهذا السوء، أليس كذلك؟ ابني...".

غضّت نيلاكشي طرفها، بينما كان موكيش متفاجئًا، فهو لم يسبق له أن سمعها، وهي تتحدّث عن عكاش.

ثم أكملت قائلة: "عندما كان أصغر سنًا، كان لطيفًا وهادئًا للغاية، وكان يواظب على قراءة الكتب، وكان أصدقاؤه يتنمّرون عليه، وعندما كان يعود إلى المنزل، كنت أسأله عن يومه، لأنني أردتُ أن أجعله يشعر بتحسّن".

قطّب موكيش جبينه، ولمعت عينا نيلاكشي، فلم يكن يعرف ماذا يقول. كان عقله يسترجع الأحداث التي دارت في الروايات كلها، هل كان هناك أي عبرة يمكن أن يتعلّمها منها؟ أي حكمة من حكم أتيكوس يمكن أن تساعده في هذه اللحظة؟

لكنه أدرك بعد ذلك، أن كل ما يحتاج إليه هو شخص يتحدّث إليه، ويمكن أن يعرض ذلك عليها.

شعرت نيلاكشي بغصة حارقة في حلقها، فاشتَعَلَ قلبها ألمًا، وهي تقول: "أردتُ فقط أن أجعله سعيدًا، ولكن قدرات الأم محدودة، وهذا ما أدركته".

قال موكيش بهدوء: "كانت لديه عائلة رائعة، يمكن أن يكون الأولاد أوغادًا في بعض الأحيان، ولكن ابنك كان ناضجًا وذكيًا، وكان يعرف أن الأمر لا يتعلّق به أبدًا، وأنه لم يكن انعكاسًا عليه".

تنحنحت نيلاكشي، ومَسَحَتْ عينيها بظهر يدها، ثم ابتسمت وقالت له: "لقد أحبَّ برينجال باجي التي تعدّها نينا أكثر من أي طعام آخر".

عندما عمّ الصمت منزل موكيش مرة أخرى، فاحت رائحة البرينجال باجي والزيت وبذور الخردل في الجو، فاسترخى على كرسيه، وقد امتلأ بطنه، وارتاح عقله، فلم يكن لديه صاحب حقيقي يبذل قصارى جهده من أجله منذ شهور، وربما منذ سنوات، ولكن عندما سمح لنفسه بالاستقرار، أجبره جزء منه مثير للإزعاج على النظر إلى صورة نينا، وخلال لحظات وجيزة، ومضت ذاكرته، فوجد نفسه في ماندير لي، وريبيكا تتبعه أينما ذهب.

حياة باي

يان مارتل

الفصل 17

أليشا



انتظرت الحافلة أربع دقائق ولم تأتِ، فمَشَتْ على الرصيف، وتوقّفت عند كل محطة للحافلات مرّت بها للتحقق من وقت الانتظار. لا يزال يفصلها عن وصول الحافلة وقت طويل، فواصَلَت المشي. لقد اتصل إيدان ليقول إنه مضطرّ للتوجه إلى العمل، وقد استغرق ترتيب أليشا أغراضها في المكتبة واستدعاء كايل ليحلّ محلها في وردية المساء وقتًا طويلًا، وكانت ستتأخّر ساعة إذا لم تتحرّك بسرعة.

بدأ جسمها يؤلمها، فلم تمارس هذا النوع من تمارين المشي منذ سنوات، وشعرت بكل مسامها تخزها، بينما كانت تتصبّب عرقًا.

عندما اقتربت من زاوية شارع منزلها، بدأ قلبها يخفق من الخوف والقلق، فقد كانت نوافذ المنزل المغلقة تنذر بالسوء مثل بوابات مانديرلي، ثم رَأَتْ إيدان متكئًا على سيارته البي أم دابليو، والموسيقى لا تزال تنبعث منها صاخبة، وهو يتحدّث إلى شخص تعرَّفَتْ إليه على الفور، لا تزال تسريحة شعر ميا هي نفسها. توقّفت أليشا، وتَمَنَّتْ لو أنها لم تسر بسرعة للوصول إلى المنزل، حيث تبدو الآن في حالة من الفوضى، وقد تخيَّلَتْ الماسكارا تسيل على خديها.

لـوَّح إيدان لها بشكل محموم، وهو يكزّ على أسنانه، ولكن عينيه كانتا تتظاهران بالراحة والهدوء، ناداها مبتهجًا: "أليشا". بدأت ضربات قلب أليشا

تتسارع، وهي تحاول أن تستوعب توتر إيدان واضطرابه، واستَمَرَّ في النقر بقدميه باستمرار كما لو كان يحاول التخلص من طاقته. قال لها: "سَألَتْني ميا إذا كنتِ ترغبين في التسكع في المدينة".

قالت، وهي تحاول التقاط أنفاسها: "نعم، فكرة رائعة، أودّ تلبية دعوتها، ولكن يجب عليّ أن أساعد أمي في بعض الأمور".

ألقت نظرة على إيدان، فكانت عيناه حمراوين، وكأنه لم ينم منذ أسابيع، وكانتا تتناوبان النظر إلى ساعته، فمقود السيارة، ثم أخته وصديقتها، فالمنزل.

قالت لها ميا: "حسنًا، رائع، نعم، إنه خبر رائع"، وهي غافلة تمامًا عن حقيقة أن كلًّا من إيدان وأليشا لديهما مكان آخر عليهما أن يوجدا فيه دومًا. "لم أسمع خبرًا عنكِ منذ اللقاء الأخير في المكتبة قبل أسبوعين، وتساءلتُ إن كنتِ تريدين التسكع، يا أليشا، كما أنك لم ترسلي رسالة واحدة عبر المجموعة".

مجموعة الواتساب تلك.

قالت: "أنا آسفة جدًا"، لكنها لم تكن آسفة أبدًا. "آسفة حقًا، يا ميا، لا أستطيع مرافقتك الآن، ولكن شكرًا جزيلًا على دعوتك".

استدارت ميا تستعدّ للمغادرة بعد أن قالت: "سنقيم حفل شواء غدًا في الحديقة، عند الساعة السابعة، سيكون رؤول هناك أيضًا".

"أشكرك على الدعوة".

قال إيدان، بينما كانت ميا على وشك ركوب سيارتها والتواري عن الأنظار: "لمَ كنتِ تتجنّبينها؟".

قالت أليشا: "نعم، نحن لا نتحدّث على أي حال، هل تعلم أنها في ذلك اليوم عندما صادفتني في المكتبة تذكّرت بأنني موجودة؟".

"لكنكما كنتما مقربتين، يا له من أمر محزن!".

"هل تحبها؟ هل لديك مشاعر أخرى تجاهها؟".

سمحت أليشا لنظراتها بأن تستقرّ على إيدان الذي لم يبادلها النظرات.

ضحك إيدان، وقد بدا صوته أوهن من المعتاد، وقال: "انظري، ليس لديّ الوقت لهذا الهراء، يجب أن أكون في العمل، اذهبي واجلسي إلى جانب أمي".
ابتعد عنها، ثم شغّل محرك السيارة، وانطلق مسرعًا من دون أن يلقي نظرة خلفه.

[#]

كان المنزل هادئًا، فأرادت أليشا أن تنادي والدتها لتعرف أين هي، ولكنها لم تجرؤ على إصدار أي أصوات عالية، فنظرت من المدخل إلى غرفة الجلوس، فرأتها تجلس على الأريكة متربعة، فخطت إلى الداخل ببطء، وجلست في الجهة المقابلة، ثم سحبت كتابها *حياة باي* من حقيبتها.
همست أليشا إليها: "أمي، أتريدين سماع قصة؟".
لم تنظر إليها ليلى.
لكن كل ما أرادته أليشا في الوقت الحالي هو استعادة ذلك اليوم الذي قرأت فيه *لا تقتل عصفورًا ساخرًا* بصوت عالٍ لليلى، بينما كانت والدتها نائمة. لم يخيّم على المنزل مثل هذا الهدوء منذ أسابيع، إلا أن خطوة واحدة خاطئة قد تدمّر كل شيء، ولكنها كانت ترغب بشدة في أن تتجنّب قضاء أمسية أخرى بصمت.
في النهاية، أومأت ليلى إليها برأسها، وسَمَحَتْ أليشا لنفسها بالتنفّس بعمق، وشعرت بأنها مكشوفة تمامًا، فأفرغت ما في داخلها، وبدأت بالقراءة من دون أن ترفع ليلى عينيها عن ابنتها.

[#]

قالت لها ليلى: "انتظري"، بعد أن قرأت أليشا لمدة عشر دقائق. "لقد فاتني أمر، ما هو موضوع القصة؟".
صمتت أليشا، فلم تكن تتوقّع أن تتابع والدتها أحداث القصة، بل كانت تتوقّع منها أن تستمع إليها فقط، وتترك الكلمات تدخل إلى أعماقها، فتعانق روحها،

فيغمرها الهدوء والسكينة. "حسنًا، تدور الأحداث حول هذا الصبي، باي باتيل...". كلما فكّرت أليشا في باي، تخيّلت السيد باي شابًا، ويغطّي رأسه الشعر الكثيف، ولكن الوجه المبتسم والمبتهج هو نفسه. "لقد نجا توًّا من تحطم سفينة كانت تنقل عائلته بأكملها، إضافة إلى حيوانات حديقتهم الخاصة إلى كندا".

"ماذا؟ هذا لا يبدو منطقيًا، أليس كذلك؟".

"ربما لا، ولكنني أعتقد أن هذا الغرض من الرواية، فهي تتضمّن أحداثًا منها ما هو حقيقي، ومنها ما هو خيالي".

قالت ليلى: "آه، يا له من كاتب فطن!".

ابتسمت أليشا، وشعرت فجأة بالخجل، بينما سرى الفخر في عروقها.

قالت ليلى: "حسنًا، من هو ريتشارد باركر الذي يستمرّ الراوي بالحديث عنه؟".

"أمي، إنه النمر".

"أيُدعى ريتشارد باركر؟".

جحظت عينا ليلى، وكأنها لم تُصدّق كلامها.

"نعم، إنه خطأ مكتبي عالق، كان في الواقع اسم الشخص الذي أَسَرَ النّمر، ولكن تمّ تبديل اسميهما خلال الأعمال الورقية".

قالت ليلى: "حسنًا، لقد أصبحت على اطّلاع على أحداث الرواية، يمكنك المتابعة".

تابعت أليشا قراءة القصة، ووصلت إلى القسم الذي ينحني فيه باي على القارب محاولًا التقاط بعض الطعام، في محاولة يائسة لإطعام ريتشارد وإبقائه حيًا، كان باي وحده تقريبًا وسط المحيط، ومعه نمر متقلّب المزاج، ولكنه بمثابة صديقه، وقد حاولت أليشا القضاء على شعور مألوف كان ينمو في داخلها، كان يشبه وضع طوق النجاة الذي بدأ يتطوّر في كل مرة سَمِعَتْ فيها ليلى تصرخ في الليل، فشعرت بتأنيب الضمير، نعم، كانت تعرف أمرًا أو أمرين عن تقلباتها، مثل باي، فكانت تراقب

باستمرار التحول الذي يمكن أن يحدث في أي لحظة، ولكن من ناحية أخرى كان النمر، على الرغم من كل شيء، هو وحده الذي أنقذ باي من وحدته. عندما أبعدت عينيها عن الصفحة، رأت أن ليلى كانت قد انتقلت إلى عالم باي أيضًا، وقد ثبّتت نظرها على السقف بتركيز، وهي ترسم الصور أمام عينيها، فتساءلت أليشا: كيف كانت تتخيّل عين ليلى الفنية أحداث هذه القصة؟ تخيَّلَتْ بعض تصميمات ليلى الحديثة، تلك التي صنعتها لنفسها، لا لوكالات الإعلانات، مطبوعة مثل بطاقات بريدية وملصقة على الحائط في غرفة نومها، هل كانت الألوان نابضة بالحياة؟ البحر أزرق غامق، والنمر بلونه البرتقالي الفاقع، كما سمحت أليشا لنفسها بالتساؤل: هل تمثّل ليلى باي؟ أم النمر؟ أم إنّها لا أحد منهما على الإطلاق؟

وضعت الرواية جانبًا لحظةً، وسألتها: "هل تريدين احتساء شراب ما؟".

أومأت ليلى إليها برأسها، وأجابت: "أودّ احتساء الماء، لو سمحتِ، على أن يكون باردًا قدر المستطاع".

[#]

تدفَّقَ الماء من الصنبور إلى الكأس، وحدَّقَتْ أليشا إلى الأمام مباشرة، فاستطاعت أن ترى صورًا لنفسها تنعكس على البلاط؛ شعرها مشدود على شكل كعكة أعلى رأسها، وهي تشبه والدتها في تلك الصور، عندما كانت متزوجة من دين، ولم تكن الابتسامة تفارق وجهها كما كان يبدو في ذلك الوقت، ولكن الناس يبتسمون دائمًا في الصور، لذا لم تتمكّن من تحديد ما يدور في ذهن والدتها من خلال تلك الصور فحسب، فتساءلت عما إذا كان دين يعرف ما كان يدور في ذهنها في الأساس.

قلبت بعض مكعبات الثلج على سطح الطاولة، قبل أن تضعها في الكأسين.

صرخت ليلى من الغرفة قائلة: "كان هذا الصوت صاخبًا، يا أليشا".

أجابتها أليشا: "آسفة، يا أمي". لقد بدأ تأثير التعويذة التي ألقاها الكتاب على ليلى يتلاشى.

بدأ التكثف يتشكّل على السطح الخارجي للكأس عندما قدّمتها لأمها. قالت أليشا بهدوء: "حسنًا، يا أمي، سأُتابع القراءة في غرفتي، هل ستكونين بخير؟".

"لا، اجلسي إلى جانبي، وتابعي القراءة". كان صوتها مفعمًا بالأمل ومتلهفًا لسماع القصة، وكأنها تناشدها.

أمسكت أليشا بكتابها محاولة طرد الشعور بالمفاجأة عن ملامح وجهها، وقالت: "حسنًا".

جلستا قريبتين من بعضهما، فارتَجَفَتْ أصابعها بشكل غير مسبوق، عندما بدأت بتقليب الصفحات مرة أخرى.

للحظة عادت أليشا طفلة مرة أخرى، وهي تلتفّ بالأغطية، وشعور بالارتياح يغمر قلبها إلى جانب والدتها التي كانت تحمل كتابًا مدرسيًا ضخمًا مفتوحًا أمامها، وكانت حروفه كبيرة، وهي تقرأ الكلمات بخجل، الواحدة تلو الأخرى، بينما كانت ليلى تمشّط شعرها، وتقبّل جبهتها في كل مرة تقرأ كلمة صحيحة، وإذا أخطأت، كانت تهمس إليها برفق: "هل تريدين المحاولة مجددًا؟"، بينما كان إيدان يمدّ رأسه من الباب، ويبتسم ابتسامة عريضة لأخته، فيظهر ذلك الثقب بين أسنانه الأمامية، وهو يرفع إبهامه لها، ويقول: "أنتِ فتاة ذكية".

تذكَّرَتْ كيف كانت ليلى تحضنها، وهما تنامان معًا، ثم توقظها همسات إيدان الصغير، وهو يقول لدين: "أليشا قرأت الكثير من الكتب الجيدة، أختي الصغيرة ذكية جدًا". تمتم دين كلامًا، فأجابه إيدان قائلًا: "أنا أحبّها ملايين المرات". عندها شعرت أليشا بالفخر فتباهت بنفسها، وكانت تتمنّى أن يراها إيدان الآن، لقد أرادت أن تشاركه هذه اللحظة، لتظهر له أنها وصلت أخيرًا إلى قلب ليلى، وهي تدرك أن إيدان قادر على فعل ذلك دائمًا، ولكنها كانت فرصتها لتقول له: "يمكنني أن أساندك الآن، لأنني أصبحت أعرف ما عليّ أن أفعله، كما أعرف كيف يمكنني أن أقدّم إليك المساعدة".

[#]

بعد أن عاودت أليشا القراءة مجددًا، قرأت فصلًا آخر من الرواية؛ كان باي قد حدّد فيه منطقته في قارب النجاة بعد خمسة أيام من هَيَمانه في البحر، وكانت ليلى وأليشا تضحكان، وقد اغرورقت أعينهما بالدموع، فقامت والدتها بسحب يدها من تحت ساقيها، ووضعتها برفق على ركبة أليشا، فتجمَّدَتْ أليشا من الدهشة، وسكنت كل أعصابها. شعرت وهي جالسة على الأريكة، وكأنَّ طلقة جليدية اخترقت جسدها وتغلغلت في عظامها، فوضعت أليشا يدها برفق على يد ليلى، وقلَّبَتْ الصفحة باليد الأخرى.

تابعت القراءة، وهي تتلو كلمات الرواية، دون أن تستوعب معناها، فلم يعد الصوت يبدو وكأنه صوتها، إنها أسيرة داخل جسدها من دون أن تمتلك القدرة على السيطرة على مشاعرها. وكان الجزء الوحيد من جسدها الذي تتحكم فيه هو يدها، تلك اليد المتصلة بيد ليلى، وبركبتها هي، والتي لا تبدو وكأنها ركبتها على الإطلاق، ثم انبعث صوت ليلى، وهي تقول:

"تمدّك تلك الشخصيات بالحياة والحيوية، وهذا الحيوان، النمر، يشعرك وكأنه ينتمي إلى البشرية".

سألتها أليشا: "أليس كذلك؟".

سألتها ليلى، ويدها على الغلاف: "من أعطاكِ هذا الكتاب؟".

"استعرته من المكتبة".

"من اقترحه عليك؟ فلم يسبق لي أن سمعت به من قبل".

سحبت القائمة من هاتفها، وفتحتها، ثم مررتها إلى ليلى، وقالت: "لقد عثرت على هذه القائمة التي تضمّنت أسماء مجموعة من الكتب، وكان هذا الكتاب من بينها".

فجأة، بدا الأمر بالنسبة إلى ليلى وكأنه أثمن ما في العالم.

"أوه، أليشا! أتذكّر *ريبيكا*، فقد أحببت هذه الرواية".

وضعت ليلى أصابعها على الكلمات، وبقيت في ثناياها لحظةً.

"في الحقيقة، لقد قرأتها خلال يوم واحد عندما كنت حاملًا بك، ولم أكن أستطيعُ النوم، فلم تكوني تسمحين لي بالنوم، لذلك قرأت تلك الرواية، كانت مثالية! لقد قام شخص ما بجمع هذه الكتب في هذه القائمة، إنها تضمّ كتبًا جميلة وبسيطة للغاية، مَن كتبها؟".

هزّت أليشا رأسها، وقالت: "لقد تُرِكَتْ بين صفحات أحد الكتب، كما عثرت على هذا أيضًا، ولكن ليس في الكتاب نفسه".

حملت بطاقة متجر الدجاج، وقد استعادت الأفكار الأولى عن *لا تقتل عصفورًا ساخرًا*، وهي مكتوبة بخط صغير على ظهرها بعد أن طلب منها كايل أن "تقول شيئًا مثيرًا للاهتمام" للسيد باتيل.

"هل ستستمرين بقراءة هذه الكتب؟".

هل كانت ستستمرّ؟ في البدء لم تكن متيقنة من إنهائها كلها، فقد كان مجرد تمرين روتيني لها لكي يكون لديها ما يكفي لتقوله للسيد باتيل، فتتظاهر بأنها تعرف كل المعلومات المتعلقة بالكتب، وأنها كانت أمينة مكتبة تتقن عملها، لكن *ريبيكا*... أخافتها حتى الموت، فكان في إمكانها تخيّل مانديرلي بوضوح في ذهنها، المنزل نفسه، وغرفة ريبيكا، التي لم يمسّها أي تغيير تقريبًا، كما لن تنسى كتاب *عداء الطائرة الورقية* أبدًا، وفكّرت في أتيكوس ومهاراته في المحاماة، وفي مدى إعجابها به، على الرغم من أنه كان مُختَلَقًا بكل ما للكلمة من معنى، وفي الوقت الحالي شعرت بأن يد ليلى لا تزال على ركبتها، بينما باي وريتشارد باركر جرفهما التيار عبر المحيط.

أجابت أليشا باقتناع: "نعم، كلها، وهذا هو الكتاب الرابع".

"هل كانت الروايات الأخرى بروعة هذا الكتاب؟".

"نعم".

أرادت أن تقول المزيد، ولكنها كبحت جماح نفسها، وفكّرت في *عداء الطائرة الورقية*، فقد كان الأمر محزنًا للغاية، وكان في الرواية الكثير من الأسى، كما كانت

خائفة مما قد يبعثه ذلك في نفس ليلى من مشاعر.

نظرت ليلى إلى الورقة عن قرب أكثر، وقالت: "هل يمكن أن يكون طالبًا من كتبها، وهي بمثابة قائمة قراءة جامعية أو أي شيء آخر من هذا القبيل؟".

قالت أليشا: "ربما".

"شاب مناسب! لقد قرأ دين ذلك الكتاب، عندما كنا في عطلة، وانتهى به الأمر إلى استخدامه حاجزًا للباب، إنه سميك، ولا أعتقد أنه قرأ قسمًا كبيرًا منه".

لم تسمع والدتها تذكر اسم دين منذ شهور، بل لم تستخدم اسمه منذ سنوات، وعادة تشير إليه بكلمة مثل "والدك"، وفي بعض الأحيان تدعوه "هو" فقط، ولكنها ضحكت على أي حال، بالطبع كان والدها يستخدم كتابًا سميكًا حاجزًا للباب.

قالت أليشا: "متى حدث ذلك؟".

"كنت في الخامسة أو السادسة من عمرك تقريبًا، وقد تركناكِ مع جديك، وذهبنا في عطلة لركوب الدراجات وحدنا فقط، كانت أول رحلة نقوم بها منذ فترة طويلة، فأمضينا إجازة رائعة من دون أن نكون بحاجة إلى الاعتناء بكما أيها العزيزان".

صمتت ليلى لحظةً، بينما تجهّم وجه أليشا.

ثم أردفت قائلة: "بقدر ما أحببناكما، أمكَنَنا أن نكون على سجيتنا لبعض الوقت مرة أخرى، وظلَّ ينسى الأشياء الموجودة في سرج حقائبه، عندما كنا نقيم في الفيلا، وفي كل مرة كان يذهب لأخذ غرض ما احتاج إليه، كان ينغلق الباب، وأخيرًا لاحظ الأمر، فوَضَعَ ذلك الكتاب اللعين حاجزًا لإبقاء الباب مفتوحًا، ولكنه لم يتذكّر سوى إحضار غرض واحد في كل مرة، لذلك ظلّ الباب مفتوحًا بشكل دائم تقريبًا، فهو كان شديد النسيان".

بعد لحظة، سألتها ليلى: "هل ستتابعين القراءة؟".

تابعت أليشا القراءة، حتى تلاشى ضوء الشمس، وأظلمت الغرفة، فلمّحت ليلى إلى حلول موعد العشاء بشكل عابر وغير مباشر، قبل أن تجد ليلى أن الوقت

قد فات له، وأن وقت الخلود إلى النوم قد حان، ولكن على أليشا إطعام ليلى، وإلا فسينزعج إيدان إن لـم تفعـل ذلـك، ولكـن للمـرة الأولـى منـذ أن بـدأت أيـام ليلـى المظلمة وأسابيعها وشهورها، سمحت لابنتها بـدخول عالمهـا، حتـى ولـو للحظـة، وكل الفضل يعود إلى صبي ونمر وإنسـان غابـة وحمـار وحشـي وضـبع عـالقين في قارب وسط المحيط.

قبَّلَتْ ليلى أليشا برفـق علـى وجههـا، وصـعدت إلـى الطـابق العلـوي مـن دون النظر إلى الوراء، بينما لا يزال الكتاب مفتوحًا بين يدي أليشا، ولكنها لـم تعـد قـادرة على قراءة الكلمات، فكان الغلاف دافئًا وناعمًا تحت أطراف أصابعها. لقـد أرادت أن تتذكّر دفـء تلك اللحظات، وتساءلت كيف يمكـن لنمـر وصـبي مـرعبين بشـكل كبير أن يصنعا هذا السحر عبر تلك الصفحات، فلم ترد أن تفكّر في احتمـال تلاشـي هذه اللحظة، وهذا الشعور الخاص بهـا وبليلـى، فهـل سيسـتمرّ حتـى الصـباح؟ لقـد كانت على يقين من أنها قـد لا تـتمكّن مـن اسـتعادة تلـك اللحظـات مطلقًـا، ولكنهـا كانت تأمل في أن تتمكّن من ذلك، كما كانت تـؤمن بـأنّ الكتـاب... والقائمـة... قـد يعيدان والدتها إليها يومًا.

أمسكت بكأس الماء التي لم تكن ليلى قد ارتشفت منها رشفة.

جيجي
2018

رصدت جيجي صموئيل وهو يركض، لطالما أحبّ ابنها محلات السوبر ماركت، وقد ركض ورَكَضَ ورَكَض، لهذا السبب كانت تأخذه دائمًا إلى متجر تيسكو إكسبرس، لأنه لم تكن تتوفّر فيه مساحة كبيرة للركض، كما يصعب أن تضيّعه فيه.

عندما دخل صموئيل إلى المتجر، ركض في اتجاه رجل يطّلِع على قائمة التسوق الخاصة به، وقد تسبّب ركض صموئيل، إضافة إلى النسمات التي هبّت عبر الباب في إفلات قائمة التسوّق من يد الرجل وطيرانها عاليًا، فسنحت لصموئيل فرصة للعب لعبة جديدة، فركض خلف قصاصة الورق متفاديًا أقدام الناس والعربات والسلال الصغيرة.

في النهاية عثرت عليه جيجي في ممر الفاكهة، حيث لمحت أصابعه الصغيرة تصل إلى العنب، وهي فاكهته المفضلة الجديدة.

أدركت أنه فقد الاهتمام بقائمة التسوق، وأنه منهمك الآن في البحث عن الفاكهة، فكان يختار إحدى الثمار ويريها إياها، ثم يسمّيها بثقة، وفي الغالب كان يسمّي ثمرة الفاكهة بشكل صحيح، ولكنه غالبًا ما أخطأ في تسمية ثمار الفاكهة الاستوائية، فالمانجو غالبًا ما اعتبره "تفاحة"، وثمرة الأناناس كانت عبارة عن كلمة "بابابا" التي كانت تعني "ليس لدي فكرة عن اسم هذه الثمرة"، والبرتقال كان "كرة"، ولكنها أَحَبَّتْ مشاهدته وهو يتغيّر، ويتحوّل إلى شخص صغير.

حاولت الوصول إليه قبل أن تلامس أصابعه المواد اللزجة، ولكنها عندما اقتربت منه، لم تكن يده تتّجه نحو "العنب" بل نحو ورقة مطوية مخبأة تحتها، وهي قائمة التسوق الخاصة بالرجل، فالتقطها وبدأ بالتلويح بها منتصرًا، وهو ينتظر التصفيق من المتسوقين، فأَخَذَتْها منه برفق حتى لا يبدأ بالنحيب. قالت له بهدوء: "صموئيل، يجب أن نعيد هذه القائمة إلى صاحبها".

نَظَرَتْ إلى القائمة وقد تجهّم وجهها، فلم تكن قائمة تسوّق، بل كانت قائمة كتب أو قائمة أفلام أو شيئًا من هذا القبيل.

أمسكت صموئيل بإحدى يديها، وتوجّهت نحو المدخل آملة في العثور على الرجل مرة أخرى، ولكنه اختفى، فبَحَثَتْ في أرجاء المتجر، من دون أدنى فكرة عن شكل هذا الرجل.

بعد دقيقة أو نحو ذلك، شعر صموئيل بالقلق: "أمي، أبطئي، أبطئي!". استسلَمَتْ جيجي، ورأت أنّ أفضل مكان لهذه القائمة سيكون على لوحة الإعلانات التي كانت قريبة من المكان الذي كان يقف فيه الرجل، ليجدها بسهولة في حال عودته للبحث عنها، فوضعتها برفق على إحدى اللوحات اللاصقة، ولكن ربما لم يكن يكترث لاختفائها، ففكّرت في أنه يحتفظ بنسخة منها في هاتفه، فالجميع يقومون بذلك هذه الأيام، ثم نظرت إليها للمرة الأخيرة، لاكتشاف سبب قيام شخص ما بالاطلاع على هذا النوع من القوائم في سوبر ماركت.

لا تقتل عصفورًا ساخرًا كان اسم أحد الأفلام بالأبيض والأسود، أليس كذلك؟ والرواية تندرج في إطار الأدب الكلاسيكي.

عداء الطائرة الورقية كان فيلمًا آخر، شاهَدَتْهُ مع حبيبها السابق في الوقت الذي كانا على وشك الانفصال، وقد كان حقًا فيلمًا عاطفيًا للغاية، وما كان ينبغي لها أن تشاهده بصحبة شخص لم تكن تشعر بالراحة برفقته تمامًا. حاولت إخفاء دموعها في ذلك الوقت، ولكن انتهى بها الأمر إلى إعطاء نفسها فرصة الفَواق والرجوع إلى حياتها، وهو أمر أصعب من البكاء.

أما *كبرياء وتحامل* فهو كتاب كلاسيكي تحوّل إلى فيلم أيضًا، شاهدته برفقة والدتها التي تحبّ كيرا نايتلي وتصفها بالوردة الإنكليزية، وهي تفتقد والدتها التي لم تتحدّث إليها منذ فترة طويلة، لأن كل واحدة منهما مشغولة بحياتها الخاصة، فهما تعيشان بعيدًا عن بعضهما. والآن كلما اتَّصَلَتْ بها، نفدت منهما المواضيع التي يمكن أن تتحدّثا عنها باستثناء أمور الحياة المعتادة، ولكنهما كانتا سابقًا تتحدّثان لساعات طويلة عن كل المسائل مهما كان موضوعها.

حياة باي تلك الرواية التي تدور حول قصة نمر ذي تأثيرات خاصة، شاهدته في السينما بتقنية ثلاثية الأبعاد برفقة رجل أفضل من حبيبها السابق، وكانت تواعده أيضًا، ولكنها لم تطق الانتظار حتى يصبح صموئيل كبيرًا بما يكفي لتشاهده معه، فهو يُحبّ النمور، وسيحبّ هذا الفيلم، كما سيحبّ الصبي الصغير باي، فتخيَّلَتْ صموئيل يشبهه عندما يكبر.

لم تتعرّف إلى باقي العناوين، فوضعت يدها على القائمة، بينما سحبها صموئيل. لقد أبعدتها هذه العناوين عن الشخص الذي تبدو عليه الآن، وأعادتها إلى جيجي السابقة التي شاهدت الأفلام في المواعيد السابقة، فقد مضت فترة طويلة منذ مشاهدتها فيلمًا في السينما، فلم يكن صموئيل صبورًا، ولا يمكنه الصمود لفترة طويلة ليشاهد فيلمًا، ولكنها اشتاقت إلى السينما.

لقد اشتاقت إلى الجلوس على مقاعدها، وتناول الفوشار برفقة والدتها أو برفقة رجل إلى جانبها، كما اشتاقت إلى هذا الشعور الذي يبعثه في نفسها انطفاء الأنوار وبدء الفيلم، وإذا كان هذا ما تحبّه كثيرًا، لماذا لم تبذل جهدًا لاستعادته؟

أعادها صوت صموئيل إلى الحاضر عندما قال: "أمي، أريد عنبًا".

"نعم، عزيزي سنشتريه، ولكنني سأضع أولًا هذه القائمة هنا من أجل أن يعثر عليها صاحبها".

"إنها لي".

"إنها ليست لك، ولكنك وجدتها، وهذا لطف منك، ألم يكن تصرفك لطيفًا؟".

"إنها لي".

"حسنًا، هيا، لنشترِ بعض العنب".

ما إن استدارت جيجي، حتى أخرجت هاتفها، والتقطت بسرعة صورة للقائمة، وكانت ستتّصل بوالدتها، فوالدتها تعرف كل الأفلام التي وردت عناوينها في القائمة، فهي تعرف قصة كل فيلم، وكل كتاب، وربما يمكنهما الذهاب معًا لمشاهدة هذه الأفلام للتعويض عن الوقت الضائع.

الفصل 18

موكيش

قالت أليشا بلباقة بينما كان موكيش يجلس على كرسيه المفضل في المكتبة: "لماذا لا تأخذها إلى مكان ما خارج ويمبلي على سبيل التغيير؟".

"لم يسبق لي أن اصطحبت بريا إلى خارج ويمبلي، فلماذا أصطحبها الآن؟".

سبق لموكيش أن طلب النصيحة من أليشا بشأن التواصل مع بريا، فهي الشابة الوحيدة التي يعرفها، لذلك اعتقد أنها قد تفهم بريا أفضل منه، ولكنه الآن ندم على ما طلبه.

قالت له أليشا: "لأنها لا تزال طفلة، فعندما كنت في عمرها، كنتُ ألعب دائمًا في الخارج أو أقوم بممارسة نشاطات متنوعة، لأن البقاء في المنزل ممل".

"كيف تجدين المنزل مملًا، وأنت تقضين وقتك دائمًا في أماكن مغلقة سواء أكنت في المنزل أم في المكتبة؟!".

"آه، سيد باتيل، ألا تعلم أن هذا الكلام مؤلم نوعًا ما".

رفعت أليشا يدها وغطّت وجهها، ثم أشاحت به عنه، وبدت وكأنها منزعجة.

سألها مذعورًا: "هل أسأتُ إليكِ حقًا؟".

"لا، سيد باتيل، أنا أمزح، لكن كما تعلم، لا أرغب دائمًا في أن أظلّ مسجونة داخل جدران المنزل".

"لمَ لا؟ فالمنزل ملاذ آمن، ويبعث في النفس الراحة، وهو مكان جميل، خاصة وأن لديك عائلة".

"نعم، ولكن..".

للحظة رآها تنظر بعيدًا.

قالت له: "حسنًا، لا يسهل دائمًا التعامل مع أفراد العائلة، فأمي ليست على ما يرام في معظم الأوقات".

"أتقصدين أنها مريضة؟ لطالما نصحتني نينا بأن أتناول أقراص فيتامين سي والزنك، وإنني أنصح بتناولها".

"آسفة، لم أقصد من كلامي هذا الوضع، في الحقيقة أنا لا أتحدّث عادة عن حالة أمي مع أحد".

نظرت إلى يديها، ثم جالت بعينيها في أرجاء الغرفة، وهي تنظر إلى كل ما حولها سواه.

قالت له: "كل ما في الأمر أنها لا تجيد العناية بنفسها، لذلك عليّ أن أعتني بها، ومنذ أن انفصل والدي عنها للعيش في مكان آخر، لم يعد لديها سواي أنا وإيدان".

صمت موكيش، ولم يدرِ ما يجدر به أن يقول، فلم يسبق أن تحدّثت عن والدها أو ذكرته عندما تحدّثا عن والد سكوت وجيم أو والد أمير أيضًا، فعَصَرَ دماغه من أجل أن يقول لها كلمات تعبّر عن تعاطفه، كانت نينا ستعرف ما يجب قوله في مثل هذه الظروف، وظل هادئًا قدر الإمكان آملًا في أن تأتي لإنقاذه، ولكن أسابيع مضت منذ أن سمع صوتها آخر مرة، وهذا ما جعله يشعر بالوحدة.

أخيرًا، صارحها موكيش قائلًا: "لا أعرف ماذا أقول لك".

"حسنًا، أنت لا تحبّ أن تبقى في المنزل، كما لا تحبّ أن تبقى في المكتبة أيضًا".

"أنا لا أمانع البقاء في المكتبة الآن، فلا أشعر بالضيق في أثناء مكوثي فيها، وماذا يفعل شقيقك؟".

كانت تتحدّث باعتزاز عن شقيقها، كلما تحدّثا عن سكوت وجيم.

تفحّصت أليشا أظافرها الطويلة، وقالت: "أعتقد أنه يواجه ضغوطات كبيرة الآن في عمله"، ثم صمتت للحظات، وكأن ما تفوّهت به كاد أن يُفاجئها. "إنه لا يمنح نفسه وقتًا للراحة أبدًا".

ثم تنفّست بعمق، وظلّت تنظر إلى يديها، ما ولّد في داخل موكيش شعورًا بأنها لم تنطق بهذا الكلام بصوت عالٍ من قبل.

ثم أردفت قائلة: "لكننا اعتدنا أن نتسكّع معًا في أرجاء المدينة، فأحبّ الذهاب إلى وسط لندن في العطلة الصيفية، مع أننا لم نكن نفعل شيئًا، أحيانًا نستقل قطارات مترو الأنفاق، ونكتشف إلى أين سينتهي بنا المطاف".

"كنت أحبّ القيام بذلك بعد انتهاء دوام العمل، فهو يشعرك بالأمان".

أومَأَتْ إليه برأسها، وقالت: "هذا صحيح، عادةً يحبّ إيدان فعل ذلك، مجرّد الجلوس بين النّاس بصمت وهدوء، بينما كل واحد منهم يهتمّ بشؤونه الخاصة. عندما حصلت على بطاقة أويستر الخاصة بي للمرة الأولى، توسّل إلى أمي للسماح له باصطحابي في رحلات، فلم تكن متأكدة من السماح لنا بالذهاب وحدنا، ولكنها وافقت في النهاية، وبما أن أمي فنانة، حسنًا، إنها مصممة غرافيك، فقد اصطحبني إلى بعض المعارض، مع أنني لم أكن أفهم حقًا ما طبيعة عملها، ولكننا لم نتجوّل في أرجائها، بل أراد إيدان أن يجلب لها بعض البطاقات البريدية، وعندما عدنا إلى المنزل عانقتنا بحرارة، كما لو أننا غبنا عنها لسنوات".

راقب موكيش أليشا وهي تحاول أن تنظّم أفكارها، وقد لمح في عينيها نظرات نينا نفسها عندما تكون منهمكة في قراءة كتاب.

سألها: "أنتِ تحبّين عائلتك، أليس كذلك؟".

هزّت أليشا رأسها، بدت وكأنها شاردة الفكر.

"قد لا يكون أفراد العائلة مثاليين، ولكننا نحبّهم".

رَفَعَ كتاب *عداء الطائرة الورقية* لتأكيد وجهة نظره، وهو يفكّر في تلك الأسرة الصغيرة المكونة من أمير ووالده إلى جانب صديقه حسن، والأذى الذي تسبّبوا فيه لبعضهم نتيجة الأنانية.

لمعت عيناها أملًا، وفاضت نظراتها رقة، وهي تقول: "أما زلت تحاول أن تقتبس حكمة أتيكوس، وتجعلها حكمتك؟".

"عزيزتي، أمتلك حكمتي الخاصة، وشكرًا جزيلًا لك".

"ما رأيك في رواية *عداء الطائرة الورقية*؟".

"سؤال وجيه، لقد أحزنتني كثيرًا، وأعتقد أننا جميعًا نشبه أمير في حياتنا، نفرط في حب ذاتنا، ولا نفكّر في غيرنا بل نهتمّ بأنفسنا فقط، كما أننا جميعًا نشبه حسن أيضًا، فينسانا الذين نحبّهم أكثر من غيرهم، ولكن النهاية كانت مبهجة إلى حدّ ما، بعد أن اختار أمير الأفضل، واتخذ القرار الصائب، ومع ذلك لم أستطع إلا أن أجده فتى أنانيًا، أليس كذلك؟".

"أوه، سيد باتيل، إنك محقّ، ولكنه مجرد طفل أيضًا، ولم يكن يفكّر بوعي ليحسن الاختيار".

"نعم، هذا صحيح، فأنتِ مُحقة".

تنفّس بعمق، وشعر بتأثير الرواية المأساوي يسري في عروقه، ويخيّم على المكان، قبل أن يحاول يائسًا إلهاء نفسه، وتشتيت انتباه أليشا.

قال لها: "حسنًا، هل تظنّين أن عليّ اصطحاب بريا إلى خارج ويمبلي؟".

لم يعترف بذلك لأليشا، ولكنه كان متوترًا، لقد كان الروتين يسيطر على حياته، ولم يعتد خوض المغامرة والقيام برحلة بعيدة.

"نعم، اصطحبها إلى لندن، فويمبلي مملة جدًا بالنسبة إليها، كما أنها مملة بالنسبة إلينا جميعًا، ومن المؤكد أنك سئمت من زيارة هذه المكتبة".

"ربما هي مملة بالنسبة إليك، ولكنها لا تزال مثيرة بالنسبة إليّ، فويمبلي كبيرة بما يكفي بالنسبة إليّ، وهي تتغيّر باستمرار".

"سيد باتيل، أنت تستحقّ التجوّل في أماكن أخرى".

"أعلم أنه ينبغي لي ذلك، لكن..."، صمت لحظةً، ثم نَظَرَ إلى المكتب، وقال لها: "في الحقيقة إنها تخيفني قليلًا، فزوجتي نينا، كانت شجاعة، لقد كانت...".

صمت من جديد، وشعر بغصة في حلقه، بينما كانت أليشا تحدّق إليه، والشعور بالشفقة عليه يفطر قلبها.

قالت له برقة: "اسمعني، هل تذكر رحلة أمير إلى كابول، وهو الذي كان يجهل حال المدينة التي أمضى فيها طفولته؟ كانت تلك رحلة طويلة، حسنًا، لا أقصد الإهانة، ولكن الأمر كان أكثر من مجرد خروجك من HA9 لقضاء فترة ما بعد الظهر، وإذا كان في إمكانه فعل ذلك، يمكنك بالتأكيد القيام به، وعندها ستنظر بريا إليك نظرة مختلفة، وسترى أنك أكثر من مجرد رجل عجوز عالق في عالمه الخاص، بل ستراك أكثر شبهًا بها".

أومأ إليها برأسه، وحاول ألا يشعر بالإهانة من كلامها الأخير، فنظر إلى رواية *عداء الطائرة الورقية* الموضوعة على مكتب أليشا، وهي جاهزة لوضعها مرة أخرى على الرف ليقرأها شخص آخر ويبكي بكاء مرًا، وعندما توجّه إلى الباب، لحقت به أليشا، وقالت له: "لقد نسيت روايتك التالية، إحدى شخصيات الرواية الأساسية هو عبارة عن نمر، والرواية تعدّ إحدى روايات أمي المفضلة".

سلَّمَتْهُ رواية *حياة باي*، وتظاهر بأن صورة النمر على غلاف الكتاب أشعرته بالخوف.

غمزته، وقالت له: "مرة أخرى، قصة شخص أُجبِرَ على الخروج من منطقة الراحة الخاصة به، على قارب نجاة على متنه حيوان شرس".

قال لها: "شكرًا لك، إنك تختارين هذه الروايات من أجلي، أنا آسف لأنني لا أستطيع أن أكافئك في المقابل".

ابتسمت بخجل، وقالت له: "إنني أقوم بواجبي، هل نسيت أن عملي يقتضي تقديم المساعدة إلى زوار المكتبة؟".

خرج مسرورًا، وبذل قصارى جهده ألا تجعله لافتة "أنقذوا مكتباتنا" المعلقة على الباب حزينًا، وتسرق منه الفرحة التي يشعر بها في هذه اللحظة.

[#]

"*فكّر في أشياء إيجابيّة، فكّر في أشياء إيجابية*"، هكذا خاطب موكيش نفسه بصمت محاولًا تهدئة أعصابه. لقد مرّ وقت طويل منذ أن ركب القطار، وشعر بأنه يتعلم المشي من جديد.

قرَّرَ وجهة رحلته مع بريا اليوم، فهو سيصطحبها إلى وسط لندن، حيث تنبعث الأصوات عالية، والناس يكونون أكثر غضبًا، وقد أرعبه التفكير في ذلك قليلًا، فقد كان يخطو خطوة كبيرة في حياته، كما أنه يُقدم على تغيير كبير، كان يأمل في أن تكون أليشا محقة في هذا الأمر.

عندما كان يعمل في محطة القطار منذ سنوات عديدة، كانت تلك حياته، وكان في ذلك الوقت يحبّ قطارات خط باكرلو القديمة الطراز، تمامًا كما كانت عندما كان يستكشف المنطقة من دون أن يحمل شيئًا سوى تذكرة وساعة لإعادته إلى المنزل في الوقت المحدد لتناول العشاء برفقة نينا والفتيات، فلم يكن معتادًا على أن يمضي ساعة أو أكثر بعد العمل في القطار، ولكنه إذا فعل ذلك، يكون قد فعل ما يرغب في أن يقوم به منذ زمن طويل.

توقّف القطار، فركبته مجموعة من الأشخاص، وترجّلت منه مجموعة أخرى، أما موكيش فقد تمسّك بالمطاط الملصق على حافة الباب، وهو يخطو خطوة كبيرة في اتجاه القطار. قفزت بريا إليه بسهولة، ومدَّتْ يدها إلى جدها، ولكنه رفض مساعدتها، فهو يمكنه ركوب القطار بنفسه، فتركته واتّجهت لحجز مقعدين لهما، فشعر موكيش بالضعف كلما حاول أن يخطو خطوة ويتقدّم مسافة أكبر، إلى أن اقتربت منه امرأة، وقالت له: "دعني أُساعدك"، وأمسكت بذراعه بقوة.

شعر بالارتباك عندما وضع قدميه على أرضية عربة القطار، فهو لم يعد خفيفًا بما يكفي ليطفو على السطح، ولكنه وجد مقعده بجوار بريا، التي بدأت تقرأ كتابها بالفعل، فأدرك أنه يمكنه انتهاز الفرصة، وقراءة رواية *حياة باي*، التي أحضرها معه، جنبًا إلى جنب حفيدته، فجأة بدأت نبضات قلبه تتسارع، فلم يسبق لبريا أن رأته يقرأ، كما لم يسبق له أن قرأ في القطار، فلم يرد أن يبدو مضطربًا، لذلك قرّر ألا يقرأ، إذ يمكن للنمر والقارب الانتظار، وبدلًا من ذلك شاهد ويمبلي من نافذة القطار، الذي توقّف في ست عشرة محطة.

استقلته عائلة مكونة من أربعة أفراد، وهم أم وأب وفتاتان صغيرتان، ثم ترجّلوا في مايدافيل التي لم يزرها منذ سنوات.

استقل القطار رجل آخر، على غرار موكيش، حاول تجنّب التواصل البصري مع الآخرين، ولكنه لم يستطع إلا النظر من طرف عينيه متسائلًا عما سيحدث بعد ذلك. كان موكيش يعرف شعور الرجل، فهو غير واثق بقدرته على الثبات على أرضية القطار، فهل ستبقى الأرضية ثابتة أم ستتحوّل بسرعة إلى هلام؟ لقد بذل الرجل جهدًا كبيرًا للإمساك بالقضبان الكستنائية اللون، فأصبحت براجم أصابعه البيضاء مائلة إلى البنفسجي، قبل أن يجلس على أحد المقاعد.

نظر إلى موكيش مباشرةً، فلم يعد في إمكانه مواصلة الاختباء، وابتسم له، فأومأ الرجل إليه ببساطة، بينما كانت بريا غافلة عن كل ما يجري حولها، ووجهها يشبه وجه نينا عندما كانت في حالة من التركيز في القراءة، وكأنها في عالم آخر.

[#]

سألت بريا، وهي ممسكة بيد موكيش بإحكام، وهما يشقّان طريقهما بين الحشود في شوارع تشارينغ كروس: "إلى أين نحن ذاهبان، يا جدي؟".

تمنّى موكيش لو أن راحة يده لم تكن تتصبّب عرقًا، وهما يتأمّلان اللافتات التي بدت أكثر إشراقًا وسط لندن، كما كانت حركة المرور أكثر ازدحامًا مما كان

يتذكّره، ولكنه لم يستطع رؤية أكثر من بضع خطوات أمامه، لأن الناس كانوا يسدّون طريقه.

أجابها: "حسنًا، أعتقد أنها ستعجبك، ذات مرة أتيت برفقة جدتك إلى هنا، لإحضار هدايا لأمك، واعتقدتُ أنه قد يكون مناسبًا أن أحضر لكِ هدية أيضًا".

منذ وفاة نينا، فشل موكيش في شراء هدايا أحبّتها بريا بالفعل، ففي العام الماضي اشترى لها حقيبة وردية مطرزة، وقد أعطتها مباشرةً إلى ابنة خالتها الصغيرة جايا، التي استخدمتها كأداة موسيقية لبضع ساعات قبل أن تتركها في ركن في منزل موكيش، ليعثر عليها بعد أسابيع وقد علاها الغبار، وعليها حشرات نمل ميتة.

قالت له بريا عابسة: "ولكن أمي تقول إنها لم تحصل على الهدايا في طفولتها".

حاول موكيش إخفاء صدمته، وهو يقول لها: "بل حصلت على الهدايا في مناسبات خاصة، وعادة كانت عبارة عن فستانٍ جديد من صنع جدتك، وأذكر أنني أتيت إلى هذا المكان قبل الكرسمس، وكان ذلك منذ سنوات، قبل أن نحتفل بهذه المناسبة، كما اتفقنا على تقديم الهدايا أيضًا في عيد ديوالي، وهذا يعني تقديم هدايا مزدوجة، وتزيين شجرة العيد وتوزيع بطاقات المعايدة، وتقديم بارفي وشراب جامون، وقد قمنا بتحضير ذلك كله، فأرادت والدتك أن تكون مثل صديقاتها في المدرسة، اللواتي حصلن على هدايا ملفوفة بورق لامع".

اشترت نينا كتبًا لروهيني وفريتي وديبالي، لكنه شعر بأن الفتيات لم يكنَّ مسرورات؛ فهو يتذكَّر بوضوح قول روهيني: "أمي، اعتقدتُ أنني سأرتدي فستانًا جديدًا هذا العام؟"، بينما حاولت ديبالي وفريتي التظاهر بالامتنان في أثناء فتحهما الهدايا، إلا أن ابتساماتهما بدت مصطنعة.

توقَّفا أمام واجهة المكتبة، وتأمّلا الكتب المعروضة على الواجهات، فكانت الصورة نفسها تنتشر على أقسام الواجهة كلها، وهي مشهد البحر وغروب الشمس البرتقالي والوردي، وبجميع الأحجام والألوان، وقد ذكَّرَتْ الأمواج والبحر

الأزرق العميق موكيش بباي، ومحيطه، وقارب نجاته، ونمره.

تنفّست بريا بهدوء، وقالت: "واو!".

لكن سرعان ما تلاشى شعورها بالرهبة أمام المشهد، وبدأت تتصرّف بشكل طبيعي، كما شعر موكيش بالشعور نفسه، فرأى الكتب الآن، ولكن المكتبة كانت مختلفة مقارنة بالمكتبة في ويمبلي، فالرفوف والأرضيات والطاولات كثيرة وعليها كدسات من الكتب، فبدا الأمر وكأن الكتب تطفو في كل مكان حوله، أو كأنه في عالم سحري، والكتب تقدّم عوالم جديدة وتجارب جديدة. لقد بدا الأمر رائع الجمال.

قال لبريا: "اتبعيني".

عندما وصل إلى المكتب، توقَّفَ لحظات، وهو يستعدّ للمواجهة، وقد استرجع ذكرى ذهابه في اليوم الأول إلى المكتبة، فقال لامرأة تجلس خلف المكتب، وهو يحاول أن يبدو جريئًا أمام حفيدته، التي كانت تحدّق بحماسة فوق المنضدة: "المعذرة".

قالت له المرأة بابتسامة: "كيف يمكنني أن أساعدك؟".

شعر بالراحة، فقد كان ذلك مختلفًا تمامًا عن لقائه الأول بأليشا.

قال لها: "أريد ثلاث روايات من فضلك، *ريبيكا*، *وعداء الطائرة الورقية*، *ولا تقتل عصفورًا ساخرًا*".

قال الاسمين الأخيرين بسرعة كبيرة، لذلك طلبت إليه لويزا التي تعرّف إلى اسمها من خلال الشارة المعلقة على قميصها، أن يكرّر كلامه.

أعاد كلامه بهدوء، وهو يشدّد على كل حرف على حدة: "*ريبيكا*، *وعداء الطائرة الورقية*، *ولا تقتل عصفورًا ساخرًا*، من تأليف لي هاربر".

قالت له: "حسنًا، سيدي، سأبحث عنها".

تحرّكت أصابعها بسرعة الضوء على لوحة المفاتيح، ثم قالت: "آه نعم، إنها متوفرة، اتبعاني".



خرجت من وراء المكتب، فكان هناك الكثير من الأشخاص الذين يبحثون بين الكتب عن كتابهم أمام الرفوف، وتساءل إذا كان لديها الوقت الكافي لتدلّهما على وجهتهما، ثم تعود لخدمة شخص آخر، ونظر حوله، فلم يرَ إلا كتبًا وطاولات وسلالم، كما رأى على إحدى الطاولات كدسة من الأغلفة الورقية، وكانت هناك امرأة شابة، فشَعَرَ بأنها يمكن أن تكون سكوت بعد أن كبرت. توقَّفَ لحظةً، ورأى وجهها كما تخيّله بالضبط، أما شعرها فقصير وأشعث أيضًا، هل كانت فعلًا سكوت؟ كيف يمكن أن يحصل ذلك؟ لم تكن سكوت حقيقية، بغض النظر عن مدى رغبته في أن يراها، ثم شدّت بريا كمّ جدها ووجَّهَتْهُ نحو المرأة، فكانا على بعد خطوات قليلة منها، بينما كانت تجول بعينيها في المكتبة، وهي تتفحّص كل شبر منها.

همس موكيش من دون أن يبدو أنه يتحدّث إلى بريا، قائلًا: "أليس المكان رائعًا".

عندما نظر إلى لويزا، كانت تسير أمامه في اتجاه السلم، فأسرع لكي يلحق بها، وهو يجرّ بريا خلفه، وتساءل: لماذا لم يستطع الجميع رؤية شخصيات الرواية تتجوّل بينهم، فشبح ريبيكا يتربّص به في الزاوية، وهو يبحث عن الرواية التي سيقرأها في إجازته التي سيقضيها على الشاطئ هذا العام، وأتيكوس المختبئ في قسم المراجع، وهو محاط بكتب ضخمة ومكتنزة. لم يكن موكيش يتوقّع منه أن يفعل أقل من ذلك، ولماذا لم يكن أي شخص آخر يشعر بالبهجة التي كان يشعر بها؟

في النهاية، وجدت لويزا كل الروايات، فجمعتها عن الرفوف رواية تلو الأخرى، وتأكّدت من أنها الإصدارات التي طلبها، فلم يكن يعرف حقًّا ما يعنيه ذلك، ولكن طالما أنها الروايات الصحيحة، فقد كان سعيدًا لحصوله عليها، وقد مرَّرَها إلى بريا.

سألها قائلًا: "ما رأيك؟ ما نوع الأغلفة التي تفضّلينها؟".

نظرت إليه متعجبة، وقالت: "هل هذه الروايات لي؟".

"نعم".

خلال لحظات شعر موكيش بضيق التنفس، وقد خرج كل الهواء من رئتيه بعد أن لفّت بريا ذراعيها بإحكام حول خصره، وهي تعانقه بقوة، بينما راقبتهما المرأة مبتسمة، فلم يشعر موكيش بضيق التنفّس لأنه لم يستطع أن يتنفّس، بل لأنه لم يتذكّر المرة الأخيرة التي عانقته فيها بريا من دون أن تطلب إليها والدتها ذلك، وعندما أفلتته أخيرًا، نظرت إلى الروايات، وقالت وهي تمرّر أصابعها على نتوءات الأغلفة اللامعة، قبل أن تضمّها إلى صدرها: "لقد أحببتها كلها".

قالت لها لويزا: "رائع، أيتها الفتاة، هل هناك ما يمكنني مساعدتكما به؟".

[#]

قالت بريا، وهي تتناول فطيرة الجبن في مقهى المكتبة: "لماذا أهديتني هذه الروايات، يا جدي؟ هل لأنها كانت المفضلة لدى جدتي؟".

هزّ كتفيه، وهو يتناول فطيرة الشوكولاتة، فهو لم يكن يعرف الجواب، ولم يسبق له أن سألها، فلطالما بدت نينا منهمكة للغاية في القراءة، ولم يتوقّف أبدًا عن التفكير في أن الكتاب الذي كانت تقرأه، قد يكشف له أحيانًا أمورًا تفوق أي شيء آخر، والآن بعد أن بدأ يقرأ الكتب، وبعد أن رأى ريبيكا، وهي تبحث عن كتابها بين الرفوف، والسيدة دانفرز تجلس إلى جانبه في مقهى فويلز، وتتناول الخبز والجبن القشدي، وأمير وحسن يركضان ذهابًا وإيابًا بين الطاولات، أدرك كم كان رائعًا أن يكتشف المزيد عن هذا العالم الذي كانت نينا تعيش فيه، ويتعرّف إلى الشخصيات التي كانت ترافقها أينما ذهبت.

لم يرد أن يعبّر عن ندمه أمام بريا، خاصة أنها بدأت أخيرًا ترغب في قضاء الوقت برفقته، فقال لها بدلًا من ذلك: "أعتقد أن جدتك قرأت كل رواية منها، فهي كانت تحبّ القراءة".

نظرت إليه، وقالت: "أعرف ذلك، ولكن هل قَرَأْتَ هذه الروايات؟ هل كانت المفضلة لديها؟".

وضعت رواياتها الثلاث الجديدة أمامها مثل أوراق اللعب، بعد أن مسحت يديها أولًا بمنديل ورقي حتى لا تلوّثها، كما كانت نينا تفعل دائمًا قبل أن تلمس أي كتاب، ثم لمست الروايات مجددًا برقة.

أجابها موكيش قائلًا: "لست متأكدًا من ذلك، ولكنها المفضلة بالنسبة إليّ".

لقد انتظر لرؤية تأثير جوابه على تعابير وجهها، وإن كانت مهتمة، فهي لا يمكن أن تخفي مشاعرها عنه، ولكنها هزَّت كتفيها، وقالت له: "هل يمكنك أن تلخّص لي مضمونها؟ أودّ معرفة لمحة عنها حتى أتذوّق نكهتها، كما تعلم يمكن أن يحفّزني ذلك أكثر على قراءتها".

أومأ إليها برأسه، فلم يكن مضطرًا إلى القيام بذلك من قبل، وقد شَعَرَ وكأنه اختبار له، فتذكّر وجه أليشا بعد أن أنهت قراءة *عداء الطائرة الورقية*، وكيف أن توصيتها بالكتاب كانت ممزوجة بالحماسة والإثارة، فحاول أن يُقلّدها، وهو يلخّص لها موضوع كل رواية.

نظر موكيش إلى أتيكوس الذي كان يقف في قسم المراجع، وقال له: "*لا تقتل عصفورًا ساخرًا*..".

اتسعت عينا بريا، وهي تحدّق إلى وجه جدها.

"يرتبط الموضوع بالأخوين، جيم وسكوت، وهما يتعلّمان بعض دروس الحياة القاسية، ووالدهما أتيكوس محامٍ ذائع الصيت، وهو حقًا بارع وحكيم ومنصف، ويدافع عن رجل يدعى توم روبنسون، اتُّهم بمهاجمة امرأة بيضاء، فكانت كلمتها مقابل كلمته، وقد ظُلم لأنه أسود البشرة، فكانت هذه الأحداث أكبر من أن تستوعبها سكوت الصغيرة وجيم الشاب، لذلك نراهما متصالحين مع حياتهما، وينظران إلى الظلم من منظورهما الطفولي، وما يحدث هو أن...".

رفعت بريا يديها، وقالت: "توقّف يا جدي، سأقرأها بنفسي، أنا فقط أردتُ لمحة عنها لأتذوّق نكهتها".

"نعم، نعم، أنتِ محقة، حسنًا، هذه لمحة موجزة عن الرواية".

ثم انتقل إلى الكتاب التالي، وهو *ريبيكا*، فبدأ بوصف ريبيكا بقوله "أووه"، بينما كان يأمل في أن يكون تعبيره مخيفًا، بدا في الواقع وكأنه جد عجوز يعاني من آلام المفاصل.

انتصبت بريا واقفة، وأشارت إلى الوسادة تحتها، وقالت له: "هل أنت بخير، يا جدي؟ هل تريد الجلوس على هذا الكرسي؟ إنه مريح أكثر".

قال لها محرجًا: "لا بأس، أنا بخير، إنه مجرد وخز بسيط، أين وصلنا؟ أوه، نعم، هل تتذكّرين عطلتك الصيفية في كورنوال؟".

"نعم، بالطبع".

"حسنًا، هل تتذكّرين كل تلك المنحدرات والأمواج العاتية؟".

"نعم".

"حسنًا، تخيّلي منزلًا كبيرًا ليس ببعيد عن ذاك المكان، وشبح امرأة يتجوّل في الصالات... هذا هو أسلوب مؤلفة رواية *ريبيكا*، فهي ترسم أجواء مخيفة وغامضة حقًا، وأعتقد أن تصوير المناظر الطبيعية يرتبط بالشخصية في حد ذاته. لا أعرف ما إذا كانت كورنوال موجودة بالفعل في الرواية، ولكنها تبدو كذلك، هل سبق أن أشعرتك كورنوال بهذا الشعور؟".

فكّر موكيش في نفسه لجزء من الثانية، لم يصدّق ما يقوم به تمامًا. فهو كان يوجز لها الروايات، وكأنه يعرف ما الذي يتحدّث عنه بدقة، فبدا وكأنه مدرس لغة إنكليزية، أو ربما أمين مكتبة، كما شعر بأنه أقوى مما هو عليه في الحقيقة، وشعوره بالفخر بنفسه جعله يحسّ بوخزات في جلده.

قالت له: "ليس تمامًا، فنحن نذهب عادة لركوب الأمواج، عندما يكون الطقس مشمسًا، لا عندما يصبح عاصفًا ومخيفًا".

"بالضبط، فأنت ترين هذين الجانبين المشرق والمظلم... مثل ريبيكا تمامًا".

في النهاية، انتقل إلى *عداء الطائرة الورقية*، ولم يكن يدري كيف سيبدأ بوصف تلك الأحداث لبريا.

قال لها: "قد تكون هذه الرواية مُحزِنةً بعض الشيء، وقد تكونين صغيرة على قراءتها".

هزّت بريا برأسها، وقالت له: "لقد قرأتها إحدى صديقاتي في المدرسة، وهي أكبر مني بقليل، ولكنني قارئة أفضل منها".

"حسنًا، إنها قصة صديقين، كانا مثل الأخوين، وهما أمير وحسن"

أشار موكيش إلى الصبيين الصغيرين الظاهرين على الغلاف الأمامي.

ثم أكمل كلامه قائلًا: "إلا أن أمير ينحدر من عائلة ثرية، أما حسن فينحدر من عائلة فقيرة، فهو ابن خادم عائلة أمير".

أمسك برواية *عداء الطائرة الورقية* بين يديه، وعلى الرغم من أن هذه الرواية كانت مختلفة كل الاختلاف عن قصة صديقه، إلا أن شيئًا يتعلّق بصلة القرابة بين أمير وحسن يذكّره بصديق طفولته الطيب في كينيا، أومانج؛ لقد كانا متشابهين جدًا في صفات عديدة، ولكن ماضيهما ومستقبلهما كانا مختلفين، فقد حصل موكيش على فرص أكبر في الحياة، ولكن أومانج لم يحصل على الكثير من الفرص في حياته، وقد أمل في أن يكون أومانج بصحة جيدة. كان أومانج فتى ذا قلب كبير، وحاد الذكاء وواعيًا، وهو أكبر منه بسنوات قليلة، وقد أحبّ موكيش اللعب مع أومانج الذي لطالما أشعره بأنه على سجيته وهو برفقته، وقد ردّدت والدتاهما بالإنكليزية المثل التالي: "أنتما فولة وانقسمت نصفين". ولكنهما انفصلا عن بعضهما في مرحلة المراهقة، إلا أنهما لا يزالان يتذكّران بعضهما، وهما يتجوّلان في المدينة أو على الشاطئ، وقد مضت سنوات على آخر مرة فكّر فيها موكيش في أومانج، حتى قرأ رواية *عداء الطائرة الورقية*.

بدأ موكيش كلامه قائلًا: "عندما كنت صغيرًا، كان لديّ صديق مُقرّب".

لم يكن يعرف تمامًا كيف يصوغ الجملة من دون أن يبدو شريرًا، فلاحَظَ أن السيدة دانفرز قد توقّفت عن تناول الخبز والجبن القشدي، وبدأت بمراقبته.

"أراد دائمًا أن نمضي الوقت معًا، وذات يوم طردت أومانج من منزلي، لأنني لم أرغب في اللعب معه، بل أردت أن أبقى وحدي، ولكن صديقي كان قد حضر من أجل قضاء بعض الوقت برفقتي، والحصول على الهدوء والسكينة إلى جانبي، وربما لتناول بعض الدوسة التي تصنعها أمي، والتي يحبُّها الجميع في قريتنا".

"هل طعمها شهي، كما تعدّها جدتي؟".

"إن كنت لا تعلمين، فقد علّمت أمي جدتك طريقة تحضيرها، كما أنني قمت بأمور أخرى لم أكن فخورًا بها، والآن وأنا أسترجع ذكريات الماضي، أرى كم كنت صديقًا مريعًا لأومانج! كنت ألعب معه عندما أرغب في ذلك فقط، وعندما يطلب إليّ بعض الأولاد الأكبر سنًا اللعب معهم، كنت أتخلّى عن أومانج، كما كنت أخفي طبيعة علاقتي به عن هؤلاء الأولاد، لأنني كنت أقلق من أن تتغيّر نظرتهم إليّ، لأننا كنا ننحدر من عائلتين مختلفتين تمامًا".

تنفّس بعمق، وتساءل: كيف سينظر أتيكوس إلى المغزى من هذه القصة؟

"ينبغي أن يكون المرء لطيفًا مع الناس، وخاصة مع الأشخاص الذين يحبّهم، لأنه قد يعجز عن معرفة ما يمرّون به إلى أن يكتشف ذلك يومًا ما، وما إن يحين ذلك الوقت حتّى يكون قد فات الأوان غالبًا لإحداث فرق حقيقي، ولكن ربما عليك أن تحتفظي بهذه الرواية ريثما تكبرين قليلًا".

"حسنًا، إذا كان هذا ما تراه مناسبًا".

فجأة رأى نينا تجلس إلى جانبه، لقد عادت، وأعادت معها تلك اللحظات السعيدة. كان وجهها متوهجًا، وابتسامتها مشرقة، وكان ما حدث في ذلك اليوم علامة فارقة، فلم يكن يطيق الانتظار لإخبار أليشا بنتائج الجولة التي قام بها برفقة بريا.

إندیرا
2017

وقفت إنديرا خارج المكتبة، وهي تنظر من خلال زجاج الباب، والقائمة في يديها، نظرت إليها كما لو أنها توجّهها إلى ما عليها القيام به. ففي هذا الصباح أرسلت ابنة جارتها رسالة عبر البريد الإلكتروني، قالت فيها: *عزيزتي إنديرا، أردت أن أخبرك بأن والدتي ليندا ستغادر ويمبلي، وستأتي للإقامة في منزلي، فجميعنا حريصون على أن تكون إلى جانبنا، إذ لم تعد ذاكرتها تسعفها، ونحن نشعر بأن الوقت قد حان للاعتناء بها. أرجو أن نبقى على اتصال مع بعضنا، لك مني فائق الاحترام.*

أوليفيا

كانت ليندا وإنديرا جارتين على مدار العشرين عامًا الماضية، فلم تكونا صديقتين مقربتين، بل كانتا تتحدّثان إلى بعضهما كل يوم عند الساعة العاشرة صباحًا، عندما تجلسان في الحديقة لبضع دقائق قبل أن تمضيا لمتابعة أعمالهما اليومية، وكانتا وحيدتين، وملأتا أيامهما بحل الكلمات المتقاطعة والدردشة معًا خلال استراحات الشاي، كما أن روتينهما اليومي لم يشمل القيام بأعمال قيمة، ولكن اليوم أدركت إنديرا الفرق الكبير بينها وبين ليندا التي كان لديها أشخاصٌ يكترثون لها، ولن تشعر بعد الآن بالوحدة. أما هي فلم يكن لديها أحد، لأن ابنتها مايا تعيش في أستراليا ولا تزورها إلا كل أربع سنوات، كما أنها لم تقترح هي وزوجها عليها الانتقال للإقامة في منزلهما ولو لمرة واحدة. لقد قرأت رسالة أوليفيا مرة أو مرتين، بل ثلاث مرات.

طَوَتْهَا وفتحتها مرارًا وتكرارًا وهي تشعر بالاستياء، ولكنها لم تعرف السبب. جلبت معطفها ووضعته على كتفيها بعد أن قرّرت مغادرة المنزل، على الرغم من أنها لم تكن تفكّر في الذهاب إلى مكان محدّد، وما إن أخرَجَتِ الكيس من جيبها، حتى انبثقت منه ملاحظة، وهي تلك التي وجدتها منذ أسابيع على رف الأحذية الخاص بها في المعبد، وهي قائمة الكتب.

عندما قلبتها، قرأت على ظهرها اسم *مكتبة طريق هارو.*

حسنًا، قرّرت إنديرا أنه المكان الذي ستذهب إليه.

طوال حياة إنديرا كانت تبحث عن إشارات، ولكن في البدء لم تبدُ لها قائمة الكتب، وكأنها إحدى تلك الإشارات، إلا أن تفكيرها ظل منجذبًا إليها مثل صفارات الإنذار التي تنطلق في الليل، واليوم وجدتها عندما احتاجت إلى وسيلة إلهاء. كانت المكتبة على بعد شوارع قليلة من منزلها، وستذهب إليها لأنّه لا شيء آخر يمكن أن تفعله الآن، كما لم يكن لديها أي شيء تفعله قط، فهي لم تذهب إلى المكتبة منذ أن كانت مايا صغيرة، وكانتا تجلسان في ركن الأطفال، وهما تقرأان الكتب.

لا تقتل عصفورًا ساخرًا للكاتب هاربر لي، ستكون من بين مجموعة الكتب التي تحمل حرف "اللام"، هذا ما ذكّرت نفسها به مرارًا وتكرارًا.

بعد أن تنفّست بعمق، دفعت الباب بقوة، ودخلت المكتبة، وعلى الفور استقبلها رجل هندي يجلس خلف المكتب، ويرتدي سترة من صوف محبوكة بإتقان وصدرية.

قال لها مبتسمًا: "مرحبًا، سيدتي، كيف يمكنني مساعدتك؟".

كانت ابتسامته مشرقة، فلم تستطع إلا أن تبادله الابتسامة.

قالت له: "أوه، مرحبًا، أنا أبحث عن بعض الروايات"، ثم أعطته القائمة، وقالت له: "أي رواية من روايات هذه القائمة أكثر إثارة وتشويقًا؟ ما الرواية التي تنصحني بقراءتها أولًا، أو ربما يجب أن أبدأ بقراءة الرواية الأولى؟". لم تستطع منع

نفسها من مواصلة الكلام، لكن الموظّف لم يجبها لبعض الوقت، بينما كانت عيناه تتفحّصان القائمة.

قال لها: "يمكنك البدء بأي واحدة منها، ولكن سترين أن مجموعة القراءة تقرأ *عداء الطائرة الورقية*، ويجلس هناك أحد أفراد تلك المجموعة". أشار إلى امرأة بيضاء، أصغر سنًا من إنديرا بعشرين عامًا، وقد ربطت شعرها على شكل كعكة، وقد حجب الكتاب نصف وجهها.

ناداها قائلًا: "لوسي"، نظرت المرأة إلى الأعلى، وابتسمت لها، فبدا الجميع يبتسمون في هذه المكتبة. قال لها: "السيدة تبحث عن كتاب *عداء الطائرة الورقية*".

أسرعت المرأة إليها، وهي تحمل نسختها الخاصة، وقالت: "أوه، نعم، من حسن حظكِ، لدينا نسختان على الرف، وإذا كنتِ مهتمّة يمكنكِ الاشتراك في مجموعة قراءتنا".

سألتها إنديرا غير متأكدة تمامًا مما إن كانت ترغب في أن تشترك فيها: "متى تجتمع المجموعة؟".

لقد أَتَتْ إلى المكتبة من أجل الحصول على بضعة كتب فقط.

"نلتقي يوم الخميس الثاني من كل شهر".

كانت إنديرا متفرغة في ذلك الوقت، فهي متفرغة طوال الوقت.

قالت لها: "حسنًا، سأقرأ الرواية، وبعد ذلك، إذا أعجبتني، أيمكنني الحضور؟".

قالت لها لوسي: "بالطبع، ولكن إذا لم تعجبك الرواية، فلا بأس بذلك أيضًا؛ فنحن منفتحون على كل الآراء. ومن ضمن المجموعة شابة تدعى ليونورا، وقد انضمت إليها حديثًا من أجل نادي القراءة، كما التحقت بالمجموعة فتاة اسمها إيزي، وهي قارئة نهمة، تواظب على زيارة المكتبة، ومعها قائمة طويلة بأسماء الكتب، وهي تشبه إلى حد ما قائمتك، ولكنها قرأت رواية *عداء الطائرة الورقية*، وقد حصلت على الكثير من الملاحظات اللاصقة عليها، أما الباقون فلا يشبهونها،

إنها مثل المحقق أو من يقوم بدوره... أيًا يكن الأمر، فقد أخبرَتْنَا بأنها لم تُحب الرواية، لذا سواء أأعجبك الكتاب أم لا، فسيكون بين المجموعة من يوافقك في الرأي، ومن يعارضك، وهي طريقة ناجحة للتواصل بين الناس".

ابتسمت لوسي ابتسامة عريضة، ولكنها نطقت بالجملة الأخيرة ببطء، ثم حدّقت مباشرة إلى عيني إنديرا، إلا أنها قد تكون تخيّلت ذلك.

"لوسي هي إحدى متطوعاتنا، لذا فهي تعرف هذا المكان جيدًا، هل تريدين أن أحضر لك باقي هذه الروايات؟".

كان أمين المكتبة الهندي ينظر إلى إنديرا من الأعلى إلى الأسفل، وهي تقول له:

"لا، في الواقع سأكتفي بهذه الرواية حتى أرى إن كنت سأتقدّم في قراءتها".

نظرت إلى الرواية، وهي في يد المرأة، وتساءلت إن كانت ستتمكّن من إتمام قراءتها، فقد مر وقت طويل منذ أن قرأت هذا القدر من كتب اللغة الإنكليزية.

سألت الرجل الهندي، آملة في أن يفهم ما ستقوله: "هل هذه الرواية متوفرة باللغة الغوجاراتية؟".

قال لها: "لا، لا تتوفّر هذه الرواية بتلك اللغة، إلا أن لدينا عددًا قليلًا من الكتب باللغة الغوجاراتية".

قادها إلى أحد الرفوف التي توزّع عليها حوالى خمسين كتابًا، ما يتيح لها القراءة لفترة طويلة.

صاحت قائلة: "واو! حسنًا، سأُنهي قراءة عداء الطائرة الورقية، ولكنني أظنّ أنني سأعود من أجل قراءة أحد هذه الكتب".

"ألن تقرأي الكتب الأخرى الواردة في قائمتك؟".

نظرت إلى القائمة التي تحملها، وقالت: "نعم، بالطبع، سأعود من أجلها أيضًا".

قال المرأة البيضاء لها: "لقد أسعدني لقاؤك... ولكن ما اسمك؟".

ردّت قائلة: "إنديرا، وقد تشرّفت بلقائك، يا لوسي، كما أنني أتطلّع للانضمام إلى مجموعة القراءة".

"إننا نشكّل مجموعة رائعة، وإذا أمكنني قول ذلك عن نفسي، فستحبّين أعضاءها جميعًا، ونحن نحضّر الكعك والوجبات الخفيفة أيضًا، لذلك إذا كنتِ ترغبين في مشاركتنا في أي نوع من الأطعمة، فسنرحّب بذلك".

"شكرًا لك".

قالت لوسي مبتهجة: "إننا نعيش في مجتمع صغير".

تساءلت إنديرا إن كان خداها قد احمرّا من شدة حماستها، أو من الشعور بالخجل.

[#]

عندما غادرت إنديرا المكتبة، أدركت في الحال أنها ستعود قريبًا، فكان مثيرًا بالنسبة إليها رؤية رف الكتب ذاك، فهي تحبّ القراءة باللغة الإنكليزية، وهي تتقنها جيدًا، ولكنها اشتاقت إلى قراءة الروايات بالغوجاراتية، وفي الوقت نفسه لا تزال تحمل القائمة في يدها، وقد طوتها عند اسم كتاب عداء الطائرة الورقية.

تمتمت، وهي تخاطب القائمة: "شكرًا لك، شكرًا لأنك كنتِ دافعي إلى زيارة المكتبة".

كبرياء وتحامل

جين أوستن

الفصل 19

أليشا



نظرت إلى الطاولة بجانب سريرها، فكانت رواية *كبرياء وتحامل* تُحدّق إليها، ولكنها لم تكن مستمتعة بها. حاولت مرتين قراءتها من دون أن تتمكّن من التكيف مع عالم الرقصات والحفلات المتداخلة في أوائل القرن التاسع عشر، ولكن وفقًا لسرعة السيد باتيل في القراءة فهو سيسبقها خلال فترة وجيزة، لذا أجبَرَتْ نفسها على التركيز على فهم الكلمات، وعلى تخيّل صورة منزل عائلة بينيت، والسيدة بينيت المتسلطة والمتعجرفة، بالإضافة إلى إليزابيث المتغطرسة أيضًا، والسيد دارسي المعشوق وشديد التسلّط في الوقت نفسه. حاولت ألا تقارنهما، ولكنها لم تستطع إلا أن تقارنه بزاك الذي لازم مخيلتها منذ أن بدأت بقراءة هذه الرواية، ولم تستطع اكتشاف السبب، إلا أنه ظلّ حاضرًا في ذهنها، وقد تغيّرت ملامح وجهه وفق تقلبات مزاجه، مثل السيد دارسي، ثم تخيّلت ليلى محل السيدة بينيت... فهل ستوافق عليه؟ ولاحظت أن خيالها بدأ ينقلها إلى مكان بعيد، فما الذي كانت ترمي إليه عندما فكّرت في زاك وليلى؟

سمعت صرير ألواح الأرضية في غرفة إيدان التي تقع فوق غرفتها مباشرة، ولكنها متأكدة من أنه نائم الآن، لأن وردية عمله تبدأ في وقت باكر غدًا، ووفقًا للملاحظة المعلقة على الثلاجة. بدا كما لو أنه يسير في غرفته مسعورًا، فقد أقامت في غرفة النوم التي تقع في الطابق الأرضي لفترة كافية لمعرفة معنى كل صوت يصدر من المنزل، في العادة كانت أكثر تفاعلًا مع الأصوات المنبعثة من غرفة ليلى، وقد

جعلها ذلك الصوت تتسلَّل من غرفة نومها، بعد أن وضعت الرواية على سريرها وغلافها إلى الأسفل، وتجوّلت في الطابق العلوي محاولة قدر المستطاع ألا تصدر ضجيجًا، فلم ترد إيقاظ ليلى. وقفت خارج غرفة نومه، ومدّت إحدى يديها، وهي تستعدّ لطرق الباب، ولكنها بدأت تسمع الإيقاع أكثر وضوحًا الآن، بالإضافة إلى النحيب الخافت والمتقطّع، فانفطر فؤادها، وقد أراد جزء منها اقتحام الغرفة ومعانقة شقيقها، ولكن الجزء الآخر منها، وهو الجزء الضعيف، منعها من القيام بتلك الخطوة، لأنه قد يودّ أن يكون وحده، فتركت الجزء الضعيف يفوز.

نزلت على الدرج على أطراف أصابعها، وأغلقت باب غرفتها، ثم حاولت وضع سماعتيها، وأجبرت نفسها على الاستماع إلى الموسيقى، ونسيان شقيقها، ولكن ذلك كان بلا جدوى، فهي لا تزال تفكّر فيه.

فتحت مجددًا رواية *كبرياء وتحامل*، وتمنّت أن تشعر بالارتباط بهذه الشخصيات وبأزيائها القديمة، حتى إنها تمنّت أن يظهر زاك بملابسه القديمة، وأن يسرح خيالها بعيدًا، ولكنها لا تزال تفكّر في إيدان الذي يعاني وحده في غرفته، فأغلقت الرواية، وألقتها على سريرها، ولم يعد يهمّها ما ستفعله، فقد تحوّل منزلها إلى مانديرلي مرة أخرى، وتتجوّل الأشباح في أرجائه، فأغمضت عينيها، وشعرت بالظلام، وهو يخيّم على المكان.

[#]

في صباح اليوم التالي، أطلّ شقيقها برأسه من باب غرفة نومها، وقال لها: "مرحبًا، أليشا". تسلّل الضوء الساطع عبر الستائر، ولكنها استطاعت أن تدرك من خلال السكون الذي ساد المنزل أن الوقت لا يزال مبكرًا، فغمغمت ردًا على تحيته، وفركت عينيها لكي تستيقظ من نومها.

قال لها: "لقد بدّلت بعض الورديات، لذا سأعمل نهارًا وأكون في المنزل مساء، وسأعود في الوقت المناسب لكي تذهبي إلى حفلة الشواء". تفحّصت أليشا

وجه شقيقها بحثًا عن ملامح التوتر والقلق، ولكنها لم ترَ سوى الإشراقة ترتسم عليه، وكانت عيناه تلمعان، كما لو أنه يخطط لأمر ما، فلطالما ارتسمت هذه الملامح على وجهه عندما كان طفلًا صغيرًا، عندما كان يخطّط لإعداد فطيرة لها من الطين في الحديقة في ذكرى مولدها، وقد تساءَلَتْ كيف تجاوز ألم الليلة الماضية، وأيًا يكن ما حدث معه هذا الصباح، هل كانت تحلم البارحة؟

"إيدان، هل أنت بخير؟ هل..".

قاطعها قائلًا: "نعم، إنني بحال جيدة، ويجب أن تذهبي إلى حفلة الشواء التي دعتك إليها ميا، وأن تخرجي من هذا المنزل، لتستمتعي بالأسابيع القليلة الباقية من الصيف".

ضحكت أليشا، وقالت له: "لا، لن أذهب، بل سأبقى في المنزل، فأنتَ لم تأخذ عطلة منذ فترة طويلة". نهضت أليشا من فراشها، وانتعلت خفّيها، وقالت له: "يمكننا تمضية الوقت معًا".

"لا، يجب أن تذهبي، فلم تتسكّعي مع رفاقك في الأرجاء منذ أسابيع، وأعتقد أنا وأمي أن هذه الحفلة ستناسبك".

"هل أخبرتَ أمي بالدعوة؟".

"نعم".

ها هما مجددًا إيدان وليلى يتّحدان معًا من أجل أن يُمليا عليها طريقة عيش حياتها، وقد جعلها الأمر تسخر من نفسها، فهي كانت طفلة عندما أراداها أن تكون ناضجة، ولكن عندما احتاجت ليلى إلى نضجها، لم يُسمح لأليشا بأن تعيش مرحلة المراهقة.

سألها إيدان، وهو يشير بإصبعه إلى السماء: "عديني بأنك ستفكّرين في الذهاب".

قالت أليشا: "أعدك بذلك". هزّ إيدان بإصبعه الصغير، ولم يظهر سوى وجهه ويده، أما باقي جسده فكان مخفيًا خلف الباب، فهزَّت أليشا بإصبعها الصغير، وقالت له: "نعم، أعدك".

"رائع، أراكِ لاحقًا، تركت بعض الملاحظات المعلّقة على الثلاجة أيضًا".

لقد لاحظت كل حركة قام بها إيدان، وهو يسير بكامل نشاطه المعتاد، فحاولت تجاهل القصة التي اخترعتها الليلة الماضية، والمشهد الذي تخيّلته من خلف باب غرفة نومه.

[#]

ما لم يبذل إيدان جهدًا كبيرًا، ويبدل ورديات العمل حتى تتمكّن من الخروج، لكانت الآن تعتذر عن عدم الحضور عبر الواتساب، ولأخبرت المجموعة بأنها مريضة وتشعر بالغثيان، أو بالصداع النصفي، ولكن ملاحظاته اللاصقة على الثلاجة تدعوها إلى الذهاب والاستمتاع بالحفلة: *"اخرجي واستمتعي بوقتك، وسأكون إلى جانب أمي حتى لا تضطرّي إلى البقاء"*، وهذا ما جَعَلَها تشعر بالذنب، لذلك ارتدت بنطالًا قصيرًا وقميصًا كانت ترتديه عندما تخرج ليلًا فقط، ووضعت علبة السجائر في جيبها الخلفي، فوالدتها وإيدان لم يعلما بشأن تدخينها السجائر.

نادت إيدان من أسفل الدرج قائلة: "إيدان، هل يمكنك أن تفتح لي الباب عندما أعود؟ سأتّصل بك عند انتهاء الحفلة، لأنّه لا مساحة كافية في حقيبتي من أجل مفاتيحي". يدرك إيدان وأليشا أن السبب الحقيقي في أنها لن تأخذ مفاتيحها، كان نسيان المكان الذي تضعها فيه عندما تثمل، إذ سبق لإيدان أن غيّر القفل مرتين.

أجابها قائلًا: "نعم، بالتأكيد، والآن اذهبي واستمتعي بوقتك".

[#]

كان الهواء هذا المساء أكثر برودة، ولكنه كان منعشًا، وتحوّل لون السماء إلى الزهري بلون غزل البنات. اشترت ست عبوات جعة عبر بطاقة الهوية التي نجحت في تزويرها باستخدام سائل التصحيح، وبفضل مهاراتها في الكتابة التي علّمها إياها

رؤول. عندما وصلت إلى الحديقة، سمعت الضوضاء قبل أن ترى وجوه أصدقائها، وكانت تعرف جيدًا أن حفلة الشواء غير قانونية، وأن أصوات الضحك يغذّيها احتساء الخمر، بينما كانت الحديقة شبه مهجورة، على الرغم من وجود عدد قليل من الأشخاص الذين ينزّهون كلابهم إلى جانب مجموعة أخرى من المراهقين، إلا أن أصدقاء أليشا لم يعدّوا أنفسهم مراهقين حقيقيين، بل نظروا إلى المراهقين بازدراء.

سمعت ضحكة رؤول، وهو يصيح، وكأنه يريد حقًا إثبات مدى المتعة التي يحظى بها. قفزت ميا ما إن رأت أليشا، وقالت لها: "لقد أتيتِ! لم أعتقد أنك ستلبّين الدعوة". ضحكت أليشا بارتياح، بعد أن عانقتها ميا.

"ألن تحضر كيسي والآخرون الحفلة؟".

"لا، لقد ذهبوا إلى حفلة موسيقية أو شيئًا من هذا القبيل، وحصلوا على التذاكر في اللحظة الأخيرة، وسيأسفون رغم ذلك، ولكنكِ تعلمين جيدًا أنهم لم يتوقّعوا قدومك". كان ذلك مؤلمًا، فأليشا كانت تدرك تمامًا الحقيقة الكامنة خلف كلامها. "أيًا يكن الأمر، فما الذي كنت تفعلينه مؤخرًا؟ ما من أحد رآك في الفترة الأخيرة".

للحظة حبست أليشا أنفاسها، فلم تكن تفعل شيئًا، وكل ما قامت به هو مقابلة السيد باتيل، وقراءة الروايات إلى جانب القراءة لأمها، وكل هذا يعدّ تافهًا بالنسبة إليهم. قالت لها: "لم أفعل شيئًا يُذكر".

صاحت ميا ليسمعها الجميع، وهي تقول: "يا رفاق، أليشا تعمل في مكتبة طريق هارو!".

شعرت أليشا بأن وجهها يكاد يشتعل من شدة الخجل، فضحك بعض الرفاق، ولكن على الأرجح لم ينتبهوا إلى احمرار وجهها.

قال رؤول، وهو يغمزها محاولًا مشاركتها في الحديث: "كنت أظنّ أنها أُغلقت؟".

لم تنبس أليشا بكلمة، فقد أرادت أن ينتهي هذا الكابوس، فليس لديها ما تقوله، وقد أمضت المساء وهي تحاول أن تتصرّف وكأنه لم يكن يفصل بينها وبين ميا هوة عميقة، وأنها بين أصدقاء لم يعودوا الآن بالنسبة إليها سوى غرباء يقفون ضمن الدوائر نفسها، ويعيشون في المكان نفسه، ولكنهم لا يعرفون أي معلومة عن تفاصيل حياة بعضهم، ظلَّ رؤول ينظر إليها بحثًا عن أي فرصة لإجراء محادثة معها، لذا كانت ميا ملاذها الوحيد، فأبقت عينيها عليها، وهي تشرب زجاجة عصير التفاح الصيفي متظاهرة بأنها تهتمّ بعطلة عائلتها الصيفية.

[#]

عند الساعة الحادية عشرة مساءً، بدأ الرفاق بالمغادرة، وأرادوا جميعًا العودة باكرًا إلى منازلهم، لأنها كانت الليلة الثالثة التي يقضونها في الخارج هذا الأسبوع. لم تترك أليشا ميا طوال الليل، وقد ألقت برأسها إلى الخلف وهي تضحك، وكادت أن تسقط هي وأليشا على الأرض، أَبْعَدَتْ أليشا بعض الرجال الذين كانوا ينظرون إلى ميا نظرات مريبة، وهي تثمل وتصرخ فرحة بصوت عالٍ ومرح.

"ميا، هل نعود إلى المنزل الآن؟".

هزَّتْ ميا رأسها نافية، ورفعت ذراعيها في الهواء، وغنّت مع الموسيقى الخافتة التي تنبعث من هاتف أحدهم. لقد انتهى حفل الشواء، وتحدَّدَت منطقة الاحتفال عبر حلقة الزجاجات المهملة والعلب الفارغة. حاولت أليشا أن تجعل ميا تقف على قدميها، ولكنها كانت مصممة على الاستلقاء على الأرض، والنظر إلى السماء، والغناء، وفجأة شعرت بوقوف رؤول إلى جانبها، وقال لها: "دعيني أساعدك".

تحدّثت ميا نيابةً عن أليشا، وقالت له: "لا، أنا بخير".

أومأت إليه أليشا، وقالت له: "حسنًا".

لم تستطع فعل ذلك وحدها، كما لم يعلّق رؤول، بل اكتفى بالانحناء نحو ميا، وجلس القرفصاء.

قال بهدوء: "ميا، أعتقد أنه يجب أن نغادر الآن، الوقت متأخر، والجميع عادوا إلى منازلهم".

هزّت ميا رأسها بشدة.

قالت له: "لن يذهب أحد إلى المنزل".

وفجأة أصبحت كلماتها واضحة، وهي تقول:

"أليشا هنا، وعلينا أن نمضي أطول وقت ممتع معًا، فقد لا نراها مجددًا".

كان لديهما ما يكفي من القوة والتصميم لرفع ميا عن الأرض، ووضع كل ذراع من ذراعيها على كتف أحدهما، وعندما رفعت ميا قدميها، ارتفعت بين صديقيها. واصلا السير، بينما ميا تنطق بكلمات الوداع، وهي تشكو من راعيها ومرافقتها، حتى غادروا الحديقة.

غضبت أليشا عليها، ولكنها حاولت جاهدة إخفاء ذلك، فلطالما قال إيدان إنه يستطيع قراءة ما يجول في تفكيرها مثل كتاب، وأملت في ألا يتمكّن أي شخص آخر من القيام بذلك، فلم ترد أن تنتهي الليلة بهذه الطريقة، وتمنّت لو أن صديقتها لم تثمل إلى هذه الدرجة، كما تمنَّتْ ألا يكون رؤول إلى جانبها.

لا تزال ميا تعيش في المنزل الذي نشأت فيه، وهو يقع في الجانب الآخر من ويمبلي. أملت في أن تتمكّن من إيجاد حافلة للعودة، فالوقت كان متأخِّرًا، وهي تدرك أن إيدان سيكون مستيقظًا، وربما يشاهد مقطعًا ما عبر اليوتيوب، وهو ما كانت تشاهده عادةً يقوم به في هذا الوقت في غرفة الجلوس المظلمة، وشاشة الحاسوب تعكس على وجهه وهجًا أخضر داكنًا. كان عليها أن ترسل إليه رسالة نصية، ولكنها كانت تعلم أن ذلك سيعني الاعتراف بالهزيمة، لأنها لم تستطع قضاء وقت ممتع، بغض النظر عن إجبارها على فعل ذلك، وستثبت له أنها لم تكن مثل أخيها الأكبر الذي يعجز عن الاستمتاع بالحياة. احتفظت بهاتفها في جيبها.

[#]

في طريق العودة إلى منزل ميا، تعرّفت إلى المنازل التي تقع في جوار منزلها، وتابعت سلوك الطريق بالاعتماد على ذاكرتها.

عندما وصلوا أمام باب منزل ميا، كانت جميع الستائر مسدلة، والنوافذ سوداء قاتمة، فقد انتصف الليل، وبدا الشارع هادئًا، فلم تجرؤ أليشا على رنّ جرس الباب، فهزّ رؤول كتفيه، إذ لم تكن ميا واعية بما يكفي للعثور على مفاتيحها في حقيبتها، لذلك ساعدتها أليشا، وأخيرًا فتحت الباب لصديقتها، التي دخلت في الحال، وأغلقت الباب خلفها، بينما أليشا ورؤول يقفان مكانهما من دون أن يتفوّها بكلمة، وقد سمعا المزيد من دوي سقوط الأواني على الأرض، ولكن لا ينبغي لهما أن يقلقا بشأن إيقاظ قاطني المنزل، لأن ميا تقوم بالمهمة على أكمل وجه.

همس إليها رؤول: "حسنًا، سأوصلك إلى منزلك الآن؟".

هزت أليشا برأسها، وقالت: "لا، لا بأس".

أصرَّ رؤول على إيصالها، ولكن أليشا أخرجت هاتفها، فقد حان الوقت لرفع الراية البيضاء.

اتصلت بإيدان، وانتظرا خارج منزل ميا، فشعرت أليشا بالبرد، فهي كانت ترتدي سروالًا قصيرًا وقميصًا خفيفًا، وضمّت يديها إلى صدرها، وتجنّبت النظر إلى رؤول كي لا يقدِّمَ إليها سترته لتنعم بالدفء، فشعرت وكأنها تنتظر منذ الأزل، أرادت التحدث إلى رؤول، وإخباره بما يجري في منزلها، وبالرجل العجوز الذي تتحدّث إليه في المكتبة، ولكن هل سيسخر منها، ويرى أن ما تقوله هراء، أم سيخبرها بأن مصادقة رجل عجوز وحيد تصرّف لطيف؟ لقد أرادت أن تتحدّث إلى شخص ما، شخص غير إيدان، ولا يعرف المعاناة التي تمرّ بها عندما تعتني بأمها التي لا تستطيع الاعتناء بنفسها، ولكنه قد يحاول أن يفهمها.

في لحظة ما، فتحت فمها لتبدأ بالكلام، ولكنها كبحت نفسها، لأنّه لا داعي لذلك، وربما كان ذاك الخبر الصغير الذي أخبَرَتْ به رؤول عن والدتها هو الذي أخافه وأبعده عنها سابقًا، فلم يعتد المراهقون على استيعاب ما قالته له، كما أنها

أخبرت السيد باتيل ببعض الأمور، فكان ذلك كافيًا، وكان لديها إيدان، وهما يتشاركان الأسرار معًا.

توقّفت سيارة إيدان، والصمت يخيّم على المكان، وقد انبعث من الستيريو صوت موسيقى هادئة على خلاف العادة، فصرخ إيدان قائلًا: "استقلّا السيارة، أنتما الاثنان".

بغض النظر عن مدى شعورها بالخوف هذا المساء، شعرت وكأن في قلبها ثقبًا أسود، وأرادت أن تكون تلك المراهقة الخالية من الهموم، والتي تثمل لمرة واحدة، وبدلًا من ذلك كانت هي المراهقة الراجحة العقل، التي لا ترتكب الأخطاء، وتتخذ القرار الصحيح، وتعتني بالآخرين، من دون أن يتبدّل أي شيء.

الفصل 20

موكيش

الهاتف يرنّ: "مرحبًا بابا، أنا روهيني، شكرًا جزيلًا لرعايتك بريا".

"نعم، شكرًا لك، يا جدي".

"قالت إنها أمضت وقتًا رائعًا برفقتك في لندن، وأتمنّى أنك اتخذت حذرك من أجل سلامتك أكثر من أي شيء آخر".

الهاتف يرنّ: "مرحبًا أبي، أنا فريتي، آسفة على الاتصال في وقت أبكر من المعتاد، لقد أنهيت توًّا مكالمتي مع روهيني، هل تودّ الحضور الأسبوع المقبل لتناول طعام الغداء أو العشاء؟ يمكنني اصطحابك كي لا تستقل القطار، فأودّ حقًا رؤيتك".

الهاتف يرنّ: "مرحبًا، أنا أليشا، آسفة على الاتصال، فالجو هادئ للغاية في المكتبة اليوم، لذلك رغبت في معرفة رأيك في رواية *حياة باي*، ولديّ كتاب آخر لك عندما تكون مستعدًا لقراءته، أيًا يكن الأمر فسأتّصل بك لاحقًا.

أستتّصل لاحقًا؟ شعر موكيش بذعر غير متوقع، فلم يسبق له أن تحدّث إلى أليشا عبر الهاتف، وما الذي سيتحدّثان عنه؟ لم يدقّق في رسائله هذا الصباح، لأن نيلاكشي ظهرت في وقت مبكر لقضاء اليوم بصحبته، ولذلك كانت ستتّصل في أي لحظة الآن، وهو بالكاد مستعد لاستقبالها.

سألته نيلاكشي من غرفة الجلوس، وهي تجلس في مكانها المعتاد - أجل، لقد أصبح لديها مكانها المعتاد الآن- وهي تشاهد مسلسلًا هنديًا على قناة زي تي في:

"من التي راسلتك عبر المجيب الصوتي؟".

قال لها موكيش: "إنها أمينة المكتبة"، وهو يتساءل إن كانت تلك العبارة المناسبة للتعريف بها.

قالت له من دون أن تكفّ عن النظر إلى شاشة التلفاز: "آه، إنها تلك الشابة اللطيفة!".

"لقد أخبَرْتَنِي كثيرًا عنها، ويبدو أنها قرأت الكثير من الكتب، كانت نينا ستحبّ هذه الشابة، أليس كذلك؟".

قال موكيش، وساقاه ترتجفان قليلًا، وهو يستقرّ على كرسيه: "هذا صحيح". لم يعد لديه سوى بضع صفحات، وينهي قراءة رواية *حياة باي*، لذا وضع سماعتيه اللتين يستخدمهما للتركيز- وقد قدّمتهما إليه نيلاكشي، بعد وفاة زوجها الذي كان يستعملهما ليحجب الموسيقى المنبعثة من التلفاز- ثم غاصَ مباشرةً في الكتاب مرة أخرى. أصبحت زي تي في القناة التلفازية الأكثر مشاهدة في منزله، وهذا ما أشعره بسعادة كبيرة، بعد أن حلّت محل نيتفليكس، وبرنامج ديفيد أتينبورو عبر قناة ناشونال جيوغرافيك.

عندما أنهى الصفحة الأخيرة من الرواية، ترك باي وقصته التي لا تصدّق وراءه، ولكنه لم ينزع السماعتين عن أذنيه آملًا في الحصول على لحظة صمت ليتمكّن من استجماع أفكاره، فهو لا يريد أن تنتهي الرواية، ولكنه يحتاج إلى معرفة معنى رحلة باي، هل كانت حقيقية أم كانت خيالية؟ لقد تشبّث قلبه وعقله بهذه الرواية، التي كانت عبارة عن رحلة طويلة وشاقة قام بها باي، ولكنها رحلة مذهلة ومدهشة بالنسبة إلى موكيش.

بعد ذلك رأى من طرف عينه نيلاكشي، وهي تنهض عن الأريكة متجهة إلى الردهة، وبعد لحظة عادت وهي تقول له شيئًا، ولكنه لم يستطع سماع ما تقوله، وكانت تلوّح بالهاتف أمام وجهه.

سألها موكيش، وهو يسحب سماعتي الرأس نحو رقبته: "ما الأمر؟".

"مكالمة لك، إنها أمينة المكتبة!".

قال موكيش: "آه"، وقد عاودت ضربات قلبه تتسارع.

لقد ردَّتْ نيلاكشي عبر هاتفه، ولكن ماذا لو كانت إحدى بناته؟ وضع يده على سماعة الهاتف، وتوجّه مسرعًا إلى غرفة نومه المجاورة.

قال لها: "مرحبًا".

"آسفة، أتمنّى ألا أكون قد أزعجتك، المكتبة اليوم مكتظة مثل مانديرلي، إلا أنه يعجبني الصمت أكثر، ولكن الوقت يمضي ببطء، بالمناسبة إلى من تحدّثت؟".

"ماذا تعنين؟".

"المرأة التي ردّت عبر الهاتف".

تنفّس موكيش بعمق، وقال لها: "إنها... أنا لدي... كانت ابنتي، وأحيانًا تردّ عبر الهاتف نيابة عني، فكنت أقرأ، كما تعرفين".

"هل أنهيت قراءة *حياة باي*؟".

قال موكيش، وقد بدا مسرورًا لأنها لم تتطفّل على حياته أكثر: "نعم، لقد أنهيتها توًّا".

شعر بالذنب لأنه كذب عليها، ولأنه يكذب بشأن علاقته بنيلاكشي. تخيَّلَ أليشا تجلس إلى مكتبها، وتراقب روّاد المكتبة، وتساءل: من ارتادها اليوم، هل كان الرجل المسن الآخر؟ أم الشخص الذي أحبّ أن يعتمد على نفسه في تناول فنجان قهوة من الآلة والجلوس إلى جانب النافذة، وهو يقرأ الصحيفة؟ أو ربما كريس، وهو يطالع كتاب جريمة آخر، أو ربما كان أحد رواد نادي القراءة. في الواقع، لم يرَ رواد نادي القراءة، حتى الآن، ولكنه تخيّل كيف يمكن أن يكونوا، فهم يضعون نظارات سميكة، ويحملون حقائب ضخمة ومليئة بالكتب، ويرتدون ملابس أنيقة.

"حسنًا، ما رأيك؟".

أجابها، وهو لا يزال يُفكّر في المكتبة: "امممم".

"ما رأيك في الرواية؟".

"نعم، يا لي من مغفل! إنها رائعة! إنه أمر لا يصدّق، لا أستطيع تخيّل أن شيئًا مثل هذا يمكن أن يحصل، كيف فقد باي كل شيء على متن سفينة غارقة، ولكنه نجا على متن قارب النجاة، بالإضافة إلى النمر والقرد والضبع لمدة مئتي يوم!".

قالت له أليشا: "حسنًا، إنها مجرد رواية".

"لكنني أعني أسلوبها، فقد بدت كل الأحداث غير منطقية، وفي النهاية، ورد تفصيل بسيط جعلني أتساءل عما إذا كانت كل الأحداث من خيال باي، أهذا حقيقي؟".

"لا أعرف ما الذي سعى المؤلف إليه، ولكن... أنا أصدّق باي، وأنت؟".

"نعم، ولكنه أمر مُحزن للغاية، ولا أتخيّل كيف يمكنه أن يفعل ذلك مع أنه وحيد جدًا، ومع ذلك كان شجاعًا!".

قالت أليشا: "أعتقد أن هذا يعني شيئًا آخر، كما تعلم، مثل تلك القصص التوراتية، فكلها لها معانٍ مختلفة، عندما كان أساتذتي يتحدّثون عن الكتاب المقدس عندما كنا أطفالًا، لم أفهمه أبدًا، وكان عليّ أن أسأل والدي عما قصدوه، ولكنه هو الآخر لم تكن لديه أدنى فكرة"، كانت تتحدّث عن والدها مجددًا، هل تتخيّل ذلك أم إنّها أكثر انفتاحًا هذه الأيام؟ وتابعت قائلة: "لكنني لم أعرف ما قصد الكاتب منها، وتساءلت إذا كان النمر يرمز إلى الصمود مثلًا أو أي شيء من هذا القبيل".

"ربما، لم أفكّر في ذلك بعمق، فأنا لا أتمتّع بمستوى ذكائك، أو بذكاء زوجتي نينا"، وقد تخيّل السيدة دانفرز، وهي تؤنّبه مرة أخرى، وقال لها: "هل أخبرتك بأن نينا كانت سبب مجيئي إلى المكتبة في المقام الأول؟ وقد ساعدتني الكتب التي أعطيتني إياها على الشعور بأنني ربما أجعلها فخورة بي. كان بين نينا وحفيدتي الصغيرة بريا رابط قوي بسبب حبهما للكتب، ولكنني لم أبلغ مستوى مهارتك وذكائك لمعرفة المعاني المتوارية خلف كلمات المؤلف".

ضحكت أليشا ضحكة خفيفة، وقالت: "أنا لستُ متأكدة من صحة ما تقوله، فكلامك جميل حقًا، ومع ذلك، ثق أنّ زوجتك ستفخر بك، خاصة وأنك لم تقرأ

سوى كتاب واحد من قبل، وأنا لا أصدّق أنك لم تكن قارئًا متمرسًا، فأنت تتصفّح الكتب مثل الآلة".

أراحته هذه الفكرة، وامتلأ صدره فخرًا، ورفع رأسه عاليًا، في الوقت الذي اختفت فيه السيدة دانفرز من المشهد، ثم رنّ جرس الباب.

قال موكيش: "أوه لا، من عساه يكون؟".

"لم تخبرني، كيف كان يومك برفقة بريا؟".

فجأة نسي موكيش جرس الباب ونيلاكشي والمسلسل الدرامي المعروض عبر قناة زي تي في.

قال لها بسرور: "أليشا، كان يومًا ساحرًا، فقد اصطحبتها إلى المكتبة في وسط لندن عملًا بنصيحتك، فكان هناك الكثير من الناس، وكلهم يتصفّحون الكتب أو يحتسون الشراب في المقهى... وكان المكان يغصّ بالناس، أنا آسف، لا أقصد أن أكون وقحًا بشأن مكتبة طريق هارو، ولكنها في الحقيقة أكثر ازدحامًا، وأتمنّى لو أحبّ الناس مكتبة هارو مثلما نحبّها، آنسة أليشا".

رنّ جرس الباب مجددًا، فصاحت نيلاكشي: "موكيشباي! سأفتح الباب".

صرخ موكيش قائلًا: "لا"، بينما كانت أليشا تقول: "هذا رائع جدًا، سيد باتيل".

وضع الهاتف على سريره، وهرول بالسرعة التي سمح له بها نَعْلاه إلى الباب الأمامي، ولكنه عندما دخل الرواق الضيق، رأى ديبالي تسير على حصيرة الترحيب، بينما نيلاكشي تطلب إليها الدخول مبتسمة.

قالت ديبالي: "مرحبًا أبي، أردتُ إلقاء التحية، ولكن... كان يجب أن أتّصل، فلم أدرك أن لديك زائرًا، ومن الأفضل أن أُغادر".

"وداعًا يا نيلاكشيماسي".

قالت، وهي توجّه كلامها إلى نيلاكشي مرة أخرى: "سررت برؤيتك".

قبل أن يتمكّن موكيش من الوصول إلى عتبة الباب، كانت ديبالي قد استقلت سيارتها بالفعل، وهي تشغل المحرك، وعلى استعداد للانطلاق بعيدًا عن منزل

والدها، وقد تلاشت الحماسة التي شعر بها في أثناء محادثته مع أليشا تمامًا، عندما شاهد ابنته تبتعد، ربّتت نيلاكشي على كتفه، وقالت له: "موكيش، نحن مجرد صديقين، وكلانا يعرف ذلك، وبناتك بالطبع سيفهمن ما يربطنا معًا".

لكن موكيش عرف أنهن لن يفهمن ذلك، فقد خيَّبَ أملهن، وقد رأى خيبة الأمل على وجه ديبالي، فقد يكون التحدث إلى أليشا جعل السيدة دانفرز تختفي، ولكن ديبالي أعادتها مرة أخرى، فلم تكن نينا في أي مكان يمكن رؤيتها فيه أو الشعور بها أو سماعها.

إيزي
2019

قالت إيزي، وهي تحدّق من فوق مكتب استقبال المكتبة: "مرحبًا، هل أنت بخير؟".

كان الرجل الذي يقف خلف المكتب يغطّيه الغبار، وكدسات من الكتب تحيط به.

قال لها: "نعم، أنا بخير، إلا أنني أمسح الغبار عن بعض الرفوف، إذ يقول مديري إننا بحاجة إلى جعل هذا المكان نظيفًا إن أرادوا إغلاق المكتبة، ولا أعرف في الواقع الغامضين الذين يريدوننا أن نغلق المكتبة، ولكن ها أنت ذا...".

حدّقت إليه إيزي، فتذكّرت لافتة "أنقذوا مكتباتنا" التي كانت معلّقة على الباب منذ عامين، وهي الفترة التي بدأت فيها تتردّد إلى هذه المكتبة، منذ أن عثرت على قائمة كتب القراءة، وفي كل مرة كان يصعب قراءة الكلمات التي تصبح باهتة بسبب أشعة الشمس. لقد قام شخص ما - وربما جنية ما - باستبدال عبارة "أنقذوا مكتباتنا" بعبارة جديدة، ولحسن حظها وحظ سيج، لا تزال المكتبة فاتحة أبوابها، على الرغم من أنها ربما لم تكن مستمرة بقوة، والآن بعد أن عثرت عليها، لا تستطيع احتمال إغلاقها بعد الآن.

نفض الرجل الغبار عن سرواله القطني وقميصه، وقال لها: "آسف... مرحبًا، أنا كايل، كيف يمكنني مساعدتك؟".

على مدى السنتين الماضيتين رأت كايل عدة مرات، وخلال المرتين بدا لها في غاية الهدوء وشديد الإرهاق، صمتت إيزي لحظةً، وهي تتساءل، هل كان هذا القرار الصائب الذي يجب اتخاذه؟ أمسكت بالقائمة التي احتفظت بها في صندوق قوائمها، بعد أن أمضت السنتين الماضيتين مختبئة عن العالم في تلك المكتبة، وقد تنضمّ إلى نادي القراءة بين الحين والآخر، وتتحدّث إلى كل شخص تلتقي به بحثًا عن صاحب القائمة، ولكن الحظ لم يحالفها بعد في العثور عليه. كانت تقرأ كل رواية مرارًا وتكرارًا، وتدوّن ملاحظات حولها، وتضع علامات تبويب على الصفحات التي تصوّر المشاهد الحاسمة، وعلى الأسطر المهمة في حال كانت هذه الروايات نفسها توجّه رسائل أقرب إلى الأحجية، ولكنها جرّبت كل الوسائل، ومع ذلك لم تستطع بعد مرور عامين أن تخفي انبهارها بهذه الروايات.

قال لها سيج ذات ليلة، عندما كانت تتصفّح صفحات *نساء صغيرات* للمرة الألف: "عليكِ أن تنسي أمرها، فستقودين نفسك إلى الجنون". كانت تلك النسخة الثالثة التي استعارتها من المكتبة، وتساءلت عما إذا كان هناك دليل ما، أو رسالة ما تضمّنتها نسخة معينة من أي رواية من الروايات الواردة في القائمة، لذلك كانت تقرأ كل النسخ، ولكن مرة أخرى، لم تطلعها هذه النسخة من رواية نساء صغيرات على أي جديد.

أجابتهُ إيزي قائلة: "لقد دفعت بنفسي بالفعل إلى الجنون، وأريد أن أكتشف السر فقط".

لذا، ها هي تكشف خصوصياتها لكايل الذي كان بالنسبة إليها ملاذها الأخير.

قالت إيزي: "يبدو هذا غريبًا بعض الشيء، ولكن لديّ قائمة كتب القراءة هذه"، كانت عينا الشاب واسعتين، وقد اعتلت وجهه ابتسامة، وهو يقول: "لا أعرف من كتبها، ولكنني... أحتاج فقط إلى معرفته".

قال كايل، وهو غير متأكد من معرفة صاحبها: "حسنًا".

قالت له: "حسنًا، أعلم أنه أيًا كان من كتب القائمة، فقد أتى إلى هـذه المكتبـة، وكنت أتساءل إذا كنت قادرًا على إخباري بمن استعار هذه الروايات إما على مدى عدة سنوات أو دفعة واحدة".

وقف كايل منتصبًا، وقد تلاشت ابتسامته، وقال: "لا، لا، آسف، لا يمكنني إعطاؤك هذه المعلومات، حتى ولو تمكّنت من العثور عليها"، عمّ الصمت المكان دقيقةً، ثم تابع كلامه بعد أن مدّ يده، وقال: "هل يمكنني إلقاء نظرة عليها؟".

وَضَعَتِ القائمة برفق في راحة يده، فحملها وكأنها تحفة أثرية.

قالت له بتردد: "كما ترى، إنني أجمع القوائم، مع أنني أعلم أنها عادة غريبة بعض الشيء، ولكنني أحبّها، فقد اعتاد والدي أن يناديني بالجامعة الصغيرة".

قال لها: "هذا رائع"، ولكنها كانت تعلم أنه لم يقصد ما قاله: "أعني من الواضح أننا نرى قوائم من هذا القبيل طوال الوقت، لذلك يبدو الأمر أقل أهمية بالنسبة إلينا".

"نعم، أعتقد أن كلامك منطقي، وأظنُّ أن القائمة قد تعطيك لمحة موجزة عن شخصية شخص ما، مثل: نوع الكتب التي يقرأها، أو نوع الفن الذي يميل إليه...، أعلم أن ذلك سخيف".

قال لها: "لا، أعتقد أن ذلك مثير".

تمتم مرددًا العناوين، فجالت إيزي بعينيها في الأرجاء آملة في الحصول على دليل آخر، فرأت إنديرا التي سبق لها أن قابلتها عدة مرات في نادي القراءة، وأحبّتها حقًا، ولكنها كانت تحبّ الدردشة، لذلك كلما التقت بها كان عليها أن تحاول التقرّب منها، والتأكّد من أنها في مزاج رائق ومناسب للحديث أيضًا، وأن المكتبة فارغة تقريبًا.

"هذا غريب، أنا متأكد من أن الأسماء عشوائية تمامًا، ولكن لديّ صديقة تقرأ هذه الروايات بالترتيب نفسه تقريبًا".

اتّسعت عينا إيزي دهشة، وقالت: "أهي تقرأها الآن؟".

"نعم، أعتقد ذلك".

"هل تعتقد أنها من كتبت هذه القائمة؟".

أجابها قائلًا: "لا، إنها تكره الكتب، ولكنني أتساءل عما إذا كانت قد رأت قائمتك، هل سبق لك أن تركتها في المكتبة؟".

هزَّت إيزي رأسها، وقالت: "أبدًا".

"حسنًا، أنا آسف حقًا، ولا أعرف كيف يمكنني تقديم المساعدة إليك، ولكن صديقتي، هي أمينة مكتبة أيضًا وتعمل هنا، ربما يمكنك أن تأتي لرؤيتها يوم الأربعاء خلال دوام عملها".

ابتسم الرجل، ولكن إيزي شعرت بأنه كان مستغربًا كلامها قليلًا، وأنه يرى أنها تصبح مهووسة، وهي تعترف بذلك.

"أنا آسف، هل هناك أي شيء آخر يمكنني مساعدتك به اليوم؟".

هزّت إيزي بكتفيها وابتسمت، ثم قالت: "أجل، يمكنك أن تساعدني رجاءً".

ألقت بكتاب *شاب مناسب* على طاولته، وبطاقة عضويتها بشكل غير مستقر على سطح المكتب.

"كم مرة قرأتِ هذا الكتاب؟".

"لم أقرأ هذه النسخة أبدًا، إذا كان ذلك يساعد، فهو كتاب ضخم، ويجب أن أتأكد من أنني لا أفوّت شيئًا".

قال كايل: "إنها الكتب الواردة في هذه القائمة، الأمر أصبح منطقيًا، الآن فهمت لماذا تستعيرين الكتب مرارًا وتكرارًا، لقد اعتقدت فقط أنكِ كنتِ مرتبكة للغاية، وهذا ما منعك من طلب التوصيات".

أعطاها كايل الكتاب، فعانَقَتْهُ، وقد أراحها ما أزاله من عبء قد أثقل كاهلها.

"شكرًا لك".

[#]

عندما خرجت إيزي من المكتبة، نظرت حولها، وتساءلت كما يحصل دائمًا، هل كان كاتب القائمة يختبئ بين رفوف الكتب، أو هل يمكن أن يكون جالسًا خلف إحدى طاولات المكتبة؟ وماذا أراد من القائمة؟

بعد كل ما قرأته من روايات، وما بذلته من جهود في تقصّيها، لم تكن واثقة بأنّها كانت تقترب من العثور على الشخص الذي كتبها، إلا أنها كانت تستمتع بالرحلة التي تقوم بها.

إنها تقدّر القراءة من جديد، فقبل العثور على القائمة، مرَّ وقت طويل منذ أن استمتعت بقراءة الكتب، وقد جعلها ذلك تدرك أن الحياة كريمة للغاية، كما أن القائمة منحتها الكثير، فقد استمتعت بالتحدث إلى الناس في المكتبة، ومنحتها هذه المدينة الجديدة مكانًا للاستقرار فيه، بعد أن كانت تائهة وغير مستقرة في حياتها أبدًا.

الفصل 21

أليشا

قالت أليشا وهي تتحدث في سكون الليل: "حسنًا، السيد دارسي يحبّ إليزابيث بينيت، ويبدو واضحًا أنها تحبّه، ولكنها تعامله معظم الوقت بفظاظة، والعكس صحيح". كانت أليشا تقرأ لليلى مرة أخرى، فهي تفعل كل ما في وسعها لإعادة الهدوء الذي كان سائدًا في المنزل من قبل.

بدت ليلى مشتتة الذهن، وجالت بعينيها في أرجاء غرفة الجلوس، ثم أومأت إلى أليشا برأسها عندما شرحت لها بعض التفاصيل، ولكنها ما لبثت أن فقدت تركيزها بسرعة.

قالت ليلى، وهي تشعر بالنعاس: "آسفة، ولكن هل هي قصة حب؟".

لقد تشتّتت أليشا وهي تحاول شرح طبيعة علاقة الشخصيات المختلفة ببعضها، فأوضحت لها من كان على علاقة مع الآخر، ومن كان معجبًا بغيره، ومن أراد أن يتزوّج بمن يحبّه... ثم عادت إلى لحظة التقاء دارسي بإليزابيث آملة في أن يثير ذلك الحدث اهتمام ليلى، كما أملت سرًا في أن يدفعها ذلك إلى سؤالها عن حياتها العاطفية. ولكن لماذا تسألها عن حياتها؟ فحتى ليلى تعرف أنه لم يكن لديها علاقة عاطفية.

بينما كانت منغمسة في القراءة عن إليزابيث التي تستخدم ردودها الذكية لدحض حجج السيد دارسي، ودارسي يردّ عليها بالمثل، كانت تُفكّر في زاك، الذي

يبدو على خلاف دارسي، فهو لم يكن متجهم الوجه ومملًا، بل يحبّ الكلام بشكل مفرط، وقد أضحكها، كما حاول أن يجعلها ترتاح إليه وتخفض دِرعها. ولكنها في لندن وفي هذه الأيام، لا في القرن التاسع عشر، ولا أحد يثق بالغرباء.

عندما نظرت إلى أمها، لجزء من الثانية، رأتها ترتدي أحد أفضل فساتين السيدة بينيت، فألقت باللوم على الرواية وعلى خيالها الخصب. بدا الأمر سخيفًا، إذ لم تكن السيدة بينيت تشبه ليلى، فهي متغطرسة وصاخبة وماكرة، وتتدخل في شؤون الآخرين، بينما ليلى متحفظة وتائهة في عالمها الخاص، ولا تهتمّ بعالم الآخرين.

قالت ليلى وهي تفتح عينيها: "حسنًا، هذان إليزابيث والسيد دارسي، ولكنّكِ ذكرتِ أيضًا ليديا، فمن تكون؟".

"إنها أخت إليزابيث الصغرى".

"حسنًا، ومن ويكهام؟".

"أعتقد أنه الرجل الشرير في الرواية".

قالت لها ليلى: "لا يمكنني التركيز على هذه الأحداث". شعرت أليشا بانكماشها، بينما ظلّت الرواية مفتوحة في حضنها، وبدت الكلمات صغيرة ويصعب قراءتها. نهضت ليلى عن الأريكة وغادرت الغرفة، بينما حاولت أليشا التركيز على القراءة.

أتى إيدان ممسكًا بورقة لاصقة تركتها له، وقد كتبت عليها "نزهة"، ورسمت وجهًا مبتسمًا. قال لها إيدان بصرامة: "لا أعتقد أنه الوقت المناسب لخروج أمي من المنزل، يا أليشا".

لكن أليشا كانت عاقدة العزم، خاصة بعدما اختبرت للتو أن رواية *كبرياء وتحامل* لم تقدر على إخراج والدتها من حالتها. ففي مثل هذا الوقت من العام الماضي، قام إيدان وأليشا وأمهما بنزهة في الحديقة، عندما كانت تمرّ بوقت عصيب، وقد جعلتها تلك النزهة تستمتع بوقتها وتضحك كثيرًا، ما ساعدها على التحسّن.

"إنه يوم جميل، وأنت تعلم أنها أحبّت النزهة في المرة الأخيرة، سنقوم بالنزهة، ونكون في الوقت نفسه بالقرب من المنزل".

قال بحسرة: "أعتقد أنّكِ تهيّئين نفسكِ للفشل".

"لكنك كنت صاحب الفكرة في العام الماضي، وقد نجحت نجاحًا كبيرًا".

قال لها: "حسنًا، ولكنني لا أظنّ أن الفكرة ستنجح هذه المرة"، ثم تمتمَ قائلًا: "لقد سئمتُ من الفشل".

خيَّمَ صمت مطبق على المكان، ولمحت أليشا العبوس على وجه شقيقها، والظلال تحت عينيه، فقالت له: "انظر، سأتولّى الأمر برمته، وسأقوم بكل التحضيرات، ولا أريد منك سوى مرافقتنا".

هزّ إيدان كتفيه، وبدا غير مقتنع قبل أن يقول: "يجب أن أحضر دواء من الصيدلية، تعالي معي، ولن يصيب أمي أي أذى لبعض الوقت، كما يمكننا جلب المستلزمات في طريق العودة".

ابتسمت وقالت له: "شكرًا، إيدان".

[#]

جلست أليشا على المقعد في الحديقة مستمتعة بأشعة الشمس في انتظار عودة إيدان من الصيدلية، فأخرجت رواية *كبرياء وتحامل* من حقيبتها على الرغم من أنه كان يُستحسن أن تقرأها لأمها التي لم تكترث لها كثيرًا في منزلها لما لهذه المسألة من خصوصية، ولكنها شعرت الآن بالوعي الذاتي والانكشاف والقلق من أن يلمحها شخص تعرفه.

جَلَسَ شخص غريب على المقعد بجوارها، وبسرعة استبدلت رواية *كبرياء وتحامل* بالرواية التالية في القائمة، *نساء صغيرات*، والتي كانت تحملها معها استعدادًا للحظة التي تنهي فيها قراءة جين أوستن، وبدأت تقلّب الصفحات بشكل عشوائي.

استرقت النظر إلى الغريب الذي جلس إلى جانبها محاولة أن تكون غير مرئية.

اعتقدت لمدة دقيقة أن عقلها الذي يعاني من آثار كتاب *كبرياء وتحامل* يخدعها، فرمشت عيناها مرة فمرتين، ولكنه كان يجلس إلى جانبها بالفعل. إنه زاك، وهو يحدّق إليها.

قال لها: "مرحبًا أيتها الصغيرة".

التفتت إليه غاضبة، وقد احمرّت وجنتاها، "أيتها الصغيرة"، يا له من وصف مناسب! وحاولت التفكير في رد ذكي على غرار إليزابيث بينيت، ولكن لم يخطر في بالها شيء على الإطلاق.

قالت له: "مرحبًا"، وكان ذلك الرد أفضل ما خطر على بالها.

قال لها: "*نساء صغيرات*، لقد قرأتها منذ سنوات مع أختي الصغيرة، إنها روايتها المفضلة، وقد جعلتها تتمنّى أن يكون لديها أخوات بدلًا من الإخوة، وعلى الرغم من ذلك من يرغب في الحصول على أخت تشبه إيمي؟".

لم يكن لديها فكرة حول شخصية إيمي، فهي لم تقرأ أي صفحة من الرواية، ولكن لمجرد أن تعاكس رأيه، قالت له: "أنا أحبّ إيمي، وقد أُسيء فهمها". ظلّتْ أليشا تتنقل بين الصفحات، وهي تحاول التصرف بتحفّظ. "كم عدد الروايات التي قرأتها؟".

"ربما الآلاف، ولكن يبدو أنك تقرئين الروايات السهلة في الوقت الحالي". في البداية شعرت بأنه يجيبها بحدة ومن دون اكتراث لما تقوله، على غرار دارسي، ولكنها عندما نظرت إليه، ورأت الابتسامة تنير وجهه، أدركت أنه يضايقها فحسب. "هل لديك وقت لاحتساء القهوة؟".

ابتسمت أليشا وهي تنظر إلى روايتها، وتجنّبت الكشف عن قائمة القراءة التي اعتبرتها مقدسة، وخاصة بها وبالسيد باتيل، رغم أنه كان يجهل ذلك.

وضعت روايتها جانبًا وقالت له بحدة، وهي تنظر إليه مباشرة: "لا، آسفة، لا أستطيع، فأنا أنتظر شقيقي".

"حسنًا، ألا يمكن أن نحدّد موعدًا؟".

قالت له أليشا مستنكرة: "كيف يمكن أن تطلب طلبًا كهذا؟ في الواقع، ربما من ينتمي إلى هذا المكان أو يقرأ رواية *كبرياء وتحامل* فقط، يمكنه أن يختار هذا المكان لاستلهام الكلمات منه".

"إنه كلام يثير الضحك حقًا، ولكن هناك أماكن أسوأ لاستلهام الكلمات منها".

قالت له: "اسمع، سأمنحك خمس دقائق فقط، إذا كنت تريد التحدث إليّ، يمكنك أن تكون ضيفي الآن".

"حسنًا". لاحظت فجأة أن وجهه بدأ يتحوّل إلى اللون الوردي. ضحك وارتعش صوته، وهو يقول: "لا أعرف من أين أبدأ". تحوَّلَ اللون الوردي إلى بقع حمراء قانية بدأت تنتشر على رقبته، وتزحف إلى ذقنه، ثم تتسلّل إلى وجهه، فهو لم تكن لديه هذه اللامبالاة والتصرفات الجدية التي تشبه تصرفات السيد دارسي بعد أن اختبرته. في تلك اللحظة شعرت بالسوء لتصرفها بفظاظة معه، لذلك بعد أن تركته يعاني من لحظات الصمت، قدَّمَتْ إليه القليل من المساعدة، فسألته: "هل أنت طالب في الجامعة؟".

"نعم، في جامعة برمنغهام".

"رائع، وما تخصّصك؟".

"الحقوق".

التفتت إليه، وقالت: "هذا ما أنوي دراسته".

أشرقت عيناه، وقال لها: "أحقًا؟ هل تظنّين أنك مستعدة لدراسة الحقوق؟".

تجهّم وجه أليشا، وقالت له: "نعم، فأنا جادّة في اختياري".

"حسنًا، لمَ تضيّعين وقتك في قراءة كل هذه الروايات؟ عليكِ بقراءة بعض الكتب الحقيقية".

ثم أشار إلى حقيبة الظهر عند قدميه.

قال لها: "التقطيها، وحاولي أن ترفعيها عن الأرض".

هزت برأسها رافضة.

شجّعها قائلًا لها: "هيا".

هزّت رأسها مرة أخرى، ثـم مـا لبثـت أن انـدفعت نحوهـا، ومـا إن حاولـت أن ترفعها حتى قالت له: "اللعنة، هل تضع جثة في داخلها؟".

استندت مرة أخرى إلى المقعد، بعد أن أفلتت الحقيبة وتركتها على الأرض، ثم رأت إيدان يتّجه نحوهما، فنظر زاك إلى حيث تنظر، وسألها: "أهذا شقيقك؟".

"نعم".

"إنكما تشبهان بعضكما كثيرًا".

نهض زاك عن مقعده، ولكن قبل أن يتمكّن من حمل حقيبته، كان إيـدان يقـف إلى جواره تمامًا.

قال لها إيدان: "مرحبًا أليشا، هل يزعجك هذا الشاب؟".

قالت بفتور: "لا، إنه مجرد صديق. زاك، إنه شقيقي إيدان".

مدّ زاك يده لمصافحة إيدان، وقال له: "مرحبًا، يا رجل".

لكن إيدان لم يردّ بالمثل، بل قال له: "هل أنت زميـل أليشـا في المدرسـة؟ فلـم يسبق أن أخبرتني عنك".

أجابه زاك قائلًا: "لقد تعرّفت إلى أليشا منذ فترة وجيزة في الأرجاء".

فجأة بدا محرجًا ويشبه أرنبًا يقف مذعورًا أمام مصابيح السيارة الأمامية.

ابتسم إيدان، وقال له: "إنني أمزح، يا رجل". عندها أطلق زاك أنفاسه التي كان يحبسها، وقال له: "حسنًا، سأذهب الآن".

التفت إلى أليشا، وقال لها: "أسعدتني رؤيتك، وقد نلتقي صدفة مـرة أخـرى، ونحدّد موعدًا لاحقًا، هـذه بطـاقتي". أعطاهـا بطاقـة، وقـال لهـا: "يمكنني التحدث إليك عـن كـوني ناسـكًا وحيدًا، أو عـن دراسـتي في كليـة الحقـوق، إذا كنـت تريـدين معرفة ما يمكن أن تجنيه من لقائي"، ثم غمزها.

أخذت منه البطاقة، واستغربت أن يكون من في سنه لديهم بطاقات عمل؟

قرأت البطاقة: زاك لو- طالب حقوق/ مصمم غرافيكس مستقل، وكان رقم هاتفه مكتوبًا بلون داكن ووسط البطاقة بدت الألوان مشرقة، وقد لفت تصميم الغرافيكس نظرها، فهو يشبه أسلوب والدتها.

جلس إيدان صامتًا إلى جانبها، فسألته قائلة: "لمَ تأخّرت؟".

أجابها قائلًا: "كنت أنتظر الحصول على الوصفة الطبية، وكان الطابور طويلًا في الصيدلية".

"أهي من أجل أمنا؟".

قال لها: "لا، لا، إنها من أجلي، فأنا أعاني من الصداع، وإن كنت مصممة على القيام بالنزهة، فعلينا شراء ما نحتاج إليه من الطعام".

عندما عبرا باب تيسكو، ندما على الفور، فالمكان كان يغصّ بالناس، وقد اختارا الشطائر التي يريدانها بسرعة، فاختارت أليشا الباتيه الذي أحبّته، بينما اختار إيدان شطيرة اللحم البقري، لأنها تذكّره بالشطائر التي اعتاد دين إعدادها، على الرغم من أنه يتنكّر لعلاقته به ولا يعترف أبدًا بها. كما اشتريا كوكتيل الجمبري من أجل ليلى، وهما يأملان في أنها لا تزال تحبّ طعمه.

تجوّلا في قسم الحلويات والمثلجات في طريق العودة، وكانت أليشا تنظر حولها متسائلة عما إذا كان هناك أحد تعرفه، فهي كانت ترتاد هذا المكان بشكل منتظم، لأنه المكان المغلق الوحيد الذي يمكن لمن هم دون الثامنة عشرة أن يتسكّعوا فيه لساعات، ويحشوا أفواههم بالسكر، ولكن الكراسي والطاولات السوداء والبنفسجية كانت مليئة بجيل جديد من المراهقين الذين ينتعلون أحذية أديداس. أما أصدقاء أليشا فقد نضجوا وكبروا على ارتياد هذا المكان، وانتقلوا إلى المرحلة التالية من حياتهم الاجتماعية، وهي الحصول على بطاقات هوية مزورة، وإنشاء علاقات صداقة مع حراس الحانات التي لا تستقبل إلا البالغين للسماح لهم بالدخول إليها. إلا أنها لم تشتق إلى تلك الأوقات، أم أنها قد اشتاقت إليها حقًا؟

[#]

بعد ساعة استلما الشطائر التي قُطّع بعضها على شكل مثلثات، وبعضها الآخر على شكل أصابع. وضعا الطعام على أطباق، فكان طبق ليلى أبيض وحافته ذهبية، وقد بدأ يبرد بعض الشيء، فلمست أليشا الشطيرة بإصبعها، وأحست بجفاف الخبز.

جلس إيدان في الخارج، بينما جلست ليلى على الكرسي في المطبخ، ونظرت عبر الباب الخلفي إلى الحديقة، وهي تبتسم، على الرغم من شحوب وجهها، وذبول عينيها، وجفاف جبينها، وشعورها بالتعب الشديد.

أحضر إيدان بطانية نزهة قديمة، وقال لها بصوت مرتجف: "أمي، تعالي إلى الحديقة"، وحاول أن يبدو متفائلًا، ولكنه بدا متوترًا وخائفًا جدًا، فلم يسبق لأليشا أن لاحظت خوفه بهذا الوضوح، فألقت نظرة على ليلى، لترى ردة فعلها، ولكنها بقيت على حالها ساكنة بلا حراك.

ثم بدأت تهزّ رأسها في البداية ببطء مرة، مرتين، ثلاث مرات.

شيئًا فشيئًا أخذت تهزّه بعنف وبشكل متواصل مرة، مرتين، ثلاث، أربع، خمس مرات.

تنفّست بعمق قبل أن تصبح أنفاسها فجأة لاهثة.

أغمضت عينيها، ووضعت يديها على وجهها، ثم عانقت نفسها، وهي تغرز أصابعها في ذراعيها، وكأنها تحاول أن تحبس أنفاسها في داخلها.

وضعت أليشا الشطائر جانبًا، بينما تجاهل إيدان تجعدات البطانية، واندفع وشقيقته نحو والدتهما.

لجأت ليلى إلى إيدان، عندها أدركت أنها لا تستطيع الوصول إلى أي منهما الآن، فبدأ إيدان يهمهم قائلًا: "لا بأس يا أمي، أنت بأمان، يمكننا تناول الطعام في الداخل، وليس علينا تناوله في الخارج".

نسيا أليشا.

عادت إلى طاولة المطبخ، وأخذت تنظر إليهما من بعيد، في الوقت الذي أخذت مخاوفها تتراكم، وتُثقل كاهلها، فشَعَرَتْ بالألم يعتصر قلبها. بينما ركع

إيدان أمام والدته وأمسك بإحدى يديها بإحكام، وتوسّل إليها أن تكون بخير، أما ليلى فلم ترد سوى إيدان، وعندها بالكاد استطاعت إليشا التنفس، فنظر إليها شقيقها طالبًا مساعدتها للتأكد من أنها بخير. بدا أنه يتنفّس بصعوبة أيضًا، وفكَّرَتْ للحظة في أنها، على الأقل، لم تكن الوحيدة التي تشعر بالضيق والاختناق.

قال لليلى: "لا بأس، سيكون كل شيء على خير ما يرام"، وأغلق إيدان باب الحديقة عازلًا العالم الخارجي عنهم، وقد أصبحوا مسجونين في الداخل، ثم رافق ليلى إلى غرفتها في الطابق العلوي.

صرخت أليشا قائلة: "هل تحتاج إلى المساعدة...؟".

"كلا، امنحينا فقط دقيقة وحدنا".

على الرغم من أنها حاولت تجاهل الأمر، إلا أنها كانت غاضبة، وبدأ قلبها يضرب بسرعة، فاستندت إلى المنضدة، وحدّقت إلى طبق إيدان اللعين الذي يذكّرها بأنه الأكثر سعادة والأفضل دومًا في هذا المنزل. وقبل أن تتمكّن من استيعاب ما كانت تفعله، أمسكت بصحنه ورمته بقوة، فتحطَّمَ أجزاء صغيرة تناثرت على الأرض، وقد رأته يتحطَّمَ بالحركة البطيئة، ما أشعرها بكل جزء من الثانية بمدى أنانيتها.

"أليشا؟". هرع إيدان إليها ليجدها تلتقط الشظية الأولى، اندفعت حافة حادة في إصبعها، ثم بدأت تتأمّل قطرات الدم التي تسيل منه. "هل أنتِ بخير؟"، أمسَكَ بمنشفة صغيرة، ولفَّهَا بإحكام حول إصبعها، كما لو كانت أخطر إصابة في العالم.

"أنا آسف جدًا، يجب أن أساعدك في جمع القطع المتناثرة".

سألته أليشا مع أنها لم تكن تريد أن تعرف الإجابة: "هل أمي بخير؟".

"ستكون بخير".

لم يعلّق على حقيقة أنَّ الذي كسرته كان طبقه، أما الشظائر فكانت على طاولة المطبخ من دون أن تمسسها يد.

[#]

بعد مرور عدة ساعات استلقت أليشا على الأريكة محاولة تجنّب شقيقها، وعندما دخل إلى غرفة الجلوس، تسمّر في مكانه، وتأملها لفترة، والجعة في يده. ثم قال لها برقة: "أليشا؟".

ردّت عليه من دون أن تنظر إليه قائلة: "ماذا تريد؟".

تنفّس بعمق، وقال بصوت مرتجف للمرة الثانية في ذلك المساء: "لا بد أن نصطحب أمي للتحدّث إلى أحدهم".

خيّم الصمت على الغرفة وساد الهدوء، سبق أن لمّح إيدان إلى الموضوع، ولكنه لم يشر إليه بهذا الوضوح من قبل، وكلاهما ظنّا أن الأمر سيكون مختلفًا في المرة القادمة.

لقد دلّت كلماته الآن على أنه غير واثق من كلامه، فشعرت بأنه يحدّق إليها، ولكنها لم تُجبه، فهي لم ترد التحدث إليه الآن، فوَقَفَ في مكانه لفترة، ثم تنهَّدَ بعمق مجددًا، وجلس وهو يحدّق إلى الإعلانات التي ظهرت مغبشة على شاشة التلفاز، فكان يحتاج إلى أن يذهب إلى أخصائي البصر.

أخيرًا، قال إيدان: "سأعود إلى المستودع لأداء وردية الليل".

قالت له: "حسنًا لا تشرب الجعة". بعد أن شمّت رائحة الجعة التي فاحت من الزجاجة التي يحملها. "اسمعني إيدان، اتصل بمديرك في العمل، وأخبره بأنك مريض ولا تستطيع الحضور، واستلقِ على فراشك، فقد كان يومك شاقًا".

في البدء، لم يتفوّه إيدان بكلمة، ثم قال لها: "لا ضرر من احتساء زجاجة جعة واحدة".

نظرت إليه نظرة فاحصة، فهي يمكنها أن تعرف من خلال نبرة صوته ونظرات عينيه أنه شرب أكثر من زجاجة واحدة.

قال لها، وهو يحاول إظهار مدى اهتمامه بها: "هل كان ذلك الشاب الذي صادفته في الحديقة حبيبك؟".

أجابته قائلة: "إن وقتي مقسّم بين المنزل والمكتبة، ولا يتيح لي أن يكون لي حبيب، ألا توافقني الرأي؟".

قال ايدان: "لا أصادفك في المنزل دائمًا".

"أشعر وكأنني لا أغادره".

"قالت أمي إنك كنتِ تقرئين لها الروايات من المكتبة".

"أعتقد أنها أحبّت ما قرأته لها".

"كوني حذرة، فلا نريد أن تثيرها تلك الأحداث".

"إنها تحبّ تلك الروايات، فهي تساعدها على الاسترخاء".

"لا أظنّ أنها تركّز على ما تقرئينه لها".

"إنها تنصت إليه على الأقل، ولا ضرورة للتركيز عليه".

"حسنًا، اسمعي يمكنكِ دعوة هذا الشاب إلى المنزل، فأريد أن ألتقي به لأتعرّف إليه عن قرب".

قالت أليشا، وهي تنظر إلى شاشة التلفاز: "لم يسبق لي أن التقيت به لفترة طويلة لأتمكّن من التعرّف إليه أولًا".

"لماذا؟ فقد بدا لي ودودًا ولطيفًا".

ضحكت أليشا، وقالت له: "أعتقد أنني ألتقي بالناس فقط للانفتاح عليهم".

على الرغم من أنها كانت تكره الاعتراف بذلك، إلا أن التفكير في زاك جعلها ترغب في الانتقال إلى عالم *كبرياء وتحامل*، لقضاء بعض الوقت في الرقص، ولتشعر بالهدوء لفترة وجيزة، ولتعيش الحياة التي كانت تحياها مراهقات القرن التاسع عشر، المنهمكات في حضور الحفلات والسهرات ومغازلة الشبان وجذبهم إليهن للزواج بهن، ثم عادت إلى حياتها الحقيقية بعيدًا عن عالم الأحلام والخيال، وتساءَلَتْ عما سيكون عليه الحال لو كان لديها بالفعل الوقت الكافي لتقضيه برفقة زاك، وإذا كان يمكن أن يصبح صديقًا لها بالفعل أو أن يكون أكثر من مجرد صديق.

كانت تتنقّل بين محطات التلفاز بلا هدف محدد، فأوقفت عمله، ثم قالت

لإيدان: "تصبح على خير، إيدان، وأنصحك أن تخلد إلى النوم، وألا تذهب إلى العمل اليوم، فلن يؤثّر غياب يوم واحد على سير العمل، كما لن يلحق الضرر بأحد".

انتصبت واقفة، بينما عدّل إيدان جلوسه، وأسند ظهره إلى الأريكة، وارتشف رشفة أخرى من الجعة، ونقر على هاتفه. انعكس وهج الشاشة على وجهه، فبدا وكأنه شبح، وتمنّت لو أنها تعرف ما الذي يفكّر فيه.

ما إن دخلت غرفتها حتى أخرجت هاتفها، وبدأت تكتب رسالة إلى ابنة خالها راشيل، الشخص الوحيد الذي يفهمها، ولكن راشيل انشغلت عنها في الفترة الأخيرة، وهي غالبًا منشغلة بالدرس والعمل. وما إن كَتَبَتْ رسالتها حتى ندمت على ذلك، فلم ترغب في أن تثير قلق قريبتها، وقرّرت أن تتّصل بها في وقت آخر.

بدلًا من ذلك سحبت بطاقة زاك، بعد أن شعرت بأنه يبدو وحيدًا مثلها في بعض الأحيان، كما أنها أرادت التحدث إلى شخص ما قد لا يحكم عليها لشعورها بالضياع والوحدة، فكتبت رقمه وأتبعته برسالة قصيرة: *مرحبًا، أنا أليشا فتاة المكتبة، كيف حالك؟*

الفصل 22

موكيش

رنّ الهاتف ثلاث مرات متتالية، فشعر بالارتباك كما أصيب بالهلع، فلا تزال الساعة الثامنة صباحًا، صحيح أن بناته يتّصلن عادةً في هذا الوقت، ولكن لمرة واحدة فقط، وإن لم يرفع السماعة فينتظرن وصول المكالمة إلى البريد الصوتي، ولم يسبق لهن أن اتّصلن مرارًا وتكرارًا. نهض من السرير ليجيب على المكالمة، فربما يكون قد حصل أمر طارئ.

رفع السماعة وقال، وصوته يرتعش من القلق: "مرحبًا!".

قالت فريتي، بصوت عالٍ: "مرحبًا! بابا؟"، بدت نشيطة ومرحة.

"صباح الخير، عزيزتي".

"هل ستأتي اليوم لتناول طعام الغداء؟".

"أوه، نعم"، نسي موكيش الدعوة تمامًا.

"إنني أتشوّق إلى ذلك، هل سنتناول الطعام في أحد مقاهيك؟".

"لا، أرى أنه سيكون من الأسهل عليك أن تأتي إلى منزلي، ستأتي ديبالي والتوأم أيضًا ماذا عن روهيني وبريا؟".

"بابا، أنت تعلم أن مساحة شقتي ليست كبيرة بما يكفي، وروهيني منشغلة في العمل". شعر موكيش بالارتياح لأن روهيني لن تكون حاضرة، ويمكنه التعامل مع أسئلة فريتي وديبالي حول علاقته بنيلاكشي، أما روهيني فسيصعب عليه التعامل

معها. "يمكنني القدوم لاصطحابك إذا كان ذلك يناسبك؟".

هزّ موكيش رأسه، وفكّر في أنه قد تمكّن من التغلّب على الشياطين التي كانت تثير مخاوفه عندما قام برحلته مع بريا إلى وسط لندن، ويمكنه التغلّب عليها من جديد.

"بابا؟".

"لا، لا، سأستقلّ القطار".

"سيكون طريقك طويلًا، هل أنت متأكد؟".

"متأكد تمامًا! أعرف محطة القطار، ولا أزال أحفظ مواعيد انطلاق القطارات وأرقام الخطوط عن ظهر قلب، وسأكون على ما يرام".

"حسنًا، أنا على يقين من أنك ستكون بحالة جيدة، أراك لاحقًا، بابا، إلى اللقاء".

[#]

رغب موكيش اليوم في الابتعاد عن المنزل ورؤية بناته، على الرغم من أنه يتوقّع حصول نقاش حاد بشأن علاقته بنيلاكشي. قد تتاح له الفرصة في القطار أن يكمل قراءة رواية *كبرياء وتحامل*، ولكن الخط كان أصغر بكثير من الروايات الأخرى، وخشية أن يشعر بالدوار فتراجع عن الفكرة. وما أثار ضحكه حتى الآن اكتشافه أن السيد والسيدة بينيت كان لديهما خمس بنات، وهن مجموعة نساء من ذوات العقول الفذة والنيرة، وقد ذكّرنه كثيرًا ببناته الثلاث.

كانت ديبالي تشبه إلى حدٍّ كبير ليديا بينيت، فعلى الرغم من أنَّ تشبيهه يبدو قاسيًا إلى حدّ ما، ولكنه صحيح! فليديا والأخت الصغرى باتيل يشتركان في النميمة والأنانية، وخير دليل على كلامه الصدمة التي ارتسمت على وجهها، عندما فتحت نيلاكشي لها الباب، نعم الصدمة، وقد رافقها أيضًا ملامح البهجة، أليس صحيحًا؟ لقد تصوّر الطريقة التي كشفتَ بها ديبالي تلك الفضيحة أمام روهيني وفريتي فور عودتها إلى المنزل، وبعد ذلك فكّر في روهيني، أما كانت تشبه الأخت بينيت الرئيسية إليزابيث؟ الملكة إليزابيث امرأة ذكية، ولكنها تتسرّع دائمًا في الحكم على

الأشخاص، وهي تشبه تمامًا روهيني بهاتين الصفتين، أما فريتي، فهل كانت تشبه جين التي لطالما أثارت الشك في نفوس الناس، أم كانت ماري؟ إنه لا يعرف الكثير عن ماري فقد بدت بسيطة، ولا يجد فريتي بسيطة على الإطلاق، وتبقى أخيرًا كيتي، وهي وقحة جدًا وسطحية التفكير، وتتعرّض دومًا للمتاعب كما أنها تلحق الأذى بالآخرين، ثم شعر موكيش بالسعادة لأن أيًا من بناته لم تكن تشبه كيتي، وإلا لكانت أرهقته تربيتها وأرهقت نينا.

فكَّرَ مجددًا في ديبالي، ولكن إلى أين سيصل به التفكير؟ تنفّس بعمق، وصفق جبهته عندما تذكّر أن عليه الاستعداد، فتأكّد من أن لديه المفاتيح، وبطاقة أويستر الخاصة به، والتي يطلق عليها حريش اسم "كبار السن" أويستر، بينما كان موكيش يطلق عليها اسمها الصحيح. أصبح جاهزًا للمغادرة.

[#]

بصرف النظر عن الحمام الجديد الأنيق، لم تتغيّر شقة فريتي كثيرًا منذ أن زارها آخر مرة، فكانت شقق المبنى جديدة نوعًا ما وكذلك المصعد. قالت له ديبالي: "لقد باتت المصاعد مهمة جدًا، يا بابا!". كانت إضاءة الشقة ساطعة للتعويض عن حقيقة أنها لم تكن كبيرة المساحة، وكان الجو المعطّر والهواء المنعش للتعويض عن غياب الحديقة، على الرغم من أن في الشقة شرفة صغيرة تكسوها النباتات الخضراء التي لا تزهر.

مع أن الشقة صغيرة الحجم إلا أن جدرانها كانت مزدانة باللوحات الجميلة، ولم يكن لدى فريتي الكثير من الأغراض، فلم ترغب في أن تكثر منها أبدًا، على عكس أختيها، ولكن موكيش تساءل حول إمكان أن تبدو هذه الشقة وكأنها منزل، وإمكان اعتبار الشقة منزلًا من دون جلب أكوام من الأغراض من المعبد ووضعها في كل زاوية، وعلب التخزين الوردية المستخدمة في "براساد" المُعاد تدويرها مثل حوامل شموع، والأواني ودبابيس الأمان والملح ووعاء جيرو، ومن دون الصور

العائلية وصور "سوامي بابا" المؤطّرة بشكل عشوائي والمعلقة على كل جدار، ومن دون أثواب نينا في كل مكان.

لطالما أحبّت نينا هذه الشقة التي تمثّل حياة لم يكن في إمكانها أن تحياها، لأنها بدلًا من ذلك ربَّتْ ثلاثة أطفال وثلاثة أحفاد، واعتنت بالمنزل بالإضافة إلى وظيفتها، وأحبّت هذه الشقة لأنها كانت لابنتها، كما كانت تفتخر باعتماد بناتها على أنفسهن دائمًا وقيامهن بأفضل ما لديهن، وإفساح المجال لأنفسهن للتقدّم والارتقاء في هذا العالم، ولطالما قالت لهن: "إن لم تحاولن فمن سيحاول؟".

ما إن خرج من المصعد حتى وجد فريتي تنتظره أمام باب الشقة، فاتحة ذراعيها، كما كانت تفعل دائمًا عندما ترحّب بأفراد العائلة والأصدقاء، فمنذ أن كانت طفلة صغيرة، كانت تحبّ أن تؤدّي دور المضيف.

قال جايا وجايش، توأم ديبالي بانسجام تام من خلف الباب: "جدي". وضع موكيش يديه على أذنيه، وهو يأمل في ألا ينتهي اليوم بألم في رأسه، ثم احتضن الصغيران ساقيه.

لحقت به ديبالي، وهو في طريقه إلى المطبخ: "مرحبًا بابا، قميصك جميل، ولكن ألا تجد أن الكمين قصيرين بالنسبة إلى رجل في عمرك؟".

لم يرَ موكيش أمامه سوى ليديا بينيت مرتدية ثوبها الفاخر، وهي تحدّق إليه من خلال عيني ديبالي.

"مرحبًا ديبالي، لا، فقد استعنت بخبير أزياء، وهو يرى أنه الطول المناسب تمامًا".

ساعدته أليشا في انتقاء بعض القمصان الجديدة وقد طَلَبِهَا عبر حاسوب المكتبة، وهي التي حدّدت له طول الذراع الذي يناسبه أكثر، حتى إنها اختارت الألوان أيضًا، كما اختارت قميصًا أخضر، لم يكن متأكدًا من أنه سيناسبه، ولكنها قالت له إنه لون "عصري" في الوقت الحالي، ولكنه لم يكن يرى أن الأزياء العصرية تناسبه بالضرورة، ولكنه جاراها في اختياراتها، فقد كانت شابة وعلى وشك الحصول على وظيفة في توبشاب، لذلك كانت تعرف بالتأكيد ماذا تختار. اختارت

أيضًا قميصًا داكنًا أزرق اللون "لأنه يصعب العثور عليه بسهولة، كما اختارت قميصًا أبيض أيضًا وصفته بـ "اللباس الصيفي الأساسي".

بدا وهو يرتدي هذه الثياب رجلًا عصريًا، وكأنه ينتمي إلى شباب هذا الزمن، وبعد أن ارتدى هذا القميص الرياضي، أصبح فجأة متجدد الشباب ولا يُقهَر، وفكّر في نيلاكشي، وهي تنتظر خروجه في غرفة الجلوس، بينما كان يجرّب ثيابه الجديدة في غرفة نومه، ثم خَرَجَ ليريها ما أطلق عليه اسم "عرض أزياء"، وهو الاسم الذي أطلقته نينا عندما كان يقيس ثيابه الجديدة. قالت نيلاكشي: "أوه، تبدو أنيقًا جدًا".

قالت فريتي: "تبدو رائعًا، أبي! تعالَ واجلس هنا".

كانت الطاولة جاهزة، وبدت نظيفة وبيضاء، توسّطتها باقة زهور جميلة، وكان موكيش يعلم أن فريتي خرجت من المنزل، وجلبتها في ذلك الصباح، لأنها تبدو أزهارًا نضرة وألوانها زاهية، وهي عادة ورثتها من نينا، فجيرانهم الأوائل في لندن، والذين زاروهم في أول يوم أقاموا فيه في المنزل أحضروا معهم باقة كبيرة من أزهار الأقحوان، ورحبّوا بهم بورقة كتب عليها "الزهور لكم! فالزهور النضرة والفواحة تجعل المنزل أجمل". لطالما توسّلت فريتي إلى أمها لتسمح لها بشراء زهور نضرة عندما توشك الأزهار التي لديهم أن تذبل.

جلست ديبالي على الفور، وهي تتنهّد تنهيدة عميقة، بعد أن أنهكتها ملاحقة التوأم، وقد شَعَرَ بالذنب لأنه شبّهها بليديا بينيت، فلم تكن بناته شقيات عندما كن صغيرات، أليس كذلك؟ وهو لا يكفّ عن الفخر بهن عندما يتذكّر تلك الأيام. لقد كن ملائكة، هذا ما قالته نينا، كن يساعدنها دائمًا في تنظيف المنزل وترتيبه، وكن يجلسن بهدوء، عندما يُفترض بهن أن يأكلن ما يُقدم إليهن.

من ناحية أخرى كان سلوك التوأم جايا وجايش ملائكيًا، ولكنهما يمضيان وقتهما في الجري، والزحف، وفي الأيام الممطرة يحصلان على أقلام الفلوماستر الخاصة بهما، ويرسمان على أي سطح يعثران عليه، ولقد عانى منزل ديبالي المُزيَّن بشكل مثالي بسببهما، ولكنها لم تكن تنزعج طالما أن التوأم سعيدان.

ما إن حصل التوأم على طبقيهما، حتى شمّا رقائق البطاطس وقطع الدجاج، فلم يكن براناف زوج ديبالي، نباتيًا وبالتالي لم يكن التوأم نباتيين، ما جعل نينا تستاء من ديبالي لأنها لم تدفع عائلتها إلى الالتزام بمعتقداتهم النباتية، أما موكيش فلم يجد في الأمر مشكلة، وكان يعتقد أن إعداد قطع الدجاج المقلية أسهل بكثير من إعداد الماش، على الرغم من أنه اكتشف للتو بطاطس الحلوة التي كان إعدادها سهلًا للغاية أيضًا.

سألت فريتي، وهي تجلب بعض أدوات المائدة: "كيف حالك، يا بابا؟".

أجابها: "بخير كالعادة، ماذا عنكما؟".

قالت ديبالي: "آه، بابا، قالت روهيني إنك بدأت ترتاد المكتبة بشكل دائم؟".

"نعم، لقد قرأت الكثير من الروايات"، وأخرَجَ رواية *كبرياء وتحامل* من جيب سترته، فهو لم يقرأها في القطار، ولكنه أراد أن يحضرها معه، تمامًا كما اعتادت نينا أن تفعل، وتابع كلامه قائلًا: "إنها رواية مميزة".

ضحكت ديبالي وقالت له: "*كبرياء وتحامل*؟ لا أصدّق أنك تحبّ هذا النوع من الروايات!".

قال لها: "ربما لم أحبّها كثيرًا، ولكن غلافها جذاب".

ثم رفع الرواية عاليًا، وقال لها: "كانت أمك دائمًا تحبّ اللوحات التي تشبه هذه اللوحة، إنها تبدو مميزة جدًا مثل أي كتاب قديم مميز".

ضحكت فريتي وهي تجلس لتشاركهما في تناول الطعام، وقالت: "ألا تتناول في الأساس مسألة الفسوق في القرن التاسع عشر؟".

شحب وجه موكيش، وقال لها: "أهي تتناول الفسوق حقًا؟ قرأت ربع الرواية حتى الآن، ولم أرَ ما يشير إلى أن محتواها فاسق".

غَمَزَتْه فريتي، وقالت له: "لا تستعجل رزقك".

سألت ديبالي، وهي تمرّر السلطة لفريتي: "كيف حال نيلاكشيماسي؟". كان وقع السؤال على الطاولة مثل قنبلة يدوية، فصمتت فريتي، وتجمّد موكيش، وحتى

التوأم بدوا وكأنهما تجمّدا، لقد أدرك الآن سبب دعوته إلى تناول طعام الغداء، بالطبع. جال موكيش بعينيه في أرجاء الغرفة آملًا في أن يتمكّن شخص غير مرئي من الرد على سؤال ابنته بدلًا منه، بينما كانت فريتي تحدّق بثبات إلى طبقها.

غمغَمَ قائلًا: "إنها بحال جيدة، نعم".

قالت ديبالي: "سرّتني رؤيتها في منزلك، ولم أرغب في سؤالها، ولكن كيف حالتها بعد... فاجعة موت زوجها وابنها؟ كانت أمي ستشعر بالأسى لو عرفت ذلك".

تنفّس موكيش بعمق، ورأى أنها تتصرّف مثل ليديا تمامًا، ولكن كيف كان السيد بينيت سيتعامل مع ابنته إذا تحدّثت إليه بهذه الوقاحة؟ كانت ليديا تسبّب دومًا كل أنواع الجلبة، ومستعدة إلى أن تشوّه اسم العائلة من أجل مجرد نزوة، بعد أن فكّر مليًا توصّل إلى أن السيد بينيت ما كان ليتورّط في موقف كهذا في المقام الأول، أليس كذلك؟ لقد كان دائمًا صارمًا للغاية، وكان يحظى بالاحترام على خلاف موكيش.

"سمعتُ أنها تخطّت موتهما بسرعة كبيرة إلى حد ما!". تبادلت ديبالي وفريتي النظرات، ولكن وجه فريتي تجهم نتيجة تعليقات أختها، فهزّت رأسها قليلًا.

استمرت ديبالي بالتحدث عن نيلاكشي كما لو أنها مجرد شخص عابر، وليست الصديقة المقربة لوالدتهن، كما أنها اعتنت بهن عندما كن صغيرات، ووقفت إلى جانبهن عندما مرضت نينا، وأقلّتهن من وإلى مستشفى نورثويك بارك عندما كن يشعرن بالتعب والإرهاق من القيادة، والآن كان كل ما تهتمّ به ديبالي هو النميمة.

قال موكيش بحدة أكثر مما توقّع: "علينا أن نمضي قدمًا في الحياة، فالحزن يمكن أن يعلق بك لفترة من الوقت، إلا أن عليك أن تكون جريئًا لتجاوزه وبلوغ منطقة راحتك".

تدخلَّتْ فريتي محاولة إنهاء المحادثة: "املأ طبقيكما من فضلكما! وآمل أن ينال الطعام إعجابكما".

نفّذ موكيش ما طلبته فريتي، ولكن ما إن أمسك بصحن السلطة، حتى سحبته ديبالي من يديه، وقالت له: "سأسكب لك، بابا". عندما مدَّ يده إلى زجاجة الماء

ليصبّه في كوبه، سحبته فريتي من يده، وقالت له: "دعني أساعدك بابا".

استسلم لهما، وعندما امتلأ طبقه وكوبه بالكامل، التقط السكين والشوكة، وشعر بالحرج بعض الشيء، وهو يمسكهما بين أصابعه، إذ كان يعلم أنه مُراقَب، ولكنه بدأ يأكل ببطء، وخلال لحظات كادت ابنتاه أن تنسيا وجوده، وشعر كما لو أنه شبح يجلس بينهما على الطاولة. "غلّاية أبي لا تعمل في بعض الأحيان، لذا يجب أن نحضر أحدًا لإصلاحها". "لا أعتقد أن شرب كمية كبيرة من أكواب الماء يعدّ صحيًا، وآمل أن تتاح له الفرصة لتناول شيء آخر أيضًا". "لا بد أن يبدأ بطهي أطعمة جديدة، ولكن ليس لديّ الوقت لأعلّمه طريقة تحضيرها". "ينبغي له أن يزور المعبد مجددًا، فهو لم يعد يذهب إليه ليتناول أطعمة متنوعة. إنهم يقدّمون وجبات غذائية متوازنة". "يبدو أن وضعه جيد معظم الوقت".

قالت ديبالي على الرغم من أن فريتي وضعت حدًا لهذا النقاش: "بالمناسبة إن صديق نيلاكشيماسي براناف هو أيضًا صديق سوامينارايان، وقد سَمِعَ أنَّ هناك الكثير من الأقاويل حول نيلاكشيماسي، وأنها تقضي الوقت برفقة الرجال، وأنت لا تريد أن تكون السبب في تشويه سمعتها، أليس كذلك؟".

صعق موكيش ولم يتمكّن من أن ينبس بكلمة.

قالت لها فريتي: "اصمتي، يا ديبالي".

ابتسمت ديبالي بمكر، وقالت: "أبي، هل تتطلّع نيلاكشيماسي إلى الزواج مرة أخرى؟".

قالت لها فريتي: "نيلاكشيماسي في عمر بابا، وبالتأكيد لن تتزوّج مرة أخرى، انسي الموضوع، يا ديبالي".

قالت ديبالي: "آمل ذلك! فهي لا تلتزم بعاداتنا".

نظر موكيش إلى فريتي، ولكن ديبالي لم تنتبه إليه، بل تابعت كلامها قائلة: "بابا كم مرة تراها خلال الأسبوع؟ هل كانت المرة الأولى التي تزورك في منزلك؟".

لـو كـان السـيد بينيت مكانـه مـا كـان ليتحمّـل تـدخلها في حياتـه أبـدًا. "إنهـا صديقتي، وأراها كل أسبوع، أو كل بضعة أيام، ونحـن نـأنس بصـحبة بعضـنا، فهـل لديك مشكلة في ذلك؟".

أنهى كلامه، وانتظر أن يبتلعه الكرسي حيًا.

إلا أن ديبالي لم تعلّق على ما قاله.

فجأة تمنّى موكيش أن يعود إلى المنزل وتأتي إليه نيلاكشي، ويخبرها بمدى إحراجه، ويتساءل عما إذا كانت ستعلّمه المزيد من طرق تحضير بعض الأطعمة، لأن ديبالي وفريتي ربما كانتا محقتين، كان يكثر من أكل الماش.

رنّ الهاتف وسط كل هذا التوتر.

أجابت فريتي، وهي تلتقط سماعة الهاتف قائلة: "مرحبًا". قالت لهم فريتي: "أوه، إنها روهيني"، وأردفت قائلة كما لو أنها تقوم بأداء دور تمثيلي إيمائي، وقد احمرّ وجهها وبدت محرجة: "بابا وديبالي والتوأم"، ثم أومأت برأسها قليلًا، وقالت: "بابا، روهيني تريد التحدث إليك"، وأعطته سماعة الهاتف.

تحدّثت روهيني بصوت عالٍ من أجل أن يسمع كلامها، وكان بإمكانه رؤية ديبالي وفريتي وحتى التوأم وهم يستمعون إلى كل كلمة يقولها.

همس جايش إلى أخته قائلًا: "ستوبّخ روهينيماسي جدي! فقد أخبرتني أمي بأنها ستّتصل وتتحدّث إليه!".

شعر موكيش بأنه محاصر، وهو يستمع إلى كلام روهيني، وعيون فريتي وديبالي تحدّق إليه.

"بابا هل قضيتَ وقتًا برفقة نيلاكشيماسي أطول مما كان ينبغي لك أن تقضيه؟".

قال ساخرًا وهو ينظر إلى فريتي التي بدت غير مرتاحة، ثم إلى ديبالي المنتصرة: "مرحبًا روهيني، يسرّني أن أتحدث إليكِ أيضًا".

"لقد صادفتُ هيتالماسي وأنا في طريقي إلى العمل، وسألتني إن كنتما قد تزوّجتما".

قال موكيش غاضبًا: "هذا ليس صحيحًا، وكيف لهيتالبين أن تعرف بلقاءاتي بها؟"، هل هو مراقب، فهو لم يرَ هيتال في المعبد منذ شهور! ثم تابعت كلامها قائلة: "أريدكَ أن تكون حذرًا بابا، نعلم جميعًا أن نيلاكشيماسي امرأة جذابة ولطيفة، ولكننا لا نعرف ما تريده منك بالضبط، ومن المهم ألا يعتقد الناس أنك تخون ذكرى أمي بأي شكل من الأشكال".

انتصبت فريتي واقفة، وقالت بغضب: "لا يستطيع أحد على الإطلاق أن يفكّر في أن بابا يخون ذكرى أمي".

انبعث صوت روهيني عبر سماعة الهاتف مرة أخرى: "لا أقول إننا نفكّر في ذلك، ولكن بعض الناس قد يسيئون التفكير بعلاقتكما التي قد تبدو مضحكة، وأحيانًا قد لا تبدو كل علاقة بريئة للغاية"، هدأ الجميع لبعض الوقت، ثم قالت روهيني: "بابا أنت تحبّ أمي، وجمعينا نعرف ذلك، ولا نمانع أن تشعر بالسعادة، ولكنني أخشى أن يتحدّث عنك بعض الناس بالسوء، ويقولون كلامًا مخزيًا، وبالنسبة إلى نيلاكشيماسي، لا نعرف إذا كان في إمكانها إسعادك".

شعر موكيش بالغضب، وقال وهو يضغط الهاتف على أذنه، وينظر إلى عيني فريتي وديبالي: "أنا وحيد يا روهيني، زوجتي ماتت، لقد رحلت وتركتني وحيدًا، ولا تزال ذكراها راسخة في قلبي، ولكنها رحلت، ولكل واحدة منكن حياتها الخاصة، وأنتن دومًا مشغولات، وليس لديكن الوقت لتزرنني، ما لم أطلب منكن ذلك، وعندما يتوفّر لديكن الوقت، تكتفين بإثارة الضجة والشعور بالقلق من كلام الناس، من دون أن تعرن ما أرغب فيه أدنى اهتمام! كما أنكن لا تجرين محادثات معي! بل تتركن لي رسائل بريد صوتي، ولا تنتظرن مني معاودة الاتصال بكن، لقد اعتدتنّ التحدث إلى والدتكن، كما اعتدتنّ الاعتناء بها، وإذا كنتن تهتممن بي أيضًا فستفهمن أنني بحاجة إلى صديق... حسنًا، لقد كانت نيلاكشي لطيفة معي وهي تؤنس وحدتي".

كان قلبه يخفق بشدة، وشعر بالعرق يتصبّب من فروة رأسه، ومن اليد التي يمسك بها سماعة الهاتف، وهو يحكم قبضته عليها حتى لا تنزلق من يده وتسقط

على الأرض، كما أحسّ بجريان الدماء وتدفّقها من أذنيه، فنظرت إليه ديبالي وبدت سعيدة، وهي تحاول جاهدة ألا تدع الابتسامة ترتسم على شفتيها، أما فريتي فقد بدت وهي تنظر إليه حزينة وعطوفة.

تراجع موكيش إلى الوراء وجلس على مقعده، لقد شعر في تلك اللحظة بأنه كبير وضخم وقوي، والآن وبنظرة واحدة من ابنته الصغرى، وسماع تنهيدة عبر الهاتف من ابنته الوسطى، شعر مرة أخرى بأنه صغير، مثل أي طفل.

أعاد الهاتف إلى فريتي التي أخذته منه في الحال.

"فريتي، شكرًا لك على دعوتك لتناول طعام الغداء الشهي، ولكن يجب أن أغادر، إلى اللقاء. جايا، جايش، وداعًا!".

كان جايا وجايش يشاهدان التلفاز الآن، بعد أن أنهيا طعامهما، ولم يبدُ أنهما سمعاه. تابعَ موكيش قائلًا: "ديبالي، وداعًا".

حمل قبعته بيد مرتعشة، وفتح الباب وخرج، ثم أغلقه خلفه، ووقف للحظة في الممر محاولًا التقاط أنفاسه، وتحديد اتجاهاته آملًا في أن تلحق به إحدى ابنتيه، ولكنهما لم تفعلا ذلك، بل تابعتا محادثتهما من دونه.

قالت فريتي لأختها: "لقد شَعَرَ أنه كان ضحية مؤامرة، فهو ليس أحمق. من التي قد تتّصل بأختها بشكل مفاجئ لطلب التحدث إلى والدها لمعرفة ما إذا كان على علاقة بإحداهن؟ كنت أعلم أنها كانت فكرة غبية، ولكنك لم تستمعي إليّ أبدًا! لماذا لا تدعيه يستمتع بحياته؟".

"لا تظهرينا الساحرتين الشريرتين، قد تكونين أنت التي وَضَعت هذه الأفكار السخيفة في رأسه في المقام الأول، فلديكِ هذه العقلية المستقلة، عقلية *افعل ما تريد*. على الأقل كشفنا الأمر في العلن بدلًا من مجرد الحديث عنه عبر مجموعة واتساب العائلة!".

لم يرغب موكيش في سماع المزيد، فأكمل طريقه في اتجاه المصعد، وقبل أن يدرك وجد نفسه في الشارع. استقلّ القطار، وفي النهاية وصل إلى منزله.

الفصل 23

أليشا



كان الفيلم على وشك الانتهاء، ولم تنم ليلى بعد، مرّت سنوات منذ آخر مرة شاهدت فيها فيلمًا برفقة أحدهم. إنه أحد أفلام ديزني، لذا لا تتطلّب مشاهدته التركيز، ولكنه كان إنجازًا كبيرًا، وقد حيّر أليشا التي انتظر جزء منها أن تنكسر التعويذة. لقد مرّت عدة أيام على تلك النزهة الفاشلة، ولكن بالنسبة إلى ليلى، بدا الأمر وكأنها نسيت كل ما جرى في ذلك اليوم.

راقبت أليشا والدتها، وهي تبتسم، ليظهر الفراغ بين أسنانها الأمامية، ولطالما أعادتها ابتسامة والدتها إلى الرحلات العائلية الطويلة التي قاموا بها إلى الشاطئ، فكانت أشبه بصورة محفورة في ذاكرتها.

تمنّت لو أن إيدان برفقتهما لرؤيتها، لكان طلب منها أن تكون حذرة وألا ترفع آمالها، ليذكّرها بأنه لا يزال أمامهم أسابيع أو ربما أشهر حتى تعود ليلى التي كانا يعرفانها.

في الوقت الحالي وعلى الرغم من إمكان حصول ذلك فلم يعد يهمّ. لقد كوّنوا معًا عائلة طبيعية، وقد تكون عادية لمدة ساعة ونصف، وهذا كل ما سعت إليه أليشا.

تذكّرت ليالي السينما التي اصطحبتهما خلالها ليلى عندما كانت هي وإيدان صغيرين، بينما كان دين يعمل حتى وقت متأخر، كما كانوا يلتفّون معًا بالبطانية في

فصل الشتاء، أو يتناولون وعاء من مثلجات الفانيليا من تيسكو في فصل الصيف. لطالما أصرَّ إيدان على رشاشات الشوكولا، وقد حصل على الكثير منها، بينما فضَّلَتْ أليشا الشراب، وقد سمحت ليلى لهما أحيانًا بتناولهما معًا، وقد أطلقوا على تلك الليالي *ليالي الناقدين السينمائيين*، لأنهم كانوا يشاهدون الفيلم ثم يتحدّثون عنه لوقت طويل بعد ذلك، ويتناقشون بشأن الشخصيات، والمشاهد المضحكة، والمقاطع الحزينة أيضًا، بينما كانت ليلى تسأل أسئلة استقصائية فتقول لهما: "ماذا تعلّمت تلك الشخصية من خطئها؟"، فأدرَكَتْ أليشا أنها تقوم بذلك أيضًا في أثناء مناقشاتها مع موكيش محاولة استقصاء آرائه حول كل رواية، فعلت ليلى ذلك لإضفاء الإثارة على المحادثة، وللمساعدة في إطالة لحظاتهم الممتعة، ولإبقائهم داخل الفقاعة التي ستنفجر فور عودة دين إلى المنزل، ليعود كل شيء إلى طبيعته المملة، والاستعداد إلى النوم ثم الذهاب في الصباح الباكر إلى المدرسة، حتى يتمكّن دين من الاستقرار أمام التلفاز وحده والاسترخاء، وهو يشاهد أخبار الساعة العاشرة. كم اشتاقت إلى جلساتهم الثلاثية وهم في صحبة بعضهم من دون أي شيء آخر يدعو إلى القلق سوى دوافع شخصيات الفيلم والموسيقى التي تصدر عنه.

سألت أليشا بينما كانت ليلى تنظر إلى شاشة التلفاز، وهي تجمع راحتي يديها معًا كما لو كانت تصلّي: "ما رأيك في ذلك؟".

قالت ليلى بهدوء، وهي تحدّق إلى الشاشة: "لقد كان فيلمًا عاطفيًا للغاية".

كان نور التلفاز ينعكس على وجهها بكل ألوانه المختلفة الأحمر والأزرق والأخضر، فبدت كل التجاعيد على وجه والدتها واضحة، وحتى التعبير عن الحزن، والمشاعر الأخرى المتناقضة.

قالت ليلى وهي تحدّق إليها وتضغط برفق على يدها: "شكرًا لك".

أجابت أليشا قائلة: "على الرحب والسعة"، ولكنها لم تكن متأكدة ما الذي شكرتها عليه.

ربتت ليلى على وسادة الأريكة التي بجانبها، وقالت لها: "تعالي واجلسي إلى جانبي".

فعلت أليشا ما طلبته منها لأنها لم ترد كسر التعويذة مجددًا.

نظرت إليها ليلى وسألتها: "كيف حالك؟".

تركت أليشا السؤال معلقًا بالصمت المخيّم عليهما للحظة، حتى لا تخطئ بكلامها.

أجابتها قائلة: "أنا بخير".

فتحت فمها لتواصل الكلام، ولكن عقلها كان فارغًا.

سألتها ليلى بينما كان هاتفها يرنّ: "من الذي تستمرّين بمراسلته دائمًا؟".

احمرَّ خدا أليشا وسألتها مستغربة: "ماذا تعنين؟".

"هذا الشخص الذي تراسلينه الآن، إنك تتواصلين دائمًا معه عبر هاتفك عندما تكونين في المنزل".

نظرت أليشا إلى رسالة زاك: *هل أنتِ بخير؟ كيف كان الفيلم؟ هل ترغبين في تناول القهوة في وقت قريب؟*

تمتَمَتْ قائلة: "إنه صديق".

لمعت عينا ليلى من البهجة، وقالت: "إنه حبيب! هل لديك حبيب؟".

لم تستطع أليشا إلا أن تبتسم للحظة، ثم تقول: "لا، لا، لا، إنه صديق".

ظهرت في ذهنها صورة زاك مرتديًا ملابس على طراز جين أوستن، وهي عبارة عن قميص رسمي أبيض مكشكش، فغطَّتْ وجهها بيديها.

"هل هو شخصٌ ما تعملين معه؟ لقد ذكرتِ سابقًا شخصًا ما يسمّى كايل".

شعرت بالذعر فور ذكرها الاسم، وقالت لها: "لا".

"عليكِ إخباري بالحقيقة".

ضحكت أليشا على الرغم من أنها كانت مستاءة من التحقيق معها، ولكن والدتها في الواقع كانت تكترث لأمرها، وإذا كانت تشكّ في مواعدتها شابًا ما، فهو أمر جديد.

"هل ستدعينه إلى المنزل عما قريب؟".

بـدا الأمـر كمـا لـو كانـت ليلـى تـرى أنهمـا تعيشـان حيـاة مختلفـة في مثـل هذه الأوقات، وأن في إمكانها هـي وإيـدان دعوة الأصـدقاء في الحال وفي أي وقـت يشاءان.

"حسنًا، اعترفي بالأمر، من هذا الشاب؟".

"لماذا تظنين أنه شاب؟".

"انظري، قد أكون متقدّمة في السن، ولكنني أعلم أنك تراسلين شابًا، وأريـد أن أعرف كل شيء عنه، ليس لأنني والدتك فقط، لماذا لا يمكنني معرفة خبر مفرح ومثير؟ انظري إليّ واعترفي بالحقيقة".

بدت ليلى صغيرة وهزيلة، وكان قميصها قد ارتخى حول خصرها، وهي تضع ساقًا فوق أخرى.

"لكن ماذا لو كانت فتاة وليس شابًا؟".

"لا مشكلة في كلتا الحالتين، ولكن عليك أن تخبريني بالحقيقة".

تنهّدت أليشـا، وقالـت لهـا: "اسـمه زاك، وقـد تبعتـه إلـى محطـة القطـار عندمـا صادفته أول مرة، وفي المرة الثانية ساعدني في حمل أكياس الحاجيات التي اشتريتها من المتجر، وهو يعيش في مكان غير بعيد عن منزلنا، كما رأيته في الحديقة منذ فترة، وأصرّ على إعطائي رقم هاتفه، وبدأنا نتراسل منذ فترة".

"إنه حب من النظرة الأولى".

"أمي..".

"حسنًا هذا جيد، فقط أخبريني بالمزيد عنه".

"إنه يدرس الحقوق".

حرّكت ليلى يديها في الهواء بطريقـة استعراضـية، وقالـت: "لقـد حُسِـمَ الأمـر، تزوّجي به، فلطالما حلمت أن تلتحقي بكلية الحقوق! ويمكن أن يصبح لدينا قريبًا محاميان في العائلة!".

قالت أليشا وهي تشعر بالإحراج: "لا، اهدئي"، وحدّقت إلى الجدار أمامها، وتابعت قائلة: "لقد قدّم إليّ المساعدة حقًا، وقال إنه سيعرض لي بعضًا من نشراته الجامعية التي احتفظ بها جميعًا".

غَمَزَتْهَا ليلى، وقالت لها: "يا لها من فكرة رائعة! لا، لا، أنا أمزح، كم عمره؟".

"عشرون عامًا، ليس كبيرًا في العمر".

"لا بأس، فقد واعدتُ عددًا من الشباب بلغوا السادسة والعشرين من العمر عندما كنت في عمرك".

"أمي..".

"لكن ليس في الوقت نفسه، هل أخبرته بحبك الآخر؟".

"أي حب تعنين؟".

"حبك للقائمة، قائمة الكتب التي أريتني إياها".

ذهلت أليشا لأن ليلى لا تزال تتذكّر القائمة، وقالت لها: "لا، إنها غير مهمة".

قالت ليلى: "يمكن أن تكون السبب في بداية علاقة حب، ماذا لو كان صاحب القائمة هو الشاب المناسب أو الفتاة المثالية؟ كما يمكن أن يكون أحد معجبي أفلام ريتشارد كيرتس"، لم تعلّق أليشا على كلامها، فتابعت قائلة: "حسنًا، شيء ما في هذه القائمة جذبكِ إليها حقًا، وما زلتِ تقرئين الكتب الواردة أسماؤها فيها، أليس كذلك؟ وهذا الشاب لم يستطع أن يشتّت انتباهك".

فكّرت أليشا في الأمر للحظة، ثم قالت: "نعم، أمي، ما زلت أقرأ الكتب، وأنا أستمتع بقراءة الروايات الواردة في القائمة، وأنا مهتمة بها بشدة، علاوة على ذلك إنها تمنحني فرصة القيام بعمل ما، بينما يذهب الجميع إلى مهرجان ريدينغ، أو إلى أي مكان آخر، فالجميع يمضون إجازاتهم في أماكن مسلية، أو يؤدّون أعمالًا يجيدونها، فلم أرَ أي شخص منذ زمن طويل، ولا أحد يتحدّث إليّ، ويبدو الأمر كما لو أنني لست في الجوار".

تنفّست أليشا بعمق، فلم تعد القائمة مجرد وسيلة إلهاء بالنسبة إليها بعد الآن، لقد تعلّمت من أتيكوس كيف تقاتل من أجل ما تؤمن به، وتعلّمت من باي كيف تتكيّف مع العيش مع النمور، وتعلَّمَت عدم الاستسلام والاقتناع بالبقاء في منزل مخيف في كورنوال، وربما مجرد الذهاب إلى مكان للنوم فيه أو تناول طعام الفطور أو القيام بأي شيء آخر بدلًا من ذلك، وتعلّمت من أمير في رواية *عداء الطائرة الورقية* أنه لم يفت الأوان لفعل الصحيح، أما قراءة رواية *كبرياء وتحامل* فكانت شبيهة بالقيام بأمر ممتع ولكنه مخجل في الوقت نفسه، ولكنها أحبَّتْ بعض ما تناولته، خاصة الأجزاء التي ذكّرتها بزاك.

فكّرت في موكيش، صديقها الجديد غير المتوقّع، فقد كان رفيقًا جيدًا لها في المكتبة، وفي المرة الأخيرة رأته يجلس مستقيمًا، وقد وضع نظارة القراءة على أرنبة أنفه، وهو يقرأ رواية *كبرياء وتحامل* بتركيز.

قال له رجل الجرائم والتشويق كريس بعد أن اقترب منه: "مرحبًا سيد موكيش، هل تستمتع بقراءة هذا الكتاب؟".

هزّ السيد باتيل كتفيه وقال له: "ليس بعد...".

ضحكت أليشا على نفسها، فلم تتوقّع أن يكون موكيش، صريحًا وصادقًا جدًا.

عندها قال: "لقد أحببت الشخصيات كلها من دون استثناء، فقد كانت تثير الضحك للغاية، ولكن أحداث القصة، لا أعتقد أنها... كيف أقول ذلك... لا أعتقد أنني أتفاعل معها، أليس كذلك أليشا؟".

لم تكن متأكدة من أنها قادرة على التفاعل مع الرواية أيضًا، ووفقًا للإحصاءات التي عثرت عليها عبر الإنترنت فقد أحبّ الناس هذه الرواية، ورأوا أنها أشبه بالكتاب المقدس النسوي.

سألته ممازِحة: "ما رأيك في دارسي وإليزابيث؟ هل أعاداك إلى أيامك الجميلة؟".

أجابها موكيش الذي كان يبحث عن سبب لوضع الرواية جانبًا: "لا، لا، لم يبدأ زواجي بهذه الطريقة على الإطلاق".

سَأَلَتْهُ قائلة: "ماذا تقصد بكلامك؟".

"لم تكن فترة الخطوبة طويلة، لم يُلق بنا في مباريات الزواج تلك التي تحبّها السيدة بينيت، فكان زواجنا مخططًا له، وقد قابلت نينا للمرة الأولى قبل فترة قصيرة من زواجنا، ولكنها كانت أجمل أيام حياتي، فزوجتي كانت مثالية، وكنتُ محظوظًا جدًا في الزواج بها".

للحظة، بدا شارد الذهن، ثم تابع كلامه قائلًا: "كما ترين، لمجرد أننا لم نقضِ شهورًا ونحن نطارد بعضنا، مثل إليزابيث والسيد دارسي، فهذا لا يعني أن زواجنا لم يكن مُقدَّرًا علينا، فلم نكن نعرف بعضنا على الإطلاق، ولكنني شعرت بأنني أعرفها طوال حياتي، وأستطيع التحدث إليها بعفوية، ثم تزوّجنا، فكان أفضل قرار اتخذته في حياتي".

عندها فكّرت أليشا في زاك، وفي المرة الأولى التي التقت به، وتساءلت عما إذا كانت قد عرفت حينها أنهما قد يصبحان صديقين.

"منذ اللحظة الأولى التي التقى السيد دارسي بالآنسة إليزابيث، علمت أنهما سيكونان معًا في النهاية، أما تأزّم الأحداث الواردة في الرواية ومحاولة التفريق بينهما فقد لجأ إليهما المؤلّف لتشويق القارئ وتحفيزه على متابعة القراءة".

كان موكيش محقًا، وقد جعلها ذلك تتساءَل إن كان تردّدها في أن تكون صادقة مع زاك الذي كان يحاول يائسًا جعلها تشعر بالارتياح برفقته، ومنفتحة على علاقتهما معًا، يجعلها في الواقع منغلقة ووحيدة وذلك يعود إلى تسلية قرَّاءها الخياليين فقط.

اقتربت ليلى من أليشا، وأخرجتها من ذهولها، وهي تقول:

"هل أخبرتِ شقيقك بالقائمة؟ إنه يحبّ تلك المكتبة وقراءة الكتب".

"إذا كان يحبّ المكتبة كثيرًا، لماذا لم يعد يتردّد إليها؟".

"إنه مشغول دومًا، فهو يعمل كثيرًا، وليس لديه الوقت المتوفر لديك".

كان وقع كلمات ليلى قاسيًا عليها على الرغم من أنها لم تقصد ذلك.

قالت لها: "اسمعي، أنا آسفة، لم أقصد قول ذلك، أعلم أنه ليس من السهل التحدث إليّ، وأنا أعلم ما تفعلانه من أجلي، ومدى صعوبة رعايتي، وأتمنّى حقًا أن أتمكّن من مساعدتك أكثر، ولكنني أريدك أن تشعري بأنه يمكنك إخباري بكل ما تودّين اطلاعي عليه، وإيدان أيضًا، فأنتما أولوية في حياتي".

حاولت أليشا ألا يرتجف صوتها، وهي تقول بحذر: "أمي، هذا لطف منك".

ثم تنفّست بعمق، وهي تشعر بالقلق بشأن كيفية إيصال كلماتها القليلة التالية: "لكنني أريدكِ أن تهتمي بنفسك أيضًا".

استقرَّتْ سحابة قلق على ملامح ليلى للحظة قبل أن تطردها ويحلّ محلها نبرة ابتهاج مصطنعة: "أراهن أنها معلمة، بل أنا شبه متأكدة من ذلك، من يكتب قوائم كتب القراءة بخلاف المعلمين؟".

"لماذا أنت متأكدة من أنها امرأة؟".

"لست متأكدة من ذلك، ولكنني أُقدّره".

"أعتقد أن كل النساء يكتبن القوائم، أليس كذلك؟".

"ربما يكون إيدان، فهو يحبّ المكتبة، وأنا أعلم أنه يكتب لك القوائم طوال الوقت".

"نعم، ولكنني لا أستطيع أن أتخيّل أن إيدان قرأ رواية *كبرياء وتحامل*... أو *نساء صغيرات*".

سحبت أليشا قائمة أخرى، وهي إحدى رسائل إيدان لها عبر الواتساب.

سكر. لحم ضأن. جلب سائل غسيل. طلب أكياس إعادة تدوير الطعام من البلدية. إخراج القمامة الليلة. وضع كيس جديد في سلة المهملات الفارغة.

قَرَأَتْهَا أليشا بصوت عالٍ، ونطقت الكلمات بصوت واضح.

"تلك الحاجيات من أكياس القمامة وصولًا إلى السكر... هي البداية الحقيقية لقصة الحب".

انفجرت المرأتان ضاحكتين ضحكًا متواصلًا، وأصابتهما نوبة هستيرية من الضحك، وسرعان ما تبيّن لهما أنهما لا تستطيعان الكف عن الضحك، فتمسكتا ببعضهما من شدة الحماسة، وعندما سمعتا مفتاح إيدان يدور في القفل هدأتا قليلًا.

وصل صوته إلى غرفة الجلوس: "أوه، مرحبًا".

قالت أليشا، وهي تبتعد عن والدتها: "مرحبًا".

سألهما: "ما الذي يجري؟".

كانت عيناه متعبتين، ولكنه احتفظ بشموخه، كما بدا على ملامحه الإرهاق والذبول، وكأنه يحاول أن يضخّ الطاقة في جسده.

"لقد شاهدنا للتو فيلم ديزني، اسمه أب".

قالت ليلى: "كان فيلمًا مشوقًا".

أومأ برأسه، وقال: "حسنًا، يبدو ذلك ممتعًا".

تبادلت ليلى وأليشا الابتسامة، ثم نظرتا إلى ايدان الذي أدار ظهره بالفعل، واستعدّ لصعود الدرج.

سألته ليلى، وهي تضحك: "ما الخطب، إيدان؟".

ألقى إيدان نظرة خاطفة على أخته متجنبًا نظرات والدته، وتثاءَبَ وهو يقول: "كانت ورديةَ طويلة وشاقة، وأنا نعس، أراكما في الصباح".

ثم قال وهو في وسط الدرج: "أليشا، لا تنسي الحاوية!".

سرّحت ليلى شعر أليشا بيدها.

"إنه يحسن معاملتنا، أليس كذلك؟".

نهضت ليلى عن الأريكة وغادرت الغرفة، وعندما وجدت أليشا نفسها وحيدة في غرفة الجلوس شعرت بالقشعريرة، إنها قشعريرة شعرت بها في منزل كان جوه مؤخرًا حارًا فقط، فلاحظت فجأة أن النوافذ مفتوحة على مصراعيها، ولا تتذكّر أنها فتحتها.

الفصل 24

موكيش

صوت رنين الهاتف: "ليس لديك رسائل جديدة".

شعر موكيش بغصة في حلقه، وانحنى على الأريكة، وهو يحدّق مباشرة إلى الأمام. فقد مضت أيام لم يرَ فيها نيلاكشي، ولم يرد على مكالماتها الهاتفية، كما أنه لم يذهب إلى المكتبة أيضًا، ولا تزال رواية *كبرياء وتحامل* على المنضدة بجانب سريره، على الرغم من أنه بذل جهدًا كبيرًا لإنهائها، ولكنه كلما بدأ بالقراءة، كان يسرح تفكيره بعيدًا، وهو يفكّر في منزل فريتي، وكل ما قالته بناته في ذلك اليوم، وما لم يقلنه أيضًا. لقد فشل في تربيتهن.

أخفق في نظر نفسه، ثم فكّر في أليشا، ونينا أيضًا، ولكن نينا ظلّت صامتة لفترة طويلة، على الرغم من كل محاولاته لاستحضار روحها لتعيش في داخله من خلال الكتب التي أحبّتها، فشَعَرَ وكأنها ضاعت في متاهاته.

ظلّت عبارة تشوّه السّمعة تنبض في ذهنه، ووجه ديبالي، وخيبة الأمل في عينيها، تلسع جلده.

استلقى على فراشه، وحدّق إلى السقف. لقد كانت الأسابيع القليلة الماضية وكل تلك اللحظات التي شعر فيها وكأنه يحقّق إنجازات مهمة، لم تعنِ شيئًا أبدًا، لأنه عاد إلى نقطة الصفر.

[#]

بعد ساعة سمع طرقًا على الباب، فنهض من السرير، وهو يشعر بثقل جسمه وألم في رأسه، انتعل خفّيه، وشقّ طريقه عبر الرواق.

قال وهو يفتح الباب على مصراعيه: "فريتي؟".

"مرحبًا، بابا". كان صوت فريتي رقيقًا. "أردتُ أن أحتسي الشاي برفقتك، هل لديك وقت فراغ؟".

شعر موكيش بالدموع تترقرق في عينيه، ولكنهما رَمَشَتا عندما تنحى جانبًا، للسماح لابنته بالمرور.

قالت له، وهي تتّجه مباشرة إلى المطبخ: "سأعدّ الشاي".

"حسنًا، ولكن من فضلك أضيفي الكاندريل، فقد اشترت روهيني أنواعًا مختلفة من المواد غير المحلاة آخر مرة".

وقف موكيش أمام باب المطبخ، بينما كانت فريتي تتصرّف بحرية فيه، كما لو أنه لا يزال منزلها.

قالت فريتي: "لا مانع لديّ، ولكن لا تخبرها بأنني فعلت ذلك! بابا اذهب واجلس على الأريكة، وارفع قدميك".

فعل ما طلبته منه غير واثق مما سيقوله لها.

بعد لحظات دخلت فريتي، وهي تحمل كوبين من الشاي على صينية شاي نينا الصغيرة مع بعض أقراص إضافية من الكاندريل مبعثرة عليها بين الكوبين، ووضعتها برفق على الطاولة بجوار موكيش، ولكنها سكبت بعض الشاي على الصينية، فبدأت أقراص الكاندريل تطفو، فسبح بعضها بأسرع ما يمكن للوصول إلى الشاطئ، بينما نجا بعضها الآخر، وتحلّل القسم الأخير ببطء، فراقب موكيش وفريتي المشهد للحظات، حتى تناهى إلى سمعهما صوت روهيني، وهي توبّخهما قائلة: "أحضرا منشفة المطبخ، ونظفا هذه الفوضى".

نظر موكيش إلى فريتي، وعيناه تومضان من القلق: "سأتولّى الأمر". مدَّ ذراعه إلى الأسفل بجانب كرسيه، وأحضر مكنسة ذات ذراع تحتوي على ممسحة في أعلاها.

قال لها: "إنها تجفّف الماء!".

ضحكت فريتي، وقالت له: "من أين حصلت عليها، ولماذا اشتريتها؟".

"لقد لفتت انتباهي عندما شاهدتها في أحد تلك البرامج التي تعرض منتوجاتها على شاشة التلفاز، فكان الأمر بغاية السهولة، وهذه هي المرة الثانية التي استخدمها لتجفيف السوائل، ففي معظم الأوقات أستخدمها لسحب الماء في أثناء الاستحمام".

ضحكت مرة أخرى، وفجأة رأى موكيش كم بدا الأمر سخيفًا ومملًا، ولكنه شاركها في الضحك أيضًا.

"منذ متى اشتريتها؟".

"منذ ثلاثة أشهر تقريبًا، عندما لم يكن حساب نيتفليكس الخاص بي يعمل، لذلك أصبحت مدمنًا على قنوات التسوق التي تبيع منتوجات سخيفة، ولكن بعضها بدا مفيدًا!".

قاطعهما رنين جرس الباب، فشعر موكيش بالدم يتدفّق من وجهه، فقد حضرت فريتي، ولكن ماذا لو... هل يمكن أن تكون عملية حصار أخرى في منزله؟ نظر إلى صورة نينا آملًا في الحصول على إشارة أو تحذير منها.

سأل موكيش فريتي: "هل لديك فكرة من قد يكون الطارق؟".

هزَّت فريتي بكتفيها نافية بشكل عفوي، فاتّجه إلى الردهة وفتح الباب بحذر.

صدح صوتهما وهما يقولان: "جدي".

خلال ثوانٍ أحاط زوجان صغيران من الأذرع ساقي موكيش، وكانت ديباليديا بينيت تقف أمامه، ولكن من دون القبعة التي كان يتخيّل أن جميع أخوات بينيت يعتمرنها.

قالت بتردد: "مرحبًا، أبي".

قال مبتسمًا: "أهلًا، ديبالي".

كانت بريا خلفها تبتسم ابتسامة عريضة.

"اتصلت روهيني بي، وطلبت مني أن اصطحب بريا حتى تقضي بعض الوقت برفقتك، كما أراد هذان الصغيران رؤيتك أيضًا".

دفعت ديبالي التوأم إلى الداخل، ونظرت إلى يديها، فقد كان يعرف ديبالي طوال حياتها، وكان يتخيّلها وهي تغرق في الحرج.

قالت له: "أردت أن أعتذر إليك عما حصل في ذلك اليوم، فكانت ردة فعلي غير منصفة تجاهك، ولا أكفّ عن سماع صوت والدتي، وهي توبّخني".

لطالما كرِهَتْ الاعتذار، ففكَّر موكيش في أتيكوس أحد شخصيات *لا تقتل عصفورًا بريئًا*، والذي بدا عظيمًا وحكيمًا بما يكفي للارتقاء والتعالي فوق مشاكله الشخصية. فمن أخطأت في حقه كانت ابنته، وهو لم يكن يفهمها في أغلب الأحيان، كما أنه يعلم أنها لم ترد أن تلحق به الأذى، اندفع جايا وجايش إلى غرفة الجلوس، بينما انحنت ديبالي إلى الأمام وأمسكت بيد والدها.

قال لها موكيش: "لا تضغطي بشدة على يدي، فأنا رجل عجوز الآن".

وقفت ديبالي في مكانها، وقالت وهي تضمّه: "إنني أفتقدها، إنني أفتقدها فحسب".

شعر موكيش وكأنَّ ضفدعًا قفز واستقرّ في حلقه، وقال: "أعرف، وأنا أيضًا أشتاق إليها كل يوم".

رأى ابنته الصغيرة، وربما كانت أكبر بقليل من بريا، وهي تعود إلى المنزل من المدرسة باكية، فكان قادرًا على فهم ما شعرت به حينها، عندما رأى الدموع تنهمر على وجهها. لكن في ذلك اليوم، في منزل فريتي، لم يتمكّن من رؤية الألم وراء غضبها، كما لم يدرك كم تفتقد والدتها. كانت دائمًا شجاعة وجريئة جدًا، وكما قال أتيكوس، فإن الطريقة الوحيدة التي يمكنه من خلالها معرفة ما كانت تشعر به ديبالي هي أن يضع نفسه مكانها.

قال وهو يقود ابنته إلى غرفة الجلوس: "تفضّلي، يا عزيزتي".

استقرّت ديبالي على كرسي والدتها المفضل، وجلس جايا وجايش على الأرض قرب قدميها، أما بريا فتوجّهت مباشرة إلى موكيش، وهي ممسكة بكتابها بحماسة.

قالت له: "لقد بدأت بالقراءة للتو، ولكنها رواية جميلة، وقد تعرّفت إلى أتيكوس فينش".

ابتسم لها للحظة، فلم يستطع موكيش أن يصدّق ما سمعه تمامًا، ولم يطق الانتظار لإخبار أليشا بأن الروايات التي أوصت بها قد أثارت إعجاب بريا، وأنها عثرت له في النهاية على رواية يمكنه قراءتها مع حفيدته.

قالت له بريا وهي تحمل كتاب *كبرياء وتحامل*: "ما موضوع هذه الرواية؟".

قالت فريتي: "إنها قصة حب، أليس كذلك؟".

قال موكيش: "جزء منها يتناول موضوع الحب، ولكنها تدور حول رغبة السيدة بينيت في أن تزوّج بناتها من رجال أثرياء، ولكن إحدى بناتها، وهي إليزابيث بينيت، تسعى إلى الزواج من أجل الحب وليس المال".

قالت بريا: "جدي، هل تعتقد أن جدتي قرأت هذه الرواية؟".

نظرت ديبالي إلى والدها، وهي تنتظر ردّه.

"أراهن أنها فعلت ذلك، حتى إنني قرأتها أيضًا".

"بابا هل كنت السيد دارسي الخاص بها؟".

ضحكت فريتي وديبالي، بينما بدت بريا جاهلة تمامًا ما يجري، ولكنها شاركتهم الابتسامة.

"لا أعتقد ذلك، فلم أكن أبدًا بهذه الرقّة، إلى جانب ذلك، لم يكن لدى والدتكما خيار آخر غير الزواج بي، ولكنها كانت عالمي بأكمله".

استرجع ذكرى يوم زفافهما ولحظة رؤية نينا للمرة الأولى، وشعوره بالخوف الشديد، لأنه لم يعرف هذه المرأة على الإطلاق، بينما كانت على وشك أن تصبح شريكة حياته التي سيكوّن معها عائلته.

"لقد سعت دومًا إلى جعل الناس يشعرون بالراحة، أليس كذلك؟".

قالت ديبالي: "لماذا تظنّين أن المعبد دعاها إلى المشاركة في كل مناسبة في رأيك؟".

تابع موكيش كلامه قائلًا: "أتذكّر أن والدتي أخذتني جانبًا في اليوم السابق لحفل زفافي، وأخبرتني بمدى جمال الفتاة التي سأتزوّج بها ومدى لطفها وذكائها، إلا أنني عجزت عن تصديقها، ولكنها بدت رائعة إلى درجة يصعب تصديقها، وشعرتُ بأنني لو مُنحت حرية الاختيار، لما أمكنني اختيار امرأة أروع منها، ولكن بعد أن التقيت بها عرفت على الفور..".

سألت بريا: "ماذا عرفت، يا جدي؟".

"عرفت أن جدتك هي الشخص الأمثل بالنسبة إليّ!".

بدأت فترة التودد بينهما بعد الزفاف، وجَلَبَ له كل يوم قضاه مع نينا المفاجآت السارة، فكانت المفاجأة الأولى رؤية وجه نينا المشرق في الصباح الذي لم يخبره أحد بمدى جماله الحقيقي، وأنه يبدو بشكل ملحوظ كما يبدو في أي وقت آخر من اليوم، ولكن حتى بعد مرور سنوات استمرّت المفاجآت تتلاحق، ففي مرحلة احتضار والده بسبب إصابته بمرض خطير، وقفت نينا إلى جانبه وخفّفت عنه معاناته بأسلوبها اللطيف.

"موكيش".

كانت قد ظهرت أمام المدخل ذات صباح، وهي تحمل مجلدًا ضخمًا بين يديها، وهو ألبوم عائلي كانت قد جمعته من أجله.

"إنه لك".

لم يكن لديه سوى عدد قليل من صور طفولته، ولكنها عثرت على صورة له، وهو يجلس على ركبتي والده، وكانت ملامح وجهيهما قاسية، ولكنه شعر على الفور بأن والده عاد إلى الحياة من أجله، ولكنه لم يعد يعرف مكان هذا الألبوم الآن، ويفترض أنه مخبّأ في مكان آمن.

سألته نينا: "كيف كان والدك عندما كنتَ صغيرًا؟".

"ربما كان مخيفًا، أتذكّر بأنه كان يصرخ في وجهي دائمًا إذا ركضت في المنزل، أو إذا تركت حذائي مغبرًا، ولكنه كان يحبّ اللعب معي، وقد لعبنا معًا الكريكت".

تجهّم وجه نينا وقالت له: "لكنك سيئ في الكريكت".

"أعرف ذلك، وقد ورثت ذلك منه، فهو أيضًا كان سيئًا في اللعب".

كان يبتسم، وهو ينظر إلى ألبوم الصور، ويشير إلى تلك الصورة التي تجمعه بوالده، وقد ظلّل الكحل عيونهما كما لو كانا عضوين في فرقة موسيقية مريعة. لم يعتقد أن أي شخص سيكون قادرًا على التخفيف من معاناته خلال تلك الأشهر، ولكن نينا ساعدته على تجاوز حزنه، فأصبح الحديث عن طفولته وعن علاقته بوالده، وحقيقة أنه غاب إلى الأبد سهلًا، ما جعله يتمنّى عندما رحلت نينا، لو كانت تمسك بيده أيضًا، وترشده خلال فترة حزنه خطوة بخطوة للتغلّب على آلامه، على الرغم من أنه تمسَّكَ بها بطرقه الخاصة، إلا أن ذلك لم يكن كافيًا. عندما بدأ عقل موكيش يتجوّل في الماضي، وجدت بريا طريقها إلى جدها، فلفَّت ذراعيها حول عنقه، كما اعتادت أن تلفّ ذراعيها حول نينا، لتعيده إلى الحاضر، إلى أفراد عائلته.

سمع من بعيد صوتًا يقول له: "إنهم يحبّونك، لقد أحبّوك دائمًا".

كان يعرف هذا الصوت وإن صدر من مكان بعيد، فهو صوت نينا، وقد عادت إليه من جديد.

مشت ديبالي نحوه، وقالت له: "بابا أنا سعيدة لأنك وَجَدْتَ أشخاصًا تتحدّث إليهم، هل تعلم ذلك؟".

رَفَعَتْ الكتاب وقالت له: "أنا سعيدة لأنك بدأت تقرأ للناس في المكتبة وفي المعبد".

ثم عانقته، وقالت له: "لا بد أن أمي تشعر بالفخر بك".

نساء صغيرات

لويزا ماي ألكوت

الفصل 25

أليشا

سألها أحدهم: "هل أنت على ما يرام، أليشا؟".

كان كريس المهووس بالجرائم والتشويق، يقف بالقرب من مكتبها، وهو يحمل حقيبة ظهر يوحي انتفاخها بثقل وزنها، ولا شك في أنها مليئة بالكتب.

ردّت أليشا وهي تبعد خصلات شعرها عن عينيها المتعبتين، وتبحث عن قائمة مهامها بين الأوراق المبعثرة على المكتب: "أجل، أنا بخير".

"حسنًا، لا تقلقي، فقد رأيت تلك المرأة تجادل ديف وكايل في المسألة نفسها خلال ورديتي عملهما".

"أحقًا؟ وهل تفعل ذلك عمدًا؟".

"أجل، وأنا متأكد من أنها أخطأت في اختيار المكتبة في أثناء إرسالها طلب الكتب عبر الإنترنت".

شعرت أليشا بأنها ضحية هذه المرأة المزعجة، والتي تصرخ للحصول على الكتب التي طلبتها، على الرغم من أنها أرسلتها إلى مكتبة هانويل بالخطأ، ومن أجل تجنّب إثارتها المشاكل، ألقى ديف مسؤولية الخطأ الذي وقع على عاتقه، وعرض عليها إحضار تلك الكتب من مكتبة هانويل وإرسالها إلى منزلها بأسرع وقت.

بدأت المرأة توجّه الاتهامات إلى إدارة المكتبة، وتشكو من سوء التنظيم فيها قائلة: "يا لها من إدارة سيئة! ويا لكم من موظفين لا تُجدون نفعًا! لهذه الأسباب

بالذات تُغلق بعض المكتبات الفاشلة، وأراهن على أن مكتبتكم ستكون التالية في القائمة".

تمتم كريس، وهو يُلقي اللوم على تلك المرأة الغاضبة: "لو أنها لم تخطئ، لما توجّب على أحد الآن الذهاب إلى هانويل لإحضار تلك الكتب".

وقبل أن يتابع عمله المعتاد، عثر على كتاب غلافه سميك، فوضعه تحت إبطه.

إنها إحدى الروايات التي طلبتها المرأة، وهي تحمل عنوان محبوبة، طلبت أليشا نسخة منها من أجل قراءتها، وهي متوفرة في مكتبة طريق هارو منذ عدة أسابيع، وكان في إمكانها أن تقدّم تلك الرواية إلى المرأة الثائرة لإرضائها، ولكن التخلي عنها لم يكن سهلًا، كما أن كل ما حولها من كتب كان مهمًا جدًا بالنسبة إليها، بالإضافة إلى القائمة وكل ما ورد فيها.

كانت أليشا تقرأ لليلى منذ بضع ليالٍ في انتظار عودة إيدان إلى المنزل.

سألتها ليلى: "أين إيدان؟ إنه لا يتأخّر عادة حتى هذا الوقت".

أجابتها أليشا: "لا تقلقي، فأموره على أحسن ما يرام، يا أمي، وهو يتأخّر عادة، وسيصل عما قريب".

فتحت أليشا رواية *نساء صغيرات*، فشعرت بعيني ليلى تتبع الصفحات، وكأنها سحرتها وخطفت بصرها.

قالت لها ليلى: "مهلًا، ما موضوع هذه الرواية؟ فقد سبق لي أن قرأت عنها".

قلبت أليشا صفحات الكتاب، وألقت نظرة خاطفة على غلاف الرواية الخلفي، ثم قصّت الملخص على ليلى: "إنها تروي قصة أربع أخوات يقمن في إنكلترا في ستينات القرن التاسع عشر، حاولن مساعدة عائلتهن في جمع المال، وكان يسكن بالقرب منهن أصدقاء لهن مع عائلاتهم، وقد نشأت بينهم قصص حب في وقت لاحق، وكانت إحداهن تدعى ميغ، وهي تحلم في أن تصبح سيدة مجتمع، ويقال إن جو تجسّد شخصية الكاتبة نفسها، وهي تطمح إلى أن تصبح كاتبة، أما

بيث الهادئة والمرهفة الإحساس فتهوى الموسيقى، وأخيرًا إيمي الشقراء ورائعة الجمال".

تابعت أليشا قراءة الغلاف، فأومأت إليها ليلى برأسها، وركّزت على المسافة التي تتوسّط الغلاف.

سألتها أليشا: "حسنًا، هل أنت جاهزة لسماعها؟".

أجابت ليلى: "أجل، يمكنك أن تباشري القراءة".

استوقفت أليشا جملة قرأتها في الصفحة الأولى، "لا أب لنا، ولن يكون معنا لمدة طويلة"، أشار هذا السطر إلى والد الأخوات الأربع الذي كان جنديًا وفي طريقه إلى خوض الحرب، فلم تتمكّن أليشا سوى التفكير في دين، وراقبت تعابير وجه ليلى الذي ارتسمت عليه الكآبة وعكست عيناها الحزن، وتخلّلتها ابتسامة أحالت كآبتها جمالًا، كما أنها ارتبطت بحياة الأخوات الأربع برابط أقوى من الرابط الذي يربطها بأليشا، وهكذا شاركتهن حياتهن عبر صفحات الكتاب.

لقد أشار السيد موكيش إلى هذه الرواية، وتبيّن أنها إحدى الروايات التي تفضّلها حفيدته، وعندما غاصت في أحداثها، أدركت سبب لهفة فتاة يافعة على قراءتها؛ فقد كانت أحداثها مشوّقة وممتعة ومثيرة، وتفتح الأبواب لتعلّم كل ما يتعلّق بحياة امرأة شابة في هذا العالم المتغير. إنها قصة قديمة، ولكن الأخوات مارش، كن ينبضن بالحياة، ويمثّلن صخبها، وقد طاردن أحلامهن مهما بلغت صعوبتها.

أحبّت أليشا جو، بطموحها الكبير وشغفها بالحياة، فهي كانت تواظب على كتابة المسرحيات، وترشد أخواتها وتدفعهن إلى مواجهة مصاعب الحياة، وكانت تملأ المنزل بهجة وفرحًا إلى درجة أن تلك البهجة انعكست على وجه ليلى أيضًا.

قالت لها ليلى: "لقد أحببت هذه الفتاة، إنها تذكّرني بك، فقد كنتِ متسلطة أيضًا في طفولتك، ولا عجب أن ذلك الشاب الذي يسكن بجوارهن... ما كان اسمه؟ لوري، أليس كذلك؟ أحبّها، فهي الأفضل بين أخواتها، كما أنها تحسن التصرّف، فتعامل الشاب تارة بقسوة وتارة أخرى برقة".

كانت تلك كلماتها بعد مرور ساعة كاملة، أمضتها أليشا وهي تقرأ لها لتضرب الرقم القياسي، إلا أن ما أذهل أليشا وأثار استغرابها كان وصف ليلى لجو، فهي لم تجد نفسها في هذه المقارنة، ولكنها شعرت ببعض الدفء يتغلغل في داخلها، ثم أجابتها قائلة: "لقد كانا صديقين مقربين، يا أمي، ولم أرَ أنها عاملته بقسوة!".

ضحكتا معًا لبرهة، ثم خيّم الصمت عليهما قليلًا، قبل أن تكمل أليشا القراءة: "على أي قدر من السعادة سنحصل إن خلت حياتنا من القلق...".

تنهّدت تنهيدة عميقة قبل أن تنظر إلى ليلى التي أغمضت عينيها، وأطبقت جفنيها، وغرقت في نوم عميق، وكأنها لا ترغب في أن تنطلق هذه الكلمات وتخرج إلى العالم الحقيقي، لأن مكانها في عالم الأخوات مارش، وليس في أي عالم آخر.

في تلك الأثناء، وصل إيدان إلى المنزل محدثًا جلبة عند دخوله بدفعه الباب بقوة، ثم ألقى الأكياس على الأرض، وبعد ذلك أغلق الباب خلفه بقوة أكبر.

قالت له أليشا، وهي تمشي على رؤوس أصابعها في اتجاه الردهة: "بهدوء! ما كل هذه الضجة؟".

ربت إيدان على ذراعها برفق، ثم اتّجه إلى المطبخ.

تبعته قائلة: "لقد نامت أمي الآن، وكنت أقرأ لها إحدى الروايات".

صبّ إيدان كأسًا من الماء من زجاجة في الثلاجة، وشربه قبل أن يعاود النظر إلى أخته.

"إيدان، إنني حقًا مذهولة، لقد أفلح الأمر، إنها تعتاد على الشخصيات".

قال إيدان مذهولًا: "هذا جيد حقًا، ليش".

كان يتجول في المطبخ، وهو يتناول من الخزانة الصغيرة طبقًا، وشوكة، وسكينًا، والقليل من الكاري المتبقي، وقد فعل ذلك من دون أن ينظر إلى عيني أخته.

قالت له أليشا آملة في أن يصغي إليها لبرهة: "أنا سعيدة للعثور على وسيلة أستطيع من خلالها تقديم المساعدة، ففي العادة تكون وحدك القادر على التواصل معها على هذا النحو".

نظر إيدان إليها وقال بصوت ناعم ورقيق: "أليشا، لست وحدي القادر على مساعدتها، ففي إمكانك القيام بذلك أيضًا، فأنت ماهرة في التعامل معها، في الحقيقة أنت أفضل مني، ويسرّني أن تجعلكما الروايات تمضيان أوقاتًا ممتعة وسعيدة".

في تلك اللحظة، غضّت أليشا الطرف، فكان ما سمعته من إيدان كلمات إطراء إلى حد ما، ولكنها كانت أجمل ما سمعته من أي شخص منذ زمن طويل جدًا.

شجّعها إيدان قائلًا: "يبدو أن أمنا تبلي بلاء حسنًا الآن، أليس كذلك؟".

هزّت أليشا كتفيها مؤيدة كلامه.

سكب إيدان الطعام في طبقه، ثم قال لأليشا: "أنا آسف، لقد مضت فترة طويلة لم نتحدّث خلالها إلى بعضنا، فالوقت ضيق جدًا بسبب العمل، وقد حاولت جاهدًا العثور على شخص قادر على الاعتناء بها طيلة الوقت، ولكنني أرى أنها تبلي بلاء حسنًا أكثر مما توقّعت".

راقبته أليشا وهو يتناول طعامه، فهي لا تؤيّده في رأيه، كما أنها لم تصرّح برأيها حول تلك المسألة، فقد بدا أنه يحاول إقناع نفسه بأن الأمور تسير على أحسن ما يرام. لم يكن يومًا متفائلًا بتحسّن حالة ليلى، فما الذي دهاه؟

تابع إيدان كلامه مبتسمًا: "ستتضاعف ورديات عملي خلال الأيام القادمة، يا ليش، ولن أتمكّن من رؤيتك كثيرًا، ولكن أمنا ستكون بخير، وستبلين بلاء حسنًا معها، فأنت تجيدين التصرف معها".

أجابت أليشا برقة: "سأفتقدك، فقد مضى زمن طويل منذ آخر مرة قضينا فيها الوقت معًا".

"أعلم، ولكنك ستبلين بلاء حسنًا من دوني، أيًا كان ما تقومين به من أجل أمنا، فهو ينفعها حقًا، يا ليش".

ضغط على كتف أليشا، وسألها قائلًا: "هل أمورك على ما يرام؟".

أومأت إليه برأسها، وقبل أن تسأله عن أحواله، خرج من المطبخ حاملًا طبقه، وصعد إلى غرفته من دون أن يلتفت إلى الوراء.

تركت أليشا ملصقًا يحمل عبارة "أهلًا بك في المنزل" على الثلاجة لتحسين مزاج إيدان، فسمعت صوت الباب يغلق بهدوء قبل أن تنهض في الصباح الباكر من السرير، ثم سمعت صوت صرير الباب مرة أخرى مشيرًا إلى عودة إيدان، فلم ترد في تلك اللحظة أكثر من تمضية القليل من الوقت برفقة شقيقها، للتحدّث إليه، والاطمئنان على أحواله، بعد أن شعرت بأن خطبًا ما قد ألمّ به، وأن هناك ما يدور في ذهنه ويكتمه عنها محتفظًا به لنفسه.

[#]

عصفت كل تلك الأفكار في ذهن إليشا عندما أمسكت برواية محبوبة قريبًا منها، فلم تكن مستعدة إلى أن تتخلّى عنها لتلك المرأة الغاضبة في المكتبة، فالروايات هي السبيل الوحيد لإبقاء ليلى هادئة في حال تغيّب إيدان عدة أيام عن المنزل، كما ساهمت تلك الروايات في كسر حاجز الصمت السائد سابقًا.

سيصل السيد موكيش إلى المكتبة قريبًا، فقد طلبت نسخة أخرى من رواية *نساء صغيرات* من أجله، وقد تخيّلت مدى حماسته لقراءتها، بعد أن بدا مهتمًا جدًا بهذه الرواية لكثرة ما تحدّث عنها، من دون أن تكون لديه أدنى فكرة عن محتواها، حتى إنه سماها ذات مرة كتاب النساء الصغيرات.

[#]

تجاوزت عقارب الساعة الحادية عشرة، ثم تخطّت الحادية عشرة والنصف، فكانت أليشا تراقب عقارب الساعة بعينيها تارة، وتتفقّد الباب تارة أخرى. لم يزعجها أحد آخر اليوم، فبعض الرواد استخدموا آلات الخدمة الذاتية، بينما جلس بعضهم الآخر منهمكين بالقراءة، أسعدها هذا الهدوء الذي يعمّ المكتبة، وكانت تتطلّع إلى التحدث إلى السيد موكيش، على الرغم من أنه نادرًا ما يتحدّث حول أموره الشخصية أمام أحد، ولكنها وجدت أن التحدث إلى شخص آخر غير أمها

وشقيقها نوع من التجديد، كما أرادت أن تعرف المزيد عن رحلته إلى لندن بصحبة بريا. أما الأسباب التي جعلت أليشا مهتمة بحياة هذا الرجل العجوز فعديدة، وقد تكون استغلّت الأمر لإلهائها عن مشاكلها، أو لأنهما أصبحا صديقين مقربين الآن.

لم يطرح موكيش أي أسئلة تتعلّق بحياتها الشخصية، وقد أربكها ذلك، فقد أخبرته بالقليل حول "حياتها المزرية في المنزل" على حد تعبيرها.

سألها موكيش: "ألا يقيم والدك معكم في المنزل؟".

ضحكت أليشا على سؤاله المألوف على الرغم من أنه كان منطقيًا، وقالت:

"لديه عائلته الخاصة الآن".

"وأنت أيضًا أحد أفراد عائلته".

"ليس بالنسبة إليه".

قال موكيش بصوت منخفض: "إنه غبي وأحمق"، ولكنها تناهت إلى سمع أليشا، فارتبك ووضع في الحال يده على فمه، ثم أردف قائلًا: "أوه، أنا آسف للغاية على الكلام السيئ الذي صدر مني".

ضحكت أليشا وقالت له: "لا بأس فأنت محق، فهو غبي وأحمق، وليت أمي أدركت ذلك أيضًا. فكل اللوم يقع عليه، ولا ذنب لها في كل ما حصل".

"أنا متأكد من أنها تدرك ذلك، فالرجال يكونون حمقى في بعض الأحيان. لديّ ثلاث بنات، وليست أية واحدة منهن غبية، على ما أعتقد".

[#]

تلاشت أفكار أليشا وتأملاتها بعد سماع رنين الهاتف.

"مرحبًا! كيف تجري أمورك مع الكتب؟".

لقد كان المتصل زاك الذي واظب على إرسال الرسائل النصية بعد لقائهما في الحديقة، في البداية كان يرسل لها كلمة "مرحبًا"، يليها ملصق لكتاب أو لقطة، فتبيّن أنه يحبّ القطط. لم تكن تتصوّر أبدًا أن السيد دارسي يحبّ القطط على وجه

الخصوص، حاولت أن تردّ على رسائله بجمل مقتضبة، كي لا تمنحه الحرية في الكلام، وتردّد في ذهنها مقولة ليلى: "تعامله بقسوة، ليتضاعف شوقه إلى الحديث إليها". لم تدرِ أليشا إن كان عليها الامتثال لهذه النصيحة الحياتية التي تلقتها من رواية *نساء صغيرات*، ولكن سيكون الأمر أصعب بكثير مما يبدو عليه، فهي ترغب في الحديث إليه دومًا.

أرسلت أليشا: "كانت إحدى رواد المكتبة أشبه بكابوس، لقد أفسدت عليّ اليوم بأكمله".

ردّ زاك مباشرة: "هل أنت بحاجة إلى أي مساعدة؟".

التحدث إلى زاك يريحها، فهي لم تقل له إنها "بخير" عندما مرّت بيوم عصيب، بل أخبرته في رسالتها بأنها "تمرّ بيوم عصيب" مباشرة ومن دون مراوغة، فهي تكون على سجيتها معه، وليست بحاجة إلى التصنّع، كما تفعل مع الآخرين.

"ماذا ستفعلين بعد انتهاء دوام عملك؟".

"لا خطط لديّ".

كانت تشعر بأن زاك يشبهها بوحدتها وانطوائها على نفسها وانعزالها في عالمها الخاص نسبيًا، إلا أن الفرق بينهما أن هذه الصفات بارزة في شخصيته ولا يحاول إخفاءها، كما أنه لا يطمح إلى أن يشبه أي شخص آخر سوى نفسه خلافًا لها.

"تسعدني رؤيتك، وربما سأحتاج إلى مساعدتك لاحقًا، هل يمكنك القيام بذلك؟ إنها تتعلّق بالكتب...."، ولكن ما إن أنهت كتابة الرسالة حتى حذفتها، وأعادت صياغتها مجددًا بحيث تصبح أقل تلهفًا: "ربما سأحتاج إلى مساعدتك لاحقًا"، كان ذلك أفضل ما استطاعت كتابته.

بدأ الهاتف يومض فجأة، فكان اتصالًا من زاك.

قبل أن تضغط على الزر الأخضر، شعرت بأن قلبها يخفق بشدة، إذ إنها لم تتحدّث إليه سابقًا مباشرة عبر الهاتف، فانبعث صوته أعلى وأكثر حدة من العادة.

"مرحبًا".

قال زاك، وقد بدا كلامه رزينًا ومتزنًا كالمعتاد: "مرحبًا، كيف حالك؟ هل يمكنك تلبية دعوتي لاحقًا؟ إن كان في استطاعتك مرافقتي بعد أن أقدّم إليك المساعدة، أفكّر في الذهاب إلى مكان ما كحديقة ريتشموند، ما رأيك في ذلك؟".

لم يسبق لأليشا أن ذهبت إلى ريتشموند، ولكن العائق الوحيد هذه الليلة، هو أن وردية إيدان اليوم وللمرة الأولى هذا الأسبوع ستكون في الساعة التاسعة، لذا سيتوجّب عليها أن تعود إلى المنزل في ذاك الوقت لرعاية أمها، وبعد ذلك سيكون لها مطلق الحرية في القيام بما تشاء، طالما أنها ستعود في الوقت المناسب، ولكنها تردّدت في إخبار زاك بذلك، لأنها ستبدو وكأنها في الثانية عشرة من العمر، فاحمرّ وجهها، وهي تفكّر في ليلى.

في النهاية، أجابت بصوت مرتجف، وقد بدت محرجة قليلًا مع أنها حسمت أمرها: "حسنًا، يبدو الأمر مناسبًا، في الحقيقة سأحتاج إلى أن تقلني في سيارتك من أجل إنجاز ذلك العمل الليلة، هل أنت مستعد لتقديم المساعدة؟".

أجاب زاك قائلًا: "بالتأكيد، أيتها الرئيسة، ابعثي لي فقط رسالة نصية فور انتهاءورديتك، وسآتي لاصطحابك، وستكون رؤيتك اليوم من دواعي سروري".

[#]

بينما كانت أليشا تقفل باب المكتبة، وصل زاك، فانتظرها في سيارته الفوكسال كروزا، وقد فتح نوافذها التي انبعث منها صوت موسيقى هادئة، على خلاف إيدان تمامًا، والذي كان يرفع صوت الموسيقى التي تزعج المارة.

كان يسند ساعده إلى نافذة باب السيارة، فابتهج عند رؤيتها قادمة نحوه، ولم تدرِ ما الذي تسبّب في ألم معدتها، أكان الجوع أم التوتر؟ فلم تكن إليزابيث بينيت لتنبهر بها.

شعرت بالخجل ما إن فتحت باب السيارة، وجلست في المقعد الأمامي إلى جانب السائق، وقد خشيت أن يرتطم رأسها بسقف السيارة، أو أن تحتك يدها

بمبدل السرعة أو أن تحصل أي أمور أخرى ساذجة، فشعرت كأنها تفقد السيطرة على أعصابها.

قال لها زاك: "مرحبًا، هل أنت مستعدة للانطلاق؟ إلى أين تودّين الذهاب أولًا؟".

أجابت أليشا بلهجة جدية ادخرتها من أجل التواصل مع بعض زبائن المكتبة المزعجين، وذلك لإخفاء التوتر الذي يسيطر عليها: "بالطبع، المحطة الأولى ستكون مكتبة هانويل، ويجب أن نصل إليها بأسرع وقت ممكن، فهناك شخص في انتظاري".

"هذا يعني أننا نقوم بمهمة سرية، لقد أحببت الأمر".

خيّم الصمت عليهما طوال الطريق، وقد اخترقته ألحان الموسيقى الصاخبة لفترة من الوقت، وفي النهاية علقت السيارة في ازدحام مروري، وبدأت الحرارة ترتفع، ما أثار غضب زاك الذي بدأ يشتدّ شيئًا فشيئًا.

"كان ينبغي أن نصل خلال عشرين دقيقة، كما أشعر أن الرحلة استغرقت ساعة تقريبًا".

أجابته أليشا مواسية: "لقد مضت نصف ساعة فقط، وسنصل قريبًا".

شعرت أليشا وكأنها تستخدم أسلوب إيدان في التعامل مع ليلى، فتبادر كلاهما إلى ذهنها في تلك اللحظة، وتساءلت عما يقومان به في الوقت الحالي، هل يشاهد إيدان برفقة ليلى فيلمًا؟ انتابها إحساس بالذنب لكونها برفقة زاك بدل ذهابها إلى المنزل، لتمضية هذه الليلة اليتيمة برفقة شقيقها.

تجاوزت إحساسها بالندم، لأن لا وقت لتضيّعه، وترجّلت من السيارة ما إن ركنها زاك، ثم طرقت على باب مكتبة هانويل، فكانت أمينة المكتبة جالسة إلى مكتبها، وتطبع شيئًا ما على حاسوبها، بينما تكدّست بعض الكتب بالقرب منها، ويبدو أنها تعود إلى المرأة الغاضبة بعد أن حصل خطأ في إرسال عنوان المكتبة الصحيح.

بعد ست وعشرين دقيقة من القيادة وسط الزحام وارتفاع الحرارة، والمزيد من تعليقات زاك المزرية، تمكّنت أليشا من إيصال الكتب إلى منزل تلك المرأة.

فتحت المرأة الباب، وقالت لأليشا التي أحضرت لها الكتب التي طلبتها: "أخيرًا!".

أجابت أليشا، وهي تأمل في أن تشعر المرأة بالسخرية المتضمنة بين كلماتها، قبل أن تستدير وتهمّ بالرحيل: "على الرحب والسعة".

قالت المرأة قبل أن تغلق الباب وراءها ومن دون أن تشكرها: "لقد استغرق إحضارها وقتًا طويلًا".

أرادت أليشا أن تعود إليها وتصرخ فيها عبر صندوق الرسائل البريدية، ولكن مارمي، والدة الأخوات الأربع في رواية *نساء صغيرات*، حضرت في ذهنها، فهي تجسّد التهذيب واللباقة واللطف في التعامل مع كل الناس، ومع أنها شخصية خيالية إلا أنها رأت أنها على حق، فلم يكن الأمر يستحقّ الصراخ أو ما شابهه.

عادت إلى السيارة، ,تأكّدت من أنها تسير في الاتجاه الصحيح من خلال هاتفها آملة في ألا يشعر زاك بالانزعاج من القيام برحلة أخيرة قبل أن تنتهي أمسيتهما معًا.

[#]

"يمكنك سلوك ذاك الطريق، بعد تلك الإشارة".

"حسنًا، أيتها الرئيسة".

"عندما تصل إلى نهاية الطريق، انعطف يسارًا، ثم اتبع العلامات التي تقودك إلى طريق ويمبلي السريع".

"حسنًا سألتزم بتعليماتك، أيتها الرئيسة".

"ثم انعطف إلى اليسار، بعد منعطف الطريق الثالث".

أوقف زاك عمل المذياع، ورفع زجاج النوافذ، ثم شغّل جهاز التكييف، وقال لأليشا: "تمهلي قليلًا، لا أستطيع أن أحفظ كل توجيهاتك، كان يجب أن أطفئ هذا

المذياع منذ مدة، لأستطيع سماع نفسي وأنا أفكّر قليلًا".

استرقت أليشا نظرة خاطفة إلى زاك، فكانت عيناه مثبتتين على الطريق أمامه، ثم قالت له فجأة: "إلى اليسار من هنا، أسرع قبل أن تفوّته".

"ماذا دهاك! لماذا لم تنبهيني قبل الوصول إليه بقليل؟".

تفقّد زاك مرايا السيارة، ثم انعطف بحدة إلى اليسار، ثم ركن السيارة قرب المنزل الذي أشار إليه هاتف أليشا، فلاحظ وجود سيارة مركونة أمامه، ثم قال لها: "حسنًا، لقد وصلت إلى وجهتك".

أجابته أليشا بينما كانت تخرج كتابًا من حقيبتها: "حسنًا، يمكنك أن تنتظرني قليلًا".

أبقى زاك محرك السيارة قيد العمل، فترجّلت منها، وسارت نحو الباب، وتملّكها إحساس بالتوتر، بعد أن خرقت أحد قوانين المكتبة، واستغلّت النظام للحصول على عنوانه، وقد أملت في ألا يشي موكيش بها.

رنّت جرس المنزل، فاستطاعت سماع صوتٍ أحدهم في الداخل، ولكنه لم يكن صوت موكيش، ولعله كان صوت أحد البرامج التي تعرضها تلك القنوات الفضائية الهندية التي يشاهدها موكيش عبر التلفاز. أوشكت أليشا بعد برهة أن تفقد الأمل وتغادر المكان، عندما فتحت الباب امرأة بدت في السبعين من العمر تقريبًا، وترتدي رداء بنجابيًا أزرق داكنًا، وتضع حول عنقها وشاحًا أبيض مخططًا.

قالت لها بصوت دافئ ورقيق: "أهلًا بك، كيف يمكنني مساعدتك؟".

"مرحبًا سيدتي، جئت لأوصل كتابًا إلى السيد موكيش، نسيه اليوم في المكتبة، وجدت أن منزله على مقربة من طريقي... لذا ارتأيت أن أوصله إليه".

نادته المرأة قائلة: "موكيشبهاي!".

بعد لحظات وجيزة كان موكيش يقف أمام أليشا مرتديًا بنطالًا رياضيًا، وقد تلطّخ ببقع الكركم، وقميصًا بدا لونه الأصلي أبيض، وقد استحال رماديًا باهتًا، وبقعة من الكاتشاب تظهر على صدره، مشهد لم تعتد أليشا على رؤيته، فهي لا

تعرف موكيش إلا وهو يرتدي البنطال الأنيق والقميص النظيف والقبعة التي يعتمرها دومًا.

تجهّم وجهه لدى رؤيته أليشا، وقال لها بسرعة، وهو يعود أدراجه إلى الداخل: "آنسة أليشا! ما كان يجب أن تريني على هذه الحالة!".

وقالت لها السيدة: "هل تمانعين الانتظار قليلًا، عزيزتي؟".

هزّت أليشا رأسها موافقة، ثم نظرت إلى زاك الذي لا يزال منتظرًا في السيارة، وقد أمال رأسه إلى الخلف وهو يحدّق إلى سقف سيارته، ثم تناهى إلى سمعها بعض الأصوات المبهمة، فقدّرت أنها منبعثة من غرفة الجلوس، وكأن السيد موكيش والسيدة يتحدّثان بلغة غريبة لم تستطع أن تفهمها.

شعرت أليشا بأن عليها المغادرة، وعندما همّت بالرحيل، ظهر السيد باتيل مجددًا مرتديًا معطفًا شتويًا، وقد تصبّب عرقًا، بعد أن غطّى البقع الصغيرة التي كانت تلطّخ ثيابه.

"تفضلي بالدخول، أليشا! لقد أعدّت نيلاكشي طعام العشاء، وهي ترغب في انضمامك إلينا إلى المائدة، فانتظريني ريثما أغيّر ملابسي".

وقفت السيدة أمام الباب بعد أن دخل موكيش إلى غرفة أخرى وهو يسير على مهل وكأنه يعاني من الألم في مفاصله، ثم لاحظت أليشا عرجه، وبدا أن وركه يؤلمه، فسألت السيدة: "هل هو بخير؟".

"لقد تعثّر وسقط على الأرض يوم أمس، بينما كان يركض خلف حفيده في الأرجاء، ولكنه على ما يرام الآن، مع أنه يشعر أن الأمر لا فائدة منه، ولكنني أعتني به اليوم".

"أنا حقًا لا أرغب في التطفل على أمسيتكما، كل ما أردته كان إيصال هذا الكتاب".

"أصرّ على أن تشاركينا الطعام، ادخلي وانضمّي إلينا".

"أنا متأسفة جدًا، لا أستطيع، فصديقي ينتظرني في السيارة".

"إذًا ادعيه للانضمام إلينا!".

طال نقاشهما فترة من الزمن، حتى استسلمت أليشا في النهاية، فالسيدة لم تقبل بكلمة "لا" ردًّا على دعوتها أبدًا، فنظرت إلى ساعتها، وهي تفكّر في إيدان وليلى والعودة إلى المنزل، فلا يزال لديها بعض الوقت المتاح، ولكن ربما يحتاج إيدان إلى بعض المساعدة قبل ذهابه إلى عمله، في النهاية ارتأت أن تسايرهما لساعة واحدة، قبل أن تعود إلى المنزل في الوقت المحدد.

كل ما كانت بحاجة إليه الآن هو إقناع زاك بأن تلبية دعوتهما إلى تناول العشاء تعدّ فكرة صائبة.

الفصل 26

أليشا

"أنا أكره الاختلاط بالناس!".

شعرت أليشا بأنها تخوض جدالها الأول مع زاك، فقد أرادت أن تسحبه خارج السيارة، وهي تهمس إليه: "زاك، إنه رجل في الثمانين من عمره، وما عليك إلا أن تكون لطيفًا معه فحسب".

رحّب السيد موكيش ونيلاكشي بزاك وأليشا بحفاوة، وقد استقبلاهما جنبًا إلى جنب أمام الباب كما في الحفلات. في البدء بدا زاك مرتابًا من كل ما حوله، ومشى في الرواق مشوش الذهن، فلم يخطر في باله أن يجري موعدهما الأول على هذا النحو.

سألت أليشا نفسها: "هل كنا متواعدين على لقاء غرامي؟"، بدت فكرة القيادة إلى حديقة ريتشموند تناسب الذهاب في موعد غرامي، وهو شيء قد يقوم به دارسي وإليزابيث بينيت.

أُعدّت نيلاكشي المائدة من أجل شخصين، إلا أنها أضافت ملعقتين وطبقين إضافيين إلى المائدة، وجلبت مروحة كبيرة من غرفة الجلوس إلى المطبخ، ثم جلسوا جميعًا لتناول الطعام. كانت نيلاكشي قد أعدّت طبق روتي، وهو طبق هندي، ثم بدأت تسكب بعض الخضار والدال في الأطباق.

سألت السيدة أليشا بعد أن سكبت الطعام في طبقها: "أليشا، هل ترغبين في تذوّق الدال؟"، ثم وجّهت كلامها إلى زاك قائلة: "وأنت أيها الشاب، هل ترغب في

تذوّق بهيندي نو شاك؟"، بينما كان طبق الباميا ممتلئًا أمامه.

انهمك السيد موكيش ونيلاكشي في تناول الطعام مباشرة، وحاول زاك وأليشا مجاراتهما، كما حاولا تناول الطعام مثلهما بأيديهما بدلًا من استخدام الملاعق المصفوفة على الطاولة، إلا أن زاك واجه صعوبة في تناول الطعام بيده، فلم يستطع الحصول إلا على لقمة صغيرة من الروتي. لاحظت أليشا اهتمام السيد باتيل بزاك ورغبته في مساعدته، ولكنه لم يشأ إحراجه.

كان السيد موكيش أول من شكر نيلاكشي على إعداد الطعام الشهي بعد أن أنهى طبقه.

أجابت نيلاكشي: "يسرّني أنه نال إعجابك، استجمع قواك الآن، لتغدو أفضل".

سألته أليشا بقلق: "ما الذي حدث؟".

أجابها مبتسمًا: "نظريًا تعثّرت وسقطت أرضًا، ولكنها ليست الحقيقة، فالواقع أن الأرض تعمّدت أن أتعثر بها". لم يبتسم أحد لدعابته، أما نيلاكشي فربتت على كتفه بظهر يدها، وقد تجهّم وجهها.

قالت له أليشا: "لقد افتقدناك في المكتبة".

ابتسم موكيش، فظهر بعض السبانخ العالق بين أسنانه، وقال لها: "أنا أقرأ الكتاب بسرعة قصوى، لذا يمكنني الذهاب إلى المكتبة قريبًا، والحصول على الكتاب الذي نصحتني به! ولكن آنسة أليشا، الكتاب الذي أقرأه في هذه الفترة استغرق وقتًا أطول من المعتاد، لأنه كان عليّ أن أهتمّ بمعالجة بعض المسائل العائلية". نظر إلى نيلاكشي التي ابتسمت له ابتسامة لطيفة. تابع قائلًا: "كما لم أستطع مقاومة سلسلة بينيت الطويلة أيضًا، ولكن الأمور الآن أصبحت أفضل بكثير، والخدمة في هذا المنزل رائعة حقًا".

شعرت أليشا بأن الإحباط بدأ يسيطر عليها.

وجّه السيد موكيش كلامه إلى زاك مغيرًا الموضوع: "ماذا تعمل، يا بني؟".

صمت زاك لبرهة قبل أن يجيب: "في الحقيقة أنا أدرس في الجامعة، والآن أقضي عطلتي حرًا طليقًا".

"أحقًا؟ هذا رائع، وما تخصّصك؟".

حاول زاك تقليد طريقة السيد موكيش في الكلام، وهو يقول: "أدرس الحقوق".

كان كل منهما متوترًا، فتمنّت أليشا أن تبتلعها الأرض، بعد أن شعرت وكأن حبيبها يلتقي بوالديها للمرة الأولى.

"هذا رائع حقًا! لطالما أردت أن تدرس إحدى بناتي الحقوق، أو إدارة الأعمال، فكلاهما جيدان جدًا".

"أنا أجد هذا الاختصاص مثيرًا في الحقيقة".

قال السيد موكيش والفخر بادٍ على وجهه، وقد تبعته ضحكته المعهودة: "لا بد وأنك تعلم أن الآنسة أليشا تسعى كي تصبح محامية في المستقبل أيضًا. أذكر المرة الأولى التي التقيت بها، بدت غاضبة وفظة، وهذا ما يجب على المحامي أن يتحلّى به".

تجهّم وجه نيلاكشي بعد الكلام الذي تفوّه به السيد باتل، وقالت له: "موكيشبهاي، لماذا تقول ذلك؟ لا يمكنني أن أتخيّل هذه الشابة اللطيفة تتصرّف بفظاظة أبدًا".

"في الحقيقة لقد كنت كذلك، وأنا متأسفة بشدة لما جرى حينها، ولكن الأمور تحسّنت بيننا الآن أليس كذلك، سيد موكيش؟ ألم تسامحني؟".

"بالطبع أليشا! فقد نصحتني بأفضل الكتب على الإطلاق".

قالت نيلاكشي: "آه، أنت أمينة المكتبة التي تحدّث عنها مطولًا".

قالت أليشا، من دون أن تعلّق على ما قالته نيلاكشي، إذ لم يأتِ السيد موكيش على ذكرها أبدًا: "أجل أعتقد ذلك، هل أنتما صديقان منذ زمن طويل؟".

"في الحقيقة نحن صديقان الآن، وكنت صديقة زوجته المقربة، نينا، وقد استمرّت صحبتنا حتى اليوم، وأنا أشاهد التلفاز في الوقت الذي يقرأ فيه الكتب التي توصينه بقراءتها".

شعرت أليشا بنظرات زاك تتفحّصها، ولكنها لم تشأ أن تنظر إليه لتجنّب إضحاكها.

"هذا لطيف حقًا".

قال السيد موكيش، وقد احمرّت أذناه قليلًا: "يرى بعضهم في الماندير أننا يجب أن نكون أكثر من صديقين".

لاحظت أليشا الارتباك على وجه زاك، ففسّرت له ما يعنيه موكيش بقوله: "يقصد المعبد".

تابع السيد موكيش كلامه وهو يبتسم بمكر وقد رفع أحد حاجبيه: "وهو حال معظم الناس، ومنهم بناتي، فهن لا يتقبّلن صداقة الرجل والمرأة، وقد يكون ذلك مبررًا، فالعائلة هي الأهم، وماذا عنكما؟ هل أنتما مجرد صديقين فقط؟"، في الحال نظرا إلى طبقيهما وقد أحرجهما سؤاله، فلمعت عيناه، وهو يتابع كلامه قائلًا: "يا لسخافتي! اعذراني، أنتم الشباب لا تحبّون هذه الأسئلة، إذ لا تودّون أن يجدكم أحد ملائمين للزواج إلى أن تسيروا جنبًا إلى جنب في ممر الزفاف، هل لا يزال الناس يفكّرون في ذلك حتى الآن؟".

انفجر زاك ضاحكًا، وقال له: "هذا غريب حقًا، لقد أردت اصطحابها في موعد الليلة، ولم يكن لديّ أي فكرة عما يمكن أن يحدث".

"أليشا فتاة لطيفة حقًا".

أومأت نيلاكشي بالإيجاب هذه المرة، بينما غطّت أليشا وجهها بيديها من الخجل، فضحكوا جميعهم، وتمنّت لو أن الأرض تنشقّ وتبتلعها في تلك اللحظة.

[#]

تلى تناول المقبلات وجبة من الأرز والفاصولياء، ادعى السيد موكيش أنه من أعدّها، إضافة إلى صلصة بلون أخضر مصفر، مصنوعة من اللبن، وقد استعمل كل من زاك وأليشا ملعقتين، أما السيد موكيش ونيلاكشي فاستعملا أيديهما مجددًا،

وقد أذهل أليشا قدرتهما على القيام بذلك من دون تلويث ما حولهما أبدًا.

بعد تناول العشاء جلس الجميع في غرفة الجلوس، فشغّلت نيلاكشي التلفاز، وقد اختارت إحدى المحطات الهندية، وكان الصوت منخفضًا، بينما أجسامهم تهضم ما تناولوه من أطعمة متنوعة. جلس موكيش ساندًا إحدى قدميه إلى طرف كرسي، مصدرًا صوت "أووف" بين الحين والآخر، ثم انبعث فجأة صوت إطلاق ريح خفيف، لم ينسبه أحد إلى نفسه أبدًا، ولم يبدُ سوى زاك محرجًا خشية أن تعتقد أليشا أنه من يصدر هذا الصوت.

قالت نيلاكشي: "إننا ننعزل عادة في عالمين متعارضين، أليس كذلك، موكيشبهاي؟".

ارتسمت على شفتي موكيش ابتسامة عريضة، وهو يقول بفخر: "هذا صحيح، فهي تعطيني سدادات الأذنين كي أستطيع القراءة بهدوء، بينما تشاهد قناة زي، بعد مقاطعة المحطات الوثائقية نهائيًا".

ابتسمت أليشا لزاك، فشعر بالتوتّر والارتباك وبأنه أقل ارتياحًا، ثم قالت: "حسنًا، ما تقوم به يدلّ على تفانيك، يا سيد موكيش، وما الذي تشاهدينه على قناة زي، سيدة نيلاكشي؟".

"أشاهد عادة المسلسلات الطويلة، وهي المفضلة لديّ، أما حاليًا فأشاهد سا ري جا ما با، وهو يشبه الإكس فاكتور الهندي".

ضحك كل من السيد موكيش ونيلاكشي، ثم تبعهما زاك وأليشا.

"أعتقد أنك ستحبّ الرواية الجديدة، سيد موكيش، وهي رواية *نساء صغيرات*".

ابتهج موكيش، وقال: "حفيدتي، بريا، قرأت هذه الرواية، وأخبرتني أن زوجتي نينا هي من أعطتها إياها".

أومأت إليه أليشا برأسها، ثم قالت: "أذكر أنك أخبرتني بذلك، وهي رواية رائعة حقًا، ولكن لا بد أن أحيطك علمًا بأنها تنطوي على نفحة من الحزن".

ردّ السيد موكيش قائلًا: "أستطيع التعامل مع الأمر، لقد قرأت رواية *عداء الطائرة الورقية*، أليس كذلك؟".

بدأت الشمس بالمغيب مرسلة أشعتها لتودّع الناس في المدينة، ما أحال نور الغرفة التي يجلسون فيها برتقاليًا باهتًا.

قال موكيش: "هل يمكن أن ينير أحدكم المصابيح؟ إن ملامح وجوهكم الجميلة تتلاشى شيئًا فشيئًا".

بادر زاك إلى إنارتها، ثم أغلق الستائر من دون أن يطلب منه موكيش أن يفعل ذلك.

تفحّصت أليشا أرجاء الغرفة، فوقعت عيناها على وسادة مزينة بنقوش صفراء فاقعة اللون مصنوعة على طراز بيزلي، وهي عبارة عن مجموعة أشكال تشبه الريش ذات الأنماط المستخدمة في الحياكة أو النقش في الهند، والتي لم تتطابق مع باقي أثاث الغرفة وزينتها، على الرغم من أن كل ما فيها بدا منسجمًا مع بعضه في إيقاع جميل.

أمسكت أليشا بالوسادة وقالت: "إنها وسادة جميلة، من أين حصلت عليها؟".

"إنها مصنوعة من الساري الخاص بزوجتي، خاطتها ابنتي الصغرى ديبالي بعد وفاة نينا، فهي ماهرة حقًا في الخياطة، وقد مرّ وقت طويل على آخر مرة رأيتها فيها، فنحن ننسى الأشياء مع مرور الزمن، وتغدو مألوفة جدًا إلى درجة ألا نلحظها، ولكنني سعيد لأنك سألتني عنها".

نظرت أليشا إلى صورة امرأة مثبتة على الحائط، وقد عُلّق عليها من الزاويتين العلويتين اليمنى واليسرى إكليل من الورود يشبه طوق تلك المرأة اليافعة والجميلة، فتبع موكيش نظرات أليشا إلى اللوحة. تجهّمت ملامح وجهه، وتهدّل خداه، ثم همس بصوت خافت: "ستبقين دومًا هنا، نينا".

سأله زاك: "هل أنت بخير، سيد موكيش؟".

"أجل، أنا على خير ما يرام".

هزّت نيلاكشي رأسها، ونظرت إلى الصورة، ثم قالت: "كانت نينا امرأة رائعة، كنت ستحبّينها لو أنك التقيت بها، يا أليشا، فأنا لم أعرف امرأة ألطف منها".

سألت أليشا، ثم لاحظت أن سؤالها تسبّب في مزيد من الكآبة والحزن: "هل كانت تفوقك كرمًا ولطفًا؟".

"في الحقيقة، أجل، كانت لطيفة على الدوام، وهي من علّمتني أن أتعامل بودّ ولطف مع الناس، وقد ربّت بناتها على حب الآخرين، وإيثارهم على أنفسهن".

"لم ألتقِ بهن قبلًا، هل تراهن عادة، سيد موكيش؟".

"أجل من وقت إلى آخر، ولكنهن منشغلات بأعمالهن في الوقت الراهن".

مضت الأمسية هادئة، وشعرت أليشا بأنها شخص آخر، يعيش في عالم مختلف كليًا، وقد بدا كل شيء خارج جدران تلك الغرفة لا أثر لها أبدًا، ثم استمع الجميع إلى بعض الموسيقى عبر شاشة التلفاز، بهاجانز، كما تدعوها نيلاكشي، وكان المسنان لطيفين وهادئين، فشعرت أليشا بأن في إمكانها البقاء طيلة اليوم.

التفت زاك إلى أليشا، وقال لها: "من الأفضل أن نغادر الآن، كي أوصلك إلى المنزل في الوقت المناسب".

تفقّدت ساعتها، فكانت قد تجاوزت العاشرة وعشر دقائق، ولا بد أن إيدان غادر المنزل عند الساعة التاسعة، وليلى الآن في انتظارها، فاستطاعت سماع ضربات قلبها المتلاحقة، بعد أن نهضت عن مكانها بسرعة.

قالت لهما أليشا: "أنا آسفة سيد موكيش، ونيلاكشي، يجب أن أذهب الآن، وأعود إلى المنزل لأرعى أمي، أشكركما على دعوتكما اللطيفة!".

ثم انتعلت حذاءها، وخرجت بأقصى سرعة، وزاك يجري وراءها.

"هل أنت على ما يرام؟".

"لا يجب أن أترك أمي وحدها في المنزل، وعدت شقيقي أنني سأعود الساعة التاسعة لأرعاها".

"لا بأس اهدأي، منزلك لا يبعد أكثر من دقيقتين فقط".

"لا، لقد تأخّرت كثيرًا، فأنت لا تفهم الأمر".

اندفعت أليشا إلى داخل السيارة، فأوصلها زاك بصمت إلى منزلها، وكل ما أمكنها سماعه في تلك اللحظات دقات قلبها المتسارعة.

محبوبة

توني ماريسون

الفصل 27

أليشا

كـان الظـلام يخـيّم علـى المنـزل، والسـتائر مسـدلة كالعـادة، فسـارت أليشـا بمحاذاة الحائط حتى عثرت على مفتـاح الإنـارة. أنـارت الضـوء، ولكنهـا لـم تجـد أحدًا في غرفة الجلوس.

صاحت منادية: "أمي!"، فلم تجبها، ما دعاها إلى التفاؤل لأن الصمت المطبق ساد في المنزل منذ دخولها، ما يشير إلى أن ليلى نائمة، وربما لم تلحظ تأخّرها.

تركت أشياءها في غرفة الجلـوس، باسـتثناء روايـة محبوبـة التـي أخرجتهـا مـن حقيبتها، وبينما كانت تصعد الدرج، بدأ يتناهى إلـى سـمعها ضوضـاء خفيفـة، أشـبه بصرير الأرضية الخشبية، هل كان صوت خطوات ليلى؟ كان بـاب غرفتهـا مفتوحًـا جزئيًا، فخطت خطواتهـا بحـذر في اتجـاه بـاب الغرفـة، مـا مكّنهـا مـن سـماع صـوت تأوهات وتنهّدات من الداخل، فأوشك قلبها أن يتوقّـف، وشـعرت بانقبـاض شـديد في معدتها.

نادتها مجددًا: "أمي؟"، لم تتوقّع أن تردّ عليها، فدفعت البـاب بهـدوء. اعتـادت عيناها على الظلام مباشرة، ولكنها ميّزت ظلًا منكمشًا علـى نفسـه في الزاويـة، يهتـزّ ويميل إلى الأمام والخلف، فبحثت عن مفتاح الإنارة وأنـارت الضـوء، لتجـد غرفـة والدتها في حالة فوضى عارمة، وقد عبثت بها أيدٍ غريبـة بشـكل كبيـر، وكـأن أحـدهم كان يبحث عن شيء ما بين الأغراض في الأدراج كلها. تبعثرت ملابس والدتها على

الأرض فغطّت السجادة بأكملها، وحتى ساعة المنبه المهملة لسنوات عدة، كانت على الأرض، وقد انكسر زجاجها، وكل أبواب خزانة الملابس مفتوحة على مصاريعها.

أما ليلى، فكانت تجلس في الزاوية، ورأسها بين يديها، وهي تجهش بالبكاء، وكتفاها ترتعشان.

كان هواء الغرفة حارًا وجافًا، فاستطاعت أليشا أن تتخيّل كيف أمضت ليلى كل لحظة من يومها، وكانت متأكدة من أنها شهدت أوقاتًا عصيبة، وأنها لم تكن مرتاحة ولا سعيدة أبدًا.

وقفت متجمدة في مكانها تراقب أمها، وهي تجهش بالبكاء، من دون أن تتحرّك إنشًا واحدًا في اتجاهها خوفًا من اكتشاف حقيقة ما أصابها، ولكنها كانت متأكّدة من شيء واحد، وهو أن ما حدث كان بسببها.

في النهاية تكلّمت ليلى، فكان صوتها خافتًا وضعيفًا إلى درجة أن أليشا لم تتمكّن من سماع كل ما نطقت به تقريبًا، ولكنها فهمت من كلامها قولها: "لم يعد إلى المنزل أبدًا".

ردّت أليشا: "من الذي لم يعد إلى المنزل؟"، لقد أصابتها هذه الحالة سابقًا، عندما غادر دين المنزل في الماضي مع حقائبه وأمتعته، ولم يعد إليه أبدًا، والآن ليلى تسترجع ذكريات الماضي، وتعيش تلك اللحظات مجددًا.

همست إليها ليلى قائلة: "إيدان، لم يعد إلى المنزل".

قالت أليشا باستخفاف: "لا يمكن ألا يكون قد عاد، ربما كنت نائمة، فلا بد أنه عاد إلى المنزل ما إن غادرته هذا الصباح، كما أعترف بأنني تأخّرتُ في العودة فترة طويلة، وبأن كل ما جرى يعدّ خطئي، وبأنه كان يفترض أن أصل قبل ساعات".

نظرت ليلى إلى أليشا، وعيناها حمراوان، ولكنها بدت واعية، وهي تقول: "كلا، أليشا، بعد أن غادرت المنزل، لم يعد إيدان أبدًا، وقد انتظرت قدومه طويلًا، وكنت صاحية طوال اليوم، ولم أستطع النوم. كما حاولت الوصول إلى الهاتف

لإخبارك، ولكنني ترددت، وبعد أن حسمت أمري لم أستطع إيجاد هاتفي المحمول، وأنا آسفة لم أستطع الاتصال بك لإبلاغك باختفائه".

قالت أليشا برقة محاولة ألا تظهر الخوف في نبرة صوتها: "أمي، لا تقلقي سيعود قريبًا".

"لا أدري ماذا أفعل".

تسارعت ضربات قلب أليشا مجددًا، وعصفت الأفكار السوداء في رأسها من كل حدب وصوب، وحاولت أن تكبح جماحها، كي تستطيع التفكير بمنطق. هي متأكدة من وجود تفسير منطقي لغيابه، فلم يكن إيدان ممن يمضون وقتًا طويلًا خارج المنزل، ولا بد من وجود سبب مقنع، أو أن الأمر برمته غلطة أليشا. ربما فهمت الملصق الذي تركه لها إيدان على الثلاجة خطأً، ولم تتنبه إلى ما قاله بشكل واضح، هل كان لديه وردية إضافية؟ أو لعله وصلت إلى المستودع حمولة كبيرة ويجب أن تُفرغ؟

اقتربت أليشا من ليلى محاولة تهدئتها، كما حاولت تهدئة نفسها أيضًا، عبر غرس طمأنينة مزيفة في داخل والدتها، وإقناع نفسها بأنه لا بدّ أن الأمر لا يتجاوز كونه سوء فهم بسيطًا.

أخرجت هاتفها من جيبها، واتصلت بإيدان، فرنّ الهاتف مرة، مرتين، ثلاث... ولكن أحدًا لم يجب، كان الرنين يبشّر بالخير، فالهاتف يعمل، ولكن إيدان لم يقفل الخط أو يجب على الاتصال، في النهاية ردّ المجيب الآلي: "اترك رسالة بعد سماع صوت الصافرة من فضلك".

"إيدان، أين أنت؟ أخبرتني أمي بأنك لم تأتِ إلى المنزل طوال اليوم، اتصل بي عندما تصلك الرسالة".

ذهبت أليشا إلى المطبخ، وسكبت كوبًا من الماء البارد من أجل ليلى التي اعتادت على شربه في الأوقات التي تشعر فيها بالخوف، أو تتوتّر أعصابها، وتشعر بعدم الارتياح لغياب إيدان الذي له أثر كبير في تعديل مزاجها.

صعدت الدرج، ودخلت الغرفة، وناولت ليلى كوب الماء، ولكن أمها لم تحرّك ساكنًا، ولم تتناوله من أليشا، فوضعته على الأرض بالقرب منها.

لم تستطع التواصل مع والدتها، ثم شعرت بأنها بحاجة إلى تنشّق بعض الهواء النقي، فتوجّهت إلى غرفة إيدان التي كانت في حالة فوضى عارمة، على عكس ما تكون عليه في الأيام العادية، فهي تظلّ مرتبة معظم الأحيان. كما وجدت على الطاولة قرب سريره عبوة مشروب طاقة، وكأس جعة، وكدسة من روايات مارتين كول التي كساها الغبار، على الرغم من أنها رواياته المفضلة.

ثم وجدت هاتفه مدفونًا تحت العديد من الإيصالات المكدسة على طاولته، وكان موصولًا بشاحن البطارية، وما إن ضغطت على زر الصفحة الرئيسية، حتى أضاء الهاتف، وظهر أن البطارية قد امتلأت، كما وردته أربع مكالمات فائتة من آل، وبعض الرسائل النصية، والمزيد من المكالمات الفائتة من غاي، وكلاريس، أو أيًا يكن اسمه.

لم يسبق لإيدان أن غادر المنزل من دون هاتفه المحمول، ولطالما كان على وضع الاهتزاز حتى في أثناء عمله في المستودع، تحسبًا لورود اتصال من أمه، أو من أليشا، أو في حال طرأ أمر ما.

عادت الأفكار تتضارب في ذهن أليشا، فلا بد أن مكروها قد أصابه. كانت تعلم أن إيدان شخص يحكمه المنطق، ولم يكن ليغادر المنزل من دون هاتفه إلا في حال كان ينوي العودة إليه خلال وقت قصير.

سيصل قريبًا إلى المنزل، ولن يتأخّر أكثر.



الفصل 28

موكيش

استيقظ موكيش من نومه، وشعر بتصلّب في ركبتيه وظهره وألم في وركه، وقد اشتدّ ألم مفاصله اليوم عما كان عليه سابقًا، كما يشتدّ في أقسى أيام البرد في الشتاء القارس، فكان يتوجّب عليه الخلود إلى النوم باكرًا الليلة الماضية، ولكن الأخوات مارش قيّدنه داخل عالمهن. وعلى الرغم من شدّة ألمه، فقد شعر بالحماسة والتشويق في ذلك العالم، وبالاندفاع إلى اكتشاف إلى أين سيقوده، بعد قضاء الأيام القليلة الماضية بين مخاصمة بناته ومصالحتهن بعد الخلاف الذي وقع بينهم، وثقته بنفسه التي دفعته إلى طرق الباب، والدخول بعد أن دعته ابنته إلى الداخل كما لو أنه ضيف محبوب، وسقوطه أرضًا وإصابة وركه، وكل ما تطلّبه الأمر كان دفء العائلة الذي دارت حوله أحداث الرواية.

لا شك في أن رواية *نساء صغيرات* كانت أفضل الروايات على الإطلاق، وقد توجّب عليه طلبها من المكتبة عندما شعر بالحيرة حول اختيار الكتاب الذي ستنطلق منه رحلته إلى عالم الكتب.

فور لقائه بالأخوات مارش ومارمي، أدرك سبب حب نينا وبريا لهذا الكتاب، جو، ميغ، بيث، وآيمي كن نساء مفعمات بالحيوية والمرح وسعة الخيال، وقد عشن حياتهن داخل الكتب وخارجها.

لقد اهتممن ببعضهن دائمًا، واعتنت كل واحدة منهن بالأخرى، وكل ما ورد في الرواية رآه موكيش في نينا، وكل صفحة من صفحاتها حملت سمة من سماتها،

فبدا وكأن الكتاب كان إرثها له، وأن روحها متناثرة بين الكلمات. ولكن المؤسف أن والد الفتيات الأربع كان بعيدًا عنهن بسبب مشاركته في الحرب التي طال أمدها، فاعتنت والدتهن بهن طوال فترة غيابه، كما اعتنت بأولاد آخرين أيضًا في ماساتشوستس في أميركا وغيرها، وساعدت الكثيرين ممن تركت الحرب آثارها على حياتهم، وعالجت جيرانها المرضى، وعاملت الجميع بمحبة ولطف، وقدّمت الطعام إلى العائلات في ليالي الكرسمس، وساعدت كل من احتاج إليها من أصدقائها وجيرانها. لو أن نينا كانت في مكانها، لفعلت الشيء نفسه برحابة صدر، وكانت لتضع احتياجاتها ومتطلباتها في المرتبة الثانية بعد احتياجات الآخرين، فتراءت نينا لموكيش في كل صفحة يقرأها، وفي كل مكان من حوله.

أراد أن يخبرها كيف ساعدته القراءة على قضاء وقت ممتع، والتواصل مع الآخرين ولو قليلًا، وأنها دفعته إلى النهوض من السرير ومغادرة المنزل لمواجهة العالم في الخارج.

اعتادت نينا على نمط حياتها، المشابه لنمط حياة الأم الكبرى في عائلة مارش، بينما عزل موكيش نفسه عن العالم بعد وفاة نينا سامحًا لفتياته بالاعتناء به. تنفّس بعمق، وفكّر في نفسه، هل هو الآن أشبه بمارمي مقارنة بحالته سابقًا؟ في الحقيقة أجل، لقد شعر بأنه مختلف عما مضى، وحالته أصبحت أفضل بكثير الآن.

بدأت معدته تطلب الطعام، والكلمات حول عشاء الكرسمس الكبير لأسرة مارش تنساب انسيابًا في صفحات الكتاب، ثم تتسلّل إلى رؤوس أصابعه مرورًا بجسده كله، فاستطاع أن يشمّ رائحة الطعام المتنوّع الذي أُعدّ من البطاطا المقلية، والحلويات والمعجنات أيضًا، فعادت به الذاكرة إلى أطباق ديوالي التي اعتادت نينا أن تطهوها، وجلاب جامون، وبرفي، والحلويات المتنوعة، وكل ما يشتهيه من أطايب، إلا أنه لم يعد يحصل على طبق ديوالي كالذي كانت تعدّه نينا، وفي حال احتفل أفراد العائلة معًا، ينقضي الأمر بالحصول على الوجبات الجاهزة من الخارج. ولكنه قرّر اليوم أنه سوف يعدّ الطعام بنفسه لعائلته، ولثلاثة أشخاص

تحديدًا، فستزوره بريا وروهيني لتناول العشاء الليلة، وعاد بأفكاره إلى الأخوات مارش ومارمي اللواتي أحطن أنفسهن بهالة إيجابية رغم كل ما مررن به من صعوبات، فأثبتن مرارًا وتكرارًا دور قوة الإرادة في تحقيق المستحيل.

تنفّس بعمق، ونهض عن الكرسي، وهو يفكّر في طهو الدوسة، فهو يجيد طهوها، وقد بدا واثقًا من قدرته على ذلك.

همست إليه نينا قائلة: "أنا فخورة بك حقًا، موكيش، ويستحسن أن تذهب في الحال لشراء حاجياتك"، فأسرع موكيش إلى الاستعداد للخروج من المنزل.

[#]

استغرق صعود موكيش أعلى التل وقتًا طويلًا، ولكنه كان أقل مما توقّع مع أخذ الآلام التي شعر بها بعين الاعتبار، وفور وصوله إلى الطريق السريع، رأى عددًا من مشجعي كرة القدم يضعون أوشحة باللونين الأزرق والأبيض حول أعناقهم، ويرتدون قمصانًا زرقاء اللون. لم يعتد موكيش رؤية هذه الوجوه البيضاء في ويمبلي إلا في حال إقامة مباراة كرة قدم أو حفلة أو ما شابههما، وكانوا يتجوّلون في كل مكان، وأبواق السيارات تحاول يائسة إبعادهم عن الطريق، فبقي موكيش قريبًا من الأبنية والمتاجر الواقعة إلى يساره قدر الإمكان، محاولًا الابتعاد عن الطريق كي لا يتعثّر ويسقط أرضًا، بينما كانوا يغنّون فرحين وهم يلوحون بعبوات المشروب إشارة إلى نصر الفريق الأبيض والأزرق، وقد عثر في النهاية على ملجأ في المتجر، وعندما دخله ألقى عليه نيخيل التحية، وسأله قائلًا: "ما الذي تريده اليوم، يا موكيش؟".

"حسنًا، أخطّط اليوم لإعداد طعام مختلف عن العادة، سأصنع دوسة".

"هل قلت دوسة؟! هل أنت متأكد من قدرتك على إعدادها؟".

"أجل، بالطبع!".

بدا موكيش واثقًا بنفسه أكثر مما وثق نيخيل بقدرته على تحضيرها، فكانت الدوسة طعامه المفضل، وقد اعتادت نينا أن تطهوها كل ليلة جمعة، لأن فتياته

المراهقات كن يتسكّعن في الخارج، لأنها في حال أعدّتها لأفراد العائلة كلهم، لن يتسنى لها تناولها معهم، إذ لا يمكنها أن تعدّ إلا دوسة واحدة في كل مرة.

"الدوسة التي تصنعها نينا هي الأشهى على الإطلاق، وأودّ أن أصنع واحدة مماثلة لها، قد لا تكون الأشهى، ولكنني آمل في أن تكون لذيذة إلى حدّ ما".

"أجل، لقد صنعت لي نواينوفي بعضًا منها مرات عدة من أجل وجبة الغداء التي أحضرها".

قال موكيش مبتسمًا: "أحقًا؟".

"أجل في حال تبقّى القليل منها، وفي حال احتاجت أمي إلى المساعدة في إعداد الطعام، كونها كانت تعمل ساعات إضافية ليلًا".

لطالما أخبرته نينا بأن إعداد الدوسة في غاية السهولة، وقد عارضها دومًا، لأن ما يسهل عليها يصعب عليه، بل قد يكون مستحيلًا بالنسبة إليه.

"سأحضر لك باقي المكونات، انتظرني قليلًا".

ابتعد نيخيل عن مكانه خلف آلة النقود، وبدأ يبحث عن حاجيات موكيش في أرجاء المتجر، وبينما كان موكيش يراقبه وهو يجمع حاجياته شعر بالتعب والإرهاق. كان نيخيل يتحرّك بسرعة كبيرة، فتسارعت ضربات قلبه، ولم يدرِ أكان ذلك جراء مراقبته شابًا يافعًا يتحرّك أمامه بحيوية ونشاط، أم كونه مرتبكًا بشأن إعداد الدوسة من أجل بريا وروهيني.

استذكر الخطوات في ذهنه بالترتيب، والتي كانت واضحة وضوح الشمس، وتساءل في قرارة نفسه: "هل سأستطيع إعداد الدوسة؟ هل سأتمكّن من إعدادها على أكمل وجه؟"، وبينما كانت تتزاحم الصور في ذهنه، نظر حوله في المتجر، فشعر وكأن البضائع تتحرّك من مكانها على الرفوف، وأن الجدران تكاد تطبق عليه، كما تراءت له ألوان شتى من الأحمر والوردي والأزرق، وفجأة أصبحت رؤيته ضبابية.

صاح موكيش قائلًا: "نيخيل!".

"نعم، موكيش".

"ماني باني جوي شي".[1]

"هل تريد الماء حالًا؟".

"أجل، أرجوك".

ضغط موكيش بيده على صدره، وأصبح يتنفّس بصعوبة، وفي لمح البصر أحضر نيخيل كرسيًا كان قد وضعه خلف الطاولة، وأجلسه عليه، ثم جلب له على الفور كوبًا من الستانلس ستيل مليئًا بالماء البارد.

"تفضّل، اشرب".

ارتشف موكيش الماء ببطء، ثم حاول القيام ببعض تمارين اليوغا التنفسية التي تعلّمها من فريتي؛ شهيق، حبس نفس، زفير من دون شهيق، ومن جديد شهيق، حبس نفس، ثم زفير. في النهاية تمكّن من التنفس بسهولة، وبعد أن شعر بالارتياح أحسّ بيد تربت على كتفه، فلم تكن يد نيخيل، بل يد نينا تذكّره بقدرته على تجاوز الأزمات وحده.

[#]

بقيت عيناه تتابعان عقربي الساعة حتى بلغت الخامسة، ولم تصلا بعد، فاستمرّ بمراقبتهما حتى الخامسة والربع، ولكن لم يصل أحد حتى الآن، وبعد مرور ثوانٍ معدودة طُرق الباب، لقد وصلتا!

انتصب موكيش واقفًا بسرعة، لم يكن يستطيع بلوغها في أفضل أحواله في الأيام العادية، ولكنه شعر بأنه ترك جزءًا منه على الكرسي، واتّجه باقي جسده إلى الردهة كي يفتح الباب.

فتح الباب، بعد أن مسح كفيه اللذين يتصبّبان عرقًا من شدة التوتر ببنطاله.

---

(1) تعني أريد الماء، ولكنه نطقها باللغة الكاجراتية وهي اللغة المحلية في الهند.

ما إن فتح الباب حتى اندفعت بريا إلى الداخل، حاملة رواية *لا تقتل عصفورًا ساخرًا* وهي تضمّها إلى صدرها، فشعر وكأن قلبه خفيف بخفة ريشة يتلاعب بها الهواء.

"لقد أحببت هذه الرواية، يا جدي! كما أحببت سكوت كثيرًا، وأودّ أن أخوض المغامرات مثلها تمامًا يومًا ما".

انحنى وقبّل رأسها، بينما احتضنته بذراعيها، ثم قال لها: "أراهن أنك ستفعلين ذلك، بالإضافة إلى أن مغامراتك ستكون أكثر تنوعًا وإثارة من مغامراتها!".

احتضنته بريا بدورها، ثم جلست على الكرسي الخاص بها، لتتابع القراءة، بينما كانت تراقب نينا كل ما يحصل بينهما، خطوة بخطوة، بشكل خفي. لقد كانت بريا تقرأ كتابًا يعرف موكيش كل تفاصيله، كما يعرف العالم الذي تعيش فيه الآن، فالأمر أشبه بالسحر، أن يستطيع الآخر رؤية العالم الذي رأيته من منظاره الخاص.

أحاطت روهيني كتفيه بذراعيها، وسحبته إلى الخلف قليلًا، فأدرك مباشرة بأنها تتفقّد المنزل بدقة بحثًا عن أي غرض ليس في مكانه، كي تعيده وترتّب المنزل سريعًا، وتضيف هذه الفوضى إلى قائمة انتقاداتها.

كلما أرادت التفوّه بكلمة أغلقت فاها، وهي تتنهّد تنهيدة خفيفة، ثم قالت: "كيف حالك بابا؟ لقد أحضرت بعض الحاجيات كي أعدّ العشاء"، فهزّ موكيش رأسه قائلًا: "كلا، يا عزيزتي، لن تتعبي نفسك اليوم، فسأعدّ هذه الليلة العشاء بنفسي، وقد أحضرت كل ما أحتاج إليه".

رفعت روهيني حاجبيها مذهولة بشكل واضح.

لقد بحث نيخيل من أجله عن طريقة تحضير الدوسة عبر الإنترنت، وكتبها على أحد الإيصالات القديمة، ورتّبها بشكل متسلسل على الطاولة في المطبخ، وكان قد صنع لتوه الحشوة، المكونة من البطاطا المقلية بالكمون، والحلبة، وحب الهال، وهي أشبه بعجينة هشة ودسمة توضع وسط الفطيرة، فشعر وكأنه طاهٍ محترف، وهو يقول لفتاتيه: "تذوّقا بعضًا مما أعددته في وقت سابق".

كانت السامبال صلصة تُصنع من الفلفل الأحمر الحار بشكل أساسي، وكان قد ابتاع من نيخيل الذي وعده بكتمان سره، الساشيت، وهو خليط من البقدونس والنعناع المجفف إضافة إلى بعض النباتات الأخرى، وقد مُزج مع الخلطة الخاصة بالدوسة. أخبره نيخيل بأن أحدًا لم يعد يمتلك الوقت الكافي أو الطاقة من أجل طحن المكونات وصناعة الخليط منزليًا، حتى إنه أطلعه على سر صغير، وهو أن نينا نفسها استعملت الساشيت فور توفّرها في متجره.

"كل ما أحتاج إلى فعله هو قلي الدوسة!".

قفزت بريا من الفرح قفزة طفلة في السابعة من عمرها قائلة: "دوسة!".

لقد تمكّن موكيش من تحقيق المستحيل، وصنع عشاء لا يحتوي على الفاصولياء أو الباميا، إنه إنجاز حقيقي، وقد أذهل روهيني التي شهدت بنفسها، والدهشة مرتسمة على وجهها تحضير موكيش الفطائر المحلاة التي نالت علامة شبه تامة، ولكن ربما لأن موكيش قليل الصبر، فقد تناولا فطائر رطبة وغريبة الشكل ومتشققة قليلًا، ومع ذلك فإن طعمها لم يتغيّر.

رفعت روهيني كمّيها كاشفة عن ذراعيها، وقالت لموكيش: "أيمكنني تقديم المساعدة؟".

قال لها موكيش: "لا، لا داعي لذلك"، جلست روهيني على حافة كرسيها، وهي تحاول أن تحافظ على توازنها ومتأهبة في الوقت نفسه لتجنّب السقوط، ولكن ذلك لم يحصل فقد حافظت على توازنها. وقد شعر موكيش بالفرح لأنه أثار إعجاب ابنته بما أعدّه من طعام، ثم قدّم إليهما طبقًا آخر، وهو يؤدّي دور الأم في المنزل ببراعة، مع أن تلك التجربة كانت جديدة بالنسبة إليه، ولكنه بات يشبه الآن نينا ومارمي، اللتين أحبّ دورهما الذي أدّياه في الحياة.

قالت بريا: "لقد كانت شهية، ولكنني اعتقد أنني سأحبّها أكثر لو كانت الحشوة في الفطيرة، وليست إلى جانب كدسة الفطائر، إضافة إلى جلوسك بيننا وتناولها معنا".

"إنني النادل والطاهي الخاص بكما اليوم".

"هذا رائع بابا، لقد أحسنت صنعًا، وكان السامبال رائعًا على وجه الخصوص، وهذا الطبق كان مختلفًا عما اعتادت أمي على إعداده. هل لا تزال تذكر مذاق طبق أمي؟".

"وكيف لي أن أنساه؟ ولكن ما تعدّينه لذيذًا أيضًا، وهو أفضل مما أعددته".

حاول إخبارهما بأنه تحايل عليهما قليلًا في أثناء إعداد الطعام، ولكنه فضّل أن يكتم السر حتى وفاته، فلا بأس إن فعل تلك الأمور الآن، فهو لم يملك الوقت الكافي لإعداد هذه الأطعمة.

بعد تناول العشاء توقّع موكيش أن تتّجه بريا إلى ركنها الخاص لتتابع القراءة بعد رفع الأطباق عن المائدة، ولكنها عادت وجلست إلى الطاولة، وسألت جدها قائلة: "في رواية *لا تقتل عصفورًا ساخرًا*، هل تذكر قول أتيكوس إن قتل الطائر يعدّ ذنبًا كبيرًا؟ هل كان يقصد أن قتل الأبرياء خطيئة؟".

شعر موكيش بأن قلبه يخفق بسرعة، فهو لم يتحدّث إلى أليشا بشأن ذلك، ثم قال بهدوء محاولًا إخفاء جهله: "أعتقد ذلك".

قالت بريا بلهجة حادة: "هذا منطقي! لأن العديد من الأبرياء في الرواية أُلحق بهم الأذى، أو أُسيئت معاملتهم أو قتلوا بوحشية! وقد أثار ذلك غضبي".

"كلامك صحيح، بريا، فأنت على حق".

تابعت بريا كلامها وهي توضح ما قصدته: "توم روبينسون، بو رادلي".

أومأ موكيش إليها برأسه، ثم تابعت قائلة مجددًا، وهي لا تزال تمسك بالرواية: "ديل وجيم! هذا رائع جدي! أتمنّى لو نستطيع التحدث عنها مع *با* أيضًا، وأتساءل إن كانت قد قرأتها".

بينما كانت بريا تتحدّث عن الرواية، لاحظ موكيش أنها أولت اهتمامًا أكبر للشخصيات الثانوية، بينما أثار اهتمامه الشخصيات الرئيسية في القصة، وهي تذكّره بأليشا، كم أن هؤلاء الشباب شديدو الانتباه!

قال موكيش آملًا في أن تظهر عليه بعض حكمة أتيكوس فينتش: "تستطيعين قراءة الكتاب الذي يثير إعجابك، كما يمكنك أن تختاري موضوعه بنفسك، فهذا هو الهدف من قراءة الكتب".

أومأت إليه بريا، ثم قالت: "جدي، أنت محق! لقد اعتادت *با* أن تقول لي ذلك أيضًا، ولكن هذه الروايات أكثر تعقيدًا من تلك التي كنا نقرأها معًا".

"حقًا! إن *با* حكيمة للغاية".

استمعت روهيني إليهما بينما كانت تتصفّح هاتفها، وتكتب بعض الرسائل الإلكترونية، ثم ابتسمت إلى والدها، فبادلها الابتسامة، وكان هذا كل ما أراده، وها هي حفيدته أمامه، ولم تعد تعزل نفسها وأفكارها الخاصة عن الآخرين في عالمها السحري، ثم تذكّر نينا وبريا وهوسهما في القراءة، وهما تضحكان معًا على إحدى الشخصيات، ولم يفهم حينها ما يدور بينهما، ولكنه أدرك الآن ما كان يجري، بعد أن أصبح أتيكوس وجيم حقيقيين بالنسبة إلى بريا وإليه، وأشبه بأفراد عائلتهما.

الفصل 29

أليشا

مشت إلى جوار والدها ويدها الصغيرة ذات الخمس سنوات تمسك بيده الضخمة، فتحسّست أناملها الناعمة أنامله الخشنة، وقد تمسّكت بها بشدة عندما شعرت بحذائها الرياضي ينزلق بسلاسة على الرمال، كانا يمشيان في اتجاه البحر، فلم تتمكّن من رؤيته بعد، ولكنها على ثقة بأنه كان وجهتهما.

كانا يمشيان في الغابة، ولا شيء يحيط بهما سوى الأشجار الكثيفة والباسقة وذات الجذوع النحيلة والأوراق المدببة الطويلة الخضراء، إنها أشجار الشوح، كما أخبرها والدها. ثم سمعت صوت الطيور ونباح بعض الكلاب يصدر من مكان بعيد، ولكنها شعرت بأنها قريبة منها، ثم تابعت تفقّد المكان من حولها، فطلب منها والدها التوقف عن التقدّم بسرعة وإلا قد يختلّ توازنه ويتعثّر.

لم تشأ أليشا أن يتعثّر والدها ويسقط أرضًا، لأنها ستبقى وحيدة إن حصل ذلك، ومن دون أي سند في هذا العالم، كما أنها لن تتمكّن من العثور على طريق العودة إلى المنزل. وقد أقلّت والدتها إيدان إلى كرومر، بعد أن أصرّ على عدم مرافقتهما مبديًا عدم رغبته في الذهاب إلى الشاطئ، لاسيما في ظلّ غياب ما يثير حماسته هناك، وكل ما أراده كان تناول بعض الطعام، ورؤية رصيف الميناء، الذي رآه أصدقاؤه في الصيف الماضي.

اليوم أليشا وديـن وحـدهما يتنزهـان. فشـدّت علـى يـد والـدها الضـخمة، وما إن أمسكت بها بيدها الصغيرة، لـم تمتلـك أدنـى فكـرة عمـا يجب توقّعه. لـم تستطع الرؤيـة عـن بعـد بشـكل واضـح، ولكنهـا لاحظـت وميضًـا ينبعـث مـن بـين الأشـجار المنتصـبة أمامهـا. في النهايـة وصـلت إلـى وجهتهـا، فوقفـت عنـد الخـط الفاصل بين الغابة والشاطئ، وبين البحر والبر، وشعرت أن ما حولها يجسّـد الجنـة بعينها.

كانـت الرمـال ذهبيـة اللـون، والأعشـاب الطويلـة تفرش أرض الغابـة ببسـاط سميك، وقد شمخت أشجارها حتى كادت تلامس عنان السماء. بدت كثبان الرمال دافئة، وانعكس عليها ضوء الشمس الـذي ينشـر خطوطـه علـى الشـاطئ، وقـد تـرك البقعة التي تقع خلف تلك الكثبان تخيّم عليها الظلال.

تابعا السير، فشعرت أليشـا بالشـجاعة الكافيـة لتفلـت يـد والـدها، ثـم أحسّـت بـأن قـدميها تغوصـان في الرمـال التـي بـدت رطبـة حينًـا، وحينًـا آخـر أشـبه بالعسـل الأسـود رطبـة وقاسـية في الوقـت نفسـه، ويسـهل المشـي عليهـا، كمـا كانـت تلـك الرمـال الرطبـة داكنـة اللـون أكثـر مـن الرمـال الجافـة. إن كانـت تشـعر بالكآبـة حينها، لوصفتها برمـال قـذرة، ولكنهـا كانـت تشـعر بـالفرح، لـذا رأتهـا أنقـى مـن أن تكون ملوثة.

شعرت بما يشبه الخشخشة تحت قدميها، وعندما أحنت رأسها وجدت بعض القـواقـع والأصـداف، وجـدت الآلاف منهـا بـل الملايـين، وكـأي طفـل آخـر كـان يمكن أن تلتقطها وتجمـع مـا اسـتطاعت منهـا، ولكنهـا لا تشـبه أي طفـل آخـر، فقـد ارتـأت أن تـترك الأصـداف مكانهـا، وألا تكـون مـن يحرمهـا مـن بيئتهـا، ثـم نظـرت حولها، فرأت العديد من النقاط تنتشر على مد النظر في الأفق البعيـد، وهـي تجسّـد أناسًا وكلابًا، فلم تطل النظر إليها كثيرًا، بل تابعا سيرهما. أدركـت أن البحـر أصـبح أقـرب منهمـا الآن، بعـد أن رأت انعكـاس أشـعة الشـمس علـى الرمـال التـي بلّلتهـا مياه البحر.

التفتت حولها تبحث عن والدها الذي يقف خلفها على مسافة بعيدة منها على الرمال التي لم تطأها قدماها، وأمامه جسم غريب ملقى على الرمال، ظهر على مرمى نظرها نقطة صغيرة.

سارت في اتجاهه من دون أن تمانع الرجوع قليلًا إلى الخلف، ففي النهاية ستصل إلى البحر في مطلق الأحوال، على الرغم من أن مياهه كانت باردة للغاية، وربما لن تتمكّن من وضع قدميها فيها، ثم رأت والدها يلوّح لها من بعيد، ويده فوق رأسه، وقد بدا أطول من الأشجار التي تظهر خلفه.

ما إن اقتربت أكثر فأكثر، حتى تبيّن أن ما وقف والدها خلفه كان فقمة سبق لشقيقها أن أخبرها بوجودها في تلك المنطقة، في نورفولك، ولكن تلك الفقمة لم تكن على طبيعتها، فكان في أحد جانبيها فجوة كبيرة، يحوم حولها الذباب، وقد أحرقت أشعة الشمس القوية جلدها ما جعل اللحم الذي يحيط بالفجوة يضمر، كما لاحظت وجود سائل لم تتعرّف إليه، فهو لم يكن دمًا ولا ماء.

لم يسبق لها أن رأت فقمة، أو بتعبير أدق لم ترَ فقمة حية، فاستمرّت تحدّق إليها، وهي تتساءل، كيف حدث لها ذلك؟ ومن أحدث هذه الفجوة؟ وبينما كان والدها يراقبها، شعرت بألم حاد في رأسها، وهو الألم المألوف الذي يصيب الإنسان قبل البكاء، وبعد الشعور بالحزن أو الغضب.

ثم شعرت بيديّ والدها تربتان على كتفيها، فأرادت الاختباء بين أحضانه، وأن يصيبها العمى كي لا تتمكّن من رؤية هذه الفقمة والسماء فوقها ورمال الشاطئ الممتدة على مد النظر، فلم ترغب إلا في رؤية ذاك السواد، ولا تشمّ سوى رائحة معطف والدها العتيق. في بادئ الأمر، كبحت دموعها، ثم شعرت بحرارتها عندما انهمرت على خديها، لقد أرادت أن تجهش بالبكاء، وأن تصرخ بأعلى صوتها، ولكنها شعرت بالإحراج من أن تصرخ، فتضاربت مشاعرها ولم تهدأ إلا بعد مضي وقت طويل، فلم تستطع تخيّل ما يمكن أن يكون أسوأ مما حدث للفقمة، فقد يكون الموت وحيدة من دون أن يرعاها أحد أو يهتمّ بها، سواهما هي ووالدها،

ولكنهما ليسا إلا غريبين مرّا صدفة من أمامها، وأحدهما لم يشعر بأي مشاعر تجاهها.

قال لها دين: "أليشا، لا يجب أن تحزني، فالموت يلاحق كل الكائنات، ولن ينجو أحد منه".

[#]

لم تشعر بالحزن، كما لم تشعر بأي مشاعر أخرى. نظرت إلى يديها، ولا تزال الشرطية تجلس على الكرسي المقابل لها، ولم تميّز أليشا سوى حركة فمها التي كشفت عن بعض الكلمات: "مع الأسف، أحمل إليك أخبارًا سيئة، فقد عثر عليه شخصان غريبان"، وكان ما حولها غارقًا في بحر من الصمت المطبق، وكل ما استطاعت التفكير فيه هو ذكرى موت تلك الفقمة، وأن كلمات تلك الشرطية بدت أشبه بكلمات مأخوذة من رواية، كُتبت بقلم شخص لم يؤلّفها، فهي لا تزال تشعر بالألم لموت الفقمة، وكأنها تعيش اللحظة مجددًا. ولكن كيف يمكن أن تشعر بالأسف والحزن لموت فقمة، ولا تشعر بأي انفعال لخسارة شقيقها إيدان الذي صدمه القطار في المحطة.

تبعت الشرطية في الرواق، مودعة إياها والجمود يعلو وجهها، ثم ارتسمت ابتسامة فاترة ومجردة من العواطف على وجهها.

دخلت إلى المطبخ، في اتجاه الثلاجة، وتأمّلت الملاحظات التي ألصقها إيدان باحثة عن دليل ما يقودها إلى ما دفعه إلى الانتحار، وكلما قرأت واحدة انتزعتها عن الثلاجة، ثم أصغت إلى صوت تمزّقها الناعم تاركة إياها تتناثر على الأرض واحدة تلو الأخرى، ثم أسرعت إلى قراءة بعض القصاصات، إلا أنها جميعها شملت مضمونًا واحدًا: "حبوب، كيس القمامة، سائل الغسيل، الشطائر من أجل أمنا" وأخيرًا: "سأعود لاحقًا، لا تنتظراني، أحبّك ليش". مزّقت تلك القصاصات بغضب شديد، فهو لم يترك لها ملاحظة اليوم، ماذا يعني ذلك؟ "سأغادر إلى الأبد، حظًا موفقًا".

راقبت القصاصات الورقية تتناثر أمامها، فرفعت قدمها، وداست عليها بكل ما أوتيت من قوة، وشعرت بها تخشخش تحت قدميها، وكأنها أوراق الخريف الحزينة واليابسة. تركت كل شيء على حاله وغادرت المطبخ.

بين تلك الملاحظات على الأرض، رقدت قطعة صغيرة من طبق إيدان المميز، وقد دُفع نصفها، الذي يحمل وجه بيتر رابيت المبتسم تحت الثلاجة.

الفصل 30

موكيش

استقبلته لوسي -أمينة المكتبة - بابتسامة لطيفة، وقالت له: "أهلًا بك، موكيش! في الحقيقة أنا على وشك المغادرة الآن، ولكن أسعدتني رؤيتك اليوم ربما نلتقي في يوم آخر، ما الذي تحمله؟".

لقد تعرّف موكيش إلى لوسي عندما كانت أليشا في الجوار، وقد أحبّها بقدر ما أحبّ أليشا، فأظهر لها رواية *نساء صغيرات*.

قالت له لوسي: "رواية نساء *صغيرات*! إنها رواية ابنتي المفضلة، وهي لا تزال معجبة بها حتى بعد أن بلغت الثامنة والعشرين من عمرها".

قال موكيش، منسقًا كلامه الذي تدرّب عليه بعد إخبار نيلاكشي به الليلة الماضية: "إنها رواية جميلة حقًا، وهي تذكّرني بنقاط الاختلاف والتشابه بين بناتي! فلطالما تنازعن مع بعضهن في مرحلة طفولتهن، كما كن أقرب الصديقات إلى بعضهن أيضًا، أتمنّى في بعض الأوقات لو أن نينا قد ألّفت كتابًا يتناول مراحل حياتهن في طفولتهن ومراهقتهن".

سألته لوسي، بينما كانت تضع حقيبتها على كتفها لتهمّ بالمغادرة: "ما الذي تقصده من كلامك؟".

"في الحقيقة أمضت زوجتي نينا الوقت الأطول برفقتهن في كينيا، حيث كنا نسكن، وهي تواكب نشأتهن، وتتتبّع خطواتهن يومًا بعد يوم، وعندما كنت أصل إلى

البيت متأخرًا من العمل في بعض الأوقات كنت أجدهن جميعهن نائمات في أسرتهن".

قالت له لوسي بلطف من دون أن تبدي أي رغبة في الانصراف: "هل تشعر وكأن قطار الزمن قد مرّ بسرعة من دون أن يسمح لك بقضاء الوقت معهن؟".

أدرك موكيش أنه لم يسبق له أن فكّر في هذا الأمر بهذه الطريقة، فقال لها: "ربما أفكّر في ذلك في بعض الأحيان، ولكن نينا، لطالما اعتبرت أننا نشكّل فريقًا موحدًا، وقد اعتادت انتظاري كل مساء، لتقصّ عليّ ما جرى خلال النهار، فكانت تلك لحظاتي المفضلة، لذا لا أشعر بأنني فوّتُّ الكثير".

قالت لوسي، وهي تربت على كتفه بلطف: "هذا لطيف، سيد موكيش، وشكرًا على إخباري بذلك، أشعر بأنك تحمل رواية قيمة في داخلك في مكان ما، وقد تُطلقها ذات يوم".

"ليست رواية، ربما حلقة من برنامج تعرضه قناة زي، أو بعض مشاهد أحد الأفلام أو المسلسلات، ولكنه بالتأكيد ليس رواية كاملة".

ضحكت لوسي على ما قاله.

سألها موكيش: "أين أليشا؟"، لقد أراد إخبارها بمدى التشابه بين أفراد عائلته والفتيات الصغيرات في الرواية، ولاسيما مارمي، كما تساءل أيضًا عن طموح بريا، فهي جريئة وذكية وشجاعة، حالها كحال جو، الأخت المشاكسة، والتي أحبّت الكتب والكتابة، فأصبحت كاتبة لامعة. هل ستتقاطع طريق جو وبريا في هذا المجال، وهل ستغدو بريا كاتبة مشهورة أيضًا؟

قالت له لوسي: "في الحقيقة أجهل مكانها، ولعل كايل يُعلمك به، فهو يعمل اليوم بدلًا منها، وستجده في الخلف، وما عليك إلا أن ترنّ الجرس فقط، أسعدتني رؤيتك حقًا، سيد باتيل".

لوّح لها بيده وهي تغادر، ثم رنّ الجرس باليد الأخرى، فالتفت إلى الخلف ليجد شابًا يافعًا يحمل بين ذراعيه كدسة كتب.

قال له كايل الذي كان يتصبّب عرقًا نتيجة ثقل الكتب التي يحملها: "أنت السيد باتيل، أليس كذلك؟".

"أجل هذا أنا، هل تعلم أين يمكن أن أجد الآنسة أليشا اليوم؟".

"في الحقيقة لن تحضر اليوم إلى العمل، وأنا أحلّ محلّها، كيف يمكنني مساعدتك؟".

"هل هي بخير؟ أهي مريضة؟".

قال له كايل: "أعتقد أنها تواجه مشكلة عائلية طارئة".

تسارعت نبضات قلب موكيش، وعصفت الأفكار السوداء في ذهنه: "هل أصاب أمها مكروه؟".

"لا أعرف شيئًا، سيدي".

ذعر موكيش بعد سماعه كلامه، وقال لكايل: "أريد أن أزورها وأطمئنّ على حالها، أيمكنك إخباري أين يمكن أن أجدها؟ أهي في المنزل مع أمها وشقيقها؟".

"لا أستطيع أن أعطيك هذه المعلومات، اعذرني".

"ولكنني صديقها، وأودّ الاطمئنان عليها فقط، والتأكّد من إمكان تقديم المساعدة إليها بطريقة أو بأخرى؟".

"لا، مع الأسف لا يمكنني أن أعطيك أي تفاصيل، وإن أرادتْ يمكنها أن تعطيك المعلومات بنفسها، لأن هذا الأمر يخالف النظام الأوروبي العام لحماية البيانات الخاصة".

حاول موكيش أن يتحايل على كايل، وأن يتظاهر بالعجز كونه رجلًا متقدّمًا في السن ويحتاج إلى من يقدّم إليه المساعدة، فقد أفلح في القيام بذلك مرات عديدة، كما حاول أن يستوحي أفكاره من مارمي أو نينا، فقال لكايل: "لقد أعطتني تلك التفاصيل بنفسها، وقد زارتني منذ يومين، ولكنني نسيتها، فأنت تعلم الأمور المتعلقة بذاكرة المسنين، فهي لم تعد كالسابق، ولكن أعلم أنه لا يمكنك مخالفة

النظام الأوروبي مهما كانت الظروف، ولكن كل ما أريده هو إيصال بعض الطعام إليها أو أي شيء آخر قد تحتاج إليه".

أجاب كايل وهو يطبع على الحاسوب: "أنا آسف، سيدي، أخشى أنني لن أتمكّن من مساعدتك، أرى أن لديك رواية محجوزة باسمك لدينا".

"لم أطلب أي رواية".

"في هذه الحالة أعتقد أن أليشا هي من حجزتها من أجلك، إنها رواية *محبوبة*، بقلم توني موريسون".

أعطاه موكيش رواية *نساء صغيرات* من دون أن ينبس ببنت شفة، ثم خطرت في باله بيث، إحدى الأخوات التي أصيبت بالمرض، وأختها الكبيرة جو التي تكنّ محبة كبيرة لها، كما استعاد الفصل الذي ذهبت فيه الأخوات إلى الشاطئ آملات في أن يساعد نسيم البحر المنعش بيث على التحسن. ما أشد شبه ذاك المكان بالشاطئ الذي اصطحب بناته إليه في كينيا! لقد انتعشت ذاكرته واسترجع تلك الأيام الحارة، عندما كان يعود باكرًا إلى البيت ليصطحب فتياته إلى المنارة فيشتري لهن الذرة المشوية والكستناء، ثم يجلسون على شاطئ البحر. فكانوا سعداء ومرحين للغاية، أما نينا فكانت تجلس في صمت، تتأمّل المشهد أمامها، وتراقب موكيش يبذل كل ما في وسعه لتسليتهن ورسم الابتسامة على وجوههن، وتساءل إن كانت فتياته يتذكّرن تلك الأيام الجميلة.

أبلغته نينا بعد مرور عدة سنوات من انتقالهم إلى لندن، في أحد أيام الصيف الحارة، برغبتها في رؤية البحر، من أجل تذكّر الأيام الخوالي، فتساءل موكيش بعد استرجاع شريط الذكريات، إن كان لنسيم البحر دور في إصلاح الأمور، تمامًا كما أملت جو في كتاب *نساء صغيرات*. في ذلك اليوم استقلّوا القطار إلى برايتون حاملين معهم غداءهم المكون من شطائر الحمص المطحون، والجزر، وبعض البهاجي - أشبه بعجينة محشوة ومقلية - المتبلة، كما أعدّت نينا أيضًا عصير البابايا، وأحضرت معها بعض علب الفيمتو، وقارورة من الشاي، وقد وضعوا أجهزتهم اللوحية في علب بلاستيكية صغيرة.

كانت الرحلة على متن القطار ممتعة، ولا يزال يحتفظ بكل تفاصيلها في ذاكرته، فقد مضت سنوات على آخر مرة رأى البحر فيها، عندما كانت فتياته صغيرات كفاية ليصطحبهن في رحلة قبل أن ينتقلن إلى مرحلة المراهقة. كان الجو رطبًا والرياح عاتية خلال تلك الرحلة في إنكلترا، وقد استعاد خلالها موكيش ونينا أيام شبابهما مجددًا، وتحديدًا فترة الأشهر الأولى التي أمضياها بعد زواجهما، عندما أفسحت عائلتاهما المجال لهما كي يتجاذبا أطراف الحديث، ويتعرّفا أكثر إلى بعضهما من دون أن يصرّ والدا نينا على أن تساعدهما في أعمال المنزل، أو تقوم بأي أعمال أخرى، فأمسك بيد نينا على متن القطار، وابتسم كل منهما للآخر وهو يراقب الطريق من خلال النافذة.

أحبّت نينا الشاطئ، وقد راقبها وهي جالسة على رماله تقرأ كتابها، ونسيم البحر يداعب شعرها الذي كانت تسرّحه على شكل كعكة، وقد تطايرت بعض خصلاته، في ذلك الوقت، أدرك موكيش كم كان محظوظًا، وينعم بحياة جميلة مع زوجته نينا وفتياته الرائعات، اللواتي كن بالنسبة إليه نساءه الصغيرات. كيف يمكن أن تشعره مراقبة زوجته وهي تقلب صفحات كتابها بالسعادة؟ لا يزال يحبّها وكأنهما لا يزالان في الأشهر الأولى من حياتهما الزوجية، والتي يكتشفان خلالها أسرار بعضهما، وعندما يجتمعان حول المائدة، كانا يتأمّلان الرصيف البحري، فيتجنّبان طيور النورس، ويتناهى إلى سمعهما صوت الضحكات، وصراخ الأطفال وهم يلعبون، ثم يقول لها "أحبّك"، فيرتبك للغاية، ويشعر وكأنه اعترافه الأول.

لم يدرِ أنه لم يبقَ من حياة نينا سوى عام ونصف، وأنها كانت فرصتها الأخيرة لرؤية البحر، وقضاء رحلة ممتعة برفقة موكيش الذي ملأت حياته بهجة وسرورًا، فتمنّى لو أخبرها في كل يوم من حياته بأنه يحبّها بجنون.

لقد أدرك الآن أن البحر لا يبعث حياة أي شخص من جديد، ولا يحييه بعد موته، ولكنه يمنحك وقتًا ممتعًا مع من تحبّه، لتقضيه برفقته، وبعد أن يرحل تبقى ذكراه راسخة في قلبك. هذا ما حدث مع جو وبيث على الشاطئ في الرواية التي

فطرت قلبه، فشعر بالأسف لمرض بيث، كما تألّم لفقدان نينا أيضًا.

ودّع موكيش نساء الأسرة جميعهن، بيث، جو، ميغ، آيمي، ومارمي، واستقبل روايته الجديدة محبوبة، وهو يتساءل عن محتواها بشوق شديد حتى قبل أن يسلّم الكتاب السابق.

سأل كايل بلهفة: "ما موضوع هذه الرواية؟".

"أنا أعتذر، لا أعلم ما الموضوع الذي تتناوله، فلم أقرأها، ولكن روايات توني موريسون رائعة في العموم".

أومأ إليه موكيش قائلًا: "شكرًا لك، كل ما أحتاج إليه الآن هو رقم هاتف الآنسة توماس من فضلك، أريد أن أناقشها في رواية *نساء صغيرات*، فنحن نعلّق دومًا على محتوى الروايات التي تنصحني بقراءتها، فهذا يساعدني على فهمها بشكل أفضل، وهذا الأمر متعلق بخدمات المكتبة بشكل تام".

هزّ الشاب برأسه رافضًا: "لقد قلت لك، ليس في استطاعتي منحك أية معلومات تتعلّق بأليشا".

قال موكيش بصوت حاد محاولًا استخدام تكتيك جديد: "اسمعني، أنا رجل عجوز، وفي إمكاني إثارة الصخب في المكتبة، إن لم تعطني عنوان الآنسة أليشا"، ثم نظر موكيش حوله، فوجد كريس جالسًا في زاويته المعتادة، فلوّح له من بعيد مشتتًا انتباهه للحظات، ثم تابع تفقّد الموجودين في المكتبة، فرأى ثلاثة أشخاص آخرين يطالعون بهدوء، وبشكل عام كان العدد كافيًا للتسبب بالقليل من الإحراج لكايل.

نظر كايل حوله مرتبكًا، فتابع موكيش كلامه قائلًا: "ماذا قررت؟ هل ستساعدني أم لا؟".

بعد توتّر الأجواء في المكتبة وقليل من التفكير، مرّر كايل يده على شعره متنهدًا، ثم قال: "حسنًا، ولكن أرجوك لا تخبر أحدًا، فقد أفقد عملي نتيجة ذلك".

استغرب موكيش قدرته على التأثير فيه، وقال لنفسه: "كان التأثير عليه سهلًا للغاية، من يجرؤ بعد الآن أن يقول إنني عجوز غير نافع؟".

همست نينا في أذنه قائلة: "لقد تصرّفت بذكاء، موكيش".

قال له كايل بعد أن ناوله قصاصة ورق: "هذا هو العنوان".

"شكرًا لك، لا أدري كيف سأردّ لك هذا الجميل".

استدار موكيش، وأوشك أن يهمّ بالرحيل قبل أن يضيّع مزيدًا من الوقت، ولكن فكرة خطرت في باله استوقفته، فسأل كايل: "قبل أن أغادر، أودّ أن أسألك سؤالًا، هل تتوافر نسخة من *زوجة مسافر عبر الزمن*؟"، لقد أشعرت هذه الرواية موكيش بالراحة عندما احتاج إليها، ومع أنه كان يأمل في أن تكون أليشا بخير، إلا أنه رأى أن الرواية قد تكون وسيلة لتشتيت ذهنها عن المشكلة التي طرأت على حياتها؟

قال كايل: "نعم، لدينا نسخة منها"، ثم غاب قليلًا، وعاد وهو يحمل نسخة من هذه الرواية في كيس بلاستيكي.

أمسك به موكيش بإحكام، ودسّ قصاصة الورق التي دوّن عليها كايل عنوان منزل أليشا داخل الغلاف، ثم خرج يشقّ طريقه وسط الزحام وصخب ويمبلي.

[#]

كان طريق منزل أليشا غريبًا بالنسبة إلى موكيش، فهو لم يلحظه من قبل، ورغم اتساعه وقربه من الطريق السريع، كان يبدو مختلفًا جدًا عن الطريق الذي يقوده إلى منزله، فشعر وكأنه يقع في نهاية العالم.

حاول تبيّن العنوان بشكل أفضل، ولكن خط كايل كان سيئًا ويصعب قراءته، فاستطاع تمييز الأرقام وهي الأكثر أهمية، واستمرّ بالمشي، إلى أن اقترب من المنزل الذي يجب أن يكون إلى يساره، فبدت الشمس ساطعةً، وهي تتربّع في عرش السماء، ولا تعكّر صفوها إلا بعض الغيوم الرمادية التي اجتاحتها في الصباح الباكر.

عدّ موكيش المنازل التي مرّ بالقرب منها.

سمع أصوات موسيقى صاخبة تصدر عن بعضها، وقد عكّرت مزاج المارة، كما هزّت النوافذ الزجاجية، ثم رأى الأطفال يلعبون الكرة في الشارع، فيركلونها من أحد جانبي الطريق في اتجاه الآخر، فتسارعت ضربات قلبه مجددًا خوفًا من رمي الكرة في اتجاهه والارتطام به أو السقوط قرب قدميه ما يجبره إلى أن يمرّرها إلى الأطفال مجددًا. ولكنه تجاوز نطاق الخطر في النهاية من دون أن يحدث ما خطر في ذهنه، ليجد نفسه أمام المنزل رقم 79، وأخيرًا وصل إلى مقصده.

كان واثقًا من أن أليشا في المنزل، وذلك وفقًا لما سمعه منها إن لم أكن في المكتبة، فأنا حتمًا في المنزل"، ولكنه لاحظ أن نوافذ المنزل مغلقة، مقارنة بتلك المنازل الأخرى المطلة على الشارع في الحي، ولا شيء في الحديقة الأمامية سوى الصناديق الفارغة وبعض الأعشاب الضارة، وبدا كل ما يتعلّق بالمنزل غامضًا، باستثناء وميض ينبعث من النافذة، كان انعكاس سيارة الشرطة المركونة في الجانب الآخر من الطريق.

كان الممشى المؤدّي إلى الباب مرصوفًا ببلاط ذي أشكال هندسية غير منتظمة، وقد نال إعجاب موكيش الذي راهن على أن هذا المكان كان جميلًا في الماضي، وقد اعتُني به بعد بنائه، ما أعاده إلى حديقة منزله المرصوفة على طراز باتينبيرغ ذي المربعات أو الألواح ذات اللونين المتعاكسين لسهولته، ولكن لونها استحال أبيض بتأثير أشعة الشمس، كما تكسّر بعضها.

همّ موكيش بطرق الباب، فتملّكه خوف شديد فجأة، وخشي أن يترك علامة على باب هذا المنزل، فانتظر قليلًا، ثم تراجع إلى الخلف ليتمكّن من تفحّص نوافذ الطابق العلوي، ثم استرق السمع لعله يسمع صوتًا ما، أو يستشعر أية حركة، ولكن النوافذ كلها كانت مغلقة، وقد أُسدلت ستائرها، وعمّ المكان صمت مطبق.

ارتجف موكيش رغم أن الطقس كان حارًا.

بعد أن تأكّد من أن لا أحد في المنزل، أخرج القصاصة التي عليها العنوان من جيبه ليتأكّد من قراءته للرقم بشكل صحيح، لقد كان 79 من دون أدنى شك.

كان يفصل بضع ميليمترات فقط بين إصبعه وجرس المنزل، ولكنه منع نفسه من قرعه، فلا أحد في المنزل.

بدلًا عن ذلك، وضع كتاب *زوجة مسافر عبر الزمن* في صندوق الرسائل، ويمكنه لاحقًا أن يلوم كايل في حال كان العنوان خاطئًا، ثم عاد أدراجه إلى الطريق السريع ليستقلّ الحافلة.

شعر بالراحة مع كل خطوة خطاها بعيدًا عن المنزل الذي كانت كل نوافذه مغلقة، كما تحرّر من الإحساس الغريب بالشؤم تجاهه، فتراءت له فجأة صورة مانديرلي من رواية *ريبيكا*. كان الابتعاد عن منزل أليشا أشبه بالهروب من ذلك المكان المخيف الذي تسكنه أشباح الماضي، والأسرار والمخاوف، ثم هزّ رأسه محاولًا التخلص من أفكار الرواية التي تطارده، وإقناع نفسه بأن أليشا بخير، بالطبع ستكون بخير، هل يمكن أن يحصل عكس ذلك؟



الفصل 31

أليشا

كان المنزل غارقًا في الظلام، بعد أن أطفأت الشرطية وزملاؤها كل الأنوار بعد مغادرتهم، كما داست أقدامهم وهم يخطون خطواتهم في اتجاه الخارج على كتاب وُضع على أرض المدخل، وهو رواية *زوجة مسافر عبر الزمن*، وقد سمع الجميع صوت احتكاك أقدامهم خلال خروجهم من المنزل بغلاف الكتاب، بعد أن صدر صوت دوس أرجلهم وارتطامها به، فنظروا إليه لوهلة، غير مبالين بكيفية وصوله إلى تحت أقدامهم.

شعرت أليشا بأن الصمت في المنزل يضيّق الخناق عليها، فمشت خطواتها بحذر شديد، مرتعدة من مجرد التفكير بالأحداث القادمة، فوصلت إلى الطابق العلوي، وقلبها يخفق بشدة حتى كاد يخرج من صدرها، وما إن أمسكت بمقبض باب غرفة ليلى، حتى شعرت بلسعة برودته الشديدة للحظات، فتجمّدت في مكانها، عندما لم تسمع أي صوت صادر من غرفة ليلى، وفور دخولها رأت ليلى تنتظرها، كما لو أنها كانت تتوقّع وصولها في تلك اللحظة، فأغلقت أليشا الباب خلفها، لأنه يستحسن التحدث حول ما جرى، بمعزل عن العالم بأكمله.

وضعت أليشا يدها على كتف والدتها، وقالت لها: "اجلسي يا أمي"، فشعرت وكأنها تتقمّص شخصية أحد آخر في تلك اللحظة، وأنها استمدّت الحكمة والمهابة من أتيكوس الذي لا شيء يخيفه، أما الغضب والأسى فاستمدّتهما من جو مارش

في اللحظة التي أدركت فيها رحيل بيث، وإدراك قيمة الصحبة الحقة تعلّمتها من باي الذي خسر عائلته، ولم يبقَ له سوى النمر الذي يمكنه التحول في أي لحظة، إلا أنه لم يكن أي شيء في مكانه الصحيح.

نظرت إلى عيني ليلى، فوجدتهما تبحثان عن الإجابة في تعابير وجهها، بينما تخيّلت أليشا الشرطية تجلس أمامها بهدوء تام، كيف يمكنها أن تحافظ على هذا الهدوء، وهي تحطّم عالم الآخرين؟

شعرت أليشا بوخز حاد في جسدها، وبأن روحها تنتزع منها، وبأنها بدأت تتنفّس بصعوبة، فتمنّت لو تستطيع أن تعود بشريط الزمن إلى الوراء قليلًا، فتحذف المشاهد الأخيرة من الرواية، ثم تعيد كتابتها مجددًا، فيدخل إيدان المنزل متفاديًا دوس الكتاب برجليه، ثم يوبّخها لتركها الأغراض مرمية على الأرض في كل مكان، ثم يتّجه إلى المطبخ، وينزع قصاصات الملاحظات القديمة التي لا فائدة منها، ثم يبحث عن الطعام، وهكذا تعود حياتهما إلى طبيعتها.

ولكن لا شيء سيعود إلى طبيعته بعد اليوم.

كانت عينا ليلى مثبتتين على ابنتها، وتكاد نظراتها الحادة تخترقها.

تنفست أليشا بعمق استعدادًا لتقمّص شخصية أتيكوس، وسرد الوقائع، وإخبارها بالحقيقة المرة، وهي أن إيدان قفز أمام القطار صباح اليوم، وأنه أراد الانتحار، ولكن أليشا متأكدة من أن ما حدث كان عكس ذلك، فهي تدرك ذلك الشعور تمامًا، وما يعني أن تقف على الرصيف، وتراقب القطار وهو يتّجه نحوك، وذلك الدافع الغريب اللاعقلاني يحثّك على رمي نفسك أمامه منتظرًا أن تعرف شعور الاصطدام بواسطة قطار، ولكن كل ذلك كان من نسج خيالها، ولا يمت إلى الحقيقة بصلة.

لا تزال ليلى تحدّق إليها، ولا تزال أليشا تائهة في بحر الكلمات، وهي تحاول اختيار ما يخفّف من وقع المحنة، ولكن لا شيء ينفع، بدأت تتحدّث، واستمرّت بالكلام حتى نفد منها، ولم يعد لديها ما تقوله.

توقّف الزمن للحظة، وترك أتيكوس أليشا تصارع الألم وحيدة، فشعرت بالألم يعتصر قلبها، وأنها لا تقدر على احتمال تلك الفاجعة، فحثّت نفسها على الجلوس قرب والدتها على السرير متجاهلة ابتعاد ليلى عنها، ثم أحكمت الإمساك بيديها اللتين بدوتا مترهلتين للغاية، وخاليتين من الحياة، حالهما كحال إيدان.

بدأ الزمن يتجمّد في الغرفة بعد أن أغرق الحياة في سبات عميق انتهى بصوت صراخ ليلى، لقد كانت محقة، فقد علمت بالأمر منذ تلك الليلة عندما عادت أليشا إلى المنزل، ووجدتها مرتعبة، فلطالما أخبرها حدسها بما سيجري من أحداث، وهي كانت تعلم مسبقًا بوقوع الحادثة.

بدأت تصفق بيديها على فخذيها، حتى أمسكت أليشا بهما، ووضعتهما على السرير إلى جانبيها، فكان صوت الصفق مكتومًا، ولكن بكاء ليلى كان حارًا، وبدلًا من الصمت الذي يسود في المنزل عادة، ارتفع صوتها في المنزل كله، بل العالم أجمع.

لقد مات ابنها، ورحل إلى الأبد.

صرخت ليلى في وجه أليشا، وعيناها مثبتتان عليها للمرة الأولى قائلة: "غادري الغرفة، غادريها حالًا، لا أريد رؤيتك".

الفصل 32

موكيش

سمع صوت صرير الكرسي عندما جلس في مكانه المعتاد، وقد أنارت المصابيح المكان من حوله، فقد بدأ بقراءة رواية *محبوبة* فور وصوله إلى المنزل علّه يجد دليلًا بين صفحاتها على ما تعيشه أليشا حاليًا، وتساءل، هل حجزت الرواية له للإيحاء له بما تعاني منه؟ أم أنها الرواية التالية كما جرت العادة؟

بعد الخطوة الأولى في عالم *محبوبة*، وجد نفسه أمام منزل آخر غريب ومخيف يسكنه الحزن.

فكّر في الرقم 79، رقم منزل أليشا، والذي بدا أشبه بماندير لي، وهو منزل آخر مشؤوم تعرّف إليه بعد انطلاق رحلته عبر صفحات *ريبيكا*، ولكن من الواضح أن منزل أليشا بنوافذه المغلقة، وستائره المسدلة، والغارق في الظلمة، يشبه الآن المنزل رقم 124 في رواية *محبوبة*. كان يعلم أن الأمر لا يُصدّق، إذ كيف لمنزل يعود إلى سبعينات القرن التاسع عشر في سينسيناتي أن يشبه منزلًا مبنيًا على طراز المنازل المجاورة، وقد شُيّد في أربعينات القرن الماضي في ويمبلي، ولكن عندما وصفت الكاتبة الشؤم المحيط بالمنزل 124، لم يخطر في باله سوى منزل أليشا، فالنوافذ المغلقة لم تنفتح أبدًا، والصمت يتردّد صداه فيه، باستثناء أن توني موريسون سمحت له برؤية داخل المنزل، فاستطاع متابعة ما حدث فيه، ولم يضطرّ إلى استعمال مخيلته بطاقتها القصوى. داخل المنزل 124، تعرّف إلى سيث، وابنتها

الوحيدة دينفر، فخفق قلب موكيش بشدة من أجلهما، كونهما تعيشان في منزل لا يمكن الهروب منه، وقد هرب ولدا سيث، هاورد وبوغلار، من المنزل المسكون منذ سنوات عدة، وحتى بابي سوغس والدة زوج سيث، أُنقذت من الظلام بعد أن توفّيت، وحظيت بحياة جديدة، ولم يبقَ سوى سيث ودينفر وحدهما يقيمان فيه. ولم يجرؤ أحد أن يزورهما في ذاك المنزل، كما لم تتجاوز دينفر ساحة المنزل أبدًا، وكل عالمها كان يدور حولها وحول أمها والشبح الذي يقطن معهما، وهو شبح أختها الصغيرة المتوفاة محبوبة.

تضاعفت رغبة موكيش في ولوج عالم سيث ودينفر بعد كل صفحة قرأها ليخبرهما بكمية النشاط والحيوية التي يمتلكانها، ومقدار استعدادهما لمواجهة الحياة، ولكن استمرار ذلك الشبح بتقييدهما في تلك المرحلة التي تلقّيا فيها الصدمات الموجعة، منع أي أحد من مساعدتهما على نسيان الماضي والتغلّب على آلامه.

وضع الهاتف إلى جواره، وأبحر على متن صفحات الرواية، وهو يأمل في أن يتلقّى اتصالًا من أليشا ليطمئنّ عليها، ولكن مع كل صفحة يقلبها، ومع كل صوت يتناهى إلى سمعه، ومع كل سيارة تمرّ في الشارع، كان يشعر بقشعريرة تسري في جسده، فجلس لساعات وساعات، وهو لا يفعل شيئًا سوى القراءة، إذ لم يستطع ترك الشخصيات وحيدة، إلى أن شعر ببرودة الهواء من حوله، ولم تتّصل أليشا بعد، فازداد قلقه مع مرور الوقت.

إن كان الكتاب رسالة أرسلتها إليه أليشا، فهل تحاول إخباره بأنها تعيش حياة سيث ودينفر ذاتها؟ وأنها سجينة في ذاك المنزل ولا تستطيع مغادرته؟ ولكن ما الذي يجبرها على البقاء فيه؟ هل يسكنه شبح يقيّد حريتها؟

اعتصر الألم قلب موكيش بعد أن خطرت هذه الفكرة في باله.

[#]

إنها الحادية عشرة صباحًا، لقد نام موكيش حتى وقت متأخر على غير عادته بعد أن أمضى معظم ساعات الليل في القراءة باحثًا عن أدلة تقوده إلى اكتشاف مشكلة أليشا، وفي هذا الصباح لم يحصل أي شيء غير اعتيادي سوى رنين الهاتف الذي أيقظه، فرفع السماعة، وهو نصف نائم، وقال بصوت متكاسل: "مرحبًا".

قال الصوت الغريب في الطرف الآخر: "هل يمكنني رؤيتك؟".

"عذرًا، من المتصل؟".

"أنا أليشا".

شهق موكيش، فهو لم يتعرّف إلى صوتها، وهي لم تبدُ على ما يرام، فتراءى الرقم 124 في مخيلته مجددًا.

"أليشا، ماذا يمكنني أن أفعل من أجلك؟".

كرّرت سؤالها بإصرار: "هل يمكنني رؤيتك؟".

أومأ إليها موكيش، على الرغم من أن أليشا لا تقدر على أن ترى إيماءته، قال لها: "سآتي حالًا، أين سأراك؟".

قالت بصوت متهدّج: "أنتظرك في الحديقة العامة التي تقع بالقرب من المكتبة".

بحث موكيش بجانب حامل الهاتف عن قصاصات الملاحظات التي أحضرتها له روهيني في المكان الذي تضعها فيه، فهو لم يرد أن ينسى المكان، بل يجب ألا ينساه، فكانت يده ترتجف بينما كان يدوّن العنوان، ثم قال لها: "انتظريني قليلًا، أنا أكتب العنوان، هل أنت بخير؟ هل تحتاجين إلى أن أتصل بأحدهم؟".

"لقد اتصلت بك بالفعل".

ما إن أنهى موكيش الاتصال حتى اتّجه بأقصى سرعة ممكنة إلى الحمام، وأصبح جاهزًا للخروج خلال وقت قياسي، فلم يسبق أن حضّر نفسه بهذه السرعة.

[#]

جلست أليشا على المقعد في الحديقة تنتظر قدومه محتضنة كتاب *زوجة مسافر عبر الزمن*، وبعد مرور خمس وأربعين دقيقة وصل موكيش ملقيًا اللوم على الحافلة لتوقّفها أمام كل محطة، وصعود العديد من الركاب إليها حتى تكدّست الأجساد فوق بعضها، فكان على استعداد للاعتذار إلى أليشا وتبرير تأخيره ما إن يراها، ولكنه عندما وصل رأى تعابير وجهها وقد ارتسم عليها الحزن واليأس، وأنها في عالم آخر كليًا.

من خلال تعابير وجهها، أدرك أن للأمر علاقة بوالدتها، فقد رأى تلك الملامح سابقًا عندما أفضت إليه بمكنونات قلبها، كم بدت يائسة وحزينة! إنها لا تزال صغيرة، ولا ينبغي لفتاة في السابعة عشرة من عمرها أن تتحلّى بالقوة في كل الأوقات.

جلس موكيش إلى جانبها، وبدا مترددًا، وهو يسألها: "أليشا، كيف حالك؟".

نظرت إلى ركبتيها، وهزّت برأسها، وهي تبذل ما في وسعها كي لا تنكمش على نفسها وتختفي عن الأنظار.

"أليشا، ماذا يمكنني أن أفعل من أجلك؟ ألا تستطيعين التحدث إليّ؟".

همست إليه أليشا بصوت حزين، وهي تقبض بيدها على قلبها: "لا".

وضع موكيش يده بحذر على كتفها، ثم قال لها وهو مستاء من كل كلمة نطق بها وخرجت من فيه: "بل هناك ما أستطيع أن أفعله من أجلك"، لأنه يدرك تمامًا أنه عاجز عن مساعدتها إن لم تخبره بمشكلتها، فجلسا جنبًا إلى جنب، وقد حدّقت أليشا إلى الأرض، بينما حدّق موكيش إلى ركبتيه.

خيّم الصمت عليهما لوقت طويل، فشعر وكأن ساعات طويلة قد مضت على صمتهما.

أخيرًا همست إليه أليشا وبدا الإرهاق جليًا في صوتها وهي تقول له: "لقد مات شقيقي، أبلغوني بأنه قفز أمام قطار".

مرّت برهة قبل أن يستوعب موكيش ما قالته، فتمنّى لو أن أليشا لم تسمع هذا الخبر المفجع، ولو أن في إمكانه تغيير ما حدث: "أمات شقيقك؟"، ولكن ليس في الإمكان تغيير ما حصل الآن.

أومأت إليه أليشا، وهي تبذل جهدًا كبيرًا لالتقاط أنفاسها التي بدت متقطّعة وسريعة، وشعرت وكأن الهواء نفد، وتكاد تختنق، ثم تابعت كلامها قائلة: "احتجت إلى الخروج من المنزل لأستطيع أن ألتقط أنفاسي، فلا أستطيع.... هذا ليس منطقيًا أبدًا، لقد كان قويًا، وبصحة جيدة، ولطالما اعتنى بنا".

ضغط موكيش على كتفها قليلًا، وتنفّس بعمق، وهو يشعر بأن قلبه قد انشطر نصفين، فتخيّل دينفر، وهي تقاتل من أجل الحفاظ على عائلتها، وتبذل قصارى جهدها من أجل والدتها، وإنقاذ أختها المحبوبة، ولكنه افتقد إلى قوة دينفر وذكائها في هذه اللحظة، فليس في إمكانه مواساتها، كما لا يستطيع الاختباء خلف كلمات شخص آخر الآن، بل يحتاج إلى أن يقول ما ينبع من أعماق قلبه، وأن يقول كلامًا صادقًا وحقيقيًا.

نظرت أليشا إليه متوسلة، ثم قالت: "أنا لا أدري ماذا أفعل"، الشابة التي لطالما قدّمت إليه النصائح حول الكتب التي ينبغي له أن يقرأها، تطلب منه النصيحة الآن.

"ربما، ربما عليك العودة إلى المنزل لتكوني إلى جانب أمك التي أصبحت كل عائلتك".

قالت أليشا بصوت غاضب سرعان ما تحوّل إلى صراخ: "إنها تفتقد شقيقي، أمي تفتقد شقيقي كثيرًا، ما الذي يمكن أن نفعله؟ كيف سنتجاوز هذا الألم؟ كل ما قمت به كان إغراق نفسي في كدسة الكتب تلك". التفت موكيش حوله ليتأكّد من أن أحدًا في الحديقة لا ينظر إليهما، ولكن أحدًا لم يبد أي اهتمام بهما إطلاقًا، فبالنسبة إليهم حياتهم لا تزال مستمرة على عكس حياة أليشا، التي توقّفت تمامًا بعد خسارة شقيقها. فجأة ضربت الكتاب بقبضتها، وفتحته بعنف، وحكّت صفحاته بأظافرها، فأحس موكيش بأنه بدأ يتنفّس بصعوبة ويكاد أن يختنق من الألم.

"بكيت دومًا من أجل أشخاص من نسج الخيال في الوقت الذي كان شقيقي بحاجة إليّ، لقد كنت عمياء، عمياء تمامًا!"، ثم رمت الكتاب، وعينا موكيش تتبعانه

حتى ارتطم بالأرض، فشعر برغبة كبيرة في التقاطه ليمسح عنه الغبار، ويعيده إلى مكانه الآمن في المكتبة، ولكنه بدلًا من ذلك التفت إلى أليشا التي تجهّم وجهها تمامًا، وأغمضت عينيها، وقال لها، وهو واثق من أنها ستعارض كلامه، ولكنه كان يأمل في ألا تمتلك الطاقة لفعل لذلك: "إنه ليس خطأك، سأتّصل بنيلاكشي، فهي ستعلم ما يجب فعله".

لم يتعمّد رفع صوته حينها، فاكتفت أليشا بالإيماء إليه، وهي تنظر إلى حذائها، بينما كانت تضع كلًا من إبهامي قدميها الواحد فوق الآخر، ثم قبضت على يدها اليمنى، وهي تدفع إبهامها بقوة بين أصابعها بكل طاقتها، وكأنها تحاول التأكد من امتلاكها القدرة على السيطرة على العالم من حولها، وهي تأمل في الوقت نفسه أن يكون كل ما حدث مجرد كابوس مخيف.

وصلت نيلاكشي بعد نصف ساعة تقريبًا وهي تحمل في يدها بعض الوجبات الخفيفة، فقد أحضرت رقائق البطاطس المملحة وبعض الدهيبرا أيضًا، فقدّمت رقائق البطاطس إلى أليشا، وعندما سألتها عن الدهيبرا، قالت لها نيلاكشي: "أوه، إنه طبق هندي، ربما ستحبّين طعمه"، فتذوّقته أليشا، ولكنها تناولت كمية قليلة لا يتعدّى حجمها رأس الإصبع، وادّعت بأن ذلك يكفيها، فشكّك موكيش في كونها قد تناولت الطعام منذ أيام خلت.

لم تقل نيلاكشي كلمة لأليشا، بل احتضنتها بحنان من دون أن تتردّد، ومن دون أن تطلب السماح لها باحتضانها حتى، فضمّتها بشدة إلى صدرها، ثم قالت لها برقة: "عزيزتي"، وفي النهاية ابتعدت أليشا بلطف، وقالت لها: "يجب أن أعود إلى المنزل"، فأومأ إليها كل من موكيش ونيلاكشي، ثم تبعتهما أليشا إلى سيارة نيلاكشي.

أوصلا أليشا إلى منزلها، وقد خيّم الصمت على الأجواء طوال الطريق، وعندما وصلا إلى منزل أليشا ركنت نيلاكشي السيارة، ولكن أليشا لم تتحرّك من مكانها، فلا بد من أنها ترتعد خوفًا من العودة إلى الداخل، ولم تشأ أن تقابل ما كان

ينتظرها فيه من الحزن والفراغ والألم. لم يلمهـا مـوكيش، بعـد أن استحضـر صـورة منزله بعد وفاة نينا، فهو لم يقدر أيضًا على البقاء فيه، كما أنه لـم يسـتطع القيـام بـأي شيء لتغيير هذا الشعور، وقد أخذت روهيني على عاتقها مسؤولية تنظيم كل شـيء مـن أجلـه، فرتّبـت حاجيـات نينـا في الأمكنـة المناسـبة وبطريقـة تـذكّر مـوكيش بأنهـا موجودة بالقرب منه على الـدوام، وبأنهـا لـم ترحـل إلـى الأبـد، وتسـاءل حـول مـن يمكنه القيام بذلك من أجل أليشا، أهو والدها؟ هل سيحضر لتقديم العون لها؟

سمع موكيش صوتًا في داخله، قد يكون صوت نينا، يطلب منه أن يشتّت تفكير أليشا المتواصل في محنتها، وأن يساعدها على التركيز على أمور أخرى قـد تمكّنهـا من تجاوز آلامها والتغلّب على أحزانها في الوقت الحاضر، فسألها بصـوت متـردد: "أليشا، ما رأيك في كتاب *نساء صغيرات*، إنه كتاب قيّم أليس كذلك؟".

نظـرت إليـه نظـرة حـادة، أدرك مـن خلالهـا أن عليـه أن يطبـق فمـه، وقالـت لـه بصوت مرتفع: "أنا لا أكترث لكتاب *نساء صغيرات* سيد باتيل، لقد أمضيت معظم وقتي وأنا أقرأ الكتب، وأحتاج الآن إلى أن أبدأ حيـاتي مـن جديـد بعيـدًا عنهـا، ومـن يدري إلى أين ستؤول الأمور؟ وهل سأخرّب كل ما حولي مجددًا؟"، ثـم وضـعت يدها على فمها، وتمنّت لو أنها لـم تتفـوّه بتلـك الكلمـات التـي تركـت أثـرًا كبيـرًا في نفسها.

خرجت من السيارة تاركة كتاب *زوجة مسافر عبر الزمن* على المقعد الخلفي، وقد راقبها موكيش ونيلاكشي تمشي في اتجاه منزلها، ثم وقفت في مكانها قليلًا قبـل الدخول إليه، وبينما كانت تغلق الباب، نظرت إليهما نظرة أخيرةً.

ابتسم لها موكيش محاولًا أن يعكس عليها كل الطاقة الإيجابيـة التي يمتلكهـا عبر تلك الابتسامة التي أمل في أن تفهم غايته منها، وليظهر لها أن كل ما عليها فعلـه هو المضـي قـدمًا، كمـا أراد أن يقـول لهـا مـن خلالهـا: "سـأكون دومًـا إلـى جانبـك، ومستعدًا إلى التحدث إليك متى شئت"، وقد تمنّـى أن يكـون لـديها شـخص قريـب منها ليساعدها على تخطّي محنتها.

بعد لحظات التقط موكيش الكتاب من المقعد الخلفي، واتّجه إلى منزل أليشا، ووضعه برفق أمام الباب، فربما لن تحتاج إليه الآن، ولكنه قد يكون السبيل إلى شعورها بالراحة كما حصل معه بعد وفاة نينا، وقد لا يحصل ذلك بعد لحظات بل بعد أيام أو أسابيع أو حتى أشهر.

الفصل 33

أليشا

قال دين عبر الهاتف، وقد اعترى القلق صوته: "أليشا، لقد حاولت مرارًا الاتصال بك".

همست إليه أليشا، وهي تشعر ببرودة شاشة الهاتف وهي تضغط على أذنها: "لا أدري كيف أتخطّى ألمي، يا أبي".

لقد اعتادت التحدث بصوت خافت عبر الهاتف، ولا سيما مع والدها، ولكنها تدرك الآن أن لا ضرورة لفعل ذلك، فليلى تعزل نفسها في الطابق العلوي في غرفتها عن هذا العالم الظالم.

حاولت إيقاظها، ودعوتها إلى النهوض من السرير، ولكنها رفضت، فلم تستطع احتمال البقاء بالقرب منها، كما أنها لم تعد تتحمّل نفسها أيضًا، إذ يقع اللوم على كليهما. كرّرت أليشا كلامها، وقد سالت دمعة على خدها، وهي الآن تتحدّث إلى والدها بصدق للمرة الأولى منذ سنوات: "أنا لا أدري ماذا أفعل، ولا أعرف كيف أصلح الأمور".

قال لها والدها، بصوت أجشّ: "أنا أعلم، يا عزيزتي، ولكن سنتجاوز الألم معًا، ماذا يمكنني أن أفعل من أجلك؟ يمكنني أن أزورك، لأساعدك على تجاوز ألمك، فقط اطلبي ذلك، فلا يجب أن تواجهي المأساة التي ألمّت بك وحدك، فأنا أدرك تمامًا ما الذي تواجهينه في هذه الأوقات العصيبة، كيف حال أمك؟".

لم تتقبّل أليشا عواطفه الزائفة، فهو لم يفهمها ولم يفهم ما تعانيه من ألم.

"يمكنني *زيارتك*"، برهنت هاتان الكلمتان لأليشا أن دين لم يقف إلى جانبها أبدًا، وأن هذه المأساة ستكون مأساته إلى الأبد، ولكن من بعيد، فهو كان دومًا خارج عالم أليشا وعالم إيدان، وسرعان ما سيعود إلى حياته التي اختارها بعد انتهاء العزاء، ومن المستحيل أن تمضي أليشا قدمًا، وهي تعاني من ألم الخسارة دومًا، لقد استسلمت في الماضي للبكاء على نفسها وعلى مشاكلها وعلى أصدقائها، واختارت أن تتفاعل مع شخصيات الروايات في عالمها الخيالي بدلًا من العيش في عالمها الحقيقي، عالم إيدان.

"لا أحتاج إلى أي مساعدة منك الآن، فأموري بخير، وسيصل الخال جيريمي وراشيل الأسبوع القادم، وسيوفّران كل ما أحتاج إليه".

لم يسألها خالها جيريمي وراشيل عما تحتاج إليه ووالدتها، كما لم يسألا أليشا إن كانت ترغب في قدومهما، بل أصرّا على القدوم، كما بعثت راشيل إليها رسالة محتواها: "عزيزتي، سنصل خلال عدة أيام، وسنبقى إلى جانبك قدر ما تحتاجين إلينا، راشيل".

لم يعلّق دين على كلامها، بل قال لها: "حسنًا، من الأفضل أن أنهي المكالمة إذًا، ولكن... أنا أحبّك، وسنجتاز تلك المحنة معًا، أخبريني فقط إن كان في إمكاني تقديم المساعدة، أليشا".

أنهت أليشا الاتصال، وهي تؤكّد قائلة: "لا وجود لكلمة *نحن* منذ سنوات طويلة"، ثم نظرت إلى هاتفها، فوجدت ثلاث رسائل نصية مرسلة من زاك، وقد بدا فيها قلقًا عليها، فأخبرته باختصار بما حصل لشقيقها، أما التفاصيل المؤلمة فقد احتفظت بها لنفسها، من دون أن تضيف أي تعليق آخر. أخبرها بأنه سيكون دومًا إلى جانبها في حال احتاجت إلى أن تتحدّث إلى أحد، واستمرّ بإرسال صور القطط الغريبة والسخيفة، وعلى الرغم من أنه كان يبذل ما في وسعه للتخفيف عنها ومواساتها، ولكن ذلك لم يكن كافيًا لتشتيت أفكارها التي طغى عليها الألم.

أمسكت أليشا بعلبة طلاء الأظافر، وهي تحدّق إلى صورة مؤطرة وُضعت على رف الموقد، وهي تجمعهم الأربعة معًا، أليشا، إيدان، ليلى، ودين، فبدأ غضبها يخفّ تدريجيًا ولو مؤقتًا، واستعادت ذكرى رمي إيدان أغراض دين خارج المنزل بعد مغادرته، وقد فاجأها احتفاظه بهذه الصورة، حتى إنه نفض الغبار عنها مؤخرًا، وهي ترجّح أن احتفاظه بها يعود إلى أنها كانت الذكرى الوحيدة منه، والدليل الوحيد الذي يجمعهم الأربعة معًا بصفتهم عائلة واحدة. سألت أليشا يومها والدتها بتهور، إن كانت الصورة تزعجها، فقالت لها: "لا، فقد كانت تلك الأوقات سعيدة، ولا أندم عليها"، وقد رسخت تلك المحادثة في ذهن أليشا لسنوات طويلة.

أرادت الابتعاد عن هذا العالم، كما تفعل ليلى، ولكن ينتظرها الكثير من العمل الذي ينبغي لها أن تنظّمه.

لا تشعر أليشا الآن سوى باللامبالاة والكراهية العمياء لكل ابتسامة ترتسم على وجه سعيد، ولكل شخص لا يزال على قيد الحياة، بينما وافت المنية الشخص الأكثر أهمية بالنسبة إليها، وهو شقيقها الغالي.

كانت الصورة تحدّق إلى أليشا أيضًا، فتأمّلت وجه إيدان، وابتسامته الطفولية، وهو يسألها: "ما الذي حدث؟".

"لقد قفزت أمام القطار، هذا ما حدث، ولكن الحقيقة أنني من دفعك إلى فعل ذلك".

[#]

لم تحتمل أليشا البقاء في المنزل لثانية أخرى، فقد كان صاخبًا جدًا، وهادئًا جدًا، ويعجّ بالفراغ القاتل، أو يكاد ينفجر من كثرة ما فيه في الوقت نفسه، فغادرت المنزل بعد برهة، غير مبالية بنداء ليلى، أو إن كانت ستجيب على الاتصالات الواردة، فقد كانت تعيش في جحيم لا يُطاق، ولكن إلى متى؟ كم يمكنها أن تبتعد

عن المنزل؟ لم ترد سوى أن تمشي قليلًا، وهي تراقب الناس يضحكون، والأطفال يلعبون ويصرخون، وهم يجهلون أن إيدان مات. ثم مرّت بجانب مجموعة من المراهقين يمزحون ويتدافعون، وقد فتحت الحياة ذراعيها من أجل أن تحتضنهم، إلا أنها أفلتت يد أليشا. حتى في أيام المدرسة الخالية من هموم الحياة كما يصفها المسنون على الدوام، فهي لم تختبرها يومًا، لذا تابعت طريقها، وهي تهيم على وجهها.

صعدت أليشا عدة درجات وسارت على رصيف محطة حديقة ستونبريدج، وعندما وصلت إلى النهاية، أحسّت وكأنها تقف على قمة العالم، إلا أن الرصيف كان خاليًا من الناس، ومهجورًا تقريبًا، كيف لا والشمس الحارقة تتربّع على عرش السماء.

تلألأت حافة الرصيف بألوان زاهية بهرت نظر أليشا، ورأت أزهارًا ومغلفات وملاحظات ورسائل تتطاير مع هبوب الهواء، وعندما اقتربت منها قليلًا، رأت مرقد إيدان الأخير، وقد كتب على الحائط: "ارقد في الجنة، إيدان".

تخيّلت قطارًا قادمًا من بعيد، وهو يقترب منها، وإيدان يلقي بنفسه أمامه، فأرادت التأكد من أنه قفز حقًا، أو أنه امتنع عن ذلك، كما أرادت أن تنظر إلى عيون الناس الذين شهدوا خطوته الأخيرة، وتساءلت إن صرخوا مذعورين، أم أنهم طلبوا منه التراجع، أم أنهم تابعوا يومهم متذمرين من تأخر وصول القطار.

رنت إلى تلك الأزهار الملونة بشتى الألوان الأحمر والأبيض والوردي والأزرق، فكان هناك ثلاث أو أربع شتلات على الأقل، إضافة إلى بعض أزهار عباد الشمس التي أحبّها إيدان دومًا منذ أن كان طفلًا، وقد رسمها على بطاقة عيد ميلادها الخامس ورسم صورته، وهما يقفان إلى جوار أكبر زهرة عباد الشمس على الإطلاق، وقد سمّى تلك اللوحة *المنزل*.

وقفت تراقب البتلات والهواء يتلاعب بها يمينًا ويسارًا، فالتقطت لها صورة في مخيّلتها، لتكون تذكارًا من شقيقها، فقد اعتادت أليشا عدم الاكتراث للأزهار

المقيدة إلى أعمدة الإنارة وهي تتابع طريقها، لأنها اعتقدت دومًا أنها حزينة، وقد سُلبت حياتها باكرًا، ولكنها لم تطل النظر إليها لأكثر من لحظة. لقد كانت تلك الأزهار مختلفة عن غيرها، وجمالها لا يقارن بها، وحجمها على عكس باقي الأزهار، فهي صغيرة جدًا، وربما لن تكون ملائمة لوفاة إيدان، وليست كافية لتعبّر عن ذلك، وقد أرادت أليشا أزهارًا أجمل بكثير.

[#]

وصلت إلى المنزل، واتّجهت مباشرة إلى غرفة نوم أمها، فكانت لا تزال تستلقي على السرير حيث تركتها، فاستحال قلب أليشا صخرًا أصم، يضمر الكره لليلى ولنفسها بسبب ما ارتكبتاه من أخطاء، وما لم ترتكباه، ولكنها ضمّتها إلى صدرها بقوة، وهي تتمنّى لو تختفي من هذا العالم الغريب والقاسي، لتشعر بالراحة إلى جانب شخص قريب منها، ولا يهمّ من يكون، حتى أمها، ولو لقليل من الوقت فقط.

أمسكت بكتاب *زوجة مسافر عبر الزمن* الذي حملته معها وهي تصعد إلى الأعلى، بانتظار العثور على طريق التحرر من هذه الآلام، لقد أرادت تهدئة ليلى، ولكن ما الجدوى من الكتب الآن؟ فقد وقعت في حب شخصيات خيالية لم تتحرّك لمساعدتها، على الرغم من أنها لم تستطع العيش خارج حدود صفحات تلك الكتب، بينما الشخص الذي أحبّته في العالم الحقيقي، والذي شجّعها على المضي قدمًا، وكافح وقدّم الكثير من التضحيات من أجلها تركها وحيدة ورحل.

ألقت أليشا الكتاب على الأرض قرب السرير، واقتربت أكثر من ليلى، فانتظرت أن يتفاعل جسد والدتها استجابة لها، ولكن ليلى لم تحرّك ساكنًا، بل أجهشت بالبكاء في صمت، وكل ما شعرت به أليشا هو ارتجاف جسدها، وتنفّسها المتقطّع.

الفصل 34

أليشا

لم يغمض جفن لأليشا خلال أيام عدة، وهي ترتعد خوفًا من اقتراب هذا اليوم، ومن ردّ فعل ليلى وما يمكن أن تفعله في الجنازة.

ما إن ترجّل خالها جيريمي من السيارة، حتى احتضنها بقوة قائلًا: "أليشا، لا تقلقي، عزيزتي، فنحن إلى جانبك في كل خطوة تخطينها على هذا الطريق". أرادت أن تصرخ، وأن تخبر العالم أجمع بأن كل ما تريده في تلك اللحظة هو التخلي عن ليلى والتخلّف عن حضور جنازة شقيقها، والهروب إلى اللانهاية من دون توقف.

شعر خالها بذعرها، فاحتضنها بقوة أكبر، ليذكّرها بأنه لن يسمح لها بأن تسقط أبدًا، كما وقفت راشيل بالقرب منها ممسكة بيدها، حرصًا على تماسكها ومدّها بالقوة للصمود، ولا سيما أنها بدت منهارة كليًا.

جلست أليشا وراشيل على مقعد السيارة الخلفي، وقالت لها وهي تشدّ بقوة على ركبة أليشا: "أنا إلى جانبك، ليش".

شعرت بالراحة لوصول جيريمي وراشيل قبل أسبوع من الجنازة، كي لا تضطرّ إلى القيام بكل الترتيبات وحدها.

في النهاية صعد الجميع إلى السيارة وقبل وصولهم إلى الجنازة لم تستطع أعينهم الكئيبة النظر إلى جثة إيدان التي كانت أمامهم، باستثناء جيريمي، الذي لم يشح بناظريه عنه، وقد حاول مترددًا أن يطلق دعابة لطيفة، فقال: "لقد تميّز ولدنا

بالأناقة دومًا، وها هو يستقلّ سيارة جاكوار"، إلا أن أحدًا لم ينبس ببنت شفة.

وصلوا إلى الجنازة، فدخل جيريمي وراشيل قبل أليشا وليلى، ليمنحاهما بعض الوقت مع بعضهما.

همست إليها ليلى، وكانت تلك كلماتها الأولى في ذلك اليوم: "لقد رأيته اليوم، يعبر الشارع".

"من؟".

"إيدان".

"لا لا يمكنك أن تريه، يا أمي".

لكن أليشا كانت قد رأته اليوم أيضًا، والبارحة، ومنذ يومين، وهي تراه في كل مكان، وقد تجلّت صورته في الشاب اليافع الذي يستمع إلى الموسيقى الصاخبة في موقف الباصات، وفي المسن الذي يدفع عربة التسوق أمامه، وحتى في عيني امرأة تبتاع الخضار، إنها ترى إيدان في كل مكان.

كان شبح إيدان حيًا يرزق، وبصحة جيدة، ولكن لا سبيل للتواصل معه، وفي النهاية سيختفي هذا الوهم من دون أن يترك سوى ذكرى خالدة في القلوب.

اكتظ المكان بالناس الذين اصطفّوا خلف بعضهم في رتل طال حتى الخارج، فلم يقدر بعضهم على سماع الصلاة، ولكنهم حضروا جميعًا من أجل وداع إيدان ومن أجل تقديم العزاء إلى ليلى التي ابتسمت للجميع، وشكرتهم على حضورهم، على خلاف عينيها اللتين لم تبصرا سوى الفراغ وهي تودّع ولدها.

شدّت أليشا على يد ليلى، وضغطت أكثر عندما وصل دين، وبدورها شدّت ليلى على يدها أيضًا، فتشابكت أصابعهما بإحكام، وكانت تلك اللحظة الأولى منذ وفاة إيدان التي تشعر فيها أليشا بالحب الذي تكنّه كل واحدة منهما للأخرى، والذي سيمنحهما القوة للتغلّب على مصابهما الأليم، سواء أأرادا ذلك أم لا.

قبّل دين خد ليلى، وقال لها بصوت أجشّ وعينين كئيبتين، ووجه متجهّم حزين وغارق في الندم: "ولدنا الصغير...".

أدركت أليشا وهي تتأمّل دين الشبه الكبير بينه وبين إيدان، فهما لا يختلفان سوى ببعض الصفات كلون العينين، ولون الشعر، لا سيما بعد أن أصبح شعر دين أقل كثافة وأكثر بياضًا منذ آخر مرة التقت به، أما باقي الصفات فورثها إيدان حتمًا من والده.

أفلتت ليلى يد أليشا، وربتت على كتف دين محاولة مواساته، وعيناها مثبتتان عليه، وبعد لحظات من الصمت، سار دين بعيدًا نحو أفراد عائلته الجدد ذوي الشعر الأشقر المحمر، وقد بدوا جميعًا مختلفين بالنسبة إلى أليشا، ولا يمكن لأحد التكهن بأنهم إخوتها من والدها.

قالت لها ليلى التي استفزّتها بكلامها إلى درجة أن جعلتها توشك أن تصرخ في وجهها: "من الجيد أنه أتى".

وصل موكيش الذي لم تتسنَّ له فرصة لقاء إيدان وهو على قيد الحياة، وها هو يراه جثة هامدة، وقد أُلبس بذلة سوداء ضيقة للغاية، وقميصًا أبيض، وربطة عنق، وعندما ألقى موكيش التحية، لم تردّ أليشا عليه خوفًا من أن تجهش بالبكاء إن حاولت أن تنطق بكلمة، وكل ما فعله كان إعطاؤها قصاصة ورق، تحمل رسمًا بقلم أحد الأطفال، وهو ملون وغني بالتفاصيل الدقيقة، وقد أظهر امرأة تجلس خلف المكتب ورجلًا وفتاة يحملان الكتب، وقد أحاط بهم العديد من الرفوف.

كتمت أليشا أنفاسها، وهي تقرأ ما كُتب أعلى الرسم من كلمات، وقد حاول الرسام أن يجعل خط يده أقرب ما يكون إلى خط شخص بالغ: "نحن إلى جانبك، أليشا"، وفي الأسفل، وردت ملاحظة بخط يد مختلف: "مع حبنا، بريا وموكيش".

نظرت إلى موكيش وهي تمسك بالرسم، وقد نفدت منها الكلمات.

[#]

حدّقت أليشا طويلًا إلى صورة إيدان الموضوعة في إطار ذهبي، بينما اتجه غاي صديق إيدان المقرب كي يلقي كلمة أمام الموجودين، فلم تستطع النظر إليه، وهو يتحدّث بصوت متقطع حزين، وقد بدا إيدان في الصورة التي التُقطت له منذ

عام تقريبًا مبتسمًا، وهو يجلس على سيارته التي كان قد لمّعها حديثًا شابكًا ذراعيه ورافعًا أحد حاجبيه بكبرياء، ولم يكن يدري أنها ستستخدم ليودّعه أفراد عائلته وأصدقائه، وهم ينظرون إليها جميعًا محاولين التمسك بالأمل الذي منحهم إياه قبل أن يرحل إلى الأبد.

قال غاي بلطف: "أريد أن أقرأ بعض الأبيات الشعرية، التي كتبها إيدان عندما كان في الثامنة من عمره، وقد أهداني إياها في أحد أسوأ أيام حياتي، وقد قال لي حينها إنني أحتاج إليها لتمنحني الأمل في الحياة، والآن أودّ أن أشاركها معكم.

قد يتخلّل السماء لون رمادي أحيانًا

كما يتخلّل هذا اللون الرمادي يومي أيضًا

ولكن تلك السماء الرمادية

ستنجلي ليظهر اللون الأزرق الصافي الذي سيبعث في نفسك الأمل دومًا

ترك غاي كلمات إيدان التي كتبها في ربيعه الثامن تطير في الهواء قبل أن يبتسم، ويقول: "أتعلمون أنه اعتبر تلك الكلمات عميقة حقًا؟ ربما كان على حق، كما آمل أن تنجلي هذه السحابة ليحلّ الفرح من جديد"، انطلقت ضحكات خفيفة من بين الحضور.

نظرت أليشا إلى أمها، وشدّت على يدها بقوة.

[#]

عرضت نيلاكشي استضافة المعزين في منزلها، وقد ساعدها في تجهيز المنزل لاستقبالهم السيد باتيل وبناته.

قالت أليشا وهي تنظر إلى الغرفة التي تغصّ بالناس: "نيلاكشي، أشكرك على استضافتك كل هؤلاء المعزين، كما أشكرك سيد موكيش أيضًا لتنظيم كافة الترتيبات".

قالت نيلاكشي: "لا حاجة إلى أن تشكرينا أليشا، ويمكنك دومًا أن تطلبي المساعدة في حال احتجت إليها، وسأكون جاهزة دومًا إلى تقديمها إليك".

"أشكرك حقًا، وأودّ أن أسألك، هل يمكن أن تستلقي أمي في إحدى الغرف، كي تستريح ولو قليلًا؟".

أومأت إليها نيلاكشي وقالت لها: "بالطبع، اتبعيني سأدلّك إلى غرفة الضيوف"، وقفت في زاوية الغرفة، ولفّت ذراعها حول ليلى، ثم قادتها إلى غرفة النوم الإضافية، وقد أثار هدوء ليلى استغراب أليشا، إذ لم يسبق أن رأت والدتها تنسجم بهذه السرعة مع شخص غريب كليًا، وتسمح له بالاقتراب منها إلى هذا الحد، فلاحت في الأفق بارقة أمل.

في أثناء غياب ليلى، اقترب دين من أليشا، وقال لها: "مرحبًا، عزيزتي، كيف حالك؟ وكيف حال عملك؟ قلت إنك تعملين في المكتبة، أليس كذلك؟".

لقد تجنّب التحدث عن إيدان، كي لا يواجه شعوره بالذنب الذي تشعر به أليشا.

أجابته أليشا ببرود، مشيرة إلى صور إيدان المعلقة: "إنني بخير، وبالمناسبة إيدان كان يكره كل هذا الاهتمام الزائف".

لا شك أن الصور التي اقترح موكيش عرضها أثارت إعجاب أليشا، فهي أحبّت أن يشاركهم إيدان هذه الأوقات الصعبة، بعد أن رحل بهدوء إلى مكان بعيد وتوارى عن أنظار الجميع.

قال دين، وهو يشرب قهوته: "أجل، أعتقد ذلك".

سألته أليشا، وهي تنقّل نظرها بين الحاضرين: "أين أفراد عائلتك؟".

"لقد غادروا منذ قليل، فقد شعر الأطفال بالنعاس".

لم تنطق أليشا بكلمة، وبعد بضع دقائق من الصمت المربك، لمحت أليشا نيلاكشي تنضمّ إلى السيد موكيش الذي كان يتحدّث إلى الخال جيريمي وراشيل، وكانوا يحملون أطباق المقبلات، وقد بدا أن السيد موكيش يقوم بنفسه بتقديم الطعام.

تمتم السيد موكيش، وهو ينظر إليها بقلق: "هل أنت بخير؟".

اغرورقت عينا أليشا بالدموع، وهي تومئ إليه بالإيجاب.

قال دين وقد لاحظ وجود موكيش للمرة الأولى: "من ذلك العجوز؟ فقد كان يرمقني بنظرات غريبة طوال اليوم".

قالت له أليشا بصوت أكثر حدة مما توقّعت: "إنه صديق لي تعرّفت إليه في المكتبة، وهو الأفضل على الإطلاق".

ومن دون أن تنتظر أي رد، تركت دين يقف وحده، وانضمّت إلى المعزين.

[#]

غادر دين بعد ساعة تقريبًا، بعد أن قال لأليشا وجلجلة مفاتيح السيارة تنبعث من يده: "اتصلي بي إن احتجت إلى أي مساعدة"، راقبته وهو يبتعد متسائلة إن رغب فعلًا في البقاء إلى جانبها، ثم ساعدت أليشا نيلاكشي في رفع الأطباق وأخذها إلى المطبخ، إلا أن نيلاكشي أخرجتها منه، وطلبت منها أن تأخذ قسطًا من الراحة لأنها بدت مرهقة، وكان السيد موكيش قد غادر من دون أن تحظى بفرصة توديعه أو شكره على الرسم الذي قدّمه إليها، والذي احتفظت به بكل اهتمام في حقيبتها قرب وجه بيتر رابيت الصغير، وقد شعرت بالحيرة في النهاية عندما صعدت إلى الطابق العلوي، ووجدت ليلى جالسة على السرير، وهي تحدّق إلى الخارج عبر النافذة.

كانت الغرفة مرتبة، ومعدة لاستقبال الضيوف، وهي تحوي عددًا قليلًا من الصور الشخصية، وبعض المناشف الإضافية الموضوعة على رف في الخزانة، وكان الفراش نظيفًا، وقد وُضعت عليه بعض الوسائد إضافة إلى البطانيات التي قدّمتها إليها نيلاكشي، ولكن ليلى لم تمسّها أبدًا.

سألت ليلى أليشا: "هل أنت بخير؟".

كان قد مضى وقت طويل منذ أن سألتها أمها عن حالها، فلم تجد الكلمات المناسبة للإجابة.

جلستا معًا وقد ساد الصمت الغرفة، وبعد أن جرحت ليلى راحة يدها اليسرى بأظافرها، تركت مكانها حوافًا حادة لامعة، ثم تشكّلت فقاعة حمراء، وقد راقبتها

أليشا، وهي تقشر الجروح بهدوء في بداية الأمر، ثم اشتدّ غضبها فجأة، وبدأت تقشرها بعنف، ومن دون أن تصرخ من الألم، كي لا يسمعها المعزون الذين لا يزالون في المنزل، فرمت بنفسها على السرير بدلًا من ذلك، ووضعت وسادة على وجهها، وصرخت بأعلى صوتها من دون أن تنبس بأي كلمة.

أرادت أليشا القيام بالشيء نفسه، ولكن عليها أن تبدو متماسكة الآن، فاستمرّت بمراقبة أمها، وهي تتخيّل إيدان وليلى يجلسان معًا على السرير، ويضحكان تارة، ويتحدّثان إلى بعضهما تارة أخرى، بينما كانت أمها تصرخ من الألم، وهي تحاول أن تخلد إلى النوم علّها تشعر بالراحة.



الفصل 35

موكيش

خرج موكيش من المنزل، ومرّ أمام مجموعة من الشبان الذين يعزفون لحنًا نشازًا في شوارع ويمبلي، وقد تجاوزته سيارات مكشوفة تقود بسرعة هائلة على الطريق العام. وقف أمام مطعم دوسة إكسبريس، وقد أغرته رائحة الليمدي وشراب الجيرو، إلى أن وصل في النهاية إلى المكتبة، فكانت فارغة تقريبًا، وكان ذلك طبيعي لأنه كان أحد أيام العطلة الصيفية الأخيرة، ومعظم الناس اصطحبوا أطفالهم إلى شاطئ البحر للتعرض لأشعة الشمس قدر المستطاع قبل نهاية عطلتهم.

جلست في مكانها المعتاد خلف مكتبها.

قال لها بلهجة رزينة: "مرحبًا".

سادت لحظة صمت، وهما ينظران إلى بعضهما بتوتر، فقد مضى أسبوعان منذ آخر مرة التقيا فيها، فنظر حوله، باحثًا عما يقوله، فوقعت عيناه في النهاية على كدسة المنشورات على مكتبها، وهي تحمل الشعار المشؤوم الذي عرفه جيدًا: "أنقذوا مكتباتنا"، أشاح بنظره عنها، فهو لم يشأ أن يفكّر في أي تفكير سلبي الآن.

قال موكيش وهو يشتم غباءه بعد أن تفوّه بكلام سخيف لعجزه عن تناول موضوع آخر: "أشعر بأن بشرتي جافة للغاية، هل أعاني من حرق في رأيك؟".

أجابته أليشا بتوتر: "أنا وأنت... لا يمكن أن نصاب بالحروق".

هزّ موكيش رأسه، ومدّ يديه أمامها، وقال لها: "ربما ليست شديدة الاحمرار، ولكنها مؤلمة حقًا، لقد كانت نينا دومًا تعطيني مرهمًا يداويها بسرعة".

"يملك كايل مرهمًا مصنوعًا من زبدة الكاكاو في مكتبه، امسح القليل منه على يدك، فسيخفّف من ألمك، وتصبح بخير".

لقد امتزج بياض عيني أليشا باحمرار خفيف، وقد لمع وجهها بفضل طبقة المكياج الرقيقة التي أخفت الإرهاق الذي ظهر على وجهها في الأسبوعين الماضيين.

في البداية لم ينبس موكيش بأي كلمة، ولا حتى بكلمة شكر، بل وضع الكريم على جلده، وبعد فترة وجيزة قال لها: "ربما كان لدى نينا مرهم مثل هذا المرهم، لأن رائحته تبدو مألوفة".

"ربما".

قال بلطف: "هل كان عليك أن تحضري اليوم إلى العمل، أليشا؟".

"يجب أن أعود إلى العمل، فالروتين اليومي أفضل من البقاء في المنزل".

"لا بأس إن كنت تشعرين بالراحة في العمل، بالمناسبة كيف حال أمك؟".

هزّت أليشا كتفيها، وقالت: "خالي وابنته اللذان تعرّفت إليهما سابقًا، يقيمان في منزلنا لتقديم المساعدة، وأمي سعيدة بوجودهما".

شعر موكيش بأنها أرادت قول المزيد، ولكنه لم يضغط عليها، وقد اطمأنّ لوجود من يقدّم إليها المساعدة ويخفّف من أعبائها؛ فهي في السابعة عشرة من عمرها، ولا تزال صغيرة جدًا لتُلقى على عاتقها تلك المسؤولية الكبيرة، كما أن شقيقها كان شابًا أيضًا، ولم يتجاوز الخامسة والعشرين، ومع ذلك كانت مسؤولية العائلة تقع بأكملها على عاتقه.

قالت أليشا، وهي تهزّ كتفيها مجددًا: "أريد أن تتلقّى أمي المساعدة، كما أحتاج إلى أن أتلقّاها أنا أيضًا، ويمكن أن نزور كلانا الطبيب نفسه... فكما تعلم لم يسبق لها أن قصدت طبيبًا، فقد تولّى إيدان الأمور المتعلّقة بأمي سابقًا، وقد حاول

البحث عن طبيب لمساعدتها، إلا أنه لم يتسنَّ له الوقت للعثور على أحدهم، ولكنني آمل في أن يساعدها الطبيب على الشفاء".

لم يعتد موكيش الحديث عن هذه المسائل المتعلّقة بالأطباء والمشاكل النفسية، فشعر بالإحراج، ولكن أليشا تحتاج إلى أن يكون أحدهم إلى جانبها، ليستطيع توجيهها إلى سلوك الطريق الصحيح، ولا ضرورة أن يكون خبيرًا في تلك المسائل، بل يكفي أن يصغي إليها، ويشاركها في العثور على حل لمشاكلها.

قال موكيش بحذر: "أعتقد... أعتقد أن رواية محبوبة ستساعدك في إيجاد الحلول المناسبة، هل قرأتها؟".

نظرت أليشا إليه بحدة، وقالت له: "لا أريد أن أفكّر في قراءة تلك الروايات بعد الآن".

"كلا، أليشا، لا تنظري إلى القراءة بهذه السلبية، فالروايات قد تساعدنا أحيانًا".

تنهّدت أليشا تنهيدة عميقة، ونظرت حولها بصبر نافد، ثم نقرت بأظافرها على مكتبها بتململ، ولوهلة عاد الزمن بموكيش إلى يومه الأول في المكتبة.

بينما كانت أليشا تجول بعينيها في أرجاء المكتبة، قال لها موكيش: "كتاب زوجة مسافر عبر الزمن، كان بالنسبة إليّ في البداية وسيلة لإلهائي عن التفكير المتواصل بفداحة خسارتي، عندما فارقت نينا الحياة، ولكن بعد فترة اكتشفت أنه ساعدني في التقرب منها أيضًا، والآن عندما أفكّر بشكل أعمق، أجد أنه ساعدني في القيام بالكثير من الأمور التي لم أجرؤ سابقًا على القيام بها، هل تعلمين ذلك؟".

قالت أليشا بحدة: "كلا، سيد موكيش، أنا لا أعلم إلا أنني أمضيت الصيف بأكمله أتفاعل مع مشاكل الآخرين بعيدًا عن حياتي الخاصة، وأهملت حياة الناس الحقيقيين من حولي".

تابع موكيش كلامه، محاولًا إخفاء الرعشة في صوته: "أما قرأت رواية محبوبة لتكتشفي كيف ساعدت دينفر والدتها؟".

صمت موكيش، في انتظار ردّ أليشا، ولكنها استمرّت بتصفح هاتفها.

"حسنًا، سأخبرك بما قامت به دينفر بعد أن أدركت أنها كانت تسكن في ذلك المنزل مع والدتها التي لم تقدر أن تقدّم إليها أي مساعدة، إضافة إلى شبح أختها محبوبة، ولكنها لم تستسلم بل خرجت بحثًا عن المساعدة في مجتمعها، فالتجأت إلى عدة نساء كن راغبات في تقديم المساعدة، فطلبتها منهن في حين عجزت والدتها عن تقديمها إلى ابنتها وإلى نفسها".

صمت موكيش مجددًا، فشعر بيد تربت على كتفه، وقد بعثت الراحة في نفسه، لقد كانت يد نينا.

استمرّت أليشا تحدّق إلى المكتب، وهي تتجنّب النظر إليه.

قال لها بلطف: "أليشا، من فضلك، تذكّري بأن الروايات ليست دومًا بابًا للهروب من الواقع، ففي بعض الأحيان نتعلّم منها دروسًا في الحياة، فهي تكشف لنا أسرار العالم المخفية".

همست نينا في أذن موكيش، بصوت أعلى: "أنت تشبه أتيكوس الآن، موكيش".

استند موكيش إلى المكتب للحظات، وهو ينتظر رد أليشا، ولكنها لم تجبه، بل تابعت تصفّح الإنترنت، وفي النهاية وضعت هاتفها جانبًا، واكتفت بالتحديق إلى الشاشة.

اعتادت أن تطفئه سابقًا عندما يهتزّ أو يومض في أثناء وجودها مع موكيش، إلا أنها اليوم كانت تتفقّد هاتفها في كل مرة يهتزّ فيها أو تومض شاشته، وقد بدت مشتّتة الذهن، فلم يستطع أن يفهمها، إلا أنه لم يشأ إزعاجها، مع أنه يرى أنه يُستحسن أن تتجاهل هاتفها، فهو يذكر أن فتياته كن يتصرّفن دومًا مثلها، فيتصفّحن الهاتف في أثناء تناول مسألة ما، ويبدو أن الأمر خارج عن إرادتهن في هذا العالم الغريب.

سألها موكيش محاولًا أن يتحدّث بصوت خافت قدر الإمكان: "ما الخطب، أليشا؟".

أدارت أليشا هاتفها إلى موكيش، فرأى صورة إيدان وهو يضع نظارته الشمسية وإلى جانبه فتاة، وهما يحدّقان إلى بعضهما تحت أشعة الشمس.

قال موكيش: "إنها صورة جميلة".

"لا ليست جميلة على الإطلاق، انظر ما كُتب في أسفلها".

تمكّن موكيش من رؤية بعض الكلمات المكتوبة، ولكنه لم يكن قادرًا على قراءتها أبدًا، فقال لأليشا: "لا أستطيع أن أراها بوضوح".

قرأت أليشا ما كُتب من كلمات وما يفصل بينها من رموز: #رحلت_و_لكن_لن_ننساك، #فلترقد_بسلام، #اكتئاب، #حان_وقت_الكلام، اشتقت إليك إيد، لن أنساك أبدًا.

"حسنًا، إنها كلمة لطيفة موجهة إليه".

قالت أليشا وقد بدا عليها الغضب: "لا ليست كذلك، كل ما تحتاج إليه هو خمس دقائق لكتابة منشور عبر إنستغرام، وقد نشر الجميع صور أخي عبر صفحاتهم، مدّعين أنه يحقّ لهم الحزن لموته، كما وضعوا صورًا التقطت في الجنازة في قصصهم اليومية عبر الموقع!".

لم يكن لموكيش أدنى فكرة عما تعنيه بقولها قصة يومية، ولكن مهما كانت ما تعنيه هذه العبارة، فقد أزعجت أليشا للغاية.

وأردفت قائلة: "من الذي أشارت إليه بكلمة اكتئاب؟ إنها بالتأكيد تجهل ما تعنيه هذه الكلمة، ولماذا تشير إلى إيدان في منشورها بحق الجحيم؟ ألكي يراها حيث يقبع الآن في الجنة؟ ما عليك إلا أن تسحب الشاشة إلى الأسفل وترى كل تلك الصور".

تعثّرت أصابع موكيش قليلًا قبل أن تتحرّك الصورة، فوجد عشرات الصور التُقطت لإيدان مع عدد كبير من الناس، ومن بينها صور أزهار نسّقت لتشكّل حروف اسمه، كما تعرّف إلى طاولة العشاء في منزل نيلاكشي والطعام الموضوع عليها، وقد وثّقت كل الأحداث في تلك الصور.

"لم نشأ سوى إقامة حفل وداع صغير يجمع أفراد العائلة والأصدقاء المقربين، أما الآن فقد تشاركه الجميع، وأصبحت صور إيدان متاحة لهم، والكل يحدّق إليها بغباء حتى الذين لا يعرفونه".

سالت دموع حرّى على خد أليشا، فلم تمسحها كي لا تلفت الانتباه، ولكن موكيش رآها، فقد عايش فتياته المراهقات الثلاث، واختبر الخدعة ذاتها التي كن يقمن بها، سواء أكان الأمر يتعلق بنهاية أحد الأفلام الأكثر حزنًا على الإطلاق أم بسبب تعرّضهن للإهانة من قبل أحد الأشخاص الذي صادفنه في طريق العودة إلى المنزل بسبب لون بشرتهن، وكن يتظاهرن بأن كل شيء على أحسن ما يرام، كي لا يُلام أحد على ذلك.

أعاد موكيش الهاتف إليها قائلًا: "أنا آسف، أليشا، ولكنني أعتقد أنها طريقتهم في إظهار محبتهم له لا أكثر".

بدأت أليشا تتصفّح مواقع التواصل الاجتماعي بقلق شديد، وقد ضغطت عدة مرات قبل أن تكتب شيئًا ما، فشعر موكيش بالقلق من أن تكتب رسائل إلكترونية مروعة إلى بعض الناس، وتساءل إن كانوا سيتفهّمون ألمها، ويسامحونها لاحقًا.

"لقد نشر والدي صورة إيدان وهو رضيع على صفحته الخاصة عبر الفيسبوك، في حين أنه لم ينشر عبر صفحته أي صورة لنا منذ أن تزوّج مرة أخرى، فهل نالت صورة هذا الطفل احترامه ومحبته، بعد أن وافته المنية؟".

لاحظ موكيش تبدّل نبرة أليشا التي اعتاد عليها، فلم يسبق له أن سمعها تتحدّث بهذا الجفاء.

"أليشا، يُستحسن أن تكفّي عن متابعة وسائل التواصل الاجتماعي واستخدام الإنترنت في هذا الوقت، ولا أعني اليوم فقط، بل لفترة قصيرة".

نظرت أليشا إلى عيني موكيش للمرة الأولى منذ أن تحدّث إليها بشأن كتاب زوجة مسافر عبر الزمن، فتجهّم وجهها، وفركت عينيها، وتنفّست بعمق، وقالت في النهاية، بعد أن أطفأت هاتفها ووضعته على الطاولة: "أنت على حق".

أومأ إليها موكيش مؤكّدًا كلامه، فهو بالطبع على حق.

[#]

جلسا وحيدين في إحدى زوايا المكتبة، وقد ساد الصمت لوهلة، ثم نظر موكيش حوله، فبدا المكان هادئًا، ولكنه تذكّر رؤية أشخاص انتابه شعور قوي بأنه يعرفهم، وشعر بانتمائه إلى مجتمعهم الصغير.

انزوى وحده في مكان معزول في المكتبة، فقد أراد منح أليشا بعض الوقت وحدها من دون أن يبتعد عنها كثيرًا، وأمسك برواية محبوبة ليقرأها رغم أنه سبق له أن أنهى قراءتها، ولكنه لم يشأ أن يضايق أليشا بطلبه رواية أخرى.

قلّب الصفحات حتى وصل إلى تلك الصفحة التي تشير إلى خطة دينفر لتجاوز حدود المنزل رقم 124، والذي لم تغادره منذ اثنتي عشرة سنة، وهي ترتعد خوفًا من مواجهة العالم الخارجي تمامًا، ومع ذلك انطلقت في رحلتها طلبًا للمساعدة، واستطاعت أن تتغلّب على خوفها، والتعرّف إلى ثلاثين امرأة تطوّعن لمد يد العون لها بكل الوسائل الممكنة.

تلفّت حوله في المكتبة، فتذكّر زياراته الأولى إليها، والتي منحته فرصة العثور على المساعدة، والتواصل مع المجتمع، فعلى الرغم من أنه لم يكن أسير المنزل خلال اثنتي عشرة سنة، إلا أنه لم يقرأ الكتب خلال تلك الفترة، كما لم تطأ قدماه أي مكتبة حتى حلول هذا الصيف، وفكّر في المنشورات التي لمحها على مكتب اليشا، والتي لم تفارق تفكيره *أنقذوا مكتباتنا*. لقد تحدّثت نينا كثيرًا عن الأثر المدمر لإقفال المكتبات، وكم سيكون الوضع سيئًا من دون أن تفتح تلك المكتبات أبوابها لروادها، وقد فكّر في كل تلك الروايات التي أثّرت في نفسه، وفي حكمة شخصياتها وفي وجوه مرتادي المكتبة البشوشة التي ابتسمت له خلال زيارته المكتبة، وبنصائح أليشا وإرشاداتها، وبشعوره بالقوة وهو يتحدّث إلى بريا عن تلك الروايات، وبالفخر وهو يراقبها تكبر بين صفحات الكتب... لقد أصبحت المكتبة ذات معنى كبير بالنسبة إليه، وهو يشعر بأنها بمثابة منزله، إن ما جعلها كذلك هو محبة روادها ومودتهم، وقد اعتادت نينا أن تعتبرالأمر نفسه بالنسبة إلى ماندير، وقالت أليشا سابقًا إن المكتبة كانت تعني الكثير بالنسبة إلى إيدان.

فجأة خطرت في بال موكيش فكرة لعلها هبطت من السماء، أو يمكن أن تكون إحدى حكم أتيكوس، فنهض عن كرسيه واتجه بسرعة إلى مكتب أليشا، وقال بصوت لطيف أشبه بالهمس: "أليشا؟".

كانت المكتبة شبه فارغة، ولكنه تراءى له منذ قليل كل من التقى به خلال هذا الصيف اليتيم، فكان قسم منهم قد التقى بهم في الواقع في وقت مضى، والقسم الآخر كان من نسج خياله.

أجابت أليشا بصوت حاد ما إن سمعت أحدهم يناديها، ثم ما لبثت أن استدركت خطأها، وقالت بلطف: "نعم، كيف يمكنني أن أساعدك".

أدرك موكيش أنها ندمت على ردها الحاد، فقال لها: "هل تعرفين كيف يمكن تفعيل دور هذه المنشورات؟".

"أجل".

"كيف سننقذ المكتبات بالضبط، إن لم نحاول طلب المساعدة؟".

"حسنًا، أعتقد أن وظيفة هذه المنشورات طلب المساعدة، يا سيد باتيل".

"حسنًا، ولكن.... كما طلبت دينفر في الرواية المساعدة، يمكننا أن نطلبها، ماذا لو استنجدنا بالمجتمع من أجل مساعدتنا؟ فهذه المكتبة أثرها كبير في نفسي، فقد ساعدتني في التخلّص من الشعور بالوحدة، ومنحتني الشجاعة والقوة بالإضافة إلى التعرّف إلى الأصدقاء الودودين، وأنا واحد من مئات فقط".

خلا وجه أليشا من التعابير، وقالت له: "أنا آسفة، لم أفهم ما ترمي إليه".

"الجلوس في صمت مع الآخرين قد يبعث في النفس شعورًا بالوحدة أقل من البقاء في المنزل بعيدًا عن أفراد العائلة التي كانت تضفي الحياة والحيوية على المنزل طوال الوقت، كما أن رؤية الأشخاص ذاتهم كل أسبوع يشعر المرء بالارتياح، ويبعث في النفس الأمل، وأنا أنهل كل يوم من السعادة الكامنة في هذه المكتبة، لأن لديّ أصدقاء فيها، وأنا واحد من كثيرين، فقد خرجت من منزلي مصدر راحتي، كما فعلت دينفر تمامًا... أما الآن، فأنا في المكتبة... المكان الذي

ساعدني على الاندماج مع المجتمع، وقد أشرت سابقًا إلى أن إيدان يحبّ هذا المكان، ما الذي أحبّه فيه؟".

"ربما وجد السلام فيه، كما استطاع الاختلاء بنفسه والشعور بالراحة، ولكن مضى على زيارته الأخيرة عدة سنوات، باستثناء تلك المرة التي زارني فيها للاطمئنان عليّ، لأنه كان مشغولًا طوال الفترة الماضية".

"حسنًا لقد فهمت، ولكن هذا المكان، لا يزال مهمًا بالنسبة إليه، أليس كذلك؟ يأتي عدد كبير من الناس إلى هنا بحثًا عن السلام والهدوء إلى جانب التعرّف إلى الأصدقاء، كيف سيكون شعوره حيال هذه المناشير؟".

هزّت أليشا بكتفيها باستخفاف.

"هل سيكون سعيدًا في حال أغلق مجلس المدينة هذا المكان؟".

هزّت أليشا بكتفيها مجددًا غير مبالية بما يقوله.

"لا أعتقد أنه سيكون كذلك، ولا أنت أيضًا".

ثم ابتسمت أليشا، وقالت له: "ربما أنت مُحق، ولكن، ماذا يمكننا أن نفعل أكثر بعد؟ إننا نوزّع تلك المنشورات، وهناك صفحة لجمع التبرعات، بالإضافة إلى أنشطة أخرى مشابهة لذلك".

قال لها موكيش: "هذا جيد، ولكن لديّ فكرة أفضل"، انتظر تعليق أليشا، وقولها: "تابع كلامك، فأودّ أن أسمع فكرتك"، ولكنها لم تنبس بكلمة، فتابع كلامه قائلًا: "أعلم أنك نظّمت بعد الأنشطة الأخرى مثل نادي القراءة، كما رأيت الملصقات على الجدار، ولكن يجب أن تكوني أكثر فعالية، ألا توافقينني في الرأي؟".

بقيت أليشا صامتة.

"أودّ إقامة تجمع في الصباح أو المساء، أو الوقت الذي ترينه مناسبًا، فأنت الخبيرة في هذه المسائل".

جالت أليشا بعينيها في أرجاء المكتبة، وقالت له: "أنا لست خبيرة في هذه المسائل أبدًا، ما الذي أوحى إليك بذلك؟".

"لا حاجة إلى الحصول على بطاقة من المكتبة، أو إخراج الكتب في حال لم تريدي ذلك، فما نحتاج إليه هو استخدام المكتبة لاستقبال الناس وتقديم القهوة والمعجنات وبعض الأطعمة إليهم، فالطعام يجذب الناس على الدوام، ولاسيما إن كان مجانيًا، كما يمكننا التبرع لجمعية خيرية أيام الأربعاء مثلًا، فهذه وسيلة فعالة للتواصل مع الناس، وهو بيت القصيد، والتحدث إلى شخص جديد في كل مرة تدخلين فيها إلى المكتبة، ومساعدة أناس أكثر على التخلص من الوحدة التي يعانون منها، وربما سيساهم هذا الأمر في إبقاء هذا المكان مفتوحًا، على الرغم من أنهم لن يتردّدوا دومًا إليه بصفتهم أعضاء ثابتين كونهم لا يحملون بطاقات عضوية، ولكن وجودهم سيكون نابعًا من رغبتهم الخالصة في الحضور، أليس كذلك؟ ما سيجعل المكتبة مكانًا محببًا إلى نفوس الناس مجددًا".

"هل تعتقد أن عددًا كبيرًا من الناس سيرتاد المكتبة؟ لا يحبّ معظم الناس الدردشة، ألا توافقني الرأي؟ باستثناء تلك السيدة التي تأتي أيام الثلاثاء والتي لا تكفّ عن الكلام".

"... إنها فرصة ذهبية لطلب المساعدة من أجل استمرار المكتبة، ومن أجل الشعور بالراحة، ألا يمكننا المحاولة على الأقل؟ هل يمكنك الاستفسار حول المسألة؟ أعتقد أنها فكرة لطيفة، وربما يحتاج الناس إلى القليل من التشجيع كي يدردشوا مع شخص آخر لا يعرفونه".

"لا أدري إن كان المدير سيوافق على تلك الفكرة، بما أن رواد المكتبة الدائمين سيحضرون أيضًا؟".

قال موكيش، وقد أمسك بأحد المناشير بيده: "سيحبّ الفكرة لأنها ستجذب المزيد من الناس إلى المكتبة، وسنكتب عبارات مثل، *تفضّلوا وتناولوا الحلويات*، أو *رافقوا الكتب والأصدقاء الجدد*، ويمكن أن نطبع منشورات كثيرة منها، ولكن ليس كهذه الملصقة على باب المكتبة".

تنهّدت أليشا، وقالت له: "حسنًا، سأحاول أن أقنع المدير".

"إضافة إلى ذلك، لقد فكّرت في أن يكون هذا التجمّع إحياء لذكرى إيدان أيضًا، حتى ولو لم يتسنَّ له الوقت لقراءة الكتب في المكتبة في السنوات الماضية، إلا أن هذا المكان يعني الكثير بالنسبة إليه، فقد عمل فيه، وساعدك أيضًا في الحصول على العمل فيه، أليس كذلك؟ وربما سيساهم هذا المشروع في إحياء ذكراه، بخلاف منشورات الإنستغرام".

أومأت إليه أليشا، وقد غابت الابتسامة التي كانت مرتسمة على وجهها.

في تلك اللحظة، جاء كريس المهووس بكتب الجرائم والتشويق، وقد ارتدى سترة ذات قبعة وبنطال جينز كالعادة.

صاح موكيش، والحيوية تتدفّق في عروقه: "كريس! ما رأيك في المشاركة في التجمع صباح أيام الأربعاء في المكتبة؟".

فوجئ كريس قليلًا بما قاله له، فقد مضى وقت طويل منذ آخر محادثة دارت بينهما، وفي العادة يقتصر اللقاء بينهما على ابتسامة والتلويح باليد: "أجل، إنها فكرة رائعة، فأمي تحبّ هذه التجمعات، واحتساء قهوة الصباح برفقة الأصدقاء".

قال موكيش لأليشا، مشيرًا إلى كريس، وقد ارتسمت ابتسامة عريضة على وجهه: "أسمعت ما قاله؟! هل ستبلغين مديرك بما نخطّط للقيام به؟ سيحضر كريس والدته، وستكون التحضيرات رائعة، وأنا متحمس للغاية".

ضحكت أليشا، بينما هزّ كريس كتفيه استخفافًا، فلا علم له بما حدث للتو، ثم تابع مسيره إلى مكانه المعتاد.

"كانت نينا تحبّ هذه التجمعات! وها أنا أقوم بما تحبّه، على الرغم من أنني لم أنظّمها في المعبد".

انتفض موكيش واقفًا، وربت على كتف أليشا بلطف، ثم انحنى على مكتبها ببطء، على الرغم من ألم ظهره وتصلّبه قليلًا، إلا أنه تجاهل كونه رجلًا عجوزًا، ويعاني من آلام في المفاصل، فقد شعر لوهلة بأنه لا يزال في ريعان الشباب.

الفصل 36

أليشا

نظرت أليشا إلى صورة الأزهار على رصيف القطار من منظور مختلف الآن، فقد تمّت مشاركة الصورة عبر وسائل التواصل الاجتماعي، وحازت على خمسة وأربعين إعجابًا، وأصبحت بتلات الورود بنية الآن، وهي تتبع إيدان إلى حيث يرقد بسلام، فلم تكن لتصمد إلى الأبد. كم تشبه هذه الأزهار إيدان! فهو سيستقرّ فترة في أذهانهم، ثم سيتلاشى مع مرور الزمن.

اجتماع صباحي تكريمًا لإيدان، كان ليسخر من هذه الفكرة بالتأكيد، فهو يكره لفت الأنظار، ومن جهة أخرى فقد أحبّ المكتبة التي كانت مكانه المفضّل طيلة سنوات، وقد أصرّ على أن تحصل أليشا على تلك الوظيفة فيها في المقام الأول، وربما كان السيد باتيل على حق، فهذه الخطوة الصغيرة تستطيع التحكم فيها، كما تستطيع القيام بها لإبقاء ذكرى إيدان حية، ولتثبت له أن المكتبة أصبحت مهمة بالنسبة إليها أيضًا، وهي تدرك أن هذا ما أراده. أراد لها العثور على السلام والهدوء في هذا المكان أيضًا.

لا وقت لديها لتضييعه، لن يدع السيد باتيل الأمر قبل أن ينظّمه كله، فقد اتّقدت عيناه اصرارًا، وأوشك أن يركض في الخارج، وهو يضمّ رواية محبوبة إلى صدره ملوحًا بيده إلى أليشا وكريس والآخرين.

اتّصلت أليشا بكايل، وسألته عن موعد قدومه لبدء وردية عمله.

"سأكون في الموعد المحدد".

"هذا رائع، فلدى السيد باتيل بعض الأفكار حول ما يمكن أن نقوم به من أجل إضفاء البهجة والحماسة على هذا المكان".

"أتعنين المكتبة؟".

"أجل، المكتبة".

[#]

قال لها كايل: "هل أنت متأكدة من أنك بخير، أليشا؟".

أجابت مشيرة إلى التصميم الأولي للمنشور الذي ظهرعلى الشاشة: "أجل أنا بخير، إن ما أقوم به مفيد، إنه مفيد بشكل كبير".

أومأ إليها كايل، ثم قال لها: "يبدو أن السيد باتيل يعرف جيدًا ما عليه أن يفعله. يقولون إن الحكمة تظهر مع التقدم في السن... كم وردية عمل بقي لديك قبل العودة إلى المدرسة؟".

هزّت أليشا كتفيها، وقالت: "بقي أسبوع واحد، وهذا يعني أن لديّ خمس ورديات أو ست فقط".

"يا إلهي! لقد مرّ الوقت في لمح البصر، سنفتقدك كثيرًا".

هزّت أليشا كتفيها مجددًا، وقالت: "أجل، لقد أحببت العمل في المكتبة، وقد قال لي إيدان إن ذلك سيحدث، وإنني سأفاجئ نفسي".

"ماذا حلّ بعبارة، *إنه العمل الصيفي البغيض*؟ كنت ترفضين القيام بأي عمل تقريبًا في يومك الأول".

قالت له وقد لاحت ابتسامة خفيفة على شفتيها: "لقد كان بغيضًا بالنسبة إليّ، وكنت أكرهه أيضًا، ولكنني تأقلمت مع الجو واعتدت عليه".

لم يمضِ كثير من الوقت حتى حضر ديف، فشعرت أليشا بتدفق الأدرينالين في جسدها، وبالامتنان لكايل لتمهيده لإعلانها عن فكرة اللقاء الصباحي: "أرجو أن تعيرونا جميعًا آذانًا صاغية، فلدى أليشا فكرة رائعة ستعلن عنها".

التفت الجميع إلى أليشا، التي جفّ حلقها، وبدت وكأنها ستلقي كلمة رسمية أمام حشد كبير، فتذكّرت أتيكوس الذي لا يهاب المواقف الحرجة والاجتماعات الحاشدة، كما أنه لا يبدي أي ضعف أمام المصاعب.

تنفّست بعمق، وبدأت تقول بتوتر: "في الحقيقة أودّ أن أقدّم لكم اقتراحًا قد يثير إعجابكم، وهو الإعلان عن تنظيم صباح مفتوح لاستقطاب أكبر عدد ممكن من الناس، فهذا المكان يملك روح المحبة العائلية بفضل تحلّي من يرتاده بالود واللطف في التعامل مع بعضهم، وعلينا أن نستغلّ ذلك من أجل الحفاظ على استمرارية المكتبة، ومساعدة الناس على اكتشاف الجمال من حولهم، عبر جعلها مركزًا اجتماعيًا مهمًا يقصده الناس لأغراض متنوعة، أليس مشروعًا رائعًا؟ فسيلتقي الناس جميعًا في هذا المكان الحميم، ونساعدهم على التحدث إلى بعضهم والانخراط في مجتمعهم، واكتشاف أشياء جديدة...".

شعرت أليشا بالاحراج، فصمتت قليلًا لتلتقط أنفاسها، مع أنها استخدمت الطريقة المثلى للإعلان عن تلك الفكرة.

بدا ديف مهتمًا بما تقوله أليشا، وقد لاحظ ارتباكها، فقال لها: "أليشا، هل وجب عليك أن تحضري اليوم؟ لقد أخبرتك أنك تستطيعين أخذ إجازة بقدر ما يلزمك من الوقت".

تمتمت أليشا بعد أن التقطت أنفاسها، ثم ما لبث أن ارتفع صوتها، وهي تقول: "الإلهاء مفيد للغاية، وأيًا يكن الأمر، اللقاء الصباحي مجاني، ومتاح لكل الراغبين في زيارة المكتبة، فهم يستطيعون الالتقاء بالعديد من الناس، والاستمتاع بالهدوء والسلام، والتحدث إلى الأصدقاء، فلطالما كان هذا المكان محور اهتمام أفراد المجتمع، وقد تراجع دوره قليلًا في الآونة الأخيرة، لذا يجب أن نستدرك الأمر بإعادة تفعيل هذا الدور".

أومأ ديف إليها بتأنٍّ، وقال لها: "حسنًا، هل سنشهد إقبالًا على الاشتراك في المكتبة أيضًا؟ فالأمر يهمنا كثيرًا".

"أجل بكل تأكيد! كما تستطيع لوسي أو بيني تقديم المساعدة في توزيع المنشورات أو أي مساعدة أخرى من هذا القبيل قبل حلول ذلك اليوم، لنظهر للناس مدى روعة هذا المكان، في البداية سيأتون من أجل تناول الحلويات، ثم سيرتادون المكتبة من أجل قراءة الكتب، والتعرّف إلى الأصدقاء الجدد".

احتسى ديف جرعة كبيرة من كوبه، وقال لها: "فكرة رائعة! هذا بالضبط ما يجب علينا فعله، لقد كان الحفاظ على استمرار أبواب هذا المكان مفتوحة أطول مدة ممكنة أمرًا صعبًا للغاية، فأعضاء مجلس المدينة يشعرون بالقلق بشأن تدنّي الميزانية وبالأخصّ أن المكتبة تقع في وسط المدينة، على الرغم من أن فكرة نادي الحياكة كانت رائعة، ولكن شخصين فقط لا يمكن أن يكونا مسؤولين عن تنظيمه، ولا أحد يديره حاليًا سوى لوسي، كذلك الأمر بالنسبة إلى نادي القراءة، إلا أنه لم يعد يشهد إقبالًا عليه كالسابق، أما هذه الفكرة... فربما ستنجح، إذ لا يقتصر دور المكتبة على توفير الكتب فحسب".

تبادل كايل وأليشا النظرات، وقد لمعت بارقة أمل في أعينهما.

[#]

"ماذا لو حدّدنا صباح يوم الأربعاء موعد تنفيذ الفكرة؟ إنه اليوم الأكثر هدوءًا في الأسبوع!".

أومأ إليه كايل وأليشا معًا.

"لقد أثارت تلك الفكرة إعجابي، فهذا المكان مخصص للتواصل مع الآخرين، وفكرتك تمسّ جوهر الموضوع تمامًا. أليشا، لقد أحببتها، وعلينا البدء بتنفيذها الأسبوع القادم، فنرى ما ستكون عليه النتائج، كما يمكننا أن نطوّرها تدريجيًا، فنقيم التجمع مرة في كل شهر على سبيل المثال".

"ولكن لا يكفينا أسبوع واحد لإذاعة الخبر والترويج للفكرة".

"إذًا يُستحسن أن تبدأوا منذ الآن".

نظرت أليشا إلى كايل الذي كان يستمع إلى حديثهما بانتباه، وهو يجلس على الكرسي مسترخيًا وقد أسند ظهره، فابتسمت له ابتسامة خفيفة، وبادلها الابتسامة ورفع أحد حاجبيه وكلا إبهاميه تأكيدًا على إتمام المهمة على أكمل وجه.

إلا أن أليشا لم تتحمّل الانتظار لتخبر السيد باتيل بنجاح مهمتها.

الفصل 37

موكيش

أرسل موكيش رسالة صوتية إلى ابنته روهيني، وقال لها: "روهيني، هل يمكنك تحضير بعض أطباق الطعام من أجل يوم الأربعاء القادم، وإيصالها إلى منزلي مساء يوم الثلاثاء، وإن استطعت تحضير بعض السمبوسة فسيكون ذلك لطيفًا، كل ذلك من أجل استمرار المكتبة، سنقيم لقاء صباحيًا، وأنا أساعد في تنظيمه".

ثم أرسل رسالة أخرى إلى فريتي، وقال لها: "فريتي، أحتاج إلى مساعدتك في الطهو، هل يمكنك تحضير بعض الطعام الذي يؤكل باليد من أجل اللقاء الصباحي المفتوح يوم الأربعاء القادم؟ وإن استطعت أحضريه إلى منزلي مساء الثلاثاء، وليكن شهيًا كالعادة".

ثم أرسل رسال ثالثة إلى ابنته ديبالي، وقال لها: "عزيزتي ديبالي، أيمكنك تحضير بعض وصفاتك الخاصة بالمناسبات المميزة؟ أحتاج إلى أن توصلي الأطعمة مباشرة إلى المكتبة صباح الأربعاء، ولكن يمكنك القدوم مساء الثلاثاء إلى منزلي كي تقدّمي لي العون".

أغلق موكيش السماعة، وشطب أسماء بناته الثلاث عن اللائحة، ثم التفت إلى نيلاكشي التي كانت تجلس في غرفة الجلوس، وتشاهد قناة زي على شاشة التلفاز.

ناداها بصوت هادئ: "نيلاكشي".

التفتت إلى موكيش، بينما كانت أذناها تصغيان إلى التلفاز.

قال موكيش ملوحًا بإحدى منشورات المكتبة الجديدة: "تحتاج أليشا إلى المساعدة في توزيع المنشورات من أجل المكتبة، وقد صمّمها زاك، وهي مميزة للغاية، أليس كذلك؟ فألوانها مفعمة بالحيوية والبهجة، ولكن ما رأيك في أن أنشر الخبر في الماندير؟ هل سيسخرون مني، ويعتبرون أنني أرمل يشعر بالوحدة؟".

قالت له نيلاكشي بلطف: "موكيشبهاي، أنت لست أرملًا عجوزًا ووحيدًا، وليس لديهم أدنى فكرة عما عنته المكتبة لنينا، وسيدركون أنك تفعل ذلك من أجلها ومن أجل الشاب اليافع إيدان أيضًا، وستكون نينا فخورة بك حقًا".

أدرك موكيش بعد سماع كلام نيلاكشي أنه تصالح مع نفسه، وقد ساعدته على ذلك صديقته المقربة التي أرسلتها نينا إليه بطريقة ما لتؤنس وحدته، بعد أن تقاطعت طرقهما، واجتمعا معًا، كما أرشدته نينا إلى الماندير، بعد أن تركت كتاب زوجة مسافر عبر الزمن علامة يهتدي بها إلى سلوك الطريق الصحيح، وهكذا وقفت إلى جانبه منذ البداية.

فكّر في توزيع المنشورات في الماندير، ولكن ماذا سيقول عنه الناس؟ لا أحد سيتوقّع أن يقوم موكيش باتيل بذلك، إلا أن الحقيقة أنه لم يعد كلامهم يخيفه، أليس كذلك؟ فهو سيفعل ذلك من أجل تحقيق هدف سامٍ، فلطالما شعر في هذه المدينة بالوحدة، على الرغم من أن معظم الناس في ويمبلي يعرفون بعضهم، إلا أن الشعور بالوحدة قد يسود فيها دومًا.

فكّر في إرسال المنشورات عبر البريد، إلا أن بعض الناس تضايقهم المنشورات، فهل يمكن أن يوقعه شيء بسيط كإرسال المنشورات عبر البريد في مشكلة كبيرة؟

انبعث صوت نينا في داخله: "بل قد يوقعه في ورطة".

[#]

أخيرًا، تشجّع موكيش وقرّر زيارة المعبد لتوزيع المنشورات، فالتقى ابن هاريش، بهاي الأصغر، وطلب منه أن يدفعه ليتنقّل في المكان على إحدى الكراسي المتحركة التي يستخدمها المتقدمون في السن.

قال له موكيش: "أحتاج إلى تحرير كلتا يدي، من أجل التنقّل بسرعة أكبر".

قال له ابن هاريش مقايضًا: "حسنًا، سأقوم بدفعك مقابل تينر (ما يعادل عشرة باوندات)".

دفع ابن هاريش موكيش على امتداد الرواق مرورًا بمحل الهدايا ومحلات الأحذية ودورات المياه، فتمكّن من توزيع ثلاثة منشورات فقط، لذا كان عليه أن يغيّر أسلوبه لتوزيع عدد أكبر منها.

كان ابن هاريش يستمع إلى الموسيقى عبر جهازه، ولم يكن يعلم بالاتجاه الذي يريد موكيش أن يسلكه، إلا عن طريق مراقبة حركات يديه فقط، ما بعث الراحة في نفس موكيش، لأنه لن يضطرّ إلى إجراء محادثة معه، رغم أنه يكره أن يكون الرجل العجوز الفظ والقديم الطراز، ولكنه أحبّ الكرسي المتحرك، وتساءل عن السبب الذي منعه من تجربته سابقًا، ولا سيما في ظل وجود ابن هاريش الذي يمكن أن يساعده في التنقل في الجوار بسرعة كبيرة!

حاول إلهام نفسه بفكرة جديدة، فخطر في باله برامج التلفاز، مثل برنامج إيست إندرس، حيث يصرخ الناس بأصوات صاخبة تصمّ الآذان، فسعل موكيش في زاوية اقرأ كل شيء عنه وعن حبات الطماطم ذات العشرين بنسًا كما ورد في لائحة البضائع، ثم بدأ يصرخ بصوت ليس عاليًا كفاية كي يطرد من المعبد، ولكنه مرتفع كفاية ليسمعه الجميع، وهو يمسك المناشير بيده المرفوعة فوق رأسه، وقد كتب عليها: "زوروا المكتبة الكبيرة، انضمّوا إلينا، ولا تفوّتوا الفرصة، سيحضر كل أصدقائكم وسيتساءلون عن أسباب تخلّفكم عن الحضور، ويمكنكم أن تحضروا أطفالكم وأحفادكم!". ما حدث كان إعجازًا بكل معنى الكلمة، فقد جذب انتباه امرأتين اقتربتا منه، فأعطاهما منشورين على الفور، ثم تابعتا طريقهما، وقد انتابهما الشكّ حول صحة تلك المناشير.

[#]

لم يجد موكيش وابن هاريش متسعًا لهما وللكرسي المتحرك في مدخل متجر الهدايا، فأدرك أن هذه الطريقة ليست الأفضل، فطلب من ابن هاريش التراجع إلى الخلف بسرعة، وخلال تراجعهما اصطدما بكل من روهيني ونيلاكشي معًا.

تفاجأ الجميع، فقال لهما ابن هاريش: "مرحبًا، أنا ابن هاريش".

قال لهما موكيش: "ما الذي تفعلانه هنا؟".

قالت روهيني: "سنقضي بعض الوقت في المعبد، ثم سنذهب إلى القداس، فأنا في إجازة اليوم، وإن أردت أن تسأل عن بريا فقد خرجت برفقة صديقها روبيرت".

قالت نيلاكشي، والابتسامة تعلو وجهها: "أنا وابنتك نوطّد صداقتنا أكثر فأكثر".

سحب موكيش روهيني جانبًا، وهمس في أذنها: "إنك ودودة مع الجميع دومًا، مثل والدتك تمامًا".

ابتسمت روهيني ابتسامة مشرقة، بدت وكأنها أرادت أن تقول: "إن نينا كانت زوجتك وأمي أيضًا".

قال موكيش، مناولًا إياهما منشورين: "خذا هذين المنشورين، ولا بد أنكما تعلمان أننا سنقدّم طعامًا منزليًا يوم الأربعاء في المكتبة، لذا احرصا على إحضار أنواع متعددة، ألم تستلما رسائلي؟ كما يجب أن نخصّص قسمًا للطعام النباتي، وربما سأشارك بإعداد البانير المشهورة".

تبادلت نيلاكشي وروهيني نظرات استغراب، ثم قالت روهيني: "أتقول المشهورة؟ أعتقد أنك لم تحرقها مرة واحدة فقط...".

قال موكيش وهو يتساءل إن كان لهذا الفتى اسم: "ابن الأخ هاريش، ادفعني إلى هناك، حيث تبدو الوحدة طاغية في ذاك المكان، ولا بد أن تلك المجموعة بحاجة إلى هذه المناشير"، ثم وجّه كلامه إلى روهيني ونيلاكشي قائلًا: "لا تنسيا تحضير أنواع متعددة من الأطعمة، وكونا مستعدتين ليوم الأربعاء".

تابع الجميع طريقهم، وهم يدوسون بأقدامهم الأرضية الخشبية الملساء صعودًا على الممر المفروش بالسجاد، والذي تليه أرضية رخامية تؤدّي إلى المعبد الرئيسي.



[#]

أخيرًا حلّ مساء الثلاثاء، فتدفّق الأدرينالين في جسد موكيش، وقد حضّرت كل من روهيني، فريتي، وديبالي الوجبات في مطبخه، بينما كان التوأم ينشران الفوضى في الممرات، وعندما رنّ جرس الباب، ودخل زاك، عاد الزمن بموكيش إلى إحدى ليالي حملات جمع التبرعات منذ بضع سنوات خلت، والتي اعتادت نينا على تنظيمها، فكانت تعدّ أنواعًا مميزة من الوجبات وتقول: "فلنرفع همنا عاليًا"، لم يشارك موكيش بأي عمل خيري كتلك الأعمال الخيرية منذ وفاتها، ولحسن الحظ، أحضر زاك معه بعض أكياس دوريتو مع صلصة التغميس اللذيذة، فكان ممتنًا له للغاية.

قال له زاك: "تقول أمي لا يجب أن أزور منزل أحد، وأنا خالي الوفاض".

صافحه موكيش قائلًا: "أنت شاب صالح".

شعر زاك بأنه غريب في منزل موكيش بغياب أليشا، وقد استمرّ بطلب إذن موكيش قبل القيام بأي عمل، كإحضار الأطباق من أجل الدوريتو، والحصول على كوب من الماء، واستعمال دورة المياه، إلى أن قال له موكيش بعد أخر إذن طلبه زاك: "بالطبع زاك، يمكنك فعل ما تريده، فمنزلي الآن يُعدّ منزلك، ويمكنك أن تفعل ما يحلو لك".

ابتسم زاك لموكيش، ولكنه ظلّ متوترًا، وهو يتنقّل في أرجاء المنزل، بما يوحي بقلقه من أن يترك أي أثر خلفه، فضحك موكيش على ارتباكه، بينما كان يضع حبات البازلاء في وعاء من أجل الكاتشوري، ثم اقتربت جايش، وحاولت تسلّق رجل جدها للوصول إلى وعاء البازلاء.

وصل نيخيل حاملًا الخضراوات التي جلبها من المتجر، وما إن داس عتبة الباب، حتى نادته روهيني قائلة: "ميغيل، تعالَ لو سمحت، فأنا بحاجة إليك!".

دخل نيخيل المنزل على مضض بعد سماع ندائها، واتّجه مباشرة إليها، فوجدها أمامه تحمل دفتر ملاحظات، وقالت له بلهجة آمرة: "أحضر بعض المكونات الإضافية غدًا صباحًا، لأتمكّن من أن أقليها قبل مغادرة المنزل بقليل، فقد سمحت لي نيلاكشي- ماسي (وهي لاحقة تعني الأم) باستعمال قدر الضغط لتحضير بعض الوجبات الإضافية أيضًا". ثم نظرت إلى والدها مبتسمة بعد ذكر اسم نيلاكشي، فأومأ إليها بدوره مبتسمًا رغم الألم الذي كانت تسبّبه جايا، وهي تضربه بقبضتها الصغيرة على رجله.

وبّخت روهيني جايا قائلة: "جايا، كوني لطيفة مع جدك، ولاعبيه برفق".

أطاعت الفتاة والدتها للحظة، ثم عاودت الكرة ما إن أدارت روهيني ظهرها".

لمح موكيش، بريا تجلس في إحدى الزوايا، تقرأ رواية، وسط الفوضى العارمة التي تعمّ غرفة الجلوس، فخلّص نفسه من جايا وجايش، وحمل وعاء البازلاء واتّجه إليها، فوجد أنها تقرأ كتاب نساء صغيرات مرة أخرى.

"عزيزتي، ألم يسبق لك أن قرأت هذه الرواية؟".

أومأت إليه بريا قائلة: "أجل، ولكنها تُذكّرني *با*، فأنا أتذكّرها من خلالها، كما أنها كانت تقول لي دومًا: إن أحببت كتابًا، فعليك بقراءته مجددًا، كي تكتشفي ما أثار إعجابك فيه حقًا، وما فوّته سابقًا، فالكتب تتغيّر عندما تتغيّر حالة الشخص الذي يقرأها".

أومأ إليها موكيش بعد أن فهم ما عنته بكلامها، وفي هذه الأثناء أحضر زاك له كوبًا من الشاي، وسأل بريا إن أرادت واحدًا أيضًا، فقالت له روهيني من الخلف: "إنها لا تشرب الشاي"، ولكن بريا قالت له: "أريد كوبًا من فضلك، زاك"، فأحضر لها كوبًا في الحال، فابتسمت، ووضعت روايتها جانبًا، وأحاطت الكوب بكلتا يديها مشيرة إليه، وهي تمدّ لسانها لأمها متهكّمة.

جلس موكيش على كرسيه، ونظر حوله في أرجاء غرفة الجلوس التي كانت تضجّ بالحياة، بينما عاد التوأم إلى الركض واللعب في الممر، فلم يسبق أن ضمّ منزله هذا العدد من الأشخاص منذ وفاة نينا.

فكّر في منزل أليشا ووالدتها الذي يخيّم عليه الصمت، على خلاف منزله.

شاب مناسب

فيكرام سيث

الفصل 38

أليشا

"أليشا، تبدين مرهقة".

"أظنّ ذلك".

وضعت راشيل يدها على كتفها، وقالت لها: "اسمعي، لمَ لا تأخذين قسطًا من الراحة قبل ذهابك إلى العمل؟".

كان ذلك جلّ ما أرادته أليشا، أن تغرق في نوم عميق في سريرها، وألا تستيقظ أبدًا، كما فعلت أمها في الأيام القليلة الماضية، بل في السنوات الماضية، فقالت لراشيل: "أجل ربما سأفعل ذلك، ولكني سأتفقّد أمي أولًا".

همست أليشا إلى والدتها بصوت منخفض، وهي تدفع باب غرفتها قليلًا: "أمي، خالي جيريمي وراشيل ينتظرانك في غرفة الجلوس، وأنا أحتاج إلى أن أستريح قليلًا، وهما سيتناولان طعام الغداء في الحديقة، فالطقس اليوم جميل، ألا تودّين الانضمام إليهما؟".

قالت لها ليلى وهي تنظر إلى أحد جدران غرفتها: "أنا بخير، وأرجو أن تنعمي بنوم هانئ".

سألها جيريمي وهو يقف أمام باب غرفتها: "أهي بخير؟".

"لا تريد أن تخرج من غرفتها، ولا فائدة من المحاولة".

عارضها جيريمي قائلًا: "كلا، عزيزتي، بل توجد فائدة من المحاولة دومًا.

ليلى، إن الطقس جميل اليوم، أتودّين تناول الطعام برفقتنا في الحديقة؟".

على الرغم من أن الغد هو اليوم الموعود، وهو اللقاء المفتوح في المكتبة لتخليد ذكرى إيدان، إلا أن أليشا لم تكن تشعر بأنها جاهزة على الإطلاق، فهي تشعر بأنها مرهقة ومشتتة الذهن وتائهة في هذا العالم الغامض، وقد قادتها مشاعر الحنين إلى غرفة إيدان التي يعمّها الظلام، ولم يمسّها أحد بعد الحادثة، لأن أليشا لم تحتمل أن يعبث أحدهم بأغراضه. ثم استلقت على سريره المرتب بعناية، رغم الفوضى العارمة التي تعمّ الغرفة؛ فإيدان لم يعتد الخروج من غرفته من دون ترتيب سريره، وقد استلقت فوق الملاءات من دون أن تعبث بها، وما إن ألقت برأسها على الوسادة، حتى وقع نظرها على مجموعة الكتب الموضوعة قرب السرير وقد غطّتها طبقة رقيقة من الغبار.

أدارت وجهها وحدّقت إلى السقف، فتمنّت لو أنها استغرقت في نوم عميق، وفجأة اهتزّ هاتفها الذي وضعته بجوار سرير إيدان، فكان كايل، وهو يذكّرها بورديتها في المكتبة، وبالطبع ستراه لاحقًا، ثم ألقت مجددًا نظرة على الكتب المكدسة قرب سرير إيدان، فاتسع بؤبؤا عينيها بعد أن لمحت اسم أحد الكتب، كيف غفلت عنه؟ كان بين الكتب التي تتناول الجرائم، وهو رواية زوجة مسافر عبر الزمن، فتذكّرت نسختها، أو بالأحرى نسخة السيد باتيل، المهملة، والتي لا تزال قرب سريرها.

شعرت بالتوتر وبغصة في حلقها عندما لاح السيد باتيل في مخيلتها، وهو يخبرها بقيمة هذه الرواية، وكيف ساعدته على تجاوز ألمه قائلًا: "تساعدنا الروايات في اكتشاف أسرار هذا العالم، ومعرفة خباياه"، ثم تخيّلت إيدان، وهو يجلس مكانها، ويقرأ هذه الرواية، هل رأته يقرأها سابقًا؟ وكم مضى على قراءته هذه الرواية؟

تنفّست بعمق، وسحبت الرواية من بين الكتب الأخرى، وحملتها برفق بين يديها، بعد أن غدت واثقة من أنها اختبأت مدة طويلة في قوقعتها بدلًا من المضي

قدمًا في حياتها. ربما كان السيد باتيل على حق، لقد تعلّمت من الروايات دروسًا مفيدة، بعد أن عايشت كل ما اختبرته الشخصيات في تلك الروايات، فلماذا لم تسخّر ما تعلّمته منها لمواجهة ما يعترضها من صعوبات؟ ها هي الرواية في غرفة إيدان، وإلى جوار سريره، وإن كان شقيقها قد قرأها ذات مرة، فهي تريد أن تقرأها أيضًا.

فتحت الصفحة الأولى من الرواية، وبدأت بقراءة السطر الأول كلمة كلمة بإمعان، بعد أن ألزمت نفسها بالتركيز.

[#]

جلست أليشا في ذلك اليوم، وحيدة خلف مكتبها في المكتبة المهجورة، ورواية زوجة مسافر عبر الزمن إلى جوارها. قرأت بضع صفحات فقط، فجعلتها تبدو وكأنها انتقلت إلى عالم شخص آخر، وقد سمحت لعواطفه باجتياحها، وأن يتحوّل إلى عرابها في اللحظة التي تبدأ بالقراءة فيها. وهذا ساعدها على إرشاد نفسها إلى اتباع الطريقة المثلى لمواجهة الحياة، فبحثت بين الصفحات على دليل يقودها إلى إيدان، ثم تساءلت عن رأيه في هنري وفي قدرته على السفر عبر الزمن خلال فترات من حياته؟ وحول ما فعله من أجل حبه أيضًا، وماذا عن كلير؟ لقد كان والداها ثريين ومتغطرسين، ولطالما كره إيدان هذا النوع من الأشخاص.

صرخ كايل من المطبخ قاطعًا أفكارها: "أليشا! لا تنسي إضافة بعض اللمسات الأخيرة على المكتبة من أجل يوم غد، فنحن نريد أن نجذب أكبر عدد ممكن من الناس. لقد أرسل إلي ديف رسالة نصية لتوه، يبلغني من خلالها بأن لدى ابنة لوسي بعض الاقتراحات، وهي ستنشر الحدث الذي سيجري غدًا عبر وسائل التواصل الاجتماعي".

تنهّدت أليشا، وهي تعلم أن إيدان والسيد باتيل كانا سيرغبان في نجاح اللقاء الصباحي أيضًا.

التفتت إلى كدسة المناشير التي تحمل شعار "أنقذوا مكتباتنا" الملقاة إلى جوارها، والمعدة لرميها في سلة المهملات، وقد اكتسحتها مناشير "تعاضدوا من أجل إنقاذ المكتبة الكبيرة".

تصفّحت بعض القصص اليومية عبر الإنستغرام بسرعة، وتأمّلت كلًا منها لفترة لا تتجاوز الثانية محاولة الدخول إلى حياة الآخرين، فرأت أضواء ساطعة، وأناسًا يقفزون في كل مكان، وأرجل بعضهم داخل حوض السباحة، وبعضهم الآخر يطالعون على الشاطئ، ومقطع لمؤخرة قطة أحدهم تتحرّك على إيقاع أغنية "بوتي" لجنيفر لوبيز وإيغي أزيلا، وصورة التقطت لصديقها في الكلية، وهو يقف أمام برج بيزا المائل، وقد بدا الاستياء على وجهه، فكان إيحاؤه بمنعه من السقوط أمر يبهر البصر حقًا.

شعرت بالإحباط عندما رأت الآخرين يستمتعون بحياتهم، وتساءلت هل سيأتي اليوم الذي ستنشر فيه لمحة عن حياتها عبر وسائل التواصل الاجتماعي من دون الخشية من نظرة الناس إليها، ومن دون أن يهبّوا إلى مراسلتها لمواساتها، وكأنها الأخت الصغيرة الحزينة؟ وقبل أن يتسنّى لها الوقت للتفكّر في كل ذلك، صوّرت مقطع فيديو للمكتبة المهجورة، وكتبت: شاركونا غدًا لنشعل هذا المكان حماسة عند الحادية عشرة صباحًا.

ضغطت على زر النشر على مضض، فتراءى لها إيدان يشير بيده بازدراء إلى سخافة ما قامت به.

ثم رنّ الهاتف، فكانت راشيل.

"ما الذي يحدث في المكتبة غدًا؟ وما قصة المناشير المتعلقة بها؟ ولمَ لم تخبريني بما يجري؟".

"ما الذي تعنينه بقولك؟".

"لقد رأيت ما نشرته للتو".

"كم أنت سريعة!".

"إن وسائل التواصل الاجتماعي من اختصاصي".

"إنه لقاء اجتماعي صباحي، وقد اقترح السيد باتيل تنظيمه من أجل إحياء ذكرى إيدان، سبق لك أن تعرّفت إليه".

"لقد أحببت الفكرة، هل تريدين أن تخبري أمك بما تُعدّينه؟ فهي تجلس إلى جانبي".

صمتت أليشا، ولم تدرِ ما عليها قوله، فهى تجهل ما ستكون رد فعل ليلى حول الأمر، فهل ستسخر منها؟ أم أن ردّ فعلها سيكون أسوأ من ذلك، ولن تتجاوب على الإطلاق.

قالت أليشا في النهاية، وقلبها يخفق بشدة: "حسنًا، أمي...".

ولكن راشيل قالت بدلًا من أمها بصوت متهدّج، جعل أليشا تشعر بشدة توترها: "أنا آسفة ليش، لقد ذهبت والدتك إلى غرفتها، لترتاح قليلًا، ولكن يمكنني أن أخبرها لاحقًا، ما رأيك في ذلك؟".

"أجل بالطبع! شكرًا لك، راشيل".

لم تتوقّع أليشا أن تتجاوب معها، فلم يسبق لها أن فعلت ذلك أبدًا.

[#]

قال لها السيد باتيل عبر الهاتف: "لقد تمكّنت من توزيع كل المناشير البالغ عددها تسعة وتسعون منشورًا!".

قالت أليشا وهي تحاول التظاهر ببعض الحماسة: "هذا رائع، سيد باتيل! اعتقدت أنك قد تضجر من التوزيع وترمي ما تبقى في سلة المهملات!".

"بالطبع لا! حتى إنني وضعت أحدها على نافذة منزلي الأمامية، ثم نسيت أنني ثبّتها عليها، وعندما مرّ جاري العجوز المزعج وحاول قراءتها عن قرب، شعرت بالذعر، وأنا أتساءل عما قد يدفعه إلى التحديق عبر نافذتي بشكل غريب!".

لم يسبق لأليشا أن سمعت السيد باتيل مفعمًا بالنشاط والحيوية إلى هذه الدرجة، قالت له: "أنت جوكر تجمع الغد، سيد باتيل".

"أنا جاد حقًا، حتى إنني كنت أحضّر نفسي كي أصرخ فيه قائلًا: ابتعد عن ملكيتي! أيًا يكن الأمر لقد كانت المنشورات وسيلة إعلانية فعالة، وأنا فخور بما أنجزته، هل لا يزال لديك منشورات؟".

عضّت أليشا على شفتها، وقالت: "أجل لا يزال لدي القليل منها، وسأرميها اليوم في سلة المهملات".

"حسنًا، سيحين موعد التجمع قريبًا، ولا وقت لنضيّعه!".

أنهت أليشا الاتصال، وأسندت رأسها إلى الأريكة قرب ابنة خالها، وهما تراقبان الخال جيريمي ووالدتها، ولكنهما لم يأتيا على ذكر التجمع الصباحي المفتوح في المكتبة ذلك المساء، لأنها عندما عادت من ورديتها، تمتمت راشيل قائلة: "أنا آسفة، فلم أشأ أن أقوم بأي تصرّف خاطئ قد يعكّر صفو الأجواء، ويثير المشاكل".

كان الخال جيريمي قد صنع يخنة لحم الضأن التي يُجيد طهوها، على الرغم من حرارة الجو المرتفعة التي لا تتلاءم وتناول هذه الوجبة الدسمة، إلا أن أليشا التهمت طبقها من دون أن تكترث لذلك، ثم جلس الجميع معًا، وهم يحتسون الشاي لتهضم أجسادهم الطعام الذي تناولوه.

لقد مرّ وقت طويل على اجتماع أفراد العائلة معًا، لو كان إيدان حيًا لأسعده الانضمام إليهم، كما يمكن أن يتصرّف بلا مبالاة أيضًا، وربما كان سيخرج مع أصدقائه لاحتساء المشروب.

استهجنت أليشا الفكرة بشدة، ولامت نفسها على إساءة التفكير في شقيقها، فلطالما كانت العائلة الأهم بالنسبة إليه، ثم التفتت إلى ابنة خالها، وهي تأخذ كدسة المناشير التي وضعتها على الطاولة المجاورة، ثم قالت لها: "لا بد أن أوزّع هذه المناشير، هل تودّين مرافقتي؟".

قالت لها راشيل، وهي تمسّد معدتها: "لا أظنّ أن في إمكاني الحراك".

قلبت أليشا عينيها مازحة: "هيا بنا، يمكنك أن تتجاوزي الأمر".

وقد بدا جليًا من خلال عيني أليشا أنها أرادت القول: "أريد مغادرة هذا المكان في الحال".

قال الخال جيريمي لراشيل: "إنها فكرة رائعة، لمَ لا ترافقينها؟".

ارتسمت على وجه أليشا ابتسامة خفيفة وهي تؤيّد كلام خالها.

[#]

سارت الشابتان وهما صامتتان على الرصيف، ثم سألت راشيل أليشا، وقد أغرورقت عيناها بالدموع: "هل أنت بخير؟"، فلاحظت أليشا مدى تأثّرها الشديد بمصابها.

استغرقت أليشا بعض الوقت قبل أن تقول، وهي تتأمّل المناشير التي تمسكها بيدها: "اجتمعوا معًا في المكتبة الكبيرة"، لقد كتبها زاك بأحرف عريضة، وأردفت قائلة: "أنا بخير، ولكنني أفتقده كثيرًا، وهذا أمر طبيعي".

صمتت راشيل قليلًا قبل أن تقول لها: "لقد كان مميزًا، ولا يبدو أن ما حصل كان حقيقيًا، بل يبدو وكأنه كابوس مخيف".

كرّرت أليشا كلامها تلقائيًا: "هذا ليس حقيقيًا"، لقد ردّدت تلك العبارة أمام كل من حاول أن يواسيها خلال فترة العزاء، مع أنها حاولت جاهدة أن تمنع مشاعر الحزن من السيطرة عليها قدر الإمكان.

ساد الصمت مجددًا، حتى شعرت أليشا بتسارع ضربات قلبها، وقد حصل لها ذلك كثيرًا مؤخرًا، وبأنها لن تستطيع التقاط أنفاسها في أي لحظة.

قالت أليشا لراشيل: "خذي هذه المناشير، وانشريها في هذا الجانب من الشارع، وسأذهب أنا في الاتجاه المقابل منه، وسأضعها أمام باب كل منزل باستثناء تلك المنازل المهجورة".

هزّت راشيل كتفيها، واتّجهت أليشا إلى الجهة المقابلة من الشارع، وبعد أن شعرت بالارتياح، بدأت تتنفّس بعمق، ثم ما لبثت أن أبطأت خطاها، بعد أن شعرت بأنها قد تنهار في أية لحظة.

سمعت نباح كلب ينبعث من أحد المنازل، فتراجعت بسرعة إلى الخلف، وكادت أن تتعثّر بالسياج، فتسارعت دقات قلبها مجددًا، ونظرت عبر الشارع، فوجدت راشيل توزّع المناشير من دون أن تلاحظ معاناة ابنة خالها بسبب اشتداد حرّ فصل الصيف.

تنفّست بعمق، ولم تدرِ ماذا تفعل، ففكّرت في ليلى، التي تختبئ دومًا في غرفتها لتخفي حقيقة مرضها عن الجميع، وهي تشعر بالخوف الشديد من مغادرة عالمها الخاص، والاندماج في عالم غريب عنها، على الرغم من حاجتها الملحة إلى المساعدة، كما كان يحتاج إليها إيدان، فجميعهم كانوا بحاجة إليها. لقد كانت راشيل صديقتها المفضلة في السابق، وقد اشتاقت إليها، وأرادت استعادة صداقتها، فعبرت الشارع، في اتجاه الرصيف المقابل، بعد أن انتظمت ضربات قلبها، وبدأت قطرات العرق التي انسابت على جبينها تجفّ من شدة ارتفاع درجات الحرارة، وما إن اقتربت منها حتى ضمّتها إلى صدرها بقوة.

نظرت راشيل إليها، وربتت على يديها برفق، وقالت لها بصوت يوحي بأنها قرأت أفكار أليشا الفكرة تلو الأخرى: "سأظلّ إلى جانبك دومًا".

[#]

عادتا إلى المنزل الذي ساد فيه الهدوء باستثناء حركة خفيفة في المطبخ، فكان الخال جيريمي يغسل الأطباق، بينما خلدت ليلى إلى النوم باكرًا، فقالت راشيل لأليشا: "أليشا، عليك بأن تنشري تلك المنشورات لمشاركتها عبر الإنستغرام، ليتمكّن أصدقاء إيدان من الاطّلاع عليها، فيحقّ لهم أن يعلموا بشأن يوم الغد".

قالت أليشا مستنكرة: "لا أستطيع أن أفعل ذلك".

"ما رأيك في أن أقوم به بنفسي؟ إنها الفرصة الأخيرة لبث الحماسة في نفوس بعض الناس". أعطت أليشا هاتفها لراشيل، وقد شعرت بالراحة، ثم ألقت بنفسها على الأريكة، وهي تقول لها: "ربما فات الأوان".

أشارت راشيل خلال لحظات إلى هاتف أليشا، فكانت صفحة الأخبار تعجّ بالمتصفّحين الذين شاركوا منشورات المكتبة، فقالت لها راشيل متبسمة: "هل ترين ما أعنيه؟! لقد أخبرتك بأنهم يهتمّون حقًا، ليش".

لم تستطع أليشا إشاحة نظرها عن هاتفها الذي استمرّ يومض طوال الليل، ما إن يصلها الإشعار، فهذا ما كان يقوم به أخوها، إنه يجمع الناس بعد موته، كما كان يفعل طيلة حياته، ليساعدهم على تجاوز الشعور بالوحدة.

الفصل 39

موكيش

انبعث صوت رنين الهاتف، تلاه صوت ديالي: "مرحبًا بابا، أنا ديالي، سنغادر قريبًا، أراك في المكتبة، وسيرافقني التوأم، كما سأحضر الشراب أيضًا".

انبعث صوت رنين الهاتف مجددًا: "مرحبًا بابا، إن بريا متحمسة جدًا للقاء اليوم! سأوصلها إلى منزلك باكرًا، ثم سأعود كي آخذ قدر الضغط من منزل نيلاكشي-ماسي لإضافة اللمسات الأخيرة على الأطعمة التي جهّزتها، كما صنعت بريا المزيد من الكعك المكوب، وسأحضره أيضًا".

انبعث صوت رنين الهاتف للمرة الثالثة: "مرحبًا بابا، هل تحتاج إلى أن أجلب المزيد من الطعام أو المشروبات؟ يمكنني إحضار الكراسي أيضًا إن لزم الأمر، أعلمني بما تحتاج إلى أن أحضره معي! وبالمناسبة لقد أحسنت صنعًا، وستكون أمي فخورة بك جدًا، فلطالما رغبت في تنظيم لقاء صباحي مفتوح في المكتبة".

ذُهل موكيش لأنه لم يستيقظ على الضجيج المعتاد في صباح اليوم المنشود، فقد وضّبت فتياته السمبوسة، ولفائف الربيع، والفادا المختلفة الأنواع بالأمس، وعندما حاول موكيش تذوّق الفادا الموضوعة على مائدة المطبخ الأنيقة، ضبطته ديالي في اللحظة المناسبة، وحذّرته قائلة: "إياك أن تتناول أيًا من هذه الأطعمة! ولا سيما الفادا، فليس لدينا سوى القليل منها، وقد أضفت إليها مزيدًا من النكهة الحارة، لذا فإن طعمها لاذع، وقد تحرقك إن تذوّقتها".

"هل تتوقّعين أن أحملها من دون أن أتذوّقها؟".

"أجل هذا بالضبط ما أتوقّعه".

ما إن غادرت ديبالي حتى تذوّق واحدة منها، ولكنها كانت محقة، فقد كان طعمها لاذعًا، وقد أحرق شفتيه، فأدرك على الفور أن ذلك لا يبشّر بالخير متى انطلقت رحلتها في جسده، فأتبعها مباشرة بكأس من الحليب وبعض الملاعق الممتلئة باللبن، ثم أصبح كل شيء جاهزًا للانطلاق الآن.

لقد تطلّع بلهفة إلى معرفة عدد الحضور اليوم، والتعرّف إلى الوجوه الجديدة ولقاء الأصدقاء القدامى، كما كان يأمل في أن تأتي والدة أليشا أيضًا، ولكن ذلك غير محتمل؛ فليلى تعاني من الألم، ولم يستطع تخيّل ما قد يشعر به، في حال لا قدر الله، وافت المنية إحدى بناته أو أحفاده، فلم يتخيّل أنه قد يتمكّن من الاستيقاظ يومًا والنهوض من السرير ومغادرة المنزل مجددًا، لأن العالم سيكون مظلمًا من دونهم جميعًا.

لقد طلب بطاقة عضوية المكتبة، وأشترى بعض الكتب، حياة باي، محبوبة، وكبرياء وتحامل ليقدّمها إلى بريا قبل المشاركة في اللقاء الصباحي المفتوح، وكل ما عليه القيام به الآن هو انتظار وصولها.

حاول موكيش أن يقرأ قليلًا بينما كان ينتظرها، ولكن كان لحماسته رأي آخر، فلم يستطع اختيار أي كتاب جديد. قرأ عوضًا عن ذلك بعض الصفحات من كتاب زوجة مسافر عبر الزمن، وعادت به تلك الأسطر القليلة إلى نينا، فتذكّر المرة الأولى التي قرأ فيها تلك الصفحات وهو محبط وحزين، أما الآن فهو يشعر بالحياة تدبّ في عروقه، ونينا إلى جواره، تشاركه في قراءة هذه الكلمات، وتشاطره قصة الحب تلك، فهي ساكنة في قلبه، وترافقه في كل خطوة يخطوها في حياته.

رنّ جرس الباب، فغادر موكيش قصر أحلامه، ونهض من مكانه بسرعة، وقد شعر بخفة حركته، وأحسّ لوهلة بأن نينا هي من كانت تطرق على الباب.

صاحت بريا وهي تدخل إلى المنزل: "جدي، هل تناولت الفادا؟".

ثم ظهرت روهيني خلفها، واقتحمت في الحال المطبخ، فتقصّت كل زاوية من زواياه، كما تفحّصت محتويات الثلاجة باحثة عن دليل يدين والدها باختلاس بعض الشطائر: "بابا، هل تناولت أيًا من الأطعمة؟".

"لا!".

قالت بريا ضاحكة، وهي تشير بإصبع الاتهام إلى جدها: "بلى، لقد تناولت واحدة، فقد عدّتها والدتي قبل مغادرة المنزل بالأمس، وكان عددها إحدى وعشرين شطيرة، وقد عددتها للتو، فوجدتها عشرين فقط".

احمرّ وجه موكيش، فقالت له روهيني وهي تمسك بإحدى الصواني: "حسنًا، سآخذ هذه إلى نيلاكشي-ماسي، هل ستتمكّنان من الذهاب إلى المكتبة وحدكما؟ كيف ستذهبان إليها؟".

قال موكيش من دون تردد: "أظنّ أننا سنذهب سيرًا على أقدامنا".

أومأت إليه روهيني مؤيدة، ثم غادرت المنزل على عجل، وكأنها امرأة تقوم بمهمة خاصة.

قال موكيش: "حسنًا، بريا، لديّ مفاجأة لك".

أجابت بريا متسائلة: "مفاجأة؟!".

أومأ موكيش إليها بالإيجاب، ثم أمسك بحقيبة قماشية موضوعة على الطاولة، وأخرج منها بطاقة صغيرة وثلاثة كتب، وناولها إلى بريا.

كُتب على البطاقة، *بريا لانغتون*، بخط أليشا العريض.

نظرت إلى الكتب والبطاقة، ثم إلى موكيش وعيناها تلمعان من الحماسة: "أهي من أجلي؟ هل صار في إمكاني أن أرتاد المكتبة التي تعمل فيها أليشا متى رغبت في ذلك؟".

"أجل، وقد كتبت أليشا اسمك بخط يدها".

صفّت بريا الكتب إلى جوار بعضها على السلالم، وقالت له: "وكل هذه الكتب يمكنني أن أقرأها الآن؟".

"أجل، يمكنك أن تقرئيها إن رغبت في ذلك، ولكن عليك بترك رواية محبوبة من أجل والدتك، ولكنني أردت منحك إياها كي تعرفي أنها رواية مهمة، ولكنها مخيفة قليلًا".

قالت بريا بفخر: "لقد قرأت رواية المرأة ذات البذلة السوداء، وهي التي يمكن أن نسمّيها بالرواية المخيفة".

"لم يسبق لي أن سمعت بهذه الرواية".

قالت بريا وهي تضع يدها على فمها لتكتم ضحكتها: "لقد أخبرتني *بـا* بأنها قرأتها سابقًا، وأنها أفزعتها للغاية".

أدرك موكيش بعد أن اغرورقت عيناها بالدموع، أن ضحكتها تلك كانت تخفي حزنًا عميقًا.

احتضنها وقال لها: "أوه، عزيزتي، كم ستُسعد *بـا* رؤية الفتاة الرائعة التي أصبحت عليها، يا بريا، كما ستكون فخورة جدًا بك، كما أنا فخور بك الآن".

أسند موكيش رأسه إلى كتف بريا، وهو يضمّها إلى صدره بقوة، فقد دبّت الحياة مجددًا في منزل موكيش الذي كان راقدًا في سبات عميق لمدة طويلة من الزمن، واستعاد حيويته من جديد.

قالت بريا فجأة: "جدي! ألا يجب أن نذهب إلى المكتبة؟".

نظر موكيش إلى ساعته، أصبحت العاشرة وعشرين دقيقة، فقال لها: "يا إلهي! يجب علينا الانطلاق فورًا، فعليّ المساعدة في التحضيرات".

[#]

وصلا إلى المكتبة قبل عشرين دقيقة من بداية اللقاء الصباحي المفتوح، وكان الجو هادئًا وخاليًا من التوتر، فلمح أليشا برفقة فتاة تشبهها كثيرًا، فاتّجهت بريا إليها مباشرة، وقالت لها: "مرحبًا أليشا! هل تذكرينني؟ أدعى بريا".

ابتسمت أليشا، وقد تلاشى الحزن من عينيها: "بالطبع أتذكّرك، بريا، كيف حالك؟".

أظهرت بطاقة عضويتها في المكتبة، وقالت لها: "أشكرك على بطاقة عضوية المكتبة، وقد أعجبني خطك كثيرًا".

"إنني أرحّب بك دومًا، ويمكنك مرافقة جدك متى شئت"، فأومأت إليها بريا بشدة.

وقف السيد باتيل خلف بريا ليمنحها الحرية الكافية لقول ما تريده.

التفتت أليشا إلى موكيش، وقالت له: "اهلًا بك، سيد باتيل، هذه ابنة خالي راشيل"، ابتسم موكيش، ثم شعر بالتوتر وهو يصافحها، ثم قال لها بصوت متهدّج: "أجل، لقد سبق لنا أن التقينا".

وصلت سيارتان إلى المكتبة، فترجّلت منهما كل من روهيني، نيلاكشي، ديبالي، وفريتي، وهن يحملن صواني الأطعمة المتنوعة، ثم وضعنها على الطاولات المجهزة لها.

سأل موكيش أليشا: "لماذا رتّبت الكراسي على هذا الشكل؟".

اندفع كايل ليردّ على سؤاله قائلًا: "إن تنظيم الكراسي على هذا الشكل يُتيح للناس فرصة أكبر للتواصل والدردشة معًا، وقد خُصّصت هذه الطاولات من أجل الذين يريدون تناول الطعام، أما الكراسي في الداخل فهي مخصّصة لمن يرغب في التجول في المكتبة، واختيار ما يعجبه من الكتب، ليستمتع بالمطالعة بهدوء لبعض الوقت، وقد أردنا أن نخصّص هذا اليوم ليتعرّف الناس إلى بعضهم".

قالت أليشا، وهي تغمز موكيش: "في الحقيقة، إن السيد باتيل هو صاحب فكرة اللقاء الصباحي المفتوح".

ضحكت بريا ضحكة عريضة، وهي تمسك بيد موكيش.

[#]

بدأ المكان يغصّ بالناس تدريجيًا، وقد حمل بعض المنظمين أطباق الطعام وقدّموها إلى الأصدقاء وأفراد العائلة، كما ظهرت بعض الوجوه الجديدة أيضًا، ولكن لم يأتِ المئات، كما توقّع موكيش، بل بلغ عدد الحاضرين ثلاثين أو أربعين شخصًا كحد أقصى، وقد احتاجوا إلى مزيد من الطاولات لوضع الأطعمة المتنوعة، بعد أن تمّ تحضير السمبوسة بأنواعها المختلفة، والدجاج بالتوابل، ورقائق البطاطس المقلية مع الصلصة الحارة، والمونغ، والنقانق الملفوفة باللحم المقدد، والنقانق النباتية مع إكليل الجبل، والتي أصبحت وجبة موكيش المفضلة، بالإضافة إلى بعض الكعك المكوب الذي صنعته بريا، والكيشي المحشية بمادة محيرة، أهي اللحم أم قطع بلاستيك؟ إلى جانب بعض شطائر الجبنة التي وُضعت إلى جانبها كؤوس الكوكتيل، والصلصات من كل الأصناف، فبدا اليوم أشبه بمهرجان كبير.

أثارت الضوضاء وأصوات الناس العالية انزعاج موكيش، فدخل إلى المكتبة ليستقرّ على إحدى الكراسي، وما إن ألقى نظرة في أرجائها، حتى رأى ما قد رآه كل الناس في الخارج، لقد رأى أكوامًا مكدسة من الكتب على الرفوف اللماعة التي كانت جافة ولا حياة فيها، على خلاف منظرها المتلألئ الآن، كما كانت بعض الكراسي جديدة ومريحة، بينما كان بعضها الآخر قديمًا، فانتابه شعور بالراحة، وهو يتطلّع إلى العودة إلى منزله، والاسترخاء على كرسيه المفضل، والاستمتاع بقراءة كتاب جديد في كل يوم، وهو يأمل في أن يستمتع الزوار الجدد بهذا اليوم، وأن يكتشفوا قيمة هذا المكان أيضًا. لمح بين رفوف الكتب، بريا تجلس على كرسيها المريح الأشبه بوسادة عملاقة، فنظرت إليه، وابتسمت له، أنّى كان له أن يتخيّل ما يحصل الآن منذ بضعة أسابيع؟ لقد تغيّرت أمور كثيرة، فمنها ما كان إلى الأفضل، ومنها ما كان إلى الأسوأ، ولكنه في هذه اللحظة، يعيش إحدى أسعد اللحظات وأجملها.

[#]

بينما كان موكيش يلتهم النقانق النباتية، رأى روهيني أمامه وهي تحمل طبقًا ورقيًا بإحدى يديها، وكأسًا من البريم باليد الأخرى.

قالت له بصوت مرتفع لكي يسمعها وسط الضجيج الذي يصمّ الآذان في الخارج: "لقد أحضرت إليك مزيدًا من النقانق! وبعض شاي الكرك التي صنعتها إنديرا في المنزل".

"هل إنديرا هنا؟".

قالت له روهيني: "في الحقيقة يبدو أنها من المنظمين، وقد مضى وقت طويل على وصولها، ولا أصدّق أنك لم تعلم بقدومها، كما أنها تتحدّث إلى الجميع بلطف وود".

ضحك موكيش، وقال لها: "هل إنديرا تتحدّث إلى الناس بلطف؟ إنها أخبار رائعة! ولكن في هذه الحال سأبقى في الداخل لمزيد من الوقت، ففي المرة الأخيرة التي تحدّثت إليها، تطلّب التملّص منها ساعتين كاملتين".

ضحكت روهيني، ثم قالت له معاتبة: "بابا! عليك أن تعاملها بلطف فقط، فهي وحيدة، أليس هذا الهدف من هذا اللقاء؟ لطالما أحبّت والدتي أنديرا، وراعت مشاعرها على الدوام".

تأمّل موكيش النقانق النباتية، وهو يحرّك الماصة في شراب الكوكتيل، ثم قال لها معتذرًا: "أعتذر، فأنت محقة"، فربتت روهيني على ساقه برفق، يتخلّله القليل من الحزم، وقالت له: "أيًا يكن الأمر، أريد الاعتذار إليك أيضًا، فلم أحسن معاملتك في الفترة الأخيرة، ولطالما اتخذت القرارات بدلًا عنك، ولكن عندما أنظر إلى ما حولي اليوم، أرى كم قمت بعملٍ رائع، كما أخبرتني بريا بمدى استمتاعها بقضاء عطلة الصيف برفقتك، إضافة إلى أنك كنت صديقًا رائعًا، وفقًا لكل ما فعلته من أجل أليشا".

نفدت الكلمات من قاموس موكيش، ولم يستطع النظر إلى عيني ابنته، بعد أن احمرّ وجهه خجلًا، ثم قال لها بعد لحظات صمت: "أعتقد أن أمك زرعت في داخلي صفات جميلة".

"لقد شعرت بالقلق بشأن تركك وحيدًا من دون أن يهتمّ بك أحد بعد وفاة والدتي، فتجاهلت قدرتك على فعل ذلك بنفسك، وعندما قرّرت الكف عن التدخّل في حياتك، عجزت عن التقرب منك من جديد، أنا آسفة".

ارتسمت على وجه موكيش ابتسامة رقيقة، وشدّ على يد ابنته.

"سأخرج الآن لأساعد ديبالي في التخلص من إنديرا، وآمل في أن تلتقيا، وتمضيا بعض الوقت معًا، لأن ذلك سيسعد أمي كثيرًا، وأنا على يقين من ذلك".

خرجت روهيني قبل أن يتمكّن موكيش من التفوه بأية كلمة، بعد أن شعر بغصة في حلقه، وقد حاول ابتلاع اللقمة قبل أن يضطرّ إلى التحدث إلى أحدهم.

نظر عبر النافذة إلى الناس في الخارج، وهم يحملون الأطباق الورقية، ويتناولون الطعام ويدردشون معًا، فأسعدته رؤية الناس من المعبد يتجاذبون أطراف الحديث مع الجميع، لا مع بعضهم فقط، كما كان أصدقاء إيدان وأصدقاء أليشا الذين دعتهم قد حظوا بالمتعة إلى جانب هؤلاء المسنين، فاتقد قلبه فرحًا لرؤية هذا المشهد.

بعد مرور القليل من الوقت، لمح سيارة ركنت إلى جانب الرصيف القريب من المكتبة، وترجّل منها زاك، فابتسم موكيش، لأن أليشا سيسعدها حضور زاك.

ثم لاحظ وجود شخص آخر يجلس في مقعد سيارة زاك الأمامي، فانتفض على الفور، وأسرع للبحث على أليشا لإخبارها بأن ليلى قد جاءت برفقة زاك للمشاركة في هذا اليوم الصباحي المخصص لإحياء ذكرى إيدان!

الفصل 40

موكيش وأليشا

انهمكت أليشا بتعبئة وعاء الشراب، بعد أن ذابت مكعبات الثلج بسرعة بفعل الحرارة، فانتابها القلق لعدم توافر ما يكفي منها في ثلاجة المكتبة.

سمعت أليشا صوت امرأة تقول لها: "هل تعلمين أن كلمة شراب مشتقة من الكلمة الهندية بانش؟"، التفتت أليشا إليها، لتجد أنها سيدة عجوز ترتدي الساري المزخرف، وقد سرّحت شعرها على شكل كعكة مشدودة، ولفّت حولها شبكة، فتذكّرت أنها رأتها في المكتبة سابقًا، وأنها كانت تتحدّث إلى أحدهم هامسة إليه بصوت خافت، ما جعل أليشا تطلب منها خفض صوتها مرتين أو ثلاث مرات.

قالت أليشا مبتسمة: "لم أكن أعلم بذلك".

"تعني كلمة بانش خمسة، وهو عدد المكونات المستعملة في صناعة الشراب، من كم مكونًا صنعت هذا الشراب؟".

هزّت أليشا كتفيها، فلا علم لها بالأمر، لأن ديبالي من صنعته، فظهرت في تلك اللحظة امرأة شابة، تعتمر بيريه، وترتدي بلوزة مخططة، وقد رأتها أليشا سابقًا في المكتبة أيضًا.

قالت الشابة: "إنديرا! كيف حالك؟ لقد مضى وقت طويل على رؤيتك!".

ابتسمت العجوز ابتسامة عريضة، كادت أن تلامس أذنيها، وهي تقول: "عزيزتي إيزي، أعلم ذلك، فقد أصبت بالمرض، ولازمت الفراش مدة طويلة من

الزمن، وها قد عدت من أجل المشاركة في اليوم العظيم! هل تحدّثت إلى ذلك الرجل حول قائمة رواياتك؟ لقد أحببت الروايات الواردة في القائمة التي عثرت عليها، وقد فكّرت في مصدرها لمدة طويلة".

راقبت أليشا العجوز وهي تتحدّث بسرعة عن قائمة روايات؟ فأنصتت إليها بانتباه.

قالت إيزي مبتسمة: "لم أعرف أي جديد بشأنها، إنها لغز محيّر حقًا، وربما لن أعرف أبدًا صاحبها، ولكن انظري إلى الجانب المشرق من تلك المسألة، والمكافأة التي حصلنا عليها، فقد اعتقدت أنني لن أراك أبدًا إنديرا! هل تودّين تذوّق الكومبوتشا التي أعددتها؟ إنها أكثر حلاوة من العسل".

شمّت أليشا رائحة الكومبوتشا الكريهة التي ملأت الجو الحار، فاستغلت الفرصة للانسحاب، وقد انتابها الفضول حول ما سمعته حول قائمة الروايات، ما جعلها تضع تلك المسألة على قائمة الأمور التي ستبحث في شأنها، ثم لمحت خلف الشابة اليافعة، سيارة زاك التي رُكنت أمام المكتبة.

جاء موكيش لاهثًا مشيرًا إلى سيارة زاك، وهو يقول لها: "لقد رافق زاك امرأة حضرت من أجلك".

حملت طبق لفائف الجبنة، وحبست أنفاسها، وسارت في اتجاه زاك، فحاولت استراق نظرة إلى المرأة التي ترافقه، وقد تملّكها التوتر.

قال لها زاك: "يبدو كل شيء رائعًا حقًا! أليشا، أريدك أن تتعرّفي إلى أمي".

صُعقت أليشا، عندما ظهرت المرأة من خلف زاك، وهي تحمل طبقًا بيدها، وهي امرأة ساحرة تمنّت أليشا لو أنها والدتها، ولكن الأمور لم تسر كما شاءت، وفي كل الأحوال لم تكن تتوقّع قدوم ليلى، إنما أملت في حصول ذلك فقط.

كانت والدة زاك عصرية، وشعرها الأشقر مسرّح بعناية، وتنتعل حذاء صيفيًا عاليًا، وترتدي بلوزة شفافة أنيقة، فبدا خيارًا سيئًا تنظيم هذا اللقاء الصباحي من دون تأمين أماكن تكفي للجميع، فقالت لأليشا: "مرحبًا".

"سرّني لقاؤك".

"وأنا أيضًا، عزيزتي، أنا آسفة لما حصل لشقيقك، فقد أخبرني زاك بكل ما جرى، وأرى أن ما قمتم به عمل رائع، وآمل أن تعجب جدك وجبة الطاجين النباتية التي أعددتها".

أشارت إلى موكيش الذي كان يلوّح إلى زاك بحفاوة، فابتسمت لها، وهي تقول: "إنه ليس جدي، بل صديقي، ومن رواد المكتبة الدائمين، ولكنني أشكرك على قدومك، فهذا يعني لي الكثير"، لقد أسعدها لقاء والدة زاك، إلا أنه كان عليها إخفاء إحباطها، فشعرت برغبة جامحة في الذهاب إلى المنزل، وإحضار ليلى إلى المكتبة رغمًا عنها.

خرج صاحب ديف من المكتبة وهو يدعو الجميع إلى التجمّع: "تجمّعوا، تجمّعوا"، امتثل الناس تدريجيًا لأوامره، بعد أن قطعوا أحاديثهم على مضض.

ساد الصمت في المكان، وفجأة كسره صوت امرأة تصيح في ابنها: "صاموئيل! توقّف عن سحب فستان تلك السيدة، تعالَ إلى هنا! اللعنة، أنا أعتذر إلى الجميع".

ضجّ المكان بالضحكات، بينما كانت أليشا تحصي عدد الحاضرين الذين بلغوا خمسين شخصًا من مختلف الأعمار والأجناس، فرأت الشابة ذات البلوزة المخططة والشعر الوردي، والتي تتردّد إلى المكتبة دومًا، والشاب المهووس بالعلوم، بعد أن مضى وقت طويل على غيابه، ثم رأت بيني ولوسي في الخلف برفقة عائلتيهما، وتعرّفت إلى بعض الأشخاص من خلال الصور التي رأتها في هاتف إيدان، كما تعرّفت إلى الآخرين من خلال وسائل التواصل الاجتماعي، والغالبية العظمى رأتهم للمرة الأولى، ومنهم أصدقاء موكيش، كما كان من بين الحاضرين قسم كبير لم تتمكّن من التعرف إليه، ثم رأت كريس المهووس بالجرائم إلى جانب والدته ووالده، وقد بدا يشبههما كثيرًا، وقد تحدّثوا إلى بعضهم بصوت خافت، وأيديهم في جيوبهم، وعندما تلاقت نظراتهما، ابتسم لها، وهو يلوّح لها وبيده كتاب لا تقتل عصفورًا ساخرًا.

شعرت أليشا وكأن دهرًا قد مضى منذ أن أعطاها الشاب المهووس بقراءة كتب الجرائم الكتاب الأول الذي عثرت بين صفحاته على تلك القائمة الغامضة، ولا تزال تتساءل حتى هذا اليوم، هل كان من وضع تلك القائمة من أجلها؟ وهل كان يعلم بوجودها بين صفحات الكتاب في الأصل؟

قال ديف: "أشكركم جميعًا على تلبيتكم دعوتنا"، ثم بحثت عيناه بين الحشد، حتى عثر على أليشا، فأشار إليها كي تأتي إليه، فشقّت طريقها على مضض بين الحشد في اتجاهه، وهي تسحب معها أردية الساري والسترات الطويلة والقمصان الفضفاضة التي كان يرتديها كل من مرّت من أمامه، وهي تشعر بالإحراج بشدة.

احمرّت وجنتاها فور اقترابها من ديف، وقد بدت عيناها تلمعان، وتصبّب وجهها عرقًا، فأملت في أن يعتقد الجميع بأنه لمعان بشرتها الطبيعي، ثم بحث ديف عن موكيش، فأشار إليه أيضًا.

خطا السيد باتيل خطوتين إلى الأمام، ووقف بالقرب منهما.

"أودّ أن أشكر إحدى أبرز موظفات مكتبتنا الرائعات، أليشا، وأحد رواد مكتبة طريق هارو، السيد باتيل، لاقتراح هذه الفكرة الرائعة، والمساهمة بتنظيم هذا اللقاء في هذا الصباح من أجل مساعدة الجميع على توطيد أواصر الصداقة، وقد أسعدنا قدومكم، ونأمل أن نتشرّف بحضوركم كل أربعاء، فتعالوا من أجل تناول الكعك، وابقوا من أجل قراءة الكتب. وعلى الرغم من أن مكتبتنا لا تعدّ أكبر مكتبة في المنطقة، ولكننا نحاول جاهدين جعل هذا المكان ملتقى الأصدقاء من مختلف شرائح مجتمعنا المحلي، وأنا أشكر دعمكم لنا كي نتمكّن من الحفاظ على هذا المكان بصفته جزءًا لا يتجزأ من تاريخ ويمبلي الأصيل ومستقبلها المشرق.

انحنى موكيش باتجاه مكبر الصوت، وقال بصوت مرتجف: "الكتب رائعة"، فضحك معظم الحاضرين على تعليقه ومن ضمنهم ديبالي وروهيني وبريا، ثم صمت للحظة متسائلًا عما يجب أن يقوله، وفجأة تراءت له نينا بشكل واضح للغاية، وهي تبتسم له، وتومئ إليه برأسها مشجعة إياه على متابعة كلامه.

قال موكيش، وقد استجمع قواه: "أنا ممتن حقًا لأليشا وديف والشاب كايل لمساعدتي في إيجاد مكان أستطيع أن أدعوه بالمنزل الدافئ، وأودّ أن أدعوكم إلى الحضور كل أربعاء، فأنتم تعلمون أن أيام الأربعاء مخصصة للتسوق، لذا فأنتم ستخرجون من منازلكم في كل الأحوال، ولن يصعب عليكم الحضور، ألا توافقونني الرأي؟".

أدركت أليشا أنه متوتر، فقد كان صوته يتهدّج بين الفينة والأخرى، ولكنه بدا مستمتعًا بتسلّط الأضواء عليه، على الرغم من أنه كان يتحدّث عن مدى استيائه من الذي يسعى إلى أن يكون محط اهتمام الناس، ويبدو أن تلك كانت كذبة كبيرة.

تابع موكيش كلامه، وعيناه تلاحقان نينا وهي تشقّ طريقها بين الحشد، وهو يسمع دقات قلبه المتسارعة: "لقد أحبّت زوجتي الراحلة نينا الكتب كثيرًا، ولم أدرك قيمة القراءة إلا بعد ترددي إلى هذا المكان، كما ساعدتني المكتبة أيضًا في تجاوز ألم خسارة زوجتي، فمن الضروري أن يشعر المرء بأنه يشكّل جزءًا أساسيًا من المجتمع، وأتمنّى أن يكتشف الجميع قيمة الكتب في الحياة وما توفّره من متعة، وذلك عبر التردّد إلى المكتبة باستمرار طلبًا للاستمتاع بالقراءة، كما استمتعت بها"، أومأت إليه أليشا ما دفعه إلى أن يقول:

"أرجو ألا تنسوا أن تشربوا نخب ذكرى إيدان توماس، الشاب اليافع الذي لطالما أحبّ هذا المكان".

أعاد موكيش مكبر الصوت إلى مكانه، ثم تنحّى جانبًا، فساد الصمت بعد أن ختم كلامه بتلك العبارة، وقد غطّت روهيني فمها بمنديل، ونظر حوله مجددًا، فلمح انعكاس أشعة الشمس على السيارات في الموقف وعلى نوافذ المكتبة، فتراءت له الشخصيات التي مرّت في حياته كلها، من باي ونمره المرعب يقفان في الخارج، إلى إليزابيث بينيت والتي ما زالت تحاول الخلاص وخلفها يقف دارسي ببضع خطوات، ومارمي وفتياتها، وقد أمسكن بأيدي بعضهن، وأمير وحسن وقد أصبحا يافعين من دون أن يفطر الهمّ قلبيهما، وهما يركضان مع طائرتيهما

الورقيتين في أرجاء الموقف، وقد وقفت نينا بينهم مبتسمة، وهي تشبك يديها أمام صدرها.

[#]

جلس موكيش وأليشا في مكانهما المعتاد قرب النافذة، بعد أن ساد الهدوء في المكتبة، والدليل الوحيد على صخب هذا اليوم انتشار الصواني المعدنية الخالية من الطعام على الطاولات، وقد جُمعت ووضعت فوق بعضها بعد تنظيفها.

بدأ موكيش بالكلام، فقال بارتباك: "أليشا، ما رأيك في هذا اليوم الطويل؟ هل تعتقدين أن إيدان أحبّ ذلك؟".

سألت أليشا نفسها السؤال ذاته، بعد أن رأت العديد من الناس يضحكون، ويتحدّثون إلى الآخرين، ويوزّعون المناشير من أجل الحفاظ على المكتبة، فكانت أكبر أمنياتها حينها أن يكون إيدان بينهم لرؤية المشهد، فقالت له: "أعتقد ذلك، فهو كان سيحبّ ما جرى اليوم".

أطلق موكيش تنهيدة خفيفة، وأضاف قائلًا: "أنا على يقين من أنه سيكون فخورًا بك حقًا، عزيزتي، فقد قمت بإنجاز عظيم من أجله".

شعرت أليشا بمشاعر متضاربة تجيش في صدرها، وتهدّد بانسياب سيل من الدموع على وجهها، فنهضت عن الكرسي، واتّجهت إلى مفرش مائدة تُرك على إحدى طاولات المكتبة، وحملته ووضعته في حقيبة قماشية من دون أن تنظر إلى عيني موكيش.

قال لها موكيش مغيرًا الموضوع، بعد أن شعر بأن أليشا بدت محرجة: "هل أستطيع سؤالك عن الرواية التالية التي يمكنني أن أقرأها؟".

أومأت إليه أليشا، وقد شعرت بأنها لمحت إيدان، يجلس على الكرسي إلى جوار موكيش، يقرأ رواية زوجة مسافر عبر الزمن.

"لمَ لا تأتي غدًا، وسأقترح عليك كتابًا لتقرأه".

نهض موكيش ببطء عن كرسيه، وقال مبتسمًا: "أشكرك، أليشا، فقد قمت بعمل رائع اليوم، لقد أحسنت حقًا".

قالت بلطف محاولة تشتيت تفكيرها بتنظيف إحدى الطاولات التي لا تحتاج إلى تنظيفها: "أشكرك، سيد باتيل"، ثم خرج موكيش عبر باب المكتبة الزجاجي بعد أن ضغط على زر الفتح التلقائي من دون أن يفكّر في الأمر، فبدا كما لو أنه شخص آخر.

أوقفته أليشا قائلة: "مهلًا، انتظر!".

التفت موكيش إليها بحذر، فتابعت كلامها قائلة: "أنا آسفة، لقد طُلب مني تذكيرك بإحضار كتاب قانون الطريق السريع، هل يمكنك إحضاره لو سمحت؟"، احمرّ وجه السيد باتيل، وأومأ إليها، ثم غادر المكتبة على عجلة.

تذكّرت أليشا المرأة التي خرجت من سيارة زاك، والتي لا يمكن أن تتخيّلها ليلى، فالأمر مستحيل، ولكن بما أن اليوم كان من أجل إيدان، فقد سمحت لنفسها بأن تسترسل في أحلامها.

الفصل 41

أليشا

تابعت أليشا طريقها إلى منزلها، الذي لاح من بعيد، فتوقّعت رؤية نوافذه موصدة، والظلام يعمّ أرجاءه، والستائر نصف مسدلة في كل غرفه، ولكنها تفاجأت بأن خالها جيريمي وراشيل لم يعودا إلى المنزل بعد، فلم تكن سيارتهما مركونة، وربما خرجا لجلب بعض الحاجيات من أجل تحضير طعام العشاء، فسيطر عليها الرعب، وهي تتساءل، هل ليلى على ما يرام؟ كم مضى على بقائها وحيدة؟ لقد انشغلت كثيرًا بالتحضير من أجل حدث اليوم، وقد فاتها بقاء ليلى وحيدة في المنزل طوال هذه المدة.

خطت خطوات كبيرة، وقبل أن تهمّ بالركض، كانت قد وصلت إلى المنزل 79، لتتفاجأ برؤية ليلى جالسة على عتبة المنزل، والباب خلفها لا يزال مفتوحًا، فقالت لها أليشا، وقد أوشكت أن تختنق: "أنا آسـ...".

كانت ترتدي إحدى سترات إيدان ذات القبعة، وأحد بناطيله الرياضية، فحاولت النهوض وحدها فور اقتراب أليشا منها، ولكنها لم تقوَ على فعل ذلك، فانحنت أليشا واحتضنتها لفترة من الزمن، فاستمتعت بكل ثانية من ذلك الوقت الثمين، فلم تعد غاضبة عليها بعد الآن، كما لم تعد تملك الطاقة لتغضب، فإيدان لا يريدها أن تظلّ ناقمة على كل من حولها، وكل ما أرادته في تلك اللحظات هو استعادة والدتها.

تنشّقت رائحة شامبو جوز الهند الخاص بأمها، ورائحة سترة إيدان القديمة، وقالت لها:

"سيكون كل شيء على أحسن ما يرام، يا أمي".

ابتعدت ليلى عن ابنتها برفق، وقالت لها: "كلا، أليشا، أنا آسفة للغاية، فقد أردت المجيء حقًا، وحاولت الوصول إلى المكتبة، ولكنني لم أستطع".

قالت أليشا، وهي تتمنّى لو أن أمها استطاعت القدوم لترى عدد الناس الذين حضروا من أجل إيدان، فقالت لها: "لا تقلقي، يا أمي".

تنهّدت مجددًا، ثم أخرجت قصاصة من الورق وناولتها لأليشا، وقالت لها: "أمسكي بهذه الورقة".

كانت ورقة مطبوعة على طابعة ليلى الباهظة الثمن، وقد أدركت أليشا ذلك من خلال الورق الثخين، فتبيّن أنها رسالة إلكترونية تتضمن تفاصيل عديدة.

تابعت ليلى كلامها مبتسمة: "لقد أصبحت عضوة في المكتبة، مع أنني أعلم أن ذلك يدلّ على غبائي، ولكنني استمتعت بالوقت الذي قرأت فيه من أجلي، وآمل أن نقوم بذلك مجددًا، إلا أنني سأحتاج إلى بعض الوقت كي أعتاد على النهوض من السرير، والذهاب إلى المكتبة وحدي، ولكنني جادة حقًا، فأنا أعلم كم أحبّ شقيقك القراءة، فهو كان يقرأ منذ أن كان طفلًا صغيرًا، وانظري هنا، في أسفل الورقة".

ورد في نهاية الرسالة الإلكترونية: حُجزت نسخة واحدة من رواية لا تقتل عصفورًا ساخرًا، بقلم لي هاربر.

لم تدرِ أليشا ما تقوله لها، فعانقت أمها بشدة، وقد علمت أن هذه هي البداية فحسب، وليست النهاية، فها هي ليلى تقف خارج المنزل وحدها من دون أن ترتجف، وهي تتنفّس بشكل طبيعي، وتنظر إلى عيني ابنتها، وقد بذلت جهدها لتصبح أفضل.

"يمكننا الذهاب الأسبوع المقبل، ما رأيك في ذلك؟".

"موافقة".

قبّلت ليلى ابنتها على وجنتها، وقالت لها: "فلنذهب بعد انتهاء موعدي مع الطبيب، فسأحتاج إلى وجودك إلى جانبي أيضًا".

جمدت أليشا في مكانها، وتنفّست بعمق، وحاولت ألا يتهدّج صوتها، وهي تتحدّث: "هذا رائع، أمي، أنا فخورة جدًا بك".

عنت أليشا كل كلمة قالتها، وتمنّت لو أن إيدان كان لا يزال حيًا، ليرى ما يحدث بأم عينه.

[#]

في تلك الليلة، جلست ليلى وأليشا في غرفة الجلوس بسلام وهدوء، وقد فُتحت النوافذ قليلًا، ليتسلّل النسيم اللطيف إلى الداخل.

ثم أمضتا فترة ما بعد الظهر وهما تتأمّلان صورًا التُقطت في طفولة إيدان وأليشا، وقد عاد الزمن بليلى بعد تأمّل تلك الصور إلى ذكريات عديدة قصّتها على أليشا، ومن بينها قضاء العطلة على الشاطئ وانهمار الأمطار الغزيرة فجأة. كما ظهرت صورة لإيدان وهو في حوض الاستحمام والرغوة تغطّي رأسه، وأخرى عندما كان يتعلّم ركوب الأمواج، وصورة له ولأليشا في يومهما الأول في المدرسة.

عندما انتهيا من تأمّل الصورة الأخيرة، تلاشت السعادة، وخيّم الألم عليهما لرحيل إيدان الأبدي وعدم عودته مجددًا، ففتحت أليشا آخر رواية وردت في القائمة وكانت بعنوان شاب مناسب، وأخذت تقرأها بصوت مرتفع.

فجأة، وجدتا نفسيهما تشاركان في حفل زفاف، والسيدة ربا ميهرا تخبر ابنتها العازبة أنها على وشك الزواج من شاب قد اختارته لنفسها سابقًا.

فكانت رواية تنبض بالحياة، وتجذبك إلى الغوص في صفحاتها، حتى تكاد تشعر وكأن الزفاف يجري في غرفة الجلوس، فرأت أليشا أن ليلى ابتسمت بعد أن علمت بقساوة ربا ميهرا.

"أنا لا أشبهها، أليس كذلك".

ضحكت أليشا وقالت لها: "ليس دائمًا".

مضى الوقت، والأم وابنتها تغوصان في الأحداث الواحد تلو الآخر، إلا أن الحدث الأساسي كان حول سعي الأم لإيجاد الشاب المناسب لابنتها اليافعة.

قالت لها ليلى: "إنها قصة مشوقة للغاية، وتتضمّن الكثير من الشخصيات، والعديد من الخلفيات والمعتقدات، كما أنها تنبض بالإثارة، وتضمّ كل شرائح المجتمع، وهي قصة جميلة حقًا، وأشعر برغبة كبيرة في رسم بعض مشاهدها".

اتسعت حدقتا أليشا من الذهول، فقد مضت أشهر على آخر مرة تحدّثت فيها ليلى عن الرسم، فتابعت القراءة، من دون أن تخرّب اللحظات النادرة التي هيّأها الكاتب بكلماته الساحرة.

تساءلت أليشا عن سبب كون هذه الرواية الأخيرة في اللائحة، وعما إن كان من كتبها قد رتّبها على نحو معين، كما فكّرت في الرحلة التي قادتها الروايات إليها، والأماكن التي زارتها عبرها، فمايكومب كانت مدينة خيالية تعرّفت إليها في رواية *لا تقتل عصفورًا ساخرًا*، وألباما، كورنوول، كابول، ووسط المحيط الهادئ، وبعض المناطق البريطانية، وماساتشوستس، سينسيناتي، وأخيرًا براهمبور في الهند، كما كان من بين الشخصيات من اتّسم بالظلم، ومنها من اتسم ببراءة الطفولة، أو الرعب، أو المعاناة والقلق، أو الخطيئة، أو الندم، أو القوة، أو الإخلاص للصداقة الحقيقية، أو الرومانسية التي تعرّفت إليها مع السيد دارسي، ثم خطر زاك في مخيلتها، كما في كل مرة تذكر فيها رواية كبرياء وتحامل، أو المرونة، أو الاستقلال، أو الهيمنة كما في رواية نساء صغيرات، إلى جانب تأثير الصدمة وانبعاث الأمل والإيمان بدور المجتمع، وقد بدأت الآن رحلة جديدة مع رواية شاب مناسب.

قالت ليلى، وقد رأت مغلفًا بارزًا من بين الصفحات: "ما هذا الذي يبرز بين الصفحات؟".

نظرت أليشا إليها، وقالت: "أي صفحات تعنين؟ إن الجميع يغادرون الزفاف الآن، وسافيتا هي العروس، وبران هو العريس".

"لا أقصد الغلاف الخارجي في الخلف، فهناك مغلف".

توقّفت أليشا عن القراءة، وقلبت الكتاب، فكانت ليلى على حق، يوجد مغلف ملصق على الغلاف البلاستيكي الذي يعلوه الغبار، وقد أصبح أملس نتيجة

ثقل الكتاب، فسحبته برفق، وكأنها تتعامل مع قطعة أثرية داخل كنز مدفون.

سألتها ليلى: "ما هذا؟".

أدارت أليشا المغلف إلى الجهة الأخرى لترى عنوان المرسَل إليه عليه، وقالت: "إنه مغلف، يحتوي على رسالة، على ما أعتقد".

وخلف المغلف، كتبت كلمة موكيش.

قالت أليشا مذهولة: "أمي، أعتقد أنها للسيد باتيل".

"ماذا؟".

أمسكت بيدها، وقالت لها: "الرسالة".

حدّقت ليلى إليها بعينين نصف مغمضتين، وقالت: "هل تعتقدين أن اسمه قد كُتب بخط اليد نفسه الذي كُتبت به القائمة؟".

أخرجت أليشا قائمة الكتب من غلاف هاتفها، ولكنها لم تحتج إلى تفحّصها، لأنها لا تزال تذكر تمامًا الحروف التي شكّلت أسماء الكتب: فكل كتاب كان يضمّ إما حرف الـ(Y) الملتف أو حرف الـ(I) وغيرهما من الحروف المرسومة بدقة، وقد تبيّن التماثل بينها وبين اسم موكيش المكتوب على المغلف.

أعطت القائمة إلى ليلى، للتأكّد من تماثل الخطين، لأن نظرة فنانة كأمها يمكنها ملاحظة التشابه بدقة أكبر.

"إن الخطين متطابقان تمامًا، هل هو... هل هو صديقك موكيش، السيد باتيل صاحب تلك القائمة؟".

هزّت أليشا كتفيها، وصفقت الورقة بيدها بخفة، وقالت: "حسنًا، فلنكتشف حقيقة الأمر".

"ولكن من دون أن نتوه عن المكان الذي وصلنا إليه".

تجهّم وجه أليشا، وشعرت بالحيرة، فتابعت ليلى كلامها قائلة: "أقصد الرواية، أريد أن أعرف ما سيحصل لاحقًا".

الفصل 42

موكيش

فتح موكيش الباب، فارتسمت ابتسامة على محياه عندما رآها: "أليشا! هل دعوتك إلى تناول الطعام؟ أنا آسف جدًا، فقد نسيت، ولم أطهُ اليوم، فما زلت متخمًا من الطعام الذي تناولته بالأمس! أيمكنك الحضور غدًا بدلًا من اليوم؟ وستكون بريا مدعوة أيضًا، فهي تودّ رؤيتك مجددًا، وأنا متأكد من أن لقاءك سيسعدها، أم أنك جئت من أجل كتاب *قانون الطريق السريع*".

بدأ يقلّب عينيه باضطراب في كل اتجاه، ليتأكّد إن كانت مجرد زيارة ودية أم أن لها غرضًا آخر.

"لا، لا تقلق، سيد باتيل، لم أحضر من أجل تناول العشاء اليوم، بل أردت فقط... في الحقيقة عثرت على غرض، وأعتقد أنه يعود إليك".

أظهرت كتاب شاب مناسب.

"يا إلهي! أليشا! أعلم أنني أصبحت قارئًا أفضل مما كنت عليه سابقًا، ولكن هذه الرواية ضخمة جدًا، ولن أتمكّن من قراءتها قبل أن يمرّ وقت طويل".

قالت له أليشا ضاحكة: "في البداية، سيد باتيل، لقد اتضح من خلال الصفحات الأولى التي قرأتها، أنها رواية رائعة جدًا، وأعتقد أنك ستحبّها، وعندما ستفرغ من قراءتها، ستكون بريا قد أصبحت كبيرة كفاية لتتمكّن من قراءتها أيضًا، لذا عليك أن تأخذها مني".

ناولته أليشا الرواية، ونظرت إلى الغلاف الخلفي، ثم سحبت المغلف، وأعطته إياه، وقالت له: "لقد وجدت هذا المغلف، وأعتقد أنه يعود إليك، ولكن قبل أن تقرأ ما في داخله، يجب أن تعلم أنه...في الحقيقة... كما تعلم... فقد وجدت هذه القائمة... إنها قائمة تضمّ مجموعة من الروايات، وهي التي كنا نقرأها معًا".

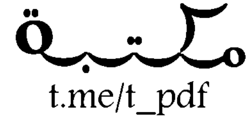
"هل دوّنتها كلها في القائمة؟ أنت أمينة مكتبة رائعة حقًا، أليشا، أنت تقدّمين خدمة كاملة، كم يبدو أداؤك رائعًا!".

"كلا، سيد باتيل، لقد كانت تلك الكتب توصيات شخص آخر، وأنا استعنت بها، فأنت تعلم أنني لا أعرف شيئًا عن الكتب؟".

"كم أنت فتاة متواضعة!".

"كلا، سيد باتيل، لا أعرف شيئًا بصدق... أو بالأحرى لم أكن أعرف شيئًا قبل أن أعثر على هذه القائمة في اليوم الأول الذي أتيت فيه إلى المكتبة، وفكّرت حينها في أنني إن قرأت هذه الروايات، فسأتمكّن من أن أنصحك بقراءتها".

نظر موكيش إلى المغلف مجددًا، فرأى اسمه مكتوبًا عليه، وكأنه يراه للمرة الأولى.



"أعتقد أنه من...".

قاطعها موكيش قائلًا: "إنه من نينا، إنه خط يدها".

أعطته القائمة أيضًا، فارتعشت يداه، وقالت له: "الرسالة موجهة إليك".

نظر موكيش إلى أليشا بغرابة، فبدا وكأنه لقاؤهما الأول، وبدأ يتفحّص وجهها بكل تفاصيله، وهو يمسك بالقائمة بإحدى يديه والمغلف باليد الأخرى، فابتسمت أليشا له، وربتت على كتف صديقها ثم غادرت.

ما إن كادت تعبر الشارع، حتى رأت شابًا يقف على الرصيف المقابل، ويستند إلى الحائط، فتراءى لها إيدان لوهلة، وقد علت وجهه ابتسامة عريضة وهو ينظر إليها.

نينا
2017

وضعت نينا قائمتها الأخيرة، وقد دفنتها تحت غلاف إحدى نسخ كتاب لا تقتل عصفورًا ساخرًا، وقد أملت في أن يقرأها كريس، على الرغم من كونها تختلف عن ميوله، فهي لا تمّت إلى قصص الجريمة بصلة، ولكنها ارتأت أن نوعًا جديدًا قد يساعده على تجاوز أحزانه، فهو كان يعاني من الألم، وللروايات القدرة على شفاء الجروح.

كُدّست الروايات التي طلبتها على الطاولة المجاورة إلى سريرها، وكتبت القائمة الأخيرة، فقد كانت تلك الكتب التي شبّت بين صفحاتها، ولجأت إليها للحصول على الراحة عندما احتاجت إليها، فقدّمت إليها الحلول لمشاكلها، وفرصة أن تعيش حياتها بسعادة بعد أن منحتها القوة لتخطي همومها، ووسيلة للتواصل مع الناس، وها هي الآن تقرأ هذه الكتب مرة أخرى وأخيرة.

كانت بريا من أوحت إليها بترك قائمة الروايات، بين صفحات الكتب: "*با*، أودّ أن أقرأ قائمة كتبك المفضلة يومًا ما، فأنت أفضل من يختار الكتب القيمة"، وقد قالت بريا ذلك ببراءة الأطفال التي يتصفون بها عادة، ولكن نينا نظرت إلى الفكرة بجدية، وبعد أن علمت بأنها سترحل قريبًا، أرادت رد الجميل لسكان ويمبلي، أولئك الناس الذين أحبّوها، وبما أن الكتب منحتها الكثير، ولم يبقَ لها إلا أيام قليلة في هذه الحياة، اختارت أن تمضي بقية أيامها برفقة هذه الكتب، وأملت في أن تجد القائمة طريقها إلى القلوب التي تستحقّها، سواء أكانت في المتجر، أم في

موقف الباص، أم في المكتبة، أم في مركز اليوغا، أم في الحديقة العامة، لتبثّ فيها النور والأمل، فلا فائدة ترجى من إعطائها لإنديرا في ذلك الوقت، ولا سيما أنها قد امتلكت قائمتها الخاصة، وكانت ستسخر منها، وتتخلّص من القائمة فور مغادرة نينا، فكان من الغباء ائتمان إنديرا عليها، لذا اختارت الثقة بالقدر لإتمام عملها، ثم دعت أن تجد أنديرا طريقها إلى القائمة، أو على الأقل إلى المكتبة.

بقيت قائمة أخرى كان عليها أن تسلّمها إلى موكيش، مع أنه ليس بقارئ، ولكن ربما سيتساءل عن سبب شغفها بالقراءة بعد رحيلها، فلم تشأ أن يبقى وحيدًا، وهي تعرف تمامًا أنه يميل إلى عزل نفسه عن العالم متى يحزن، ومن خلال القراءة سيجد الصحبة التي ستؤنس وحدته في عالم الكتب، كما قد تلهمه الصفحات بالتعرف إلى أناس جدد، وقد يجرّب القيام بأنشطة جديدة، كما قد يجد الحكمة فيها أيضًا.

أخرجت إحدى أوراق الرسائل، وبدأت بمحاولتها التي لم تتذكّر عددها، فعلى الرغم من الكتب التي قرأتها طيلة حياتها، بدا إيجاد الكلمات المناسبة كي تقول "أنا أحبّك" للشخص الذي أمضت معه أسعد سنوات حياتها، أصعب ما في العالم.

تنفّست بعمق، وبدأت تكتب، والدموع تنهمر على الورقة:

موكيش،

لقد حاولت أن أكتب لك هذه الرسالة للمرة العاشرة، وربما العشرين، لأنني عجزت عن العثور على الكلمات التي سأخطّها لك، ولكنني أودّ أن أشكرك على حبك الكبير لي، وعلى صداقتك النادرة، فأنت كنت توأم روحي، طوال الخمسين عامًا الماضية، وأنا سعيدة جدًا لأن القدر جمعنا معًا، فكوّنّا عائلة سعيدة أفخر بها، كما أنني سعيدة بالحياة التي قضيناها معًا، وقد غمرها الحب بفضل وجودك في حياتي.

يجب أن تعرف أن الحياة ستكون على أحسن ما يرام في غيابي، إن تمكّنت من تحدي مخاوفك، وأطلقت ما في داخلك من مشاعر سلبية، وقابلت امرأة

مناسبة، فافعل كل ما يحلو لك من أنشطة مختلفة، وأخبر بناتنا بالسعادة التي ملأت حياتنا قبل ولادتهن وبعدها، واعتنِ بهن جيدًا، ولا تنزعج إن اهتممن بك، لأن اهتمامهن نابع من محبتهن العميقة لك، وارعَ صغيرتي بريا، فهي خجولة جدًا، وقد وجدتُ أن قراءة الكتب قد ساعدتها في التقرب مني، وأودّ لو تجرّب ذلك أيضًا، فهي تودّ التقرب منك، وأريدكما أن تكتشفا متعة القراءة إلى جانب بعضكما.

تصالح مع نفسك، أعلم أنك غاضب، وتتألّم، ولكن إصابتي بالسرطان ليست غلطة أحد، بل إنها وسيلة لرحيل شخص ما لا أكثر، وإن كنت تقرأ هذه الرسالة، فلا بد وأنني قد رحلت، وأن الفصل الجديد من حياتك على وشك أن يبدأ، فاستمتع به، واجعله مميزًا كما كانت حياتنا معًا.

كن لطيفًا، وحنونًا، وكن نفسك دومًا، موكيش، أنت أروع من قابلته في حياتي، ولا تخف من الوقوع في الحب مجددًا إن وجد طريقه إلى قلبك، وسأكون سعيدة إن حدث ذلك، وتذكّر بأنه يمكنك العثور على الحب في أماكن بعيدة لم تكن تتوقّعها تمامًا، كما قد يجدك بدورها في أي وقت.

مع حبي،

نينا

ملاحظة: لقد ساعدتني هذه الكتب في اكتشاف نفسي، وفي بناء شخصيتي وعالمي السحري، وآمل في أن تمنحك الفرح والأمل، وفي حال اشتقت إليّ يومًا، ستجدني بين صفحاتها، أحبّك.

ملاحظة أخرى: أعتقد أن بريا ستحبّ هذه الكتب أيضًا، ولكن عليك أن تنتظر حتى تكبر قليلًا.

بينما كانت تضع القائمة والرسالة في المغلف، سمعت وقع خطوات موكيش ينبعث من أسفل السلالم، فجلست على المغلف بسرعة، وأخفته تحت غطاء السرير.

ظهر رأس موكيش أمام الباب، وقال لها: "هل ترغبين في احتساء بعض الشاي نينا؟".

أجابته قائلة: "أجل، سيكون ذلك رائعًا"، مشى موكيش بهدوء على رؤوس أصابعه في اتجاه المطبخ، بينما سحبت نينا المغلف بسرعة من تحتها، وكان قد تجعّد قليلًا، فتنهّدت تنهيدة عميقة، ووضعته داخل الغلاف الخلفي لكتاب شاب مناسب، الذي كان ضخمًا كفاية ليجعل المغلف أملس مجددًا.

ناداها موكيش قائلًا: "هل يكفي ظرف واحد من الشاي؟".

قالت له نينا: "بالطبع يكفي، فلن أحتاج إلى أكثر من واحد".

النهاية

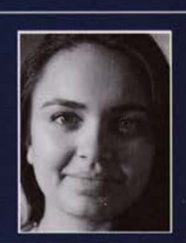


يعيش الأرمل موكيش حياة هادئة وربما مملة بعد أن توفيت زوجته نينا، فهو يتسوق كل أربعاء، ويذهب إلى دار العبادة، ويخشى على حفيدته بريا، التي تكرّس نفسها للقراءة بينما يشاهد هو برنامج ديفيد أتينبورو.

بالمقابل تعمل أليشا في المكتبة المحلية على طريق هارو في الصيف، وفي أثناء عملها تعثر على قطعة ورق في الجزء الخلفي من كتاب لا تقتل طائراً ساخراً دوّنت فيها قائمة بالكتب التي لم يسبق لها أن سمعت بها. في المقابل، كل رواية في القائمة تنقل أليشا إلى عالمها الساحر، وتبعدها عن الحقائق المؤلمة التي تعيشها في منزلها.

ذات يوم يصل موكيش إلى المكتبة في محاولة منه لإقامة صلة مع حفيدته بريا المحبة للقراءة، وهنا يتبين أنا القائمة التي ألهمت أليشا ستكون شرياناً يغذي نمو رابطة جميلة بين الجد وحفيدته، وبذلك ستكون قائمة القراءة بمثابة طوق نجاة لكل من أليشا وموكيش وستفتح فصلاً جديداً في حياتهما، فالقائمة ستنقذ روحين تعانيان من العزلة، حيث سيكتشفان أن الروايات يمكن أن تعلمهما كثيراً عن الحياة الواقعية.

هذا الكتاب بمثابة رسالة تشجيع على القراءة وتحبب بها، وهي رواية يجب أن تتوافر في مكتبة كل بيت.



سارة نيشا آدامز

كاتبة تبلغ من العمر 26 عاماً وهي تعمل في مجال النشر، وتعيش في لندن، ولدت في هيرتفوردشاير لأبوين أحدهما هندي والآخر إنكليزي، وأمضت الكثير من طفولتها في ويمبلي، حيث يعيش جداها والدا أمها، لقد استلهمت هذه الرواية من جدها الذي وجد بسرعة في الكتب رابطة تجمعه بحفيدته بخلاف موكيش.





الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
www.asp.com.lb - www.aspbooks.com





ISBN: 978-614-01-3284-9